

مجموع



رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

يحوي أكثر من ٥٠ رسالة في مختلف الفنون

تطبع مجموعة أول مرة مقابلة على عدة نسخ خطية

حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها

محمد بركات — ماهر أديب حبوش — د. علي محمد زينو

محمد وائل الحنبلي — جمال عبد الرحيم الفارس — محمد طارق مغربية

جمعها وأشرف على تحقيقها وقدم لها

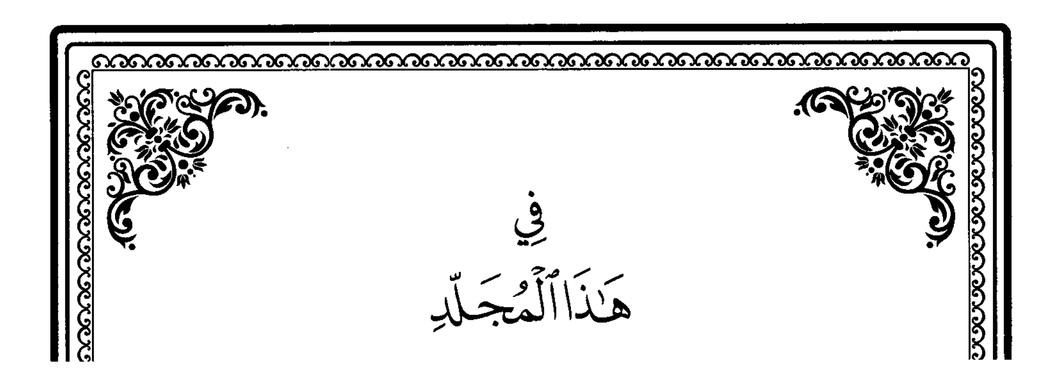
محمد خلوف العبد الله

المجلد الخامس



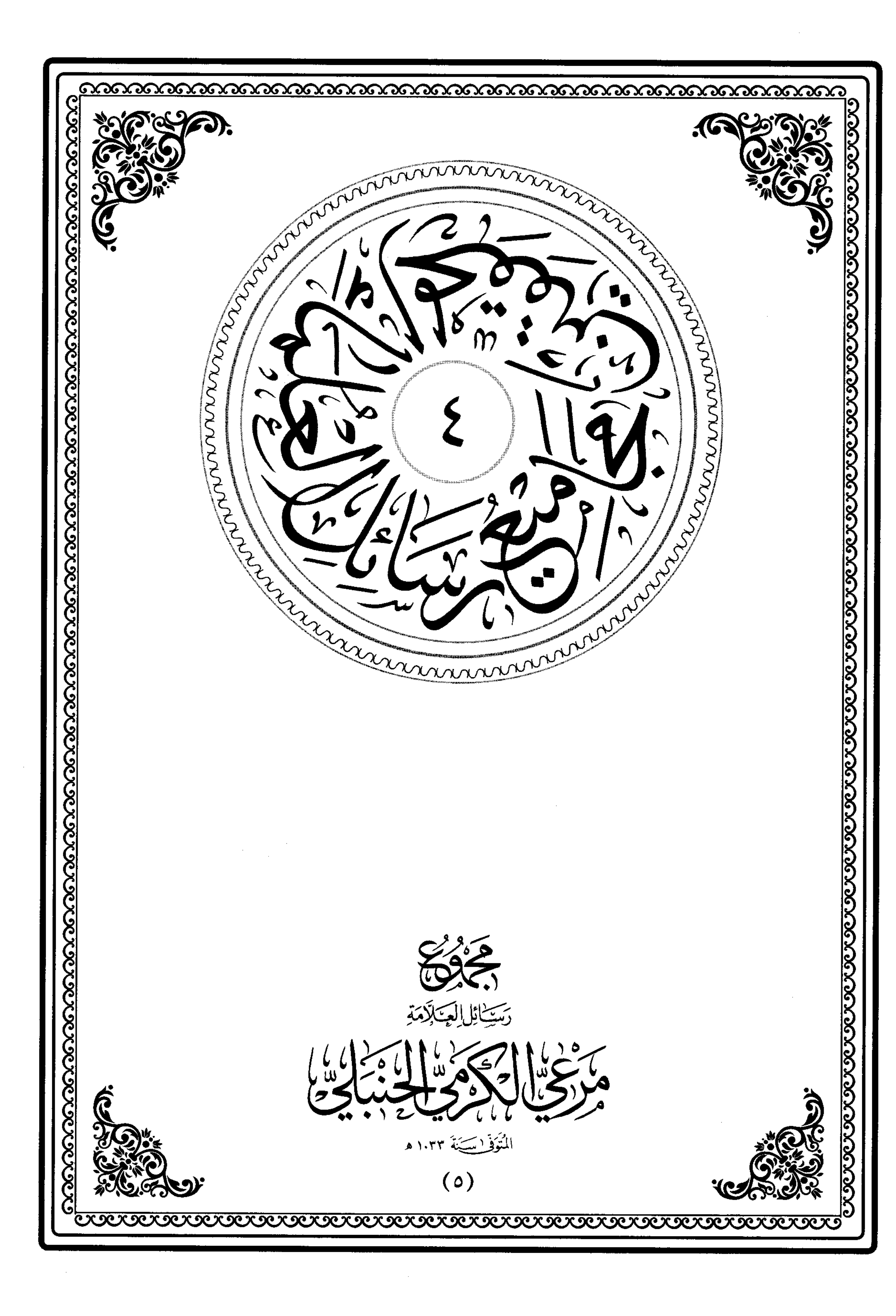


دار اللباب



الرسالة	الصفحة

***



٤

مجموع

رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

(٥)



حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية



الخطوط بقلم: عدنان الشيخ عثمان

الإخراج الفنّي: خالد محمد ياسين علوان



تركيا ـ اسطنبول ـ الفاتح ـ اسكندر باشا ـ كزتاش ـ مفرق بنك الكويت

مقابل مستشفى الفاتح ـ بناء رقم ٧ ـ ط ٥

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

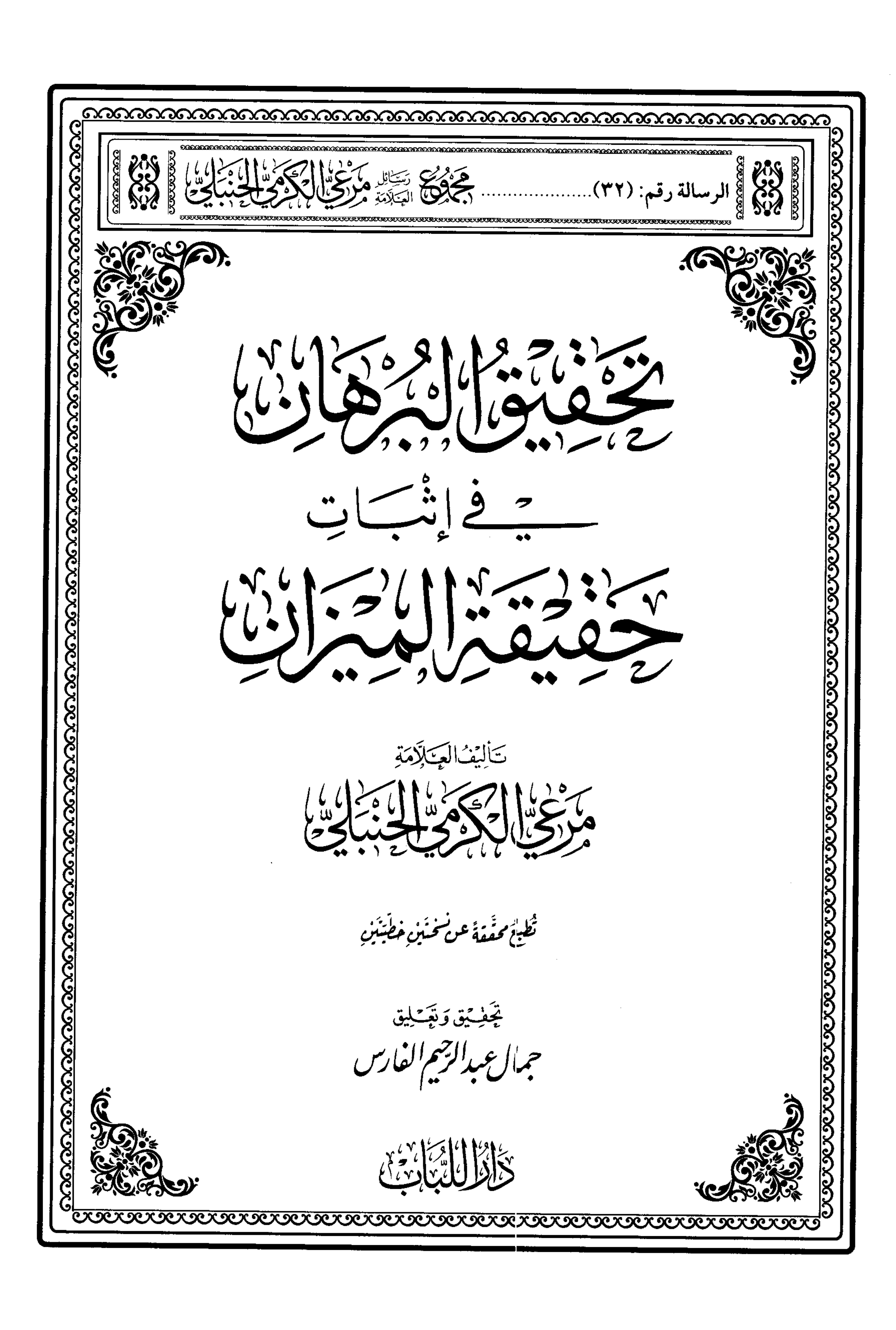
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850

Www.allobab.com - Email: info@allobab.com







تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان

تأليف العلامة

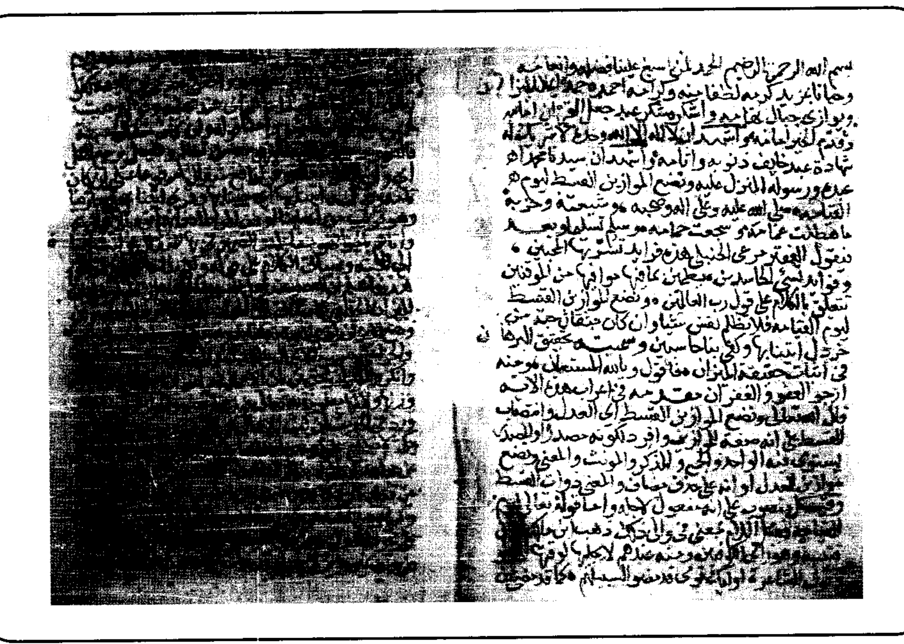
مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

جمال عبد الرحيم الفارس

دار اللباب



مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)

كتاب تحقيق

البرهان في إثبات حقيقة الميزان للفقير مرعي الحنبلي

الحمد لمن أسبغ علينا فضله وإنعامه ورجحانا بمزيد كرمه

لطفا منه وكرامه أحمده حمدا يملأ الميزان ويوازي جبال

تهامه وأشكره شكر عبد جعل العدل له إمامه وقدم الخير أمامه

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خائف

ذنوبه وآثامه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

المنزل عليه ونضع الموازين القسط ليوم القيامة صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه ما هطلت غمامه

وتحصنت حمامه وسلم تسليما وبعد فيقول الفقير

مرعي الحنبلي هذه فرائد شنف المحبين وفوائد تشجي الحاسدين

يطلعون بما فيها سوافها من الموحدين متعلق بالكلام على

قول رب العالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة

فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى

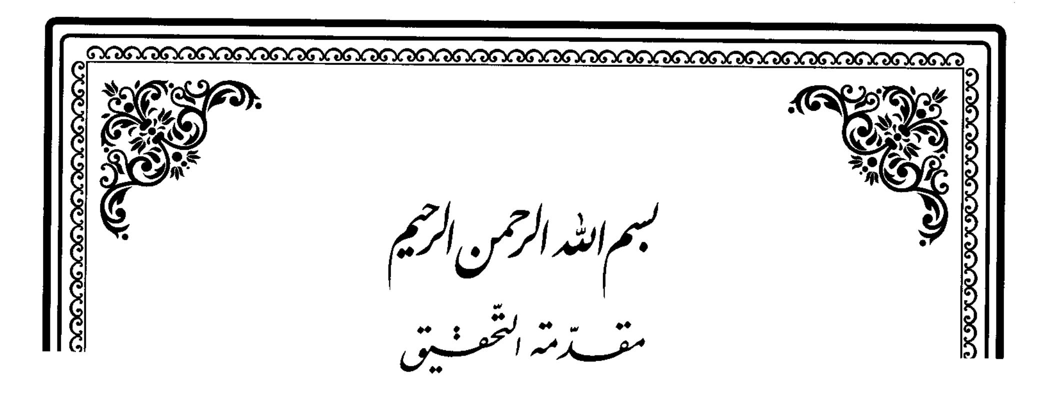
بنا حاسبين وسميته تحقيق البرهان في إثبات حقيقة

الميزان فأقول وبالله المستعان ومنه أرجو العفو والغفران

مقدمة في إعراب مشكل هذه الآية قال الله تعالى ونضع الموازين

القسط أي العدل وانتصاب القسط على أنه صفة للموازين وأفرد

مكتبة جمعة الماجد (م)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

وبعدُ:

فقد أَثنى اللهُ سبحانه وتعالى على الَّذينَ يُؤمنونَ بالغيبِ، في آياتٍ عدَّةٍ من كتابهِ الكريمِ، وكان منَ الأمورِ الغيبيَّة الَّتي أثبتها القرآنُ وجاءتْ في السُّنَّة: الميزان، وقد اختُلفَ فيه على قولَيْن:

الأوَّل: أنَّه الميزان الذي يعرفه النَّاسُ؛ فتُوزَنُ الحسناتُ والسَّيِّئاتُ، وترجحُ إحدى الكفَّتين على الأخرى.

الثَّاني: أنَّه ليسَ ثمَّة ميزانٌ، وإنَّما المرادُ بالوزن: العدلُ في محاسبةِ النَّاس، وبثقل الموازين وخفَّتها: كثرةُ الحسناتِ وقلَّتُها. وبهذا القول أخذتِ المعتزلة.

والقول الأوَّل هو قولُ العلماءِ عامةً، قال البيضاويُّ: «والجمهورُ على أنَّ صحائفَ الأعمالِ تُوزن بميزانٍ له لسانٌ وكفَّتان، يَنظرُ إليه الخلائقُ؛ إظهارًا للمَعدلةِ وقطعًا للمَعذرةِ، كما يسألُهم عن أعمالهم فتعترفُ بها ألسنتُهم، وتَشهدُ بها جوارحُهم»[1].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٦).

وقد استحسنَ القُرطبيُّ قولَ القشيريِّ في رد القول الثاني، ونقله عنه في «تفسيره»، ونصه: «لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصِّراط على الدِّين الحقِّ، والجنَّةُ والنَّارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دُونَ الأجسادِ، والشَّياطينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمُومَةِ، والملائكةُ على القُوَى المحمُودَةِ. وقدْ أجمعتِ الأُمَّةُ فِي الصَّدْرِ الأوَّلِ على الأَخذِ بهذهِ الظَّواهِرِ مِنْ غيرِ تَأويلٍ، وإذا أجمعوا على منعِ التَّأويلِ وَجَبَ الأخذُ بِالظَّاهِرِ، وصَارتْ هَذهِ الظَّواهرُ نُصُوصًا»[1].

وقال ابنُ أبي العزِّ الحنفيُّ: «فثبتَ وزنُ الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أنَّ الميزان له كفَّتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيَّات، فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصَّادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسطِ ليوم القيامة كما أخبر الشَّارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النُّصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفوَّال! وما أحراه بأن يكون مِنَ الَّذين لا يُقيمُ اللهُ لهم يومَ القيامةِ وزنًا، ولو لم يكن مِنَ الحكمةِ في وزنِ الأعمالِ إلَّا ظهور عدلِه سبحانَه لجميعِ عبادِه، فـ«لا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ منَ اللهِ، مِنْ أجلِ ذلكَ أرسلَ الرُّسلَ مبشِّرين ومنذرين»[2]، فكيفَ ووراءَ ذلكَ مِنَ الحِكَمِ ما لا اطِّلاعَ لنا عليه»[3].

وهذه رسالةٌ صغيرةٌ في عددِ أوراقِها، كبيرةٌ فيما احتوته من العلوم

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٥).

(٢) هذا لفظ حديث رواه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٦١٣).

والمعارف، أفردَها مصنِّفُها العلامةُ الكرميُّ رحمه الله لمبحثِ الميزان، وبيانِ المذهبِ الرَّاجحِ فيه، ثمَّ ذَكَرَ ما يتبعُ ذلك مِنْ وَصْفِ الميزانِ، وعِظَمِهِ، وصاحبِهِ، وعددِ الموازين، والخلافِ في الموزونِ، والحكمةِ مِنْ وزنِ الأعمالِ، وبيَّنَ أنَّ الإيمانَ والبكاءَ من خشيةِ اللهِ لا يُوزَن، وكذا الأعمال غير المخلصة لا تُوزَن.

كلُّ ذلك وغيره مستدلًّا بالكتاب العزيز، والأحاديثِ النَّبويَّة الشَّريفة، وأقوالِ الصَّحابة، ومستشهدًا بكلام المفسِّرين، وناقلًا كلامَ العلماءِ، ولم ينسَ أن يُدْليَ بدلوه فيما يُحتاج إليه، معقِّبًا ومستدركًا ومعلِّلًا ومصحِّحًا.

كما عُني فيها باللُّغةِ والإعراب، فبدأَ رسالَته بإعرابِ الآيةِ موطن البحثِ، وبيَّنَ اختلافَ المعنى باختلاف الإعراب.

ومِنَ الكتبِ الَّتي نقلَ المصنِّف عنها في هذه الرِّسالة: تفسير الثَّعلبي، والكشاف، للزَّمخشري. والتفسير الكبير للرَّازي. والدرَّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للغزالي. وبحر الكلام، للنَّسفي. والتذكرة، والجامع لأحكام القرآن، كلاهما للقرطبي.

وغالب ما ذكره المصنِّف رحمه الله من الأحاديث صحيح أو حسن، وهناك بعض الأحاديث والآثار الضَّعيفة، قد بيَّناها في موضعها.

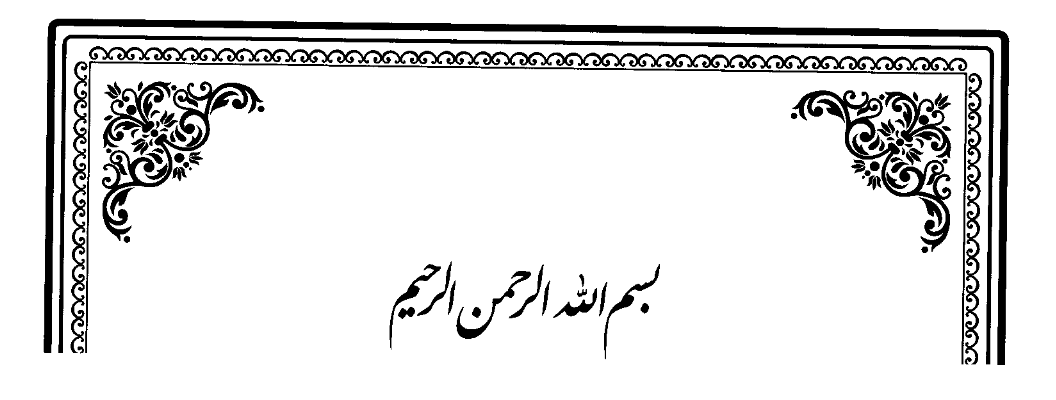
ولم يبوِّب المصنِّف رسالتَه هذه ولم يقسِّمها، ولذا وضعنا لها عناوينَ فرعيَّةً تدلُّ على المضمونِ، وجعلناها بين معكوفتين؛ تنبيهًا أنَّها زيادةٌ على أصلِ هذه الرِّسالة.

وقد اعتمدنا في تحقيقِ هذه الرِّسالةِ على نُسختَينِ خطِّيَّتينِ: الأولى: نسخةُ الجامعةِ الإسلاميَّة، ورمز لها بـ(ج)، وفيها بعض السقوطات. والثانية: نسخةُ مركز جمعة الماجد، ورمز لها بـ(م)، وهي نسخة أتمُّ من النسخة السَّابقة، وخطها أوضح. وكِلا النُّسختَيْنِ منقولتانِ عن نسخةِ المصنِّف، كما أشار النَّاسخ إلى ذلك في نهايتها.

نسأل الله تعالى التَّوفيق والهداية، والحمد لله ربِّ العالمين.

المحقق

* * *



الحَمدُ لمَنْ أسبَغَ عَلَينا فَضْلَهُ ونِعَمَه[1]، وحَبَانا بمَزِيدِ كَرمِهِ لُطْفًا مِنهُ وكَرامة، أحمَدُهُ حَمدًا يملأُ المِيزَانَ ويُوازِي جِبَالَ تِهامَة، وأشْكُرُهُ[2] شُكرَ عَبدٍ جعَلَ القُرآنَ إمَامَه، وقدَّمَ الخَيرَ أمَامَه.

وأشـهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَـرِيكَ لهُ، شَـهادَةَ عَبدٍ خائِـفٍ ذُنُوبَهُ وآثَامَه، وأشـهَدُ أنَّ سـيِّدَنا محمَّـدًا عَبدُهُ ورَسُـولُه، المُنـزَلُ عَلَيـهِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وعَلَـى آلـهِ وصَحبِـهِ وشِـيعَتِهِ وحِزبِـهِ مـا هَطلَـتْ غَمَامة، وسَـجَعتْ حَمامَة، وسَـلَّمْ تَسْـلِيمًا.

وبَعدُ:

فيَقُـولُ الفَقِيـرُ مَرْعِـيٌّ الحَنبَلِـيُّ: هَـذِهِ فَوائِـدُ تَسُـرُّ[3] المحبِّين، وفوائدُ تُسِـيءُ الحاسِـدِين، ليَطمَئِـنَّ بما فيهـا مُوافِقِيها مِنَ المؤقِنيـن، تَتعلَّقُ بالـكَلامِ عَلَى قَولِ ربِّ الـعَـالـمِـينَ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) في (م): «وإنعامه».

(٢) في (م): «وشكره».

(٣) في (م): «تسر بها».

وسمَّيتُهُ:

«تحقِيقَ البُرهانِ في إثْباتِ حَقِيقَةِ المِيزانِ»

فأقُولُ وباللهِ المُستَعانُ، ومنهِ أرْجُو العفْوَ والغُفْرانَ:

مُقدِّمةٌ في إعْرابِ مُشْكلِ[1] هَذِهِ الآيةِ

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾؛ أي: العَدْلَ، وانتِصَابُ ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ على أنَّهُ صِفةٌ لـ ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، وأُفْرِدَ لكونِهِ مَصْدرًا، والمصْدَرُ يَستوِي فيهِ الواحِدُ والجَمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ، والمعْنَى: ونضَعُ مَوازِينَ العَدلِ.

أو إنَّهُ عَلَى حَذفِ مُضافٍ، والمعْنَى: ذَواتِ القِسطِ.

وقِيلَ: مَنصُوبٌ عَلَى أنهُ مَفعُولٌ لأجلِهِ.

وأمَّا قولُهُ تَعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فقِيلَ: الَّلامُ بمعْنَى في، وإلى ذلِكَ ذهَبَ ابنُ مالِكٍ وابنُ قُتيبَةَ، وهوَ رأيُ الكُوفيِّينَ[2]، ومنه[3] عِندَهُمْ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقولُ الشَّاعِرِ[4]:

أولَئِكَ قَوْمِي قَدْ مَضَوا لسَبِيلِهِمْ كَمَا قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلُ عَادٌ وتُبَّعُ[5]

---

(١) «مشكل» من (م).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٥).

(٣) في (ج): «وفيه».

(٤) في (ج): «الشاعرة».

(٥) البيت لمسكين الدارمي. كما في: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٥)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ١٠١).

وقِيلَ: إنَّها للتَّعليلِ؛ أي: لأجْلِ حِسابِ أهلِ يَومِ القِيامةِ.

وقيلَ: الَّلامُ بمعْنَى عِندَ، والمعْنَى عِندَ مجْيءِ يَومِ القِيامَةِ؛ كقَولِهِ تَعَالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق: ٥]؛ أي: عِندَ مجيئِهِ، وقولهُمْ: جِئتُ لخَمسٍ خَلونَ عنِ الشَّهرِ.

وأمَّا قولُهُ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، فالضَّميرُ يرجِعُ للظُّلامَةِ المفهومةِ مِن ﴿تُظْلَمُ﴾، وقيلَ: يرجِعُ للعَملِ؛ أي: وإنْ كانَ العَملُ مِثقالًا، وقرأَ[1] نافِعٌ: (مِثقالُ) مَرفُوعًا[2] على أنَّ ﴿كَانَ﴾ تامَّةٌ.

وقولُهُ: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي[3]: جِئنا بها، وقُرِئ: (آتَينا)[4] بمَعْنى، جازَيْنا، وهوَ قَريبٌ مِن: أعْطَينا، أو مِنَ المواطَأةِ، فإنَّهمْ آتَوهُ بالأعْمالِ وأتاهُمْ بالجَزاءِ، فهُوَ مُفاعلَةٌ.

والضَّميرُ في ﴿بِهَا﴾ للمِثقالِ، وأُنِّثَ لإضَافتِهِ إلى الحبَّةِ.

وسيَأتي الكَلامُ عَلى قَولِهِ: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

***

---

(١) في (م): «وقول».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص١٥٥).

(٣) «أي» ليس في (م).

(٤) وهي من القراءات الشاذة، نسبت لمجاهد، كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥)، ونسبت له ولابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهم، كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ٦٣).

[المرادُ بالميزانِ، والخلافُ فيه بينَ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ والمعتزلةِ]

إذا تقرَّر[١] هذا، فاعلَمْ أنَّ الصَّحيحَ عندَ أهلِ السُّنةِ والجَماعَةِ أنَّ المرادَ بالميْزانِ: الميْزانُ الحقَيقِيُّ كما سيأتي، لا أنَّ المرادَ بالمِيزانِ مجرَّدُ العَدلِ، وأنَّ وضْعَ الميزَانِ يَومَ القِيامَةِ كِنايةٌ وتمْثيلٌ لإرْصَادِ الحِسَابِ الدُّنيَويِّ[٢]، والجزاءُ عَلَى حَسبِ الأعْمالِ بالعَدلِ.

وإلى ذلِكَ ذهَبَ المعتَزلةُ[٣]، وأنْكَرُوا الميزانَ محْتَجِّينَ:

بأنَّ الأعمَالَ أعرَاضٌ، إنْ أمكَنَ إعادَتُها، لم يمْكِنْ وزْنُها.

ولأنَّها مَعلُومةٌ للهِ تَعالى، فوَزْنُها عَبثٌ.

والجوابُ: إنَّهُ قدْ ورَدَ في الحدِيثِ: أنَّ كُتبَ الأعمَالِ هيَ التي تُوزَنُ[٤]، ولعَلَّ في الوزْنِ حِكمَةً، لا نطَّلِعُ عَليها، وعدَمُ اطِّلاعِنا على الحِكْمةِ لا يُوجِبُ العَبَثَ.

ونُقلَ عَنْ مجاهِدٍ: أنَّ المرادَ بالميزانِ: العدْلُ[٥].

---

(١) في (ج): «أقرَّ».

(٢) في (م): «السوي».

(٣) انظر: «قواعد العقائد» لأبي حامد الغزالي (ص١٣٧)، و«بحر الكلام» لأبي المعين النسفي (ص٢٣٩)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ١٠٣).

(٤) ورد ذلك في عدة أحاديث منها حديث البطاقة والسجلات، وسيأتي. ومن الأحاديث التي تدل على ذلك ولم ترد في هذه الرسالة: ما رواه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن». قال الترمذي: حسن صحيح.

(٥) ذكر نحوه البخاري في «صحيحه» قبل حديث (٧٥٦٣) معلقًا، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٠). وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٥/ ٣٨٢).

قالَ الفَخرُ: ويُروَى مِثلُهُ عَن قَتادةَ والضَّحَّاكِ[١].

قالَ القُرطبيُّ في «تفسِيرِهِ»: قالَ مجَاهدٌ، وقَتَادةٌ، والضَّحَّاكُ: ذِكْرُ الميزَانِ مَثلٌ، وليسَ ثمَّ مِيزانٌ، وإنَّما هوَ العَدلُ[٢].

قالَ الفَخرُ[٣]: وحكَاهُ ابنُ جُبيرٍ[٤] عنِ ابنِ عبَّاسٍ[٥].

وبهِ قالَ الأعْمَشُ[٦]، وكَثيرٌ مِنَ المتأخِّرينَ[٧].

وردَّهُ الإمَامُ الفَخْرُ وقالَ: إنَّ حمْلَ الموازِينِ عَلى مجرَّدِ العَدلِ، وصرْفَ اللَّفظِ عنِ الحَقِيقةِ إلى المجازِ مِن غَيرِ ضَرورَةٍ؛ غَيرُ جَائزٍ، لا سيَّما وقَدْ جاءَتِ الأحادِيثُ الكَثِيرةُ، بالأسانيدِ الصَّحِيحةِ في هذا البابِ[٨].

قالَ الإمَامُ الفَخرُ في تفسِيرِ هَذهِ الآيةِ: إنَّ قولَ أئمَّةِ السَّلفِ: إنَّهُ سُبحانَهُ يَضعُ

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٠) عن قتادة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٩) عن الضحاك.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١١/ ٢٩٣).

(٣) من قوله: «القرطبي» إلى هنا سقط من (ج).

(٤) كذا في النسختين، وفي المطبوع من «تفسير الرازي»: «ابن جرير».

(٥) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إلى آخر الآية، وهو كقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] يعني بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنات والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه، يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه.

(٦) ذكره عن الأعمش الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٤)، والقرطبي في «التذكرة» (ص٧٢٣).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢).

(٨) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٩).

الموازِينَ الحقيقِيَّةَ ليزِنَ بها الأعمَالَ، قالَ: وعنِ الحسَنِ: هوَ مِيزانٌ لهُ كِفَّتانِ ولسَانٌ، وهوَ بيدِ جِبريلَ عَلَيهِ السَّلامُ[١].

وأخرَجُ أبو الشَّيخِ في «تفسِيرِهِ» مِن طَرِيقِ الكَلبيِّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: الميزَانُ لهُ لسَانٌ وكِفَّتَانِ[٢].

***

[عِظَمُ الميزَانِ]

وأمَا عِظمُهُ[٣]:

فقَالَ الفَخرُ والثَّعلبيُّ وغيرُهما: رُوِيَ أنَّ داوُدَ عَليهِ السَّلامُ سَألَ ربَّهُ جلَّ جَلالُهُ أنْ يُرِيَهُ الميزَانَ، فَلَمَّا رآهُ، غُشِيَ عَليهِ، فلمَّا أفاقَ، قالَ: يا إلهِي! مَن ذا الذِي يقْدِرُ أنْ يملأَ كِفَّةَ حسنَاتِهِ؟ فقَالَ: إذا رضِيْتُ عَنْ عَبدِي مَلأْتُها[٤] بتَمرَةٍ[٥].

وقالَ الفَخرُ في تفسِيرِ سُورَةِ الأعْرافِ: إنَّ عبدَ اللهِ بنَ سَلامٍ قالَ: إنَّ مِيزانَ رَبِّ العَالمينَ، يُنصَبُ بينَ الجنِّ والإنسِ، يُستَقبَلُ بهِ العَرشُ، إحدَى كِفَّتَيهِ عَلَى

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). وقول الحسن رواه اللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢١٠)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤١٨).

(٢) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤١٨). ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي هو محمد بن السائب متروك.

(٣) في (ج): «وأما عظيم».

(٤) في (ج): «ملأها».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٧)، و«تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ونقله المفسرون، ولم أقف له على سند.

الجنَّةِ، والأُخرَى عَلَى جهنَّمَ، لو وُضِعَتِ السماواتُ والأرْضِ في إحدَاهُما لوسِعَتْهُنَّ، وجِبريلُ آخِذٌ بعَمُودِهِ ينْظرُ إلى لسَانِهِ[١].

وروَى الحاكِمُ في «المستَدْركِ» وصحَّحَهُ على شرْطِ مُسلمٍ عَنْ سَلمانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يُوضَعُ الميزانُ يومَ القِيامَةِ، فلَو وُزِنَ[٢] فيهِ السَّماواتُ والأرْضُ لوسِعَتْ[٣]، فتَقولُ الملائكةُ: يا ربُّ! لمنْ يزِنُ هذا؟ فيقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: لمَنْ شِئْتُ مِن خَلقِي، فتَقولُ الملائكَةُ: سُبحانَكَ، ما عبدْناكَ حقَّ عبادَتِكَ»[٤].

***

[صِفةُ الميزَانِ]

وأمَّا صِفتُهُ:

فقَالَ الغَزاليُّ في «الدُّرَّةِ الفاخِرَةِ في كشْفِ عُلُومِ الآخِرةِ»: يُنصَبُ الميزَانُ، وهوَ كِفَّتانِ، كِفَّةٌ[٥] عَنْ يمِينِ العَرْشِ مِن دُرَّةٍ بيضاءَ، وكِفَّةٌ عَن يسَارِهِ مِنْ ظُلْمَةٍ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢)، وذكره أيضًا النيسابوري في «تفسيره» (٣/ ٢٠٢). ولم أقف له على سند.

(٢) في (ج): «وزنت».

(٣) في (ج): «لوسعتهن».

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٧)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٨٢٧) عن سلمان موقوفًا. قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٨): وقد صح عن سلمان ـ فذكره ثم قال: ـ وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور.

(٥) «كفة» ليست في (م).

(٦) انظر: «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» (ص٥٣) ط دار الحكمة، دمشق، ١٤١٥هـ.

وقالَ في «التَّذكرَةِ» للقُرطبيِّ: المتَّقونَ تُوضَعُ حسنَاتهُمْ في الكفَّةِ النيِّرةِ، وصَغائرُهُمْ في الكِفَّةِ الأُخرَى، فلا يجعَلُ اللهُ لتلْكَ الصَّغائرِ وَزْنًا، وتثقُلُ النيِّرةُ، حتَّى لا ترتفِعَ، وترتفِعُ المظلِمَةُ، ارتفَاعَ الفارِغِ الخالِي[1]. وأمَّا الكفَّارُ فيُوضَعُ كُفرُهمْ وأوزَانهُمْ في الكِفَّةِ المُظلِمةِ، وإنْ كانَ لهُمْ أعمَالُ برٍّ، وضِعَتْ في الكِفَّةِ الأُخرَى، فلا يقاوِمُها إظهَارًا لفضْلِ المتَّقِينَ، وذلِّ الكافِرينَ[2].

***

[صاحِبُ الميزَانِ]

وأمَّا صاحِبُهُ:

ففِي الثَّعلبيِّ وغيرِه، وأخرَجَهُ ابنُ جَريرٍ في «تفْسِيرِه» وابنُ أبي الدُّنيا عَنْ حُذَيفَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: صاحِبُ الميزَانِ يومَ القِيامَةِ: جِبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ[3].

وقدْ مرَّ قرِيبًا قولُ الفَخرِ، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ: وجِبريلُ آخِذٌ بعَمُودِهِ ينظُرُ إلى لسَانِهِ، وقولِ الحسَنِ: هوَ مِيزانٌ لهُ كِفَّتانِ ولسَانٌ، وهوَ بيَدِ جِبريلَ عَليهِ السَّلامُ.

وفي الثَّعلبيِّ: عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: إنَّ مَلَكًا مِن مَلائكَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ موَكَّلٌ يومَ القِيامةِ بمِيزانِ ابنِ آدَمَ، فيُؤتى بهِ، حتَّى يوقفَ بينَ كِفَّتي الميزَانِ، فيوزَنُ عملُهُ،

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢٥).

(٢) نحوه في «التذكرة» (ص٧٢٧). وفيه: «وأما الكافر، فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢١٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٩)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٩٧) إلى ابن أبي الدنيا، ورواه أيضًا اللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢٠٩).

فإنْ ثقُلَ مِيزانُهُ، نادَى المَلَكُ بصَوتٍ يسمَعهُ الخلائقُ، باسْمِ الرجُلِ: ألا سَعِدَ فلانٌ سعادَةً لا يَشقَى بعدَها أبدًا، وإنْ خفَّتْ موازِينهُ، نادَى المَلَكُ: ألا شقِيَ فلانٌ شقاوَةً لا يسعَدُ بعدَها أبدًا[١].

***

[هل الميزانُ واحدٌ أو أكثرُ؟]

وقدِ اختلَفَ العلماءُ هل الميزانُ واحِدٌ أو أكثَرُ؟

فقالَ الحسَنُ بنُ أبي الحسَنِ البَصريُّ: لكُلِّ واحِدٍ ميزانٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧][٢].

وقالَ بعضُهم[٣]: الأظهَرُ إثباتُ الموازِينِ يومَ القِيامةِ، لا مِيزانٌ واحِدٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقولِهِ تَعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]. قالَ: وعلَى هَذا، فلا يبعُدُ أنْ يكُونَ لأفعَالِ القُلوبِ مِيزانٌ وللجَوارِحِ مِيزانٌ، ولما يتعلَّقُ بالقَولِ مِيزانٌ آخَرُ[٤].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٥)، وكذا رواه البزار في «مسنده» (٦٩٤٢)، والدينوري في «المجالسة» (١٦٢٥)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه البزار وفيه صالح المري وهو مجمع على ضعفه. وقال ابن كثير في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]: إسناده ضعيف، فإن داود بن المحبر متروك.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ١٤)، و«تفسير الثعالبي» (٩/ ٩).

(٣) هو الرازي، وكلامه هذا في «التفسير الكبير» (١٤/ ٢٣).

(٤) «آخر» ليس في (م).

وقيلَ: يجوزُ أنْ يكُونَ هُناكَ مَوازِينُ للعامِلِ الواحِدِ، يُوزَنُ بكُلِّ مِيزانٍ مِنها صِنْفٌ مِن أعمالِهِ، كما قالَ الشَّاعِرُ:

مَلِكٌ تَقُومُ الحادِثاتُ بعَدْلِهِ ... فلِكُلِّ حادِثةٍ لها مِيْزانُ[1]

ولمْ يرْضَ ابنُ عطيَّةَ هذا القَولَ ونحوَهُ[2]، وقالَ: إنَّ النَّاسَ عَلَى خِلافِهِ، وإنَّما لكلِّ أحدٍ وزْنٌ مختَصٌّ بهِ، والميزانُ واحِدٌ[3].

وأجابَ بعضُهُمْ عَنْ جمعِ الموازِينِ في الآيةِ: بأنَّها إنَّما جُمعَتْ لكثرَةِ مَن تُوزَنُ أعمالُهُمْ، أو هوَ جمْعُ تفخِيمٍ[4].

***

[اختلافُ العلماءِ في المَوزُونِ]

واختَلفَ العلماءُ في الموزُونِ؛ فقيلَ: يوزَنُ العبدُ معَ عملِهِ. وقيلَ: يجسَّدُ[5] العَملُ ويوزَنُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُجاءُ بالحسنَاتِ في أحسَنِ صُورةٍ، ويُجَاءُ بالسيِّئاتِ في أقبَحِ صُورةٍ[6].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٣)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (١٠/ ٤٨٠). ومن قوله: «وقيل يجوز أن يكون» إلى هنا ليس من (ج).

(٢) «ونحوه» ليس في (ج).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٢/ ١٤٩).

(٥) في (ج): «يجرد».

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٨) من طريق الكلبي، والكلبي متروك.

وقيلَ: يوضَعُ في كِفَّةِ الحسناتِ جواهِرُ بِيضٌ مُشرقةٌ، وفي كِفَّةِ السيِّئاتِ جواهِرُ سُودٌ مُظلمَةٌ(١).

والصَّوابُ: ما صحَّحهُ ابنُ عبدِ البرِّ والقُرطبيُّ وغيرُهما أنَّ الموزُونَ الصَّحائفُ(٢).

قالَ الإمامُ الفخْرُ: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ سُئلَ عمَّا يوزَنُ يومَ القِيامةِ؟ فقالَ: «الصُّحفُ»، وهوَ مذهَبُ المفسِّرينَ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨](٣).

فعَلَى هذا، فالثِّقَلُ الذِي يكُونُ في الميزانِ، إنَّما يكُونُ في صحَائفِ الأعمالِ. وحكاهُ ابنُ عطيَّةَ عَن أبي المعالي، قالَ ابنُ عطيَّةَ: وهذا أقرَبُها(٤).

ونقَلَ المفسِّرونَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ، ورواهُ التِّرمِذيُّ، وابنُ ماجَهْ، وابنُ حبَّانَ، والحاكِمُ وصحَّحهُ، والبَيهقِيُّ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصاحُ برجُلٍ مِن أُمَّتي عَلَى رؤوسِ الأشْهادِ يومَ القِيامةِ، فينشَرُ له تسعةٌ وتسعُونَ سِجِلًّا، كلُّ سجِلٍّ مِنها مدُّ البصَرِ، فيها خطاياهُ وذنُوبُهُ، فيَقولُ اللهُ: أتُنكِرُ مِن هذا شيئًا؟ أظلَمكَ كتَبتِي الحافِظُونَ؟ فيَقولُ: لا، يا ربِّ! فيقُولُ: أفلَكَ عُذرٌ أو حسنَةٌ؟ فيقُولُ: لا، يا ربِّ! فيَقولُ اللهُ: بلَى، إنَّ لكَ عِندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عَليكَ اليومَ. فَتُخرَجُ لهُ بطاقَةٌ،

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٢٠)، ثم نقله عنه المفسرون.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٥). وقد رجح ابن حجر أن الذي يوزن هو الأعمال، واستدل بأحاديث على قوله. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٩).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٤/ ٢٠٢). والحديث لم أقف عليه مسندًا، وقد ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٩/ ٢٤).

(٤) في (ج): «قريب». انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦).

فيها: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ. فيقُولُ: يا ربُّ! ما هذِهِ البِطاقةُ معَ هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فيُقالُ: إنَّكَ لا تُظلَمُ. فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فتطيْشُ السِّجلَّاتُ، وتَثقُلُ البِطاقةُ، ولا يَثقُلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ»[١].

فثبَتَ بهذا الحدِيثِ الصَّحِيحِ أنَّ الموزُونَ إنَّما هوَ صحائفُ الأعمَالِ.

قلْتُ: وعَلَى هذا، فكيفَ يثقُلُ[٢] وزنُ هذِهِ الصُّحُفِ؟ فهلِ العِبرةُ في الوزْنِ بتفاوُتِ أجرامِ الصُّحفِ، أو بالكِتابةِ[٣] الَّتي فيها؟ وعَلَى كِلا التَّقدِيرينَ فمُشكِلٌ بحدِيثِ البطاقةِ، فسُبحانَ العالمِ بكلِّ شيءٍ.

وأيضًا فكلُّ مسلِمٍ يأتي بالشَّهادَتينِ في عمُرِهِ مرَّاتٍ كثِيرةٍ، فعَلَى هذا كلُّ مسلِمٍ فارَقَ الدُّنيا مرتكِبًا للكَبائرِ، ترجحُ حسنَاتُهُ عَلى السَّيِّئاتِ، فيكُونُ مِن أهلِ الجنَّةِ بلا عَذابٍ.

وفيهِ نظرٌ ظاهِرٌ؛ إذِ الفسَّاقُ الموحِّدُونَ يعذَّبونَ، كما قامَتْ عَلَى ذلِكَ الأدلَّةُ، ولَمْ أرَ مَن تعرَّضَ لهذا الإشكَالِ ولا لجوابِهِ.

ولعلَّ هذا مخصُوصٌ بأقوامٍ لطَفَ اللهُ تَعالى بهِمْ، بمُقتضَى مَشيئتِهِ وحِكمَتِهِ[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٩). وقال الترمذي: حسن غريب.

(٢) في (م): «يعقل».

(٣) في (ج): «الكتابة».

(٤) ومن الأجوبة على ذلك أيضًا: أن ما جاء في حديث البطاقة هو حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص. انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٦/ ٢١٩).

وبنحوه قال ابن القيم وزاده إيضاحًا فقال: إن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل =

أو: أنَّ المرادَ بما في السِّجلَّاتِ المذكُورةِ ما هوَ مِن أعمَالِ الكُفرِ، ولا شكَّ أنَّ الشَّهادةَ تجُبُّ ذلِكَ كلَّهُ، وأمَّا الأعمَالُ الواقعَةُ في الإسلامِ فلا يجبُّها إلَّا التَّوبةُ.

أو: أعمالٌ صالحَةٌ كثيرَةٌ تُعادِلها، وإلَّا فصاحِبُها في المشيئَةِ حِينئذٍ، فتأمَّلْ! فإنَّهُ دقِيقٌ[1].

***

[خلافُ العلماءِ في وزنِ أعمَالِ الكافرِينَ]

واختلَفَ العلَماءُ؛ هلْ تُوزَنُ أعمَالُ الكافِرينَ، أو الوزْنُ خاصٌّ بأعمالِ المؤمِنينَ؟

وفي كلٍّ آياتٌ مُتعارِضَاتٌ.

فقالَ بعضُهمْ: توزَنُ أعمَالُ الكافرِينَ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨]؛ أي: يجحَدُونَ؛ قالَهُ مجاهِدٌ[2]، وقولِهِ تَعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨].

= بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصفِّ واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

ثم قال: ومعلوم أن كلَّ موحِّد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النَّار بذنوبه، ولكنَّ السرَّ الذي ثقَّل بطاقة ذلك الرَّجل وطاشت لأجله السِّجلَّات لَمَّا لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثِّقل والرَّزانة. انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٠).

(١) من قوله: «وأيضًا فكل مسلم» إلى هنا ليس في (ج).

(٢) كذا فسره كثير من المفسرين دون نسبة لقائل. انظر مثلاً: «تفسير الطبري» (١٠/ ٧٢)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٠٤)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٩/ ٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤١).

قالَ القُرطبيُّ: فإنْ قيلَ: إذا وُزِنَ عمَلُ الكافرِ، فما يُقابلُهُ في الكِفَّةِ الأُخرَى؟ قُلنا: ما كانَ مِنهُ مِن صِلَةِ الأرْحامِ وأفعالِ البِرِّ ونحوِ ذلِكَ، غيرَ أنَّ الكُفرَ إذا قابلَها رجَحَ عَلَيها[1].

وقالَ بعضُهُمْ: لا تُوزَنُ أعمَالُ الكافرِينَ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وأجابَ مَن قالَ بوزْنِ أعمالِهِمْ عَنْ هذِهِ الآيةِ: إنَّ المرادَ: وزنًا يُعتدُّ بهِ؛ أي: فلا يُكرَمُونَ ولا يُعطَونَ، وهَذا مجازٌ عَن عدَمِ الاعتِدادِ بهِمْ.

والصَّوابُ: أنَّ الميزانَ لا يكُونُ في حقِّ كلِّ أحدٍ، فإنَّ الَّذينَ يدخُلونَ الجنَّةَ بغَيرِ حسابٍ لا يُنصَبُ لهُمْ ميزانٌ، وكذلِكَ مَن يُعجَّلُ بهِ إلى النَّارِ لا يُقامُ لهُمْ وَزْنٌ.

وبقيَّةُ الكفَّارِ يُنصَبُ لهُمُ الميزانُ، فيظْهَرُ بهذا أنَّ قولَهُ تَعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ محمُولٌ عَلَى مَن يُعجَّلُ بهِ إلى النَّارِ[2]، والآياتُ الأُخرُ في حقِّ بقيَّةِ الكافِرينَ.

فإذَنْ: فلا تعارُضَ بينَ الآياتِ، ولا مجازَ في الآيةِ، فتأمَّلْ هَذا التَّحقِيقَ.

وقالَ بعضُ أهلِ التَّحقِيقِ: خَيراتُ الكافِرِ تُوزَنُ، ويُجزَى بها، إلَّا أنَّ اللهَ تَعالى حرَّمَ عليهِ الجنَّةَ، فجَزاؤُهُ أنْ يُخفَّفَ عنهُ، بدلِيلِ حَديثِ أبي طالِبٍ[3].

***

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢١).

(٢) في (م): «للنار».

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، ولفظ مسلم: عن العباس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح».

[وزنُ أعمالِ الجنِّ]

وذكرَ المحقِّقونَ[١]: أنَّ أعمَالَ الجنِّ تُوزَنُ كما تُوزَنُ أعمَالُ الإنسِ، وارتضَاهُ الأئمَّةُ، ونُقلَ ذلِكَ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضِيَ اللهُ عَنهُ[٢].

***

[الحكمَةُ مِن وزنِ الأعمَالِ]

واختلَفَ العُلماءُ: ما الحِكمَةُ في وزْنِ الأعمَالِ، معَ أنَّ اللهَ تَعَالى عالمٌ بكُلِّ شيءٍ قبلَ وزنِهِ؟

قالَ الثَّعلبيُّ: لأجلِ أربعَةِ أشياءٍ:

إمَّا تعرِيفُ اللهِ تَعَالى العبادَ ما لهُمْ عِندَهُ مِن جَزاءٍ عَلَى خَيرٍ أو شرٍّ.

أو امتِحانهُمْ بالإيمَانِ في الدُّنيا.

أو جعْلُ ذلِكَ عَلامةً لأهْلِ السَّعادةِ والشَّقاوةِ في العُقْبى.

أو إقامَةُ الحجَّةِ علَيهِمْ، انتهى[٣].

قلْتُ: الأحسَنُ أنْ يُقالَ: الحكمَةُ فيهِ: إظهَارُ العَدلِ، وبيانُ الفَضلِ، حيثُ إنَّهُ تَعالى يزِنُ مثاقِيلَ الذَّرِّ مِن الأعمَالِ، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

قالَ أبو عُثمانَ النَّهدِيُّ: قدِمتُ إلى مكَّةَ حاجًّا أو مُعتَمِرًا، فلقِيْتُ أبا هُريرَةَ؛

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢٨) فقد ساق أدلة من القرآن الكريم على ذلك.

(٢) تقدم الخبر عنه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢١٦).

فقُلتُ: بلَغَني عنكَ أنَّكَ تقُولُ: اللهُ يعطِي عبدَهُ المؤمِنَ بالحسنَةِ الواحِدةِ ألفَ حَسنةٍ فقالَ: لمْ أقُلْ ذلِكَ، ولكنِّي قُلْتُ: لأنَّ[1] الحسنَةَ تُضاعَفُ بألفَي ألفَي ضِعفٍ، ثمَّ قالَ: قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠][2].

وقالَ الحسَنُ: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] أحبُّ إليَّ مِن قولِ العُلماءِ مِن أنَّ الحسنَةَ الواحدَةَ تُضاعَفُ مئةَ ألفِ حسنَةٍ؛ لأنَّ التَّضعِيفَ الذِي قالُوا يكُونُ مِقدارُهُ مَعلُومًا، وأمَّا هذِهِ العِبارَةُ التي في كِتابِ اللهِ فغَيرُ معلُومٍ[3].

***

[الإيمانُ لا يُوزَنُ]

قالَ النَّسفِيُّ مُستدرِكًا مِن عمومِ وزْنِ الأعمالِ: إنَّ الإيمانَ لا يُوزَنُ، لأنَّهُ ليسَ لهُ ضِدٌّ يوضَعُ في كِفَّةٍ أُخرى؛ لأنَّ ضدَّهُ الكفرُ، والإيمانُ والكُفرُ لا يكُونانِ في الإنسانِ الواحِدِ[4].

***

---

(١) في (م): «إن».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٩٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٠٣) كما في الأصل موقوفًا. وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٤٥)، والبزار في «مسنده» (٩٥٢٥) مرفوعًا. وقال ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث في «تفسيره» من رواية الإمام أحمد: هذا حديث غريب، وعلي بن زيد بن جدعان. عنده مناكير، لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٠/ ٨٣).

(٤) انظر: «بحر الكلام» لأبي معين النسفي (ص٢٤٣). وتوسع الطرطوشي في بيان الأدلة على عدم وزن الإيمان، وتأويل الأحاديث التي ورد فيها ما يقتضي وزنه. انظر: «تحرير المقال في موازنة الأعمال» (١/ ٢٩٣ ـ ٣٠٠)، وانظر كذلك: «الفتاوى الحديثية» (ص ١٣٠). وذهب ابن عرفة إلى أن الإيمان يوزن. انظر: «تفسير ابن عرفة» (١/ ٤٥٨).

[البكاءُ مِنْ خَشيةِ اللهِ لا يُوزن]

قلْتُ: وورد[1] أيضًا أنَّ البُكاءَ مِن خَشيةِ اللهِ لا يُوزَنِ؛ لعِظَمِهِ عندَ اللهِ.

روَى إمامُنا أحمدُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نزَلَ علَيهِ جبريلُ، وعِندَهُ رجُلٌ يبكِي، فقالَ: مَن هَذا؟ قالَ: فُلانٌ، فقالَ جِبريلُ عَليهِ السَّلامُ: إنَّا نزِنُ أعمالَ بني آدمَ كلَّها إلَّا البُكاءَ، فإنَّ اللهَ يطفِئُ بالدَّمعةِ الواحِدةِ بحورًا مِن نارِ جهنَّمَ[2].

وروَى البيهَقيُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: لو أنَّ باكِيًا بكَى في أُمَّةٍ مِن الأممِ لرُحِموا، وما مِن شيءٍ إلا لهُ مِقدارٌ ومِيزانٌ، إلَّا الدَّمعَةَ، فإنها تُطفَأُ بها بحارٌ مِن نارٍ[3].

* * *

[الأعمالُ غَيرُ المخلصَةِ لا تُوزنُ]

وكذلِكَ الأعمَالُ الغيرُ المخلِصةِ لا تُوزَنُ.

روَى البزَّارُ، والطَّبرانيُّ، والدارَقطنيُّ، والأصبَهانيُّ عَنْ أنسٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَى يومَ القِيامةِ بصحُفٍ مختَّمةٍ، فتُنصَبُ بينَ يدَي اللهِ، فيقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ألقُوا هذِهِ واقبلوا هذه[4]، فتقُولُ الملائكَةُ: وعزَّتِكَ، ما

---

(١) في (ج): «وروي».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٤٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٨).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١١)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٩٢) كلاهما عن مسلم بن يسار مرسلًا. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١١٥): رواه البيهقي هكذا مرسلًا، وفيه راو لم يسم، وروي عن الحسن البصري وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان غير مرفوع، وهو أشبه.

(٤) «واقبلوا هذه» من (م).

كتبَنَا إلَّا مَا عمِلَ، فيقُولُ عزَّ وجلَّ: إنَّ هـذا كانَ لغَيـرِ وجْهِي، وإنـي لا أقبَلُ اليومَ إلَّا مـا ابتُغِيَ بـهِ وجهِي»[1].

* * *

لطيفةٌ

قـالَ علَمـاءُ الصوفيَّةِ: مَـنْ وَزَنَ أعمَالهُ وأنفاسَـهُ فـي الدُّنيا بميزانِ العـدْلِ فهوَ مِـنَ العابدِيـنَ، ومَـنْ وَزَنَ حركاتِـهِ فهـوَ منَ المحبِّيـنَ، ومَـن وزَنَ خَطرَاتـهِ فهوَ مِنَ العارِفينَ.

ومِيزانُ العدلِ ثلاثةٌ:

- مِيـزانُ النَّفـسِ والـرُّوحِ، فمَـنْ وزنَهُما بمِيـزانِ الأمـرِ والنَّهيِ، بكِفَّـةِ الكِتابِ والسـنَّةِ، نـالَ الدَّرجاتِ فـي الجنَّاتِ.

- وميـزانُ القلْـبِ والعقْـلِ، فمِـن وزَنَ حركتَهُمـا بمِيـزانِ الثَّـوابِ والعِقـابِ، بكِفَّـةِ الوعْـدِ والوعِيـدِ، نـالَ أسـنَى الدَّرجـاتِ.

- وميزانُ المعرفةِ والسِّرِّ، فمَنْ وزنَهُما بميزَانِ الرِّضا والسَّخطِ، بكِفَّةِ الطَّلَبِ والهرَبِ، سلِمَ ممَّا هرَبَ، وفازَ بما طلَبَ، ومَنْ أرادَ الوصُولَ إلى المسبِّبِ، فعلَيهِ بالهرَبِ منَ السَّببِ، فإنَّهُ حجابُ كلِّ طالِبٍ.

* * *

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٣٨٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٠٣) (٦١٣٣)، والدارقطني في «سننه» (١/ ٥١)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار.

[الكلامُ على قولِهِ تعَالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾]

وأمَّا قولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ففيهِ توعُّدٌ شديدٌ، وتخويفٌ وتهدِيدٌ.

و(نا) فاعِلٌ، و(الباء) زائدةٌ، نحوُ: كفَى باللهِ، والظَّاهِرُ كما قالَ أبو حيَّانَ في «النَّهرِ»[١]: إنَّ ﴿حَٰسِبِينَ﴾ تمييزٌ؛ لقبولِهِ (مِن)[٢]، ويجوزُ أنْ يكُونَ حالًا[٣].

وقالَ[٤] الزَّجَّاجُ في هذِهِ الآيةِ: هذا خَبرٌ، ومَعناهُ الأمرُ، أي: اكتَفُوا بنا[٥].

وأصلُ الحسَابِ: العدُّ والإحصَاءُ.

قالَ الثَّعلبيُّ: ومَعْنى الحسابِ: تَعريفُ اللهِ عزَّ وجلَّ الخلائقَ مَقادِيرَ الجزاءِ عَلَى أعمَالِهِمْ، وتذكِيرُهُ إياهُمْ ما قَدْ نَسوه[٦] مِن ذلِكَ، يدُلُّ عَليهِ قولُهُ تَعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦][٧].

---

(١) كتاب «النهر الماد من البحر» هو مختصر لـ «البحر المحيط» كلاهما لأبي حيان، مطبوع بحاشية «البحر المحيط» في الطبعة القديمة، مطبعة السعاد بمصر، سنة ١٣٢٨هـ، هو و«الدر اللقيط من البحر المحيط» لتلميذ أبي حيان تاج الدين أحمد بن عبد القادر القيسي.

(٢) في (م): «منه».

(٣) انظر: «النهر الماد» (٦/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٦). ومن قوله: «ففيه وعيد شديد» إلى هنا ليس في (ج).

(٤) في (ج): «فقال».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٤).

(٦) في (ج): «نسوا».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧).

وقالَ بعضُهُمْ: مَعْنى كونِهِ تَعَالى محاسِبًا لخلقِهِ: أنَّهُ تَعالى يُعْلِمُهُمْ ما لهُمْ وعَلَيهِمْ.

قالَ الفَخرُ: بأنْ يخلُقَ اللهُ في قلُوبهِمُ العُلومَ الضَّروريَّةَ، وكيفيَّاتِها، بمقادِيرِ أعمَالِهِمْ مِنَ الثَّوابِ والعِقابِ[١].

وقالَ بعضُهمْ: إنَّهُ تَعَالى يكلِّمُ عِبادَهُ في أحوالِ أعمَالِهِمْ، منَ الثَّوابِ والعِقابِ، لِمَا في البُخارِيِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «ما مِنكُمْ مِن أحدٍ إلا سيُكلِّمهُ ربُّهُ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ تَرْجُمانٌ، ولا حِجابٌ يَحجُبُهُ»[٢].

قالَ الفخرُ: فمَنْ قالَ: إنَّ كلامَهُ تَعالى ليسَ بصَوتٍ ولا حَرفٍ، قالَ: إنَّ اللهَ يخلُقُ في أذُنِ المكلَّفِ سمْعًا يسمَعُ بِهِ كلامَهُ القَديمَ، كما أنَّهُ يخلُقُ في عَينيهِ رُؤيةً يرَى بها ذاتَهُ القَدِيمةَ، ومَن قالَ: إنَّهُ صوتٌ، قالَ: إنَّ اللهَ تَعَالى يخلُقُ كلامًا يسمَعُهُ كلُّ مكلَّفٍ، إمَّا أنْ يخلُقَ ذلِكَ الكَلامَ في أُذنِ كلِّ واحدٍ مِنهُمْ، أو في جسْمٍ يقرُبُ مِن أُذنِهِ، بحيثُ لا تبلُغُ قوَّةُ ذلِكَ الصَّوتِ أنْ تمنعَ الغَيرَ مِن فهْمِ ما كُلِّفَ بِهِ. قالَ: وهَذا هوَ المرادُ مِن كونِهِ تَعالى محاسِبًا لخلْقِهِ[٣].

ونقلَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّهُ لا حِسابَ عَلى الخلْقِ، بلْ يقِفُونَ بينَ يدَي اللهِ تَعَالى، يُعْطَونَ كتبُهمْ بأيمانِهِمْ، ويُقالَ: هذِهِ سيِّئاتِكُمْ، قدْ تجاوَزتُ عَنها. ثم يُعطَونَ حسناتِهِمْ، ويُقالُ: هذِهِ حسناتُكُمْ، قدْ ضاعفْتُها لكُمْ[٤]. وهذا مُعارَضٌ بالأحادِيثِ الصَّحيحَةِ.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٥/ ٣٣٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٥/ ٣٣٩).

(٤) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٤/ ٦٥)، والرازي في «التفسير الكبير» (٥/ ٣٣٩).

روَى الإمامُ مُسلمٌ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لا تزُولُ قدَما عبدٍ يومَ القِيامةِ، حتَّى يُسألَ عَنْ أربعَةٍ: عَنْ عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعَنْ جسدِهِ فيما أبلاهُ، وعَنْ عملِهِ ما عمِلَ فيهِ، وعَنْ مالِهِ مِن أينَ اكتسَبهُ، وفيما أنفَقَهُ»[1].

وروَى ابنُ المبارَكِ، وأبو داودَ، والتِّرمذِيُّ وحسَّنهُ، والحاكِمُ وصحَّحهُ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجَهْ، عَن أبي هُريرَةَ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ بهِ العَبدُ يومَ القِيامَةِ الصَّلاةُ، يقُولُ اللهُ لملائكَتِهِ: انظُروا إلى صلاةِ عَبدِي، أتمَّها أمْ نقَصَها، فإنْ كانَتْ تامَّةً، كُتبَتْ لهُ تامَّةً، وإنْ كانَ يُنقِصُ مِنها شَيئًا، قالَ اللهُ: انظُرُوا، هَلْ لعبدِي مِن تطوُّعٍ، فإنْ كانَ لهُ تطوُّعٌ، قالَ: أتمُّوا لعبْدِي فريضَتهُ مِن تطوُّعِهِ، ثمَّ تؤخَذُ الأعمَالُ عَلى ذلِكَ»[2].

وفي النَّسائيِّ: عنِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ يرفعُهُ: «أوَّلُ ما يحاسَبُ علَيهِ العبدُ صَلاتُهُ، وأوَّلُ ما يُقضَى بينَ النَّاسِ في الدِّماءِ»[3].

وقالَ الإمامُ الفخرُ في قولِهِ تَعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]: هذهِ الآيةُ تدُلُّ عَلَى أنَّهُ تَعالى يحاسِبُ كلَّ عِبادِهِ؛ لأنَّهُمْ لا يخرُجونَ عَن أنْ يكُونُوا مُرسَلِينَ أو مُرسَلًا إليهِمْ، ويبطُلُ قولُ مَن زعَمَ أنَّهُ لا حِسابَ علَى الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ، ولا الكفَّارِ، انتهى[4].

---

(١) هذا الحديث ليس في «صحيح مسلم»، وقد رواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٩١٥)، وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٩٦٥) واللفظ له، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥). وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) رواه النسائي (٣٩٩١)، وروى الشطر الثاني منه فقط البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٤/ ٢٠١).

ويمكِنُ الجَوابُ؛ وهوَ أنْ يقَالَ: لا حسَابَ عَلَى الأنبياءِ حِساب مُناقشَةٍ.

قالَ النَّسفِيُّ في «بحرِ الكَلامِ»: الأنبياءُ لا حسَابَ عَليهِمْ، وكذلكَ أطفالُ المؤمنينَ، والعشَرةُ المبشَّرةُ[1] بالجنَّةِ، هذا في حسَابِ المناقشَةِ، أمَّا حسَابُ العَرضِ فلا، وهوَ أن يُقالَ: فعلْتَ كذا وعفوْتُ عنكَ، وحسَابُ المناقشَةِ: لمْ فعلتَ كذا[2]؟

روَى الشَّيخانِ عَن عائشَةَ رضِيَ اللهُ عَنها قالَتْ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن نوقِشَ الحسابَ عذِّبَ» فقلْتُ: أليسَ اللهُ يقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قالَ: «ليسَ ذاكَ الحسابُ، ولكِنْ ذاكَ العَرضُ، مَن نوقِشَ الحسَابَ يومَ القِيامةِ عذِّبَ»[3].

قلْتُ: وعَلَى هذا يحمَلُ كلُّ حديثٍ وَرَدَ في حقِّ مَنْ يدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، فمِنْ ذلكَ: حدِيثُ البزَّارِ: «مَنِ ابتُلِيَ ببصرِهِ فصَبَرَ حتَّى يلقَى اللهَ، لقِيَ اللهَ ولا حسَابَ عليهِ»[4].

وحديثُ جابرٍ: «مَن ماتَ في طريقِ مكَّةَ ذاهِبًا أو راجِعًا، لمْ يُعرَضْ، ولمْ يحاسَبْ»[5].

---

(١) في (ج): «المبشرين».

(٢) انظر: «بحر الكلام» للنسفي (ص١٩٣).

(٣) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٤٣٤٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٨): رواه البزار، وفيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير، وقد وثق.

(٥) رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٥٥٦)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٠٦٣). وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي. قال ابن عدي: وهو في عداد من يضع الحديث. =

وحديثُ أبي أيُّوبَ الأنصارِيِّ: «طالِبُ العلْمِ، والمرأةُ المطيعَةُ لزَوجِها، والولدُ البارُّ بوالِديهِ، يدخلُونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ»(١).

وحدِيثُ عائشَةَ: «مَن ربَّى صبيًّا حتَّى يقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، لَمْ يحاسِبهُ اللهُ»(٢).

إلى غيرِ ذلِكَ مِن الأحادِيثِ الَّتي ذكَرْتُها في «بهجَةِ النَّاظِرينَ وآياتِ المستَدلِّينَ»، واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أعلَمُ.

***

خاتمةٌ

وصفَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى نفسَهُ بسرعَةِ حسابِ الخلائقِ، معَ كثْرَةِ عَددِهِمْ، وكثْرَةِ أعمالِهِمْ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] ليدُلَّ عَلى كمالِ قُدرتِهِ، ووجوبِ الحذَرِ منهُ.

= وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٠٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٨٨)، والدارقطني في «سننه» (٢٧٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٨): رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفي إسناد الطبراني محمد بن صالح العدوي، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وإسناد أبي يعلى فيه عائذ بن بشير، وهو ضعيف.

ومحمد بن صالح العدوي كما ذكر الهيثمي لا ترجمة له في كتب التراجم، وروى عنه البزار والطبري.

(١) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٢٥٥)، وهو في «التذكرة» للقرطبي (ص٨٢٩)، وقال: ونقلته من الزيادات بعد الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٦٥)، و«المعجم الصغير» (٧١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٩): وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو ضعيف. وانظر: «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢/ ٧٧).

رويَ أنَّهُ تَعَالى يحاسِبُ الخلْقَ في قدْرِ حلْبِ شاةٍ، ورُوِي في مِقدارِ فُواقِ ناقةٍ، ورُويَ في مقدارِ لمحةٍ، كذا حكَاهُ الزمخشرِيُّ في «تفسِيرِه»[١]، واللهُ تَعَالى عَلى ما يشاءُ قديرٌ.

قالَ الحسَنُ: حسابُهُ أسرَعُ مِن لمْحِ البصَرِ، حكاهُ الثَّعلبيُّ عنهُ[٢].

وقالَ ابنُ عطيَّةَ: قيلَ لعليِّ بنِ أبي طالِبٍ: كيفَ يحاسِبُ اللهُ الخلائقَ يومَ القِيامةِ؟ فقالَ: كمَا يرزُقُهُمْ في يومٍ[٣].

وفي الحديثِ: «لا ينتصِفُ النَّهارُ حتَّى يستقِرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ، وأهلُ النَّارِ في النَّارِ»[٤].

وقدْ قيلَ: إنَّهُ سُبحانَهُ إذا حاسَبَ واحِدًا فقَدْ حاسَبَ جميعَ الخلائقِ[٥].

قالَ بعضُ العارِفينَ: مِن غريبِ حكَمِ الآخرَةِ أنَّ الرَّجلَ يُؤتى بهِ إلى اللهِ، فيُوقفُهُ، وتُوزنُ حسناتُهُ وسيِّئاتُهُ، وهوَ يظنُّ أنَّ اللهَ تَعَالى ما حاسَبَ أحَدًا سواهُ، وقدْ حوسِبَ في تلْكَ اللَّحظةِ آلافُ ألوفٍ، وما لا يمكِنُ حصرُهُ.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٩). وقال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ٢٤٨): قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال غيره: أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٧٧). وذكره التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٥/ ٢٢٥)، والماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص٢٣).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٣٥).

قلتُ: ولعلَّ السِّرَّ في هذا، وتقرِيبَهُ للعُقولِ، أنَّ مَعنى الحسابِ ما قالَ المفسِّرونَ: هوَ تعريفُ اللهِ عزَّ وجلَّ الخلائقَ مقادِيرَ الجزاءِ عَلى أعمَالِهِمْ، وتذكِيرُهُ إيَّاهُمْ ما قد[١] نَسوهُ، وهذا قريبٌ للعقْلِ جدًّا، بأنْ يخلُقَ اللهُ في قلوبهِمُ العُلومَ الضَّروريَّةَ بمقادِيرَ مِن أعمالِهِمْ مِنَ الثَّوابِ والعقابِ في لحظةٍ واحِدةٍ، فتأمَّلْ.

والكَلامُ عَلى هذِهِ الآيةِ الشَّريفةِ مما يطُولُ، وفيما ذكرناهُ مِنْ هذِهِ الألفاظِ القلِيلةِ مَوعظةٌ للمتَّقينَ، وتبصِرةٌ للعارِفينَ، جَعلنا اللهُ تَعَالى مِنهُمْ، آمِينَ آمِينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢].

قالَ المؤلِّفُ[٣] الحقِيرُ مَرعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبَليُّ المقدسِيُّ: فرَغتُ منهُ بالأزهرِ، نهارَ الأحَدِ، آخرَ رمضانَ، سنةَ ثلاثٍ وعِشرينَ بعدَ الألفِ[٤].

***

---

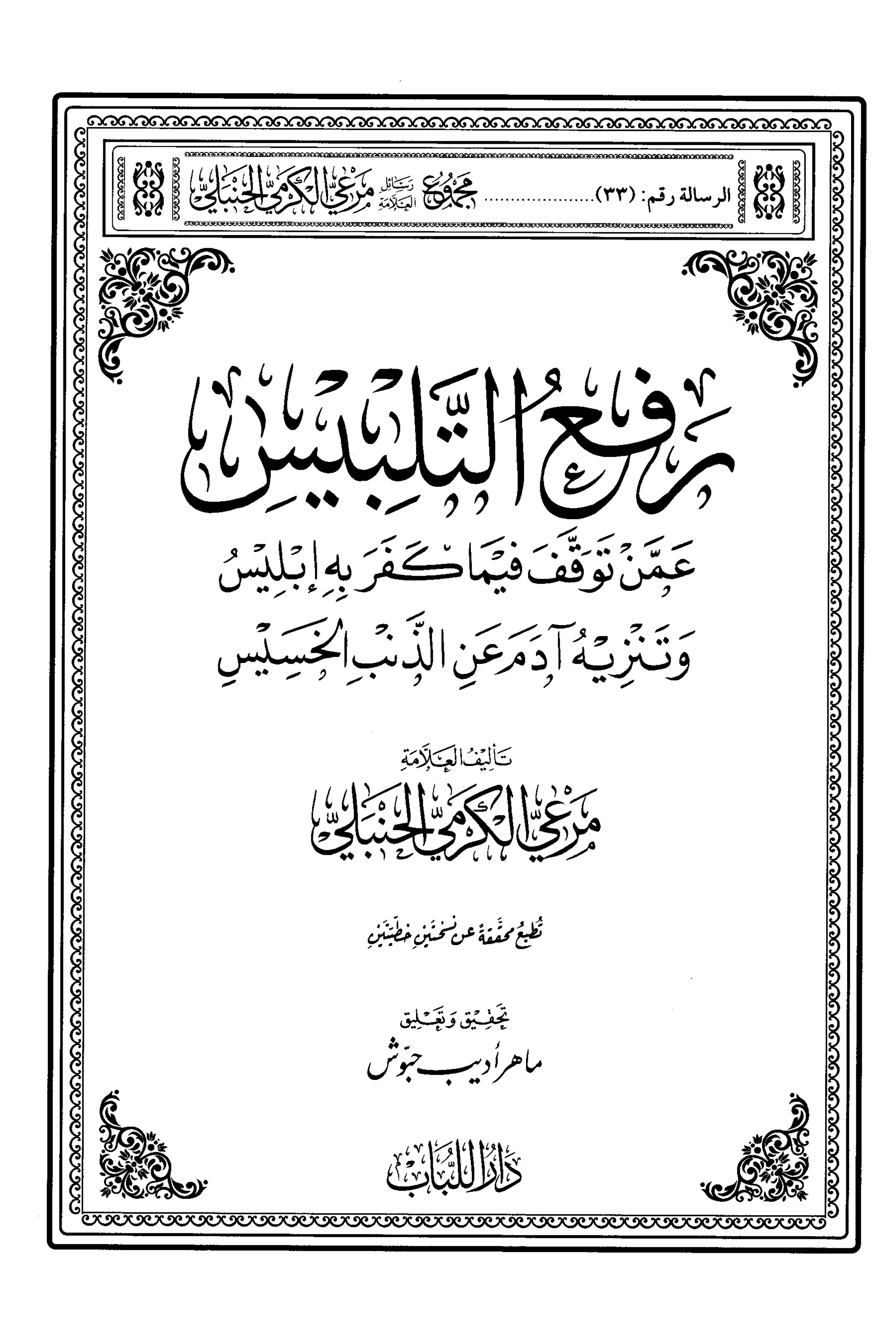
(١) في (ج): «بما» بدل «ما قد».

(٢) في هامش (م): «بلغ مقابلة على نسخة التأليف ونقلت منه».

(٣) في (م): «مؤلفه».

(٤) وجاء في (م): «وكُتِبتْ نهارَ الثلاثاءِ، في غايةِ جمادِ الآخرِ، سنةَ ١١٤٣، بقلمِ الفقِيرِ الحقِيرِ: أحمدَ بنِ مُصطفى بنِ يوسُفَ بنِ يحيَى بنِ يوسُفَ المقدسِيِّ الحنبلِيِّ، غفرَ اللهُ لهُ ولوالِديهِ، ولمن دعَا لهُ بالمغفِرَةِ، ولمن نظَرَ فيهِ، ولمنْ طالَعَ فيهِ، ولصاحِبِهِ ولوالديهِ، ولمشايخِنا، ولمَنْ علَّمَنا، ولكلِّ المسلِمينَ، آمِينَ.
بلغَ مُقابلةً عَلى خطِّ مؤلِفِهِ، ونقلتُ منهُ هذه النُّسخةَ، رحمَهُ اللهُ تَعَالى، آمينَ».

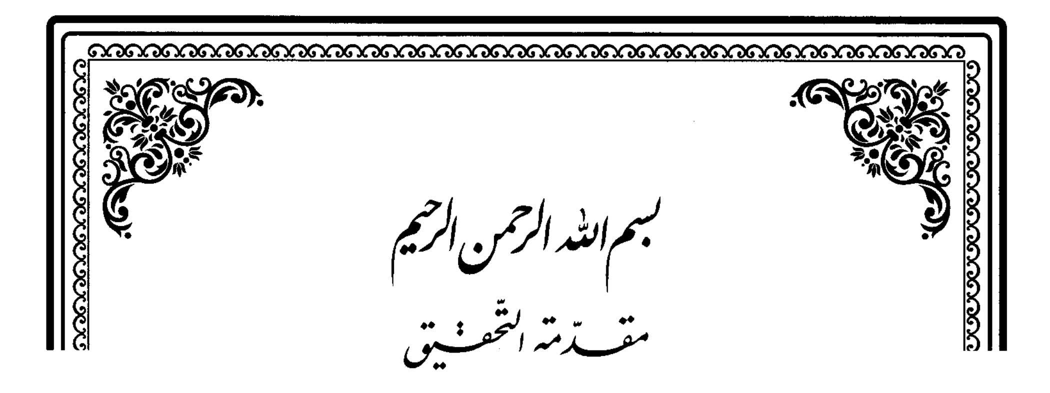




مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٣٣)
رفع التلبيس
عمن توقف فيما كفر به إبليس
وتنزيه آدم عن الذنب الخسيس
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تطبع محققة عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
ماهر أديب حبوش
دار اللباب

المكتبة التيمورية (ت)

مكتبة جامعة الملك عبد العزيز (ع)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النبيِّ الأمين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

وبعدُ:

فقد وصلَ المسلِمون في العصورِ المتأخِّرة إلى درجةٍ كبيرةٍ من التَّرَف الفكريِّ الذي أصبحوا معه يتعرَّضون لبعضِ المسائل الخفيَّة ويخترِعون بعضَ الإشكالاتِ العصيَّة، ثم يَأخذون بالبحثَ فيها وذكرِ الجوابِ عنها، وذلك بعدَ أنْ وصَلَهم ذلك التُّراثُ العلميُّ العظيمُ الذي أبدَعه المسلمون على مدَى سنواتٍ طويلةٍ من الدَّأب والعملِ والدِّراسة، فجَمَعوا ونقَّحوا وضعَّفوا وصحَّحوا، ووضعوا أصولَ العلوم، وكتبوا الأمَّهاتِ التي كانتِ الأساسَ لـمَن جاءَ بعدَهم.

ولعل كثيراً من المسائلِ الغامضةِ والمشكلاتِ العَويصةِ في نظرِ المتأخرين لم تكنْ لتخطُرَ ببالِ أولئكَ الأئمَّةِ المتقدِّمين، كما أنَّها تتعلَّقُ بأمورٍ نظريَّةٍ عِلْميَّةٍ، وليستْ من المشاكلِ العمليَّةِ النابعةِ من الواقعِ والتي تحتاجُ إلى البيانِ والفتوى.

والعلَّامة مرعيُّ بنُ يوسفَ الكرميُّ كما تعوَّدْنا منه كثيراً ما يتناولُ بعضَ المسائل من جهةٍ مختلفةٍ عمَّا ينظرُ به إليها غيرُه من العلماء، ويَبحَثُ في مسائلَ قلَّما تَعرَّض لها مَن سَبَقه، ومِن ذلك هذه الرسالةُ التي تناوَلَ فيها بالبحثِ مسألتَين من المسائلِ العقدية الفرعيَّةِ، وهما:

أولاً: الكلامُ عن السَّببِ الذي جعلَ إبليس كافراً باللهِ سبحانهُ وتعالى حينَ امتنعَ عن السُّجودِ لآدمَ عليه السلامُ.

ثانياً: الكلامُ عن أنَّ فعلَ آدمَ عليه السلامُ بالأكلِ من الشجرةِ ـ مما يوهِمُ ظاهرُهُ وقوعَ المعصيَةِ منه ـ هل يجوزُ تسميتُه معصيةً؟

وقد قدَّم للموضوعِ الأولِ بذكرِ بعضِ الإشكالاتِ التي طرَحها المتوقِّفون فيما كَفَر به إبليسُ، والذين بنَوا مذهَبَهم على أساسِ قياسِ فعلِ إبليسَ وكلامِه المذكورِ في القرآنِ على شريعتِنا، ثم عقَّب على ذلك ممهِّدا لكلامه ومعرِّفا بعنوانِ رسالتِه فقال: (ورَحِمَ اللهُ تَعالى امرأً أنصَفَ في الحقِّ مَن عرفَهُ، وقدْ سنَحَ بالبال في طيفِ الفِكْرِ والخَيال، أنْ أرفَعَ لبسَ هذا الإشكال، فإنَّهُ للذَّوقِ فيهِ مجالٌ، وللشَّرعِ فيهِ أوسَعُ المحَالِّ، وسمَّيتُهُ:

«رفْعَ التَّلبيسِ عمَّنْ توقَّفَ فيما كفَرَ بِهِ إبليسُ»

وها أنا أرفَعُ الإشكالَ بعدةِ أجوبَةٍ يُقوِّي بعضُها بعضاً...).

فبدأ بنسفِ تلكَ القاعدةِ التي اعتمَدوا عليها في توقُّفِهم ذاك، مبيِّناً أنَّ الشرائعَ تختلِفُ باختِلافِ الأزمَانِ، وباعتِبارِ الأشخَاصِ، وأنَّ الحِكَمَ والمصالحَ تختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ، وتتبدَّلُ حسبَ تبدُّلِ الأشخَاصِ والأعصَارِ، فربَّ حُكمٍ تقتضِيهِ الحِكمةُ في حالٍ، وفي حالٍ أُخرَى تَقتَضِي نقيضَهُ.

ثم أخَذَ في بيانِ ذلكَ السببِ الذي كَفَر به إبليسُ بامتناعِه عن السُّجودِ لآدمَ وكلامِهِ الذي قصَّه علينا القرآنُ الكريمُ.

لكنَّ العنوانَ الذي ذكرَه وقعَ في بدايةِ النُّسختين الخطِّيَّتينِ المعتمَدَتينِ

بزيـادةٍ ضروريـةٍ للتعبيـرِ عـن محتـوَى الرسـالةِ المكـوَّن مـن قسـمَين كمـا ذكَرْنا، حيـثُ جـاءَ فيهمـا بلفظِ:

«رفْعُ التَّلبيسِ عمَّنْ توقَّفَ فيمَا كَفَرَ بهِ إبْلِيسُ،

وتنزِيه آدَمَ عَنِ الذنبِ الخَسيسِ»

فهذا العنوانُ يشيرُ إلى القسمِ الثاني من الرِّسالةِ المتعلِّقِ بآدمَ عليه السلامُ وأكلِه من الشَّجرةِ بوسوسةٍ من إبليسَ لعنهُ الله، وهي المسألةُ التي تناوَلَها بالبحث والدراسةِ، ذاهباً إلى أنَّ أكل آدمَ من الشجرةِ إنما كان عن اجتهادٍ أخطأَ فيه، وليس معصيةً حقيقةً وإنْ كان في صورةِ المعصيةِ، ناقلاً عن بعضِ الأئمَّة ـ كابن حزمٍ ـ ما يؤيِّد ما ذهبَ إليه، ثم ختمَه بقولِ ابنِ العربيِّ: لا يجوزُ لأحَدِنا اليومَ أنْ يخبِرَ بذلِكَ عَن آدمَ عليهِ السلامُ، إلا إذا ذكَرَهُ في أثناءِ كلامِهِ تَعالى، أو قولِ نبيِّهِ عليهِ السَّلامُ، فأمَّا أنْ نبتَدِئَ ذلكَ مِن قبَلِ أنفُسِنا فليسَ بجائز.

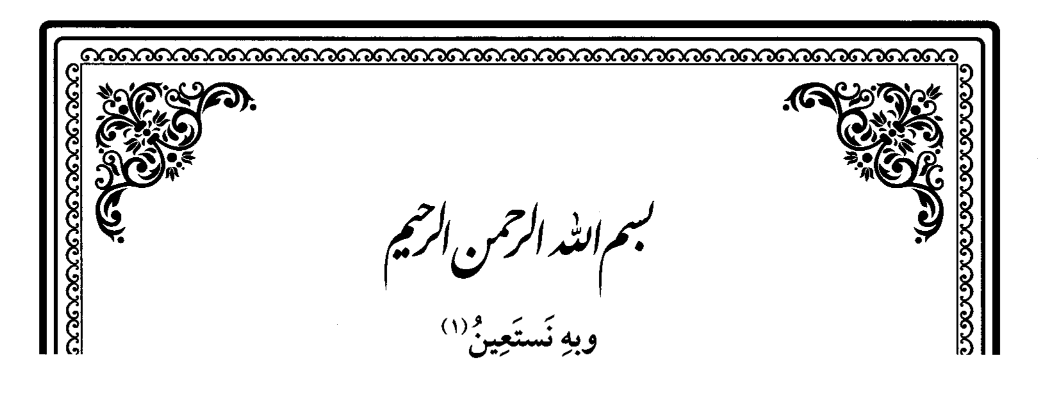
فهذا ما تناولَتْه هذه الرسالةُ الموجزةُ في متنِها الكثيرةُ فوائدُها، وقد تمَّ تحقيقُها بالاعتمادِ على نسختينِ خطِّيَّتين هما: نسخةُ جامعةِ الملك عبدِ العزيز ورُمز لها بـ(ع)، والنسخةُ التيموريَّة ورُمز لها بـ (ت).

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

المحقق

* * *





قال الشَّيخُ الإمامُ العَالمُ العَلامَةُ، العُمدَةُ العَبدُ الفَقِيرُ إلى اللهِ تَعَالى مَرْعِيُّ بنُ يوسُفَ الحنبَليُّ المقدِسيُّ(٢):

الحمدُ للهِ الذِي مَنَّ وألهَمَ، وعَلَّمَ وفهَّمَ، علَّمَ بالقلَمِ، علَّمَ الإنسَانَ ما لمْ يعلَمْ، يهْدِي مَن يشَاءُ، ويُضِلُّ مَن يشَاءُ، ويخلُقُ ما يشَاءُ ويختَارُ، ولا ينفَعُ إلا التسلِيمُ، والتسلِيمُ أَسْلم(٣)، وصلَّى اللهُ وسلَّم(٤) عَلى أصدَقِ خلقِ اللهِ وأعلَم، وعلَى آلهِ وصحبِهِ أفضَلَ صلاةٍ وأكرَم.

أما بعدُ:

فقَدْ سُئلتُ عَنِ السبَبِ الذِي كفَرَ بهِ إبليسُ وأُخبِرْتُ أنه(٥) قدْ توقَّفَ كثيرٌ منَ الأفاضِل، والعلماءِ الأماثل، في السبَبِ الذِي كفَرَ بهِ إبليسُ، قائلِينَ: نعتقِدُ كُفرَهُ كما نطَقَ بهِ القُرآنُ، ولا نعرِفُ ما السببُ الذِي كفَرَ بهِ؛ لأنَّا نسألُكمْ فنقُولُ: إنْ كانَ كفرُهُ

---

(١) في (ت): «وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وسلم».

(٢) في (ت): «قال الشيخ الإمام العلامة الهمام مولانا الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الحنبلي المقدسي فسح الله تعالى في مدته».

(٣) في (ع): «أنفع».

(٤) «وسلم» من (ت).

(٥) «أنه» من (ت).

لمخالفَةِ الأمر بالسجُودِ[1] لآدمَ وأن الأمر شَمِله، أَشْكَلَ بأنه إنْ كان من الملائكةِ لَزِم وقوعُ المعصية والكفرِ منه، وهم مَعْصومون على سبيلِ العموم كما تَقرَّر في علمِ العقائد؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦]، وإن لم يكن من الملائكةِ بل من الجِنَّة فهو غيرُ مأمورٍ بالسجودِ؛ لأنَّ المأمور بالسجود بنصِّ القرآن إنما هو الملائكةُ فمِن أين جاءَه الكفرُ.

وأيضاً: لو سلَّمنا أنه مأمورٌ[2] فمُخالفَةُ الأمرِ لا تقتَضِي الكُفرَ.

وإنْ كانَ كفره[3] لقولِهِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] لأنَّ فيهِ نسبةَ الجهلِ إلى اللهِ تَعَالى ـ كما قالَ القَرَافيُّ[4] وغيرُهُ ـ فمَمنوعٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لمْ يقُلْ لهُ: هذا خيرٌ منكَ، فقالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

وإنْ كانَ لإشعَارِ قولِهِ بنسبَةِ الجَورِ إلى اللهِ تَعَالى فمَمنُوعٌ؛ لأنَّ الامتِناعَ منَ السجُودِ وقولَهُ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ لا يُشعِرُ بالجَورِ.

وإنْ كانَ لمُخالفَتِهِ خِطابَ المشافهَةِ ـ كما قيل ـ فلَمْ يُعرَفْ منَ العُلماء

---

(١) في (ع): «لمخالفة في بالسجود».

(٢) من قوله: «وأن الأمر شمله...» إلى هنا سقط من (ع).

(٣) «كفره» من (ت).

(٤) الذي في «الفروق» للقرافي (١/ ١٢٤) و(٤/ ١٣٥)، أنه كفر لأن في قوله ذلك نسبة الجور ـ لا الجهل ـ إلى الله تعالى، وكلامه في هذا واضح، ونصه: وينبغي أن تعلم أن إبليس إنما كفر بنسبة الله تعالى إلى الجور والتصرف الذي ليس بمرضيٍّ، ظهر ذلك من فحوى قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ومراده أن إلزام العظيم الجليلِ بالسجود للحقير من التصرُّف الرديء والجورِ والظلم، فهذا وجه كفره، وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فقد كفر لأنه من الجرأة العظيمة.

المحقِّقيـنَ مَـن فرَّق بيـن خطابِ المشـافَهةِ[١] وخطـابِ الرسُـولِ الواسِـطَةِ المبلِّغِ عـنِ اللهِ تَعَالـى، عَلـى أنَّ النِّـزاعَ في كـونِ اللهِ تَعَالـى كلَّمَ إبليْـسَ في ذلِكَ مُشـافهَةً، وهـوَ فـي الحقيقِة محـلُّ وِقفةٍ.

ورَحِمَ اللهُ تَعالى امرأً أنصَفَ في الحقِّ مَن عرفَهُ، وقدْ سنَحَ بالبال في طيفِ[٢] الفِكْرِ والخَيال أنْ أرفَعَ لبسَ هذا الإشكال، فإنَّهُ للذَّوقِ فيهِ مجالٌ، وللشَّرعِ فيهِ أوسَعُ المحَالِّ، وسمَّيتُهُ:

«رفْعَ التَّلبيسِ عمَّنْ توقَّفَ فيما كفَرَ بهِ إبليسُ»

وها أنا أرفَعُ الإشكالَ بعدَّة[٣] أجوبَةٍ يُقوِّي بعضُها بعضاً:

منها: أنَّ السؤالَ عَن كونِ إبليسَ كفَرَ[٤] بمُخالفَةِ الأمرِ، ومخالفَتُهُ لا تقتَضِي الكُفرَ، سؤالٌ فاسِدٌ من[٥] أصلِه؛ لأنَّهُ لا ريبَ أنَّ الشرائعَ تختلِفُ باختِلافِ الأزمَانِ، وباعتِبارِ الأشخَاصِ، وأنَّ الحِكَمَ والمصالحَ تختلِفُ باختِلافِ الأحوالِ، وتتبدَّلُ حسبَ تبدُّلِ الأشخَاصِ والأعصَارِ، فربَّ حُكمٍ تقتضِيهِ الحِكمةُ في حالٍ، وفي حالٍ أُخرَى تَقتَضِي نقيضَهُ.

إذا تقـرَّرَ هـذا: فمِنَ الجائزِ أنْ يكُونَ البارِي جلَّ ثناؤهُ وتقدَّسَـتْ أسـماؤهُ شـرَعَ فـي ذلِـكَ الوقْتِ في حقِّ أولئـكَ المأمُورينَ المكلَّفِيـنَ بالسُّـجودِ لآدمَ أنَّ مَن خالَفَ

---

(١) «كما قيل فلم يعرف من العلماء المحققين من فرق بين خطاب المشافهة» من (ت).

(٢) في (ع): «لطيف».

(٣) في (ع): «بعد».

(٤) في (ع): «هو».

(٥) «من» من (ت).

أمـرَهُ فهـوَ كافـرٌ، ولا مانِعَ مِن ذلِـكَ؛ كما في حقِّ الذِينَ اعتَدَوا في السـبْتِ فمُسِـخُوا لذلِكَ قِـردةً وخَنازيرَ.

عَلى أنَّ كثيراً منَ المفسِّرينَ نقَلَ أنهُمْ إنما كانُوا ينصِبونَ آلاتِ الصَّيدِ يومَ الجمُعةِ ويُخرجُونها يومَ الأحدِ، ومنهُم مَن حفَرَ حِياضاً وشرَّعَ إليها الجداوِلَ ليقَعَ فيها السمَكُ فيأخُذُونَهُ يومَ الأحدِ، وبذلِكَ استدَلَّ مَن قالَ بتحريمِ الحيَلِ في الأحكَامِ، وقد حلَّ بِهِمْ ما حلَّ لمخالفَةِ الأمرِ أو النهيِ.

لا يقالُ: ليسَ في الآيةِ ما يُشعِرُ بكُفرِهِمْ لأنَّا[1] نقُولُ: العياذُ باللهِ مِن ذلِكَ، بلِ المذكُورُ في طباعِ المسلِمينَ قاطبَةً أنهُمْ كفَّارٌ.

وكذلِـكَ فـي قولِـهِ تعَالـى لبنـي إسْـرائيلَ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: قولَـكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي: أمـرَكَ، فكَفَروا.

وكذلِكَ في قولِهِ تعَالى: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فخالَفُوا فكَفَروا.

وكذلِكَ في قولِهِ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾... ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢١ ـ ٢٤].

فهذِهِ الآياتُ مِنها ما هُوَ صريحٌ أو تلويحٌ في أنَّ مخالفَةَ الأمرِ أو[2] النهيِ في حقِّ أولئكَ كُفرٌ بالنِّسبَةِ لهُمْ باعتِبارِ شريعَتِهم، وإنْ كانَ في شَريعَتنا مخالفتُهُ غيرُ كفرٍ.

---

(١) في (ع): «لا».

(٢) في (ع): «و».

ومـنَ المعلُومِ أنَّ الشـرائعَ لا يَقضِي بعضُهـا[١] عَلَى بعضٍ، وأنـهُ لا يُعترضُ[٢] بشـريعَةٍ عَلى شريعَةٍ.

وقـدْ رأيتُ القاضِـيَ أبا بكرِ بـنَ العَربي قال في كتابِهِ «ناسِـخُ القُرآنِ ومَنسُـوخهُ» فـي قولهِ تَعَالـى في حـق[٣] سـليمَانَ عَليـهِ السَّـلامُ: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣]:

فإنْ قيلَ: كيفَ عرقَبَ الخيلَ وهيَ حالَةٌ منهِيٌّ عَنها؟

قُلنـا: هـذَا سُـؤالٌ فاسِـدٌ، والعِلـمُ بالسُّـؤالِ مِـن آكَدِ أنـواعِ العلْـمِ، وقـدْ رأيتُ ممَّـنْ يعـرِفُ الجـوابَ جمَّاً غفِيـراً، ولـمْ أرَ ممَّنْ يعـرِفُ السُّـؤالَ إلا قليـلاً، كما إني رأيْـتُ ألـفَ رجُلٍ يحفَظُونَ أجوبـةَ «المدوَّنةِ»، ومـا رأيْتُ مَن يحفَظُ أسـئلَتَها إلا ابنَ أبـي حبيـبٍ المهـدَويَّ[٤]، وابـنَ ميَّاسٍ الطرابُلُسِـيَّ، وكان ابـن أبي حبيـبٍ يزيدُ عليهِ بحفظِ أسـئلَةِ كتـابِ محمَّدٍ.

قالَ: ووجْهُ فسادِ هَذا السُّؤالِ كأنهُ يقُولُ: كيفَ عَرقبَها سُليمانُ في شرِيعتِهِ، وذلِكَ منهيٌّ عنهُ في شَرِيعَتنا، ولا يلزَمُ تركيبُ شريعَةٍ عَلى شريعَةٍ[٥] في معرفَةِ حُكمٍ فيما افترَقنا فيهِ، انتَهى.

فهذا كلامُ ابنِ العربيِّ رحمَهُ اللهُ يؤيِّدُ ما قُلناهُ، ويعضِدُ ما حرَّرناهُ، ومنهُ تعرِفُ

---

(١) في (ت): «بها».

(٢) في (ع): «يتعرض».

(٣) «حق» من (ت).

(٤) في (ع): «الهدوي» أو «الهروي».

(٥) «على شريعة» ليس في (ت).

فسادَ سُؤالِ مَن قالَ: كيفَ كفَرَ إبليسُ بمخالفَةِ الأمرِ في السجُودِ لآدمَ، ومخالفَةُ الأمرِ لا تقتَضِي الكفْرَ؟

وهذِهِ مَسألةٌ نفيسَةٌ جدّاً تنفَعُ مَن عرَفَها[١] في كثيرٍ منَ المواضِعِ، ولله تعالى[٢] أنْ يُكلِّفَ مَن شاءَ بما شاءَ كيفَ شاءَ، لا إلهَ إلا هوَ يفعَلُ ما يشاءُ، ويحكُمُ ما يريدُ، فيحكُمُ بما شاءَ عَلى عِبادِهِ ويغيِّرُ ما يشاءُ مِن أحكَامِهِ.

ومِنها: أنَّا نقُول[٣]: إبليسُ كافرٌ حتَّى عَلى مُقتَضى شَريعَتِنا وقاعدَةِ دِينِنا المرضِيِّ بوجُوهٍ:

مِنها: أنهُ ترَكَ أمرَ اللهِ تَعالى في السجُودِ لآدمَ إباءً واستِكبَاراً، وهذا الاستِكبارُ الواقِعُ منهُ لا يخلُو مِن أحَدِ أمرَينِ: إمَّا أنْ يكُونَ عَلى اللهِ تَعالى في أمرِهِ، أو عَلَى آدمَ عَليهِ السَّلامُ:

فإنْ كانَ استِكبارُهُ على اللهِ تَعالى فلا ريبَ في كفْرِ مَن ترَكَ أمرَ اللهِ استِكباراً عليهِ[٤] تَعالى، وتَعاظُماً عَلى كِبريائهِ، لأنَّ ذلِكَ مُنافٍ للعُبوديَّةِ، ومُنازعَةٌ في الرُّبوبيةِ.

وإنْ كانَ بالنِّسبةِ لآدمَ فاستِكبارُهُ عليهِ استِخفافٌ بهِ وامتِهانٌ لهُ، ولا شكَّ أنَّ الاستِخفافَ بالأنبياءِ عليهمُ السلامُ وامتهانَهم[٥] كفرٌ والعياذُ باللهِ، وأكّدَ ذلكَ الازدِراءَ والاستِخفافَ بقولِهِ: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، وقولِهِ: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ فاللازِمُ لإبليسَ حِينئذٍ أحدُ أمرَينِ كلٌّ واحدٍ مِنهُما كفرٌ محضٌ والعياذُ باللهِ.

---

(١) في (ع): «يعرفها».

(٢) في (ع): «ولله الحمد».

(٣) في (ع): «أن تقول».

(٤) في (ت): «على الله».

(٥) «وامتهانهم» من (ت).

ومِنها: أنَّ ألفاظَ إبلِيسَ التي وقعَتْ منهُ وقتَ المحاورَةِ في تركِ السُّجودِ لآدم[١] مُشْعرةٌ بالاعتراضِ عَلى اللهِ تَعالى في الأمرِ بالسُّجودِ لهُ، مُؤْذِنةٌ بأنهُ سخِرَ بهذا الأمرِ، مُصرِّحةٌ بإساءَةِ أدبِهِ عَلَى اللهِ تبارك وتَعالى في أمرِهِ، وما اقتَضتْهُ حِكمتُهُ البالغَةُ جلَّ ثناؤهُ، معَ ما في ذلِكَ منَ الاستخفَافِ بآدمَ عَليهِ السلامُ، ألا ترى[٢] لقولِهِ: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقولِهِ: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [الإسراء: ٦١] استفهامٌ إنكارِيٌّ وكلامٌ اعتراضيٌّ صريحٌ في الاعتراضِ عَليهِ سُبحانَهُ وتعالى، ومشعِرٌ باستقباحِ أمرِهِ تَعَالى إياهُ بالسُّجودِ، ولا ريْبَ أنَّ مَن سَخِر[٣] بأمرِ اللهِ تَعَالى أو نهيِهِ، أو استقبحَهُ أو اعترضَ عليهِ في ذلِكَ، فهوَ كافرٌ بلا نزاعٍ.

ومنهـا: أنَّ فـي كلامِهِ أيضاً الإشـعارَ بنسـبَةِ الجهـلِ إليهِ تَعالى، حيـثُ وقعَ منهُ سُـبحانهُ وتَعالـى الأمـرُ بمـا لا ينبَغِي أنْ يأمـرَهُ بهِ، وأنَّ اللائـقَ كانَ تركَ هـذا الأمرِ، وهذا السُّـجودِ، بموجِبِ قياسِـهِ كما اقتضَاهُ رأيُهُ الفاسِدُ، وزعمُهُ الكاذِبُ، أعاذَنا اللهُ تَعَالى منهُ ومِن شرِّهِ.

ومِنها: أنَّ المتبادِرَ لكلِّ ذِي ذوقٍ سَليمٍ وفهمٍ مُستقيمٍ منَ القرائنِ الحاليَّةِ، والألفاظِ المقاليَّةِ أنَّ إبليسَ لما ترَكَ السجودَ إنما ترَكَ مُستحلًّا لهُ ومُعتقِداً عدَمَ وجوبِهِ، وأكَّدَ ذلكَ الاستحلالَ بالامتِناعِ منَ السُّجودِ لآدمَ كما أُمرَ، قائلاً لسَانُ حالِهِ: أنا لا أرَى بهذا السجُودِ ولا أقُولُ بهِ، فلمَّا استحَلَّ ترْكَ السُّجودِ الواجبِ عَليهِ كفَرَ، والمستحِلُّ لتركِ الواجِبِ أو فعلِ المنهيِّ كافرٌ بلا ريبٍ، وحيثُ لا ريبَ في كفرِ مَن خالَفَ الأمرَ عَلى سبيلِ الاستِحلال، فلا شكَّ في كُفرِ إبليسَ ولا إشكَال.

---

(١) «لآدم» من (ت).

(٢) «ألا ترى» تحرفت في (ع) إلى: «الأقوى».

(٣) تحرفت في (ع) إلى: «سجد».

وعَلى مثلِ هَذا ينبَغِي أنْ يحمَلَ حالُ أهلِ السَّبتِ ومَن شاكلَهمْ إنْ قُلنَا: إنَّ مخالفَةَ الأمرِ لا تقتَضِي الكُفرَ في شريعَتِهم أيضَاً.

ومِنها: أنَّ الإيمَانَ عَلَى ما اختارَهُ الأشعرِيَّةُ وأكثَرُ المحقِّقينَ هوَ تصدِيقُ القلبِ الجازِمُ بما عُلمَ ضرورةً مجيءُ الرسولِ بهِ.

قالُوا: والمُرادُ بتصدِيقِ القَلبِ بذلِكَ: إذْعانُهُ وقَبولهُ لذلِكَ، ولهذا قالَ بعضُ المحقِّقينَ: إنَّ مجرَّدَ تصدِيقِ القلبِ و[نطقِ] اللِّسانِ معَ البُغضِ والاستِكبارِ لا يكُونُ إيمَاناً باتِّفاقِ المسلِمينَ حتَّى يقترِنَ بالتصديقِ عمَلٌ، وأصلُ العمَلِ عمَلُ القلبِ وهوَ الحبُّ والتعظِيمُ المُنافي للبُغضِ والاستِكبارِ[1]. انتَهى.

وحينَئذٍ تعلَمُ أنَّ إبليسَ وإنْ كانَ عندَهُ تصدِيقٌ باللهِ، وإقرارٌ بهِ وبجمِيعِ ما أَخبرَ بهِ تَعالى، وهوَ عالمٌ بذلِكَ، لكِنْ ليسَ معَهُ إذعانٌ لأمرِ اللهِ تَعالى، وكذلِكَ[2] حُكِمَ بكُفرِ أبي طالبٍ المؤمِنِ بمحمَّدٍ ﷺ وبما جاءَ بهِ، القائلِ:

ولَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ دِيْنَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البَرِيَّةِ دِيْنَا[3]

ولولا ما أسلَفناهُ مِن هذا التقريرِ لحُكِمَ بأنهُ مُؤمن وأنهُ مِن أهلِ الجنَّةِ عَلى قاعدَةِ مذهَبِ الأشعريَّةِ، لأنَّ الراجِحَ عندَ الأشاعرةِ أنَّ النطقَ بالشهَادتَينِ ليسَ شَطراً منَ الإيمانِ، بلْ شرطٌ لإجراءِ الأحكامِ الدُّنيويَّةِ مِنَ الصَّلاةِ عليهِ والتوارُثِ والمناكحَةِ، وغيرُها غيرُ داخلٍ في مُسمَّى الإيمانِ، فمَن صدَّقَ بقلبِهِ ولمْ يقِرَّ بلسانِهِ ولو معَ تمكُّنِهِ منَ النُّطقِ بالشَّهادتَينِ ـ خِلافاً للإمامِ النوويِّ[4] وطائفةٍ ـ فهُوَ مؤمنٌ عندَ اللهِ تَعالى.

---

(١) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٣١٠)، وما بين معكوفتين منه. وهو المراد ببعض المحققين.

(٢) في (ت): «ولذلك».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٤).

(٤) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١/ ١٤٩). وقد تطرق المؤلف لهذا الموضوع مفصلًا وذكر كلام =

ويؤيِّـدُ ذلِـكَ الحديـثُ الصحيـحُ وهوَ قولُـهُ ﷺ: «مَن مـاتَ وهوَ يعلَـمُ أنْ لا إلَـهَ إلا اللهُ دخَـلَ الجنَّةَ»[١].

فاقتصَرَ الشارِعُ عَلى العلمِ دونَ العمَلِ، لكِنْ بشَرْطِ[٢] الإذعانِ وعدَمِ البغضِ والاستِكبارِ عَنِ الأوامرِ والنَّواهِي، وإلا كانَ كافِراً كإبليسَ وأبي طالبٍ، وفيمَا ذكرنَاهُ كِفايةٌ في رفعِ الإشكالِ، والحمدُ للهِ عَلى كلِّ حالٍ.

***

فصلٌ

وأمَّـا آدمُ عليـهِ السَّـلامُ: فقَدْ يُتوهَّـمُ أنهُ خالفَ النهـيَ حيثُ أكلَ منَ الشـجرةِ، ومخالفتُـهُ معصيـةٌ، وممـا يؤيِّـدُ أنـهُ معصيـةٌ قولُـهُ تَعالـى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طـه: ١٢١] فكيـفَ الجـوابُ عَـن ذلِكَ؟ وكيـفَ وقَعَ منـهُ ذلِكَ وهـوَ نبـيُّ اللهِ تَعالى ورسـولُهُ بـلا ريـبٍ، وقـدْ تقـرَّرتْ عِصمـةُ الأنبيـاءِ عليهِمُ الصـلاةُ والسـلامُ، وآدمُ وقـتَ النهيِ عـنِ الأكلِ مـنَ الشـجرةِ كانَ نبيًّا؟

قالَ الإمامُ الفخرُ: والأقربُ أنْ يكُونَ ذلكَ الوقتَ مَبعُوثاً إلى حوَّاء[٣].

لا كمَا قالَ الإمامُ ابنُ فُوركَ: كانَ هذا مِن آدمَ قبلَ النبوَّةِ[٤].

وقيلَ أجوبةٌ أُخَرُ كلُّها مخدُوشةٌ.

= النـووي فيها فـي رسـالة: «الكلماتُ السَّـنيَّاتُ في آيـة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾» المطبوعـة ضمن هـذا المجموع.

(١) رواه مسلم (٢٦) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) في (ع): «يشترط».

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ٣٩٨). ووقع في (ت): «لحواء».

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٥٦).

والجوابُ السديدُ الرافِعُ(١) لإشكالاتٍ كثيرةٍ(٢) طَويلةٍ، بعدَ الخلافِ في أنَّ النهيَ عنِ الأكلِ منَ الشجرَةِ: هلْ كانَ للتنزيهِ كما ذهَبَ إليهِ قومٌ، أو للتحريم كما ذهَبَ إليهِ آخرونَ؟ وهوَ الأقربُ، بدليلِ قولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] والمرءُ لا يكُونُ ظالماً بمخالفةَ نهيِ التنزيهِ.

أَنَّا نقولُ كما قالَ بعضَهُ الإمامُ ابنُ حزمٍ وغيرُهُ منَ المحقِّقينَ: إنَّ كلَّ خلافٍ لأمرٍ أو نهيٍ فصُورتُهُ(٣) صورَةُ المعصيةِ، إلا أنَّ منهُ ما هوَ عَن عمدٍ وذُكْرٍ، وهذا هوَ المعصيةُ حقيقَةً، ومنهُ ما يكُونُ عَن قصدٍ، لكِنْ لا يدْرِي فاعلُهُ أنهُ عاصٍ بذلكَ، بلْ يظُنُّ أنهُ مطيعٌ للهِ تَعالى؛ لتأوُّلِهِ بأنَّ الأمرَ ليسَ للوجوبِ بلْ للندبِ، وأنَّ النهيَ ليسَ للتحريمِ بلْ للكراهَةِ، كما هوَ الواقعُ الآنَ بينَ المجتهِدِينَ حيثُ يحملُونَ نصوصَ الأمرِ تارةً عَلى الوجوبِ، وتارةً على الندبِ أو الإباحةِ، ونصُوصَ النهيِ عَلى التحريمِ أو الكراهةِ، ولا ريبَ أنَّ المخطئَ منهُمْ لهُ أجرٌ والمصيبَ لهُ أجرانِ.

وعَلى هذا السبيلِ ومِن هذا القَبيلِ كانَ أكلُ آدمَ عَليهِ السلامُ منَ الشجرةِ خُصوصاً، وهوَ لمْ يأكُل إلا بعدَ أنْ أقسَمَ لهُ إبليسُ أنَّ النهيَ ليسَ للتحريمِ، وأنهُما لا يستحقَّانِ بذلِكَ عُقوبةً أصلاً، بلِ الفوزَ بالخلودِ.

فإنْ قيلَ: كيفَ ساغَ لآدمَ أنْ يتوهَّمَ أنَّ النهيَ ليسَ للتحريمِ بعدَ التصريحِ بقولِهِ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]؟

فالجوابُ: أنَّ هذا ليسَ بمانعٍ مِن توهُّمِ نهيِ التنزيهِ كما قيلَ بِهِ؛ لأنَّ أصلَ الظلمِ كما قالَ أئمةُ اللغةِ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ، ويقالُ: مَن أشبَهَ أباهُ فما ظلَمَ،

---

(١) في (ع): «الشديد الدافع».

(٢) «كثيرة» ليست في (ت).

(٣) في (ع): «وصورته».

وفي المثلِ: مَنِ استَرعى الذئبَ فقدْ ظلَمَ[١]، وقيلَ: مَن قلَّدَ الذئبَ الغنمَ فقَدْ ظلَمَ[٢]، وحينئذٍ تعلَمُ أنَّ تأوُّلَ آدمَ عليهِ السلامُ النهيَ بالتنزيهِ غيرُ مستبعَدٍ[٣].

فإنْ قيلَ: كيفَ صدَّقهُ معَ علمِهِ بأنهُ عدوٌّ للهِ[٤] ولهُ، وتصدِيقُهُ معصيةٌ؟

فالجوابُ: أنَّ لهُ قوةَ التشكُّلِ، فلعلَّهُ أتاه بصورةٍ غيرِ الصورَةِ التي يعرفُهُ بها آدمُ عليهِ السلامُ، أو أنَّ[٥] اللهَ أنساهُ عداوتَه، علَى أنهُ ليسَ في الآياتِ ما يدُلُّ عَلى أنهُ تناولَ منَ الشجرةِ حينَ قولِ إبلِيسَ، فلعلَّ مقالَهُ أورثَ فيهِ مَيلاً طبيعيًّا، ثمَّ إنهُ كفَّ نفسَهُ عَنه مراعاةً لحكمِ اللهِ تَعالى إلى أنْ نسيَ فحملَهُ الطبعُ عليهِ، وما عوتِبَ إلا عَلى تركِ التحفُّظِ والمبالغَةِ في الضبطِ حتَّى تولَّدَ فيه النسيانُ.

ولقدْ أحسَنَ الجنيدُ كما نقلَهُ القُرطبيُّ عنهُ حيثُ قالَ: حسنَاتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبينَ[٦].

وعَلى الأنبياءِ ـ لعِظَمِ قَدْرِهم ـ منَ التشديدِ ما ليسَ عَلى غيرِهم، فما وقَعَ منهُم عَلى جهةِ الخطأ والنِّسيانِ أو التأويلِ فلغيرِهِم حسناتٌ، وفي حقِّهِمْ سيِّئاتٌ بالنسبَةِ إلى مناصبِهِمْ وعلوِّ مِقدارِهِمْ، إذْ قدْ يؤاخَذُ الوزيرُ بما يُثابُ عليه[٧] السائسُ.

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٢٦٥)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٠٢).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ولم يرد هذا اللفظ في (ت).

(٣) انظر: «الفصل في الملل» لابن حزم (٤/ ٣ ـ ٤)، والكلام فيه بنحوه.

(٤) في (ت): «الله».

(٥) في (ع): «وأن».

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٥٢)، وعزاه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٦٥) لأبي سعيد الخراز.

(٧) «عليه» من (ت).

فإنْ قيلَ: كيفَ حينئذٍ عوتِبَ وعوقِبَ بالإخراجِ منَ الجنةِ؟ وكيفَ صحَّ أنْ يطلَقَ عليهِ اسمُ المعصِيةِ في قولهِ تَعَالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] معَ أنَّ ما ذكَرتمُوهُ منَ التأويلِ لا يقتَضِي ذلِكَ؟

فالجوابُ: ليسَ بلازِمٍ أنْ لا تقَعَ العُقوبَةُ إلا في مقابلَةِ معصِيةٍ حَقيقَةً، بلْ قدْ تقعُ للزجرِ عنِ التلبُّسِ بصورَةِ المعصِيَةِ، ولتركِ التحفُّظِ والاحترازِ؛ ككفَّارةِ القاتلِ خطأً معَ أنهُ ليسَ بعاصٍ بالإجماعِ، وصحَّ إطلاقُ المعصِيةِ عَليهِ باعتبارِ كونِها صُورةَ معصيةٍ كما تقدَّمَ، فتأمَّلْ هذا التحقيقَ العزيزَ النقلِ.

فاندفَعَ بما قرَّرناهُ ما تمسَّكتْ بهِ الحشويَّةُ على عدمِ عِصمةِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ بأنَّ آدمَ كانَ نبيًّا وارتكَبَ المنهيَّ عنهُ، والمرتكِبُ لهُ عاصٍ، وأنهُ جُعلَ بارتكابهِ ظالماً، والظالمُ ملعُونٌ، وأنهُ أُسنِدَ إليهِ العِصيانُ والغيُّ في قولهِ تَعَالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، وأنهُ لقَّنهُ التوبَةَ وهيَ الرجوعُ عنِ الذنْبِ والندمُ عليهِ، واعترَفَ بأنهُ خاسرٌ لولا مغفِرةُ اللهِ تَعالى لهُ، وأنهُ لو لمْ يُذنِبْ لمْ يجْرِ عليهِ ما جرَى، وكلُّها تمسُّكاتٌ فاسدَةٌ، واعتراضاتٌ واهيةٌ، مبنيَّةٌ عَلى مجردِ الظواهرِ، لا على التحقيقِ والغوصِ في علمِ التأويلِ.

وإنْ شاءَ اللهُ تَعالى سأفرِدُ ما يوهِمُ ظاهرُهُ وقوعَ المعصيَةِ منَ الأنبياءِ بمؤلَّفٍ حسَنٍ مسدَّدِ الأجوبةِ، واللهُ سبحانَهُ الموفِّقُ.

* * *

الخاتمة

قالَ القُرطبيُّ في «تفسيرِهِ» وأبو حيان في «النهر» في قولِه تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]: قالَ القاضِي أبو بكرِ ابنُ العربيِّ: لا يجوزُ لأحَدِنا اليومَ أنْ يخبِرَ بذلِكَ عَن آدمَ عليهِ السلامُ، إلا إذا ذكرَهُ في أثناءِ كلامِهِ تَعالى، أو قولِ نبيِّهِ عليهِ السَّلامُ، فأمَّا أنْ نبتَدِئ ذلكَ مِن قبَلِ أنفُسِنا فليسَ بجائزٍ لنا في آبائنا الأدْنَينَ إلينَا[2] المماثِلينَ لنا، فكَيفَ في أبِينا الأقدَمِ الأعظَمِ، النبيِّ المقدَّمِ الذِي اجتباهُ اللهُ تَعالى، وتابَ عليهِ وغفَرَ لهُ[3]؟!

قالَ القرطبيُّ: وإذا كانَ هذا في المخلوقِ [لا يجوز]، فالإخبارُ[4] عَن صفاتِ اللهِ تَعالى كاليدِ والرجلِ والإصبَعِ والجنْبِ والنُّزولِ، إلى غيرِ ذلِكَ أولى بالمنْعِ، وأنهُ لا يجُوزُ الابتداءُ بشيءٍ مِن ذلِكَ إلا في أثناءِ قراءَةِ كتابِهِ[5] تَعالى، أو سنةِ رسُولِهِ ﷺ[6]، واللهُ سبحانَهُ وتَعالى أعلَمُ.

قالَ مؤلِّفُهُ: فرغْتُ منهُ عامَ تسعٍ وعشرينَ بعدَ الألفِ بشهرِ ربيع أولَ[7].

---

(١) «وأبو حيان في النهر في قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾» من (ت).

(٢) في (ت) و(ع): «لنا»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٥٣)، و«البحر المحيط» أبي حيان (١٥/ ١٥٦). وكلام ابن العربي في «أحكام القرآن» له (٣/ ٢٥٩).

(٤) في (ت): «فإخبار».

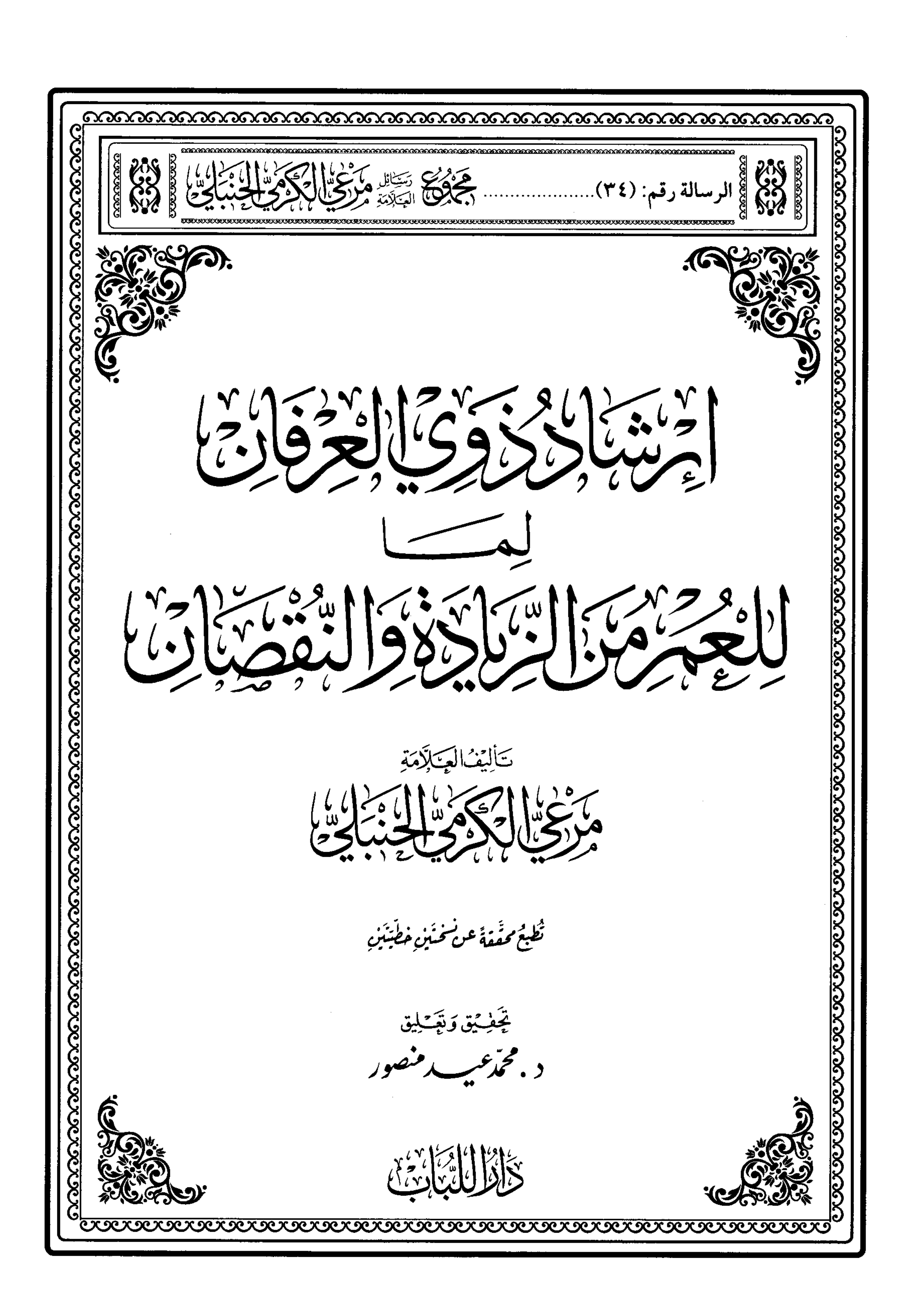
(٥) في (ع): «كتاب الله».

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٥٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٧) جاء بعدها في (ع): «وفرَغَ مِن تعليقِ هذهِ النُّسخةِ المباركِ مِن نُسخةٍ نُقلَتْ مِن نسخَةِ المؤلِّفِ، وكتبَهُ الفقيرُ عامرُ بنُ إسماعِيلَ المجذُوبُ الإطفِيحيُّ الشافعيُّ لنفسِهِ ثمَّ لولدِهِ من بعده ثاني =

= شـهرِ جُمـادَى الأولِ سـنةَ (١٠٣٩) تمت بالجامِـعِ الأزهرِ بدرس الشـيخ محمدِ المنيـاوِيِّ نفَعَ اللهُ بـهِ، آمينَ والحمـدُ للهِ وحدَهُ».

وجـاء فـي آخـر النسـخة (ت): «وعلَّقـه لنفسـه الفانية بيـده الجانيـة ولمن يسـوقه الدهرُ له مِـن بعدِه ويترحَّـم علـيَّ وعلـى والـديَّ وعلـى مشـايخي، العبـدُ محمـدُ موسـى محمـد الشـريف الحسـيني المدنـي الجمـازي المالكـي عفـي عنه، وصـدر ذلك في ثامن عشـر رمضـان المعظم قـدرُه وحرمتُه مـن شـهور سـنة (١٠٢٩) المذكـورة أحسـن الله ختامهـا وفيـه قـدم حسـين باشـا لمصر مـن البلاد الروميـة ببـولاق في سـلطنة السـلطان عثمـان بن المرحـوم السـلطان أحمد بـن المرحوم السـلطان محمـد بـن المرحوم السـلطان مراد خـان بن عثمان عوضـاً عن مصطفى باشـا الظالمِ الـذي لم يتولَّ مصـرَ أظلـمُ منـه، وقيـل: إنه حضـر للتفتيش عليه، وأرسـل مقدمـه أمير همايـون للحفظ عليـه، وإنه أراد الهـروب فلـم يتمكن».



إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

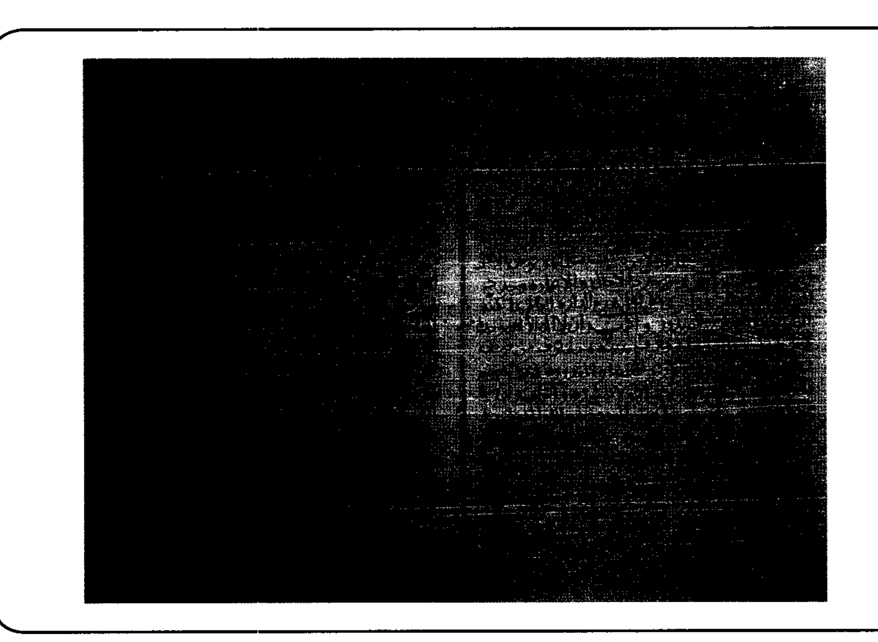
تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

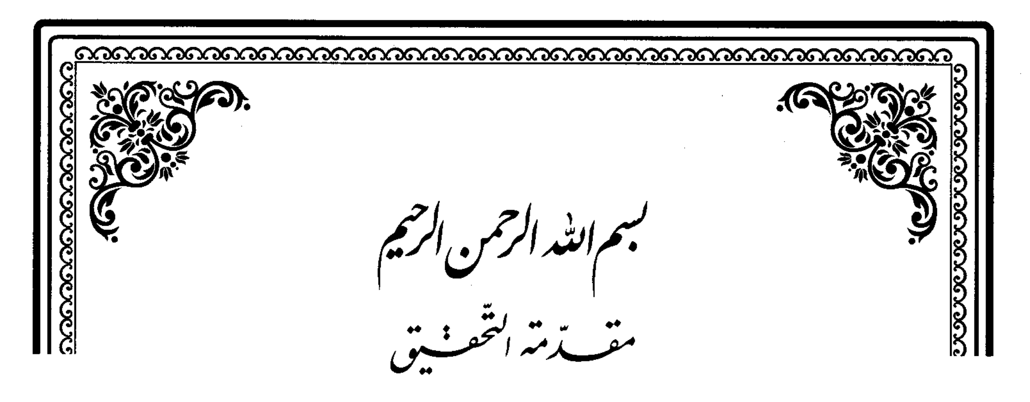
د. محمد عيد منصور

دار اللباب

مكتبة جامعة برنستون (ب)



مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)



الحمدُ للهِ الواحدِ الكريمِ الوهَّابِ، الَّذي يمحو ما يشاءُ ويُثبِتُ وعنده أمُّ الكتابِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من فُضِّل بالخطابِ، نبيِّنا محمَّدٍ عالي الجَنابِ، وعلى آلِه وأصحابِه والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الحسابِ.

أمَّا بعدُ:

فهذهِ رسالةٌ موجزةٌ لطيفةٌ، رَصَفَتْ كلماتُها يدُ العالمِ المتفنِّنِ المفسِّرِ مرعيِّ بنِ يوسفَ الكرميِّ الحنبليِّ المقدسيِّ، مبيّناً سببَ تأليفها بقوله: «... مُتكلِّماً فيها عَلَى زِيادَةِ العمُرِ ونُقصَانِهِ. وبَيانِ إثباتِ القدَرِ وتِبيانِهِ، وأنَّ المقْدُورَ مَسطُورٌ، والمستُورَ مَنشُورٌ، يومَ البَعثِ والنُّشُورِ، جانحَاً في ذلِكَ لاختِصارِ كلامِ أُولي الألْبابِ، جامِعاً ما تفرَّقَ مِن كلامِهِمْ في هذا الكِتابِ».

وهذه الرِّسالةُ هي مختصرةٌ من ثلاثةِ كتبٍ للمؤلِّف رحمهُ اللهُ تعالى، وهي كتابُ: «بهجَةِ النَّاظِرينَ»، وكتابُ: «أرْواحِ الأشبَاحِ»، وكتابُ: «إتحافِ ذوي الألبابِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾».

وقد ذَكَرَ المؤلفُ هنا مسألَةَ زيادةِ العمرِ، وساقَ القولَين فيها، ذاكراً بحيادٍ وموضوعيَّةٍ أدلَّةَ كلٍّ من الفريقَينِ من الكتابِ والسُّنَّةِ، وحاشداً لنقولٍ عدَّةٍ من كلامِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ والمفسِّرينَ في هذهِ المسألةِ الدَّقيقةِ، ولم يكتفِ بالنَّقلِ فيها

فحسب، بل كانَ في هذهِ الرِّسالةِ مناقشاً ومرجِّحاً، ومبيِّناً وشارحاً، فجزاهُ اللهُ تعالى أحسنَ الجزاءِ وأوفاهُ.

وممَّا يُؤخذُ على الرِّسالة أنَّ المؤلِّف رحمه الله تعالى ذكرَ فيها أحاديثَ تنزلُ رُتَبُ بعضِها عن الضَّعيفِ، وهذهِ مسألةٌ مهمَّةٌ من مسائلِ العقيدةِ، فكانَ الأَولى أن يعتمدَ فيها على ما قرَّره المحقِّقونَ من أهل العلمِ من أنَّ أحاديثَ العقيدةِ ينبغي أن تكونَ من الصَّحيحِ والحسنِ فحسب.

كما ظهر لي أنَّ المؤلِّفَ رحمه الله تعالى نقلَ عن بعضِ كُتُبِ التَّفسيرِ والحديثِ عن طريقِ مصادرٍ وسيطةٍ، فتغيَّرت لذلكَ بعضُ الكلماتِ أو زادت أو نقصت عن مصادرِها الأُولى.

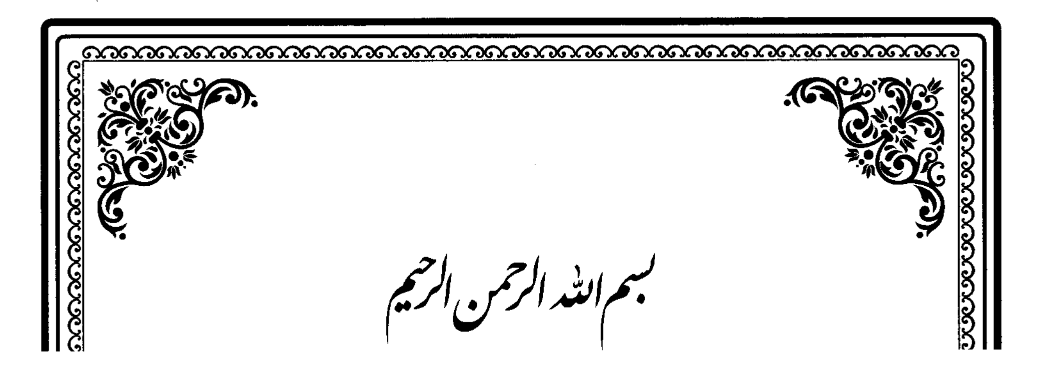
هذا وقد اعتمدتُ في تحقيقِ هذه الرسالةِ على نُسختَينِ خَطِّيتينِ هما: نُسخة مكتبة برنستون ورمزتُ لها بـ(ب)، ونسخةُ الجامعةِ الإسلاميةِ ورمزتُ لها بـ(ج).

أسألُ اللهَ تعالى أنْ يُضاعفَ للمؤلِّفِ الأجرَ والثَّوابَ، وأنْ يباركَ له في حسناتهِ وآثارهِ، وأنْ يجعلَ ما تركهُ مِن رسائلَ وكتبٍ كثيرةٍ من العلمِ الذي يُنتفعُ به؛ ليكونَ له أجرهُ الوافرُ يومَ القيامةِ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّد، وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّم، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

المحقق

* * *



الحَمدُ لمَنْ خلَقَ اللَّوحَ والقَلَمَ، وأوجَدَ العالمَ بأسْرِهِ مِنَ العَدمِ، وجعَلَ كلَّ شَيءٍ عِندَهُ في كِتابٍ مَسطُورٍ، وكَتبَ في أُمِّ الكِتابِ ما هوَ كائنٌ مِنَ المقْدُورِ، قبلَ أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرْضَ بخمسَينَ ألفَ سَنةٍ، فكانَ ما كانَ.

فيا غِنَى مَن نظَرَ في بواطِنِ الأُمورِ، ويا عَنى مَن عُنِيَ مجرَّدَ الظَّهورِ، في مقَامٍ يقطَعُ الظُّهورَ، فالأنْفاسُ مَعدُودةٌ، والآجَالُ محدُودَةٌ، والأعمَالُ غَيرُ المخلَصةِ مَردُودةٌ، فلا تغَيُّرَ ولا تبدُّلَ، ولا زِيادَةَ ولا نقْصَ، لما في عِلمِ اللهِ مَستُورٌ، يمحُو ما يَشَاءُ ويُثبِتُ، وعِندَهُ أمُّ الكِتابِ مَسطُورٌ.

فمَنْ كانَ عَبدَاً مُسلِمَاً، كانَ لمولاهُ مُسلِمَاً، ولأمرِهِ مُستَسلماً، وفوَّضَ الأمْرَ إلى عالمِ الأُمورِ.

أحمَدُ مَن حدَّدَ الآجَالَ والأعْمَارَ، وحدَّدَ السُّرورَ تارَةً، والشُّرورَ أُخرَى عَلى أهلِ هذِهِ الدِّيارِ، العالِمِ بما تُكنُّهُ الضَّمائرُ ومما يختَلِجُ في الصُّدورِ.

وأشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شرِيكَ لهُ، شهادَةَ عَبدٍ مُعترِفٍ بذَنبِهِ، مُغترِفٍ مِن فَيضِ ربِّهِ، مُلقٍ نَفسَهُ في تيَّارِ بحرِ القضَاءِ والمقْدُورِ، لا يملِكُ لنفْسِهِ ضرَّاً ولا نفْعَاً، ولا مَوْتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً.

وأشهَدُ أنَّ سيِّدَنا محمَّدَاً عبدُهُ ورسُولُهُ، وصَاحِبُ الحَوضِ المَوْرُودِ، واللِّواءِ

المعقُودِ، والمقَامِ المحمُودِ، والعطَاءِ المشهُودِ. وصلَّى اللهُ عَليهِ وعَلَى آلِهِ وأصحَابِهِ، أُولي المجْدِ والفخَارِ، والبَهاءِ والنُّورِ، وسلِّمْ تَسلِيماً كثِيراً إلى يوْمِ النُّشُورِ[١].

أمَّا بَعدُ: فهذِهِ فَرائدُ يَتيمَةٌ، وفَوائدُ ثمِينَةٌ، وعُقودُ جَواهر مُضيئَةٌ، وبُدورٌ سَوافرُ مُستضِيئَةٌ، مُتكلِّماً فيها عَلَى زِيادَةِ العمُرِ ونُقصَانِهِ. وبَيانِ إثباتِ القدَرِ وتبيانِهِ، وأنَّ المقْدُورَ مَسطُورٌ، والمستُورَ مَنشُورٌ، يومَ البَعثِ والنُّشُورِ، جانحَاً في ذلِكَ لاختِصارِ كلامِ أُولي الألْبابِ، جامِعاً ما تفرَّقَ مِن كلامِهِمْ في هذا الكِتابِ، مجانِباً فيهِ للإيجَازِ المخِلِّ والإطنَابِ، مُراعِياً أحسَنَ التَّرتيبِ والمسَالِكِ، وإنْ كنتُ لسْتُ بأهْلٍ لما هُنالِكَ، لكِنَّ اللهَ سُبحانَهُ هوَ وليُّ ذلِكَ.

مُقدِّمةٌ في إثبَاتِ حَقِيقَةِ القدَرِ

اعلَمْ وفَّقكَ اللهُ تَعالى أنَّ مَذهَبَ أهلِ الحقِّ ـ هوَ الحقُّ ـ ومَذهَبُهمْ[٢]: أنَّ اللهَ تَعالى قدَّرَ مقادِيرَ الخَلقِ، وما يكُونُ مِن الأشيَاءِ قبْلَ أنْ يكُونَ في الأزَلِ، وعلِمَ سُبحانَهُ أنَّها ستَقَعُ في أوْقاتٍ مَعلُومةٍ عِندَهُ سُبحانَهُ، عَلى صِفَاتٍ مخصُوصَةٍ، فهِيَ تقَعُ عَلى حسَبِ ما قدَّرَها[٣].

وخالَفَتِ القدَرِيَّةُ[٤] في ذلِكَ، ومَن ذهَبَ إلى مَذهَبِهمْ، فقَالُوا: إنَّهُ سُبحَانَهُ لم يقدِّرِ الأشْياءِ، ولمْ يتقَدَّمْ عِلمُه بها، وإنها مُستَأنفَةُ العِلمِ؛ أي: إنَّما يَعلَمُها سُبحانَهُ بعدَ وُقوعِها.

---

(١) قوله: «كثيراً إلى يوم النشور» مثبت من (ج).

(٢) قوله: «ومذهبهم» سقط من (ج).

(٣) قوله: «وعلم سبحانه...... ما قدرها» سقط من (ج).

(٤) القدرية هم: الذين يزعمون أن كل عبدٍ خالقٌ لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. «التعريفات» للشريف الجرجاني (ص١٧٤).

وكذَبـوا عَلى اللهِ فـي قولِهِمْ ومَذهبِهِمْ[١]. وهـوَ مَذهبٌ باطِلٌ بالكِتابِ والسـنَّةِ وإجماعِ الأمَّةِ.

أمَّا الكِتابُ:

فقولُه تَعَالـى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. وقولُـهُ تَعَالـى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. إلـى غَيـرِ ذلِكَ مِـنَ الآياتِ.

وأمَّا السُّنَّةُ:

فأحَادِيثُ جمَّةٌ، في البُخارِيِّ ومُسلِمٍ وغيرِهما:

ففِي مُسلِمٍ: عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ قالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «كتَبَ اللهُ مَقادِيرَ الخَلائقِ، قبلَ أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرْضَ بخمسِينَ ألْفَ سنةٍ»[٢].

وفي مسلِمٍ أيضاً: حَيثُ تحاجَّ آدَمُ ومُوسَى، وفيهِ: «قالَ آدَمُ لموسَى: أفتَلُومُني عَلى أمرٍ قدْ قُدِّرَ عليَّ قَبلَ أنْ تُخلَقَ السَّماواتُ والأرْضُ بخمسِينَ ألْفَ سَنةً»[٣].

وفي مُسلمٍ أيضاً: مِن حَدِيثِ عَليِّ بنِ أبي طالِبٍ: عَنِ النبيِّ ﷺ، وفيهِ قالَ: «ما مِن نَفسٍ مَنفُوسةٍ إلا وكتَبَ اللهُ مكانها مِنَ الجنَّةِ والنَّارِ، إلا وقَدْ كُتِبتْ[٤] شقيَّةً أو سَعِيدَةً». قالَ: فقَالَ رجُلٌ: يا رسُولَ اللهِ! أفلا نمكُثُ عَلى كتابِنا، وندَعُ العَملَ؟

---

(١) قوله: «فقالوا إنه سبحانه.... في قولهم ومذهبهم» سقط من (ج).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وزاد آخره: «قال: وعرشه على الماء».

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٢) بلفظ: «أفتَلُومُني على أنْ عَمِلتُ عمَلًا كتبَهُ اللهُ عليَّ أنْ أعْملَهُ قبلَ أنْ يَخْلُقَني بأَرْبَعِينَ سَنَةً؟».

(٤) في النسختين: «كتب»، والمثبت موافق لصحيح مسلم.

فقَالَ: «مَن كانَ مِن أهلِ السَّعادَةِ، فسيَصيرُ إلى عمَلِ أهْلِ السَّعادَةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الشَّقاوَةِ، فسَيصيرُ إلى عمَلِ أهْلِ الشَّقاوَةِ، اعمَلُوا فكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أمَّا أهْلُ السَّعادَةِ فيُيسَّرُونَ لعمَلِ أهْلِ السَّعادَةِ، وأمَّا أهلُ الشَّقاوَةِ فيُيسَّرُونَ لعمَلِ أهلِ الشَّقاوَةِ»[1].

وقالَ البُخارِيُّ في بعضِ طُرقِهِ في هذا الحَديثِ: «اعملُوا، كلٌّ يَعمَلُ لِمَا خُلِقَ لهُ، أو لِمَا يُسِّرَ لهُ»[2].

وفي «تفسِيرِ الكَواشي»[3]: للسَّعادَةِ عَلاماتٌ: لِينُ القلبِ، وكثرَةُ البُكاءِ، والزُّهدُ في الدُّنيا، وقِصرُ الأمَلِ، وكثرَةُ الحَياءِ.

وللشَّقاوَةِ عَلاماتٌ: قَسوَةُ القَلْبِ، وجُمودُ العَينِ، والرَّغبةُ في الدُّنيا، وطُولُ الأمَلِ، وقلةُ الحياءِ.

وفي «تفسِيرِ مكِّي»: عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنهُما قالَ: خلَقَ اللهُ النُّونَ ـ وهوَ الدَّواةُ ـ وخلَقَ القلَمَ، فقالَ: اكتُبْ. قالَ: وما أكتُبُ؟ قالَ: اكتُبْ ما هوَ كائنٌ إلى يومِ القِيامَةِ، مِن عَملٍ معمُولٍ، برٍّ أو فُجورٍ، ورزقٍ مَقسُومٍ، حَلالٍ أو

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٧) واللفظ له، وأخرجه البخاري أيضاً (١٣٦٢) بلفظ قريب عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) بلفظ قريب عن عليٍّ رضي الله عنه، وأخرجه البخاري بلفظ المتن (٦٥٩٦) من حديث عمران بن حُصين رضي الله عنهما.

(٣) هو أحمد بن يوسف بن الحسن، موفق الدين، أبو العباس الكواشي، عالم بالقراءات والتفسير والعربية، فقيه شافعي، زاهد صالح ورع، له كتب منها: تفسير بعنوان «تبصرة المتذكر»، و«كشف الحقائق» ويعرف بتفسير الكواشي، مات سنة ٦٨٠هـ. انظر: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (١/ ٣٦٨)، و«طبقات المفسرين» للأَدْنَه وِي (ص٢٥١).

حَـرامٍ، ثـمَّ ألـزَمَ كلَّ شـيءٍ مِـن ذلِكَ شـأنَهُ مِـن دُخولِهِ فـي الدُّنيـا، ومُقامِـهِ فيها كَمْ هـوَ، وخُروجِهِ مِنهـا كيفَ[(١)].

وفي «تفسِيرِ الثَّعلَبيِّ»: قالَ ابنُ عُمرَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «أوَّلُ شيءٍ خَلَقَ اللهُ القلَمَ مِن نورٍ، طُولُهُ خمسُ مئةِ عامٍ». فقَالَ للقلَمِ: اكتُبْ[(٢)]، اجْرِ. فجَرَى بما هوَ كائنٌ إلى يَومِ القِيامةِ مِن عمَلٍ، برِّها وفاجِرِها، ورَطبِها ويابِسِها[(٣)].

وأخرَجَ البزَّارُ: عَنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامتِ قالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ القلَمَ، فقَالَ: اجرِ، فجَرَى بما هوَ كائنٌ إلى يومِ القِيامَةِ»[(٤)]. قالَ عَليُّ بنُ المدِينيِّ: إسنادُهُ حَسنٌ.

وأخرَجَ الإمَامُ أحمَدُ والترْمِذيُّ وصحَّحَهُ: عَن عبادَةَ بنِ الصَّامتِ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ القلَمَ، قالَ لهُ: اكتُبْ. قالَ: يا رَبِّ، وما أكتُبُ؟ قالَ: اكتُبْ مقادِيرَ كلِّ شيءٍ»[(٥)].

---

(١) «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي (١٢/ ٧٦١٣)، ومكي هو: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٩١).

(٢) «اكتب» ليس في (ج).

(٣) انظر: «الكشف والبيان في تفسير القرآن» للثعلبي (٨/ ٣٦٧) وأخرجه عن ابن عمر: أبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٢/ ٥٩٠)، والحديث من رواية ابن عباس بألفاظ قريبة في «مسند أبي يَعلى» (٢٣٢٩) و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣٨٤٠) وصححه، وغيرهما.

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٦٨٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٧٠٥)، والترمذي (٣٣١٩)، وأبو داود (٤٧٠٠) واللفظ لأبي داود.

وفي الترمِذِيِّ: عَن أُبيِّ بنِ كَعبٍ قالَ: سمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ القلَمَ، فقالَ لهُ: اكتُبْ، فجَرَى بما هوَ كائنٌ إلى الأبَدِ»(١).

قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي زُرارَةَ: وهَذا الحَدِيثُ مِنَ الصِّحَاحِ.

وذكَرَ المفسِّرُونَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]:

عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنهُما في تفْسِيرِ هَذهِ الآيَةِ: إنَّهُ لوحٌ مِن دُرَّةٍ بَيضَاءَ، طولُهُ ما بَينَ السَّماءِ والأرْضِ، وعَرضُهُ ما بَينَ المشْرِقِ والمغرِبِ، وحافتاهُ الدُّرُّ والياقُوتُ، ودَفَّتاهُ مِن ياقُوتةٍ حَمراءَ، محفُوظٌ مِنَ الشَّياطِينِ، ومِن أنْ يُبدَّلَ أو يغَيَّرَ، للهِ فيهِ في كلِّ يَومٍ وليلَةٍ ثلاثُ مئةٍ وستُّونَ لحظَةً، يُحْيي ويمِيتُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويفعَلُ ما يشَاءُ(٢).

وحكَى الثَّعلبيُّ في تفسِيرِ قَولِهِ تَعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قالَ: إنَّ للهِ لَوحاً محفُوظاً، مَسيرةُ مِئةِ عامٍ، مِن دُرَّةٍ بَيضَاءَ، لهُ دَفَّتانِ مِن ياقُوتةٍ، لهُ فيهِ كلَّ يومٍ ثلاثُ مئةٍ وستُّونَ لحظَةً. ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]؛ يعنِي: اللَّوحَ المحفُوظَ، الذِي لا يُبدَّلُ ولا يغَيرُ(٣).

وحكَى أيضاً في تفْسِيرِ قَولِهِ تَعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: إنَّ مما

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣١٩) عن عبادة بن الصامت، وذكره في «جامع الأصول» من حديث أبي بن كعب، دون عزوه لأحد من أصحاب الكتب الستة، وربما هو سبق قلم، فالحديث من رواية الوليد بن عبادة بن الصامت قال: حدَّثني أبي...، فظنها حدَّثني أُبيٌّ، وأضاف (بن كعب)، والله تعالى أعلم.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٧٥)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٦٣)، وغيرهما.

(٣) «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٩٩) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

خلقَ اللهُ لَوحاً مِنْ دُرَّةٍ بَيضَاءَ، دفَّتاهُ مِن ياقُوتَةٍ حَمراءَ، قلَمُهُ نورٌ، وكِتابُهُ نورٌ، ينظُرُ اللهُ فيهِ كلَّ يومٍ ثلاثَ مئةٍ وسِتِّينَ نَظرةً، يخلُقُ ويَرزُقُ، يحْيِي ويميْتُ، ويعِزُّ ويذِلُّ، ويفعَلُ ما يشَاءُ، فذَلِكَ قَولُهُ تَعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩][1].

وقالَ وهَبُ بنُ مُنبِّهٍ: خَلقَ اللهُ لَوحاً مِن دُرَّةٍ بَيضَاءَ، قلَمُهُ مِن زُمرُّدةٍ خضْراءَ، وكِتابُهُ نورٌ، ينظُرُ اللهُ فيهِ كلَّ يومٍ ثلاثَ مئةٍ وستِّينَ نَظرةً، يُحيي ويمِيْتُ، ويُعزُّ ويذِلُّ، ويرفَعُ أقْواماً، ويَخفِضُ آخَرينَ، ويحكُمُ ما يشَاءُ، ويفعَلُ ما يُريدُ[2].

وذكَرَ الإمامُ فخرُ الدِّينِ في تَفسيرِ قولِهِ تَعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] أنَّهُ اللَّوحُ المحفُوظُ، قالَ: وجَميعُ حَوادِثِ العالَمِ العُلويِّ والعالَمِ السُّفليِّ مُثبَتَةٌ فيهِ[3].

وعنِ النَّبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «كانَ اللهُ ولا شَيءَ مَعهُ، ثمَّ خَلقَ اللَّوحَ المحفُوظَ، وأثبَتَ فيهِ جَميعَ أحْوالِ الخَلقِ إلى يومِ القِيامَةِ»[4].

وذكَرَ الإمَامُ الفَخرُ أيضاً في قولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الانعام: ٥٩]: إنَّ مِن فوائدِ هَذا الكِتابِ أنَّهُ تَعالى إنَّما كتَبَ هَذِهِ الأحْوالَ في اللَّوحِ المحفُوظِ، لتَقِفَ الملائكَةُ عَلى نفَاذِ عِلمِ اللهِ تَعالى في المعْلُومَاتِ، وأنَّهُ لا يَغيبُ عَنهُ مما في السَّماواتِ والأرْضِ شَيءٌ، فيَكُونُ ذلِكَ عِبرةٌ تامَّةٌ للمَلائكَةِ الموكَلينَ

---

(١) «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٨٤) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٠٦)، وفي سنده رجل كذاب يضع الحديث.

(٣) «مفاتيح الغيب» للرازي (١٩/ ٥٢)، والحديث التالي فيه أيضاً بلفظ: «كانَ اللهُ ولا شَيءَ مَعهُ، ثمَّ خَلقَ...» فأسقط كلمة «قال».

(٤) أصله في البخاري (٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما بلفظ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ».

باللَّوحِ؛ لأنهُمْ يُقابِلُونَ بِهِ ما يحدُثُ في هذا العَالمِ، فيَجِدُونهُ مُوافِقاً لهُ، انتهى[١].

فثبتَ بالكِتابِ والسنَّةِ بُطلانُ مَذهبَ القَدَريَّةِ ومَن وافَقَهُمْ. وفي الحدِيثِ: «القَدَريَّةُ مجُوسُ هذِهِ الأُمةِ، إنْ مَرِضُوا فلا تَعودُوهُمْ، وإنْ ماتُوا فلا تَشهَدُوهُمْ»[٢].

إذا تقرَّرَ هذا، فلنَشْرَعْ في المقْصُودِ، بعَونِ الملِكِ المعْبُودِ، فنَقُولُ:

في زِيادَةِ العمُرِ ونقْصِهِ خِلافٌ كَبيرٌ بينَ العُلَماءِ، وكلامٌ كَثِيرٌ بينَ الأئمَّةِ الفُضَلاءِ، لا سِيَّما أئمَّةُ السَّلفِ، ومَن بعدَهُمْ مِنَ الخَلف.

فمِنهُمْ مَن قالَ: إنَّ العمُرَ يزِيدُ وينقُصُ. وبهِ قالَ الإمامُ عُمرُ بنُ الخطَّابِ، وعَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ، وأبو وائلٍ، وكَعبٌ[٣]، وجمعٌ كثِيرٌ، وجمٌّ غَفِيرٌ.

ومِنهمْ مَن قالَ: إنَّ العمُرَ لا يَزِيدُ ولا يَنقُصُ. وبهِ قالَ جُمهُورُ العُلَماءِ.

وحكَى ابنُ عَطيَّةَ في تَفسِيرِ سُورةِ الأعْرافِ: إنَّهُ مَذهَبُ أهْلِ السنَّةِ[٤].

ولكُلٍّ مِنَ الفَريقَينِ دَليلٌ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وستَمرُّ عَليكَ، وتُقرأُ بينَ يَديْكَ، بأوْضَحِ عِبَارةٍ، وألْطَفِ إشَارَةٍ.

فاحتَجَّ القائلُونَ بزِيادَةِ العمُرِ ونقْصِهِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ، وحجَّتُهمْ مِنَ الكِتابِ آياتٌ مِنها:

---

(١) «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٣/ ١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣).

(٣) أبو وائل: هو شقيق بن سلمة الأسدي التابعي، تلميذ ابن مسعود، وكعب هنا يقصد به كعب بن ماتع الحِمْيري، المعروف بـ: كعب الأحبار التابعي، كما صرَّح المؤلف باسمه في رسالته «إتحاف ذوي الألباب».

(٤) «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي (٢/ ٤٦١).

قولُهُ تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ...﴾ [الرعد: ٣٩] الآيةَ. وجهُ الدَّليلِ منها: أنها عامَّةٌ في كلِّ شيءٍ يقتضِيهِ ظاهِرُ اللَّفظِ.

قالَ الإمَامُ الفَخرُ: قالُوا: إنَّ اللهَ يمحُو منَ الرِّزقِ، ويزِيدُ فيهِ. وكذلكَ القولُ في الأجَلِ، والسَّعادةِ والشَّقاوَةِ، والإيمانِ والكُفرِ. قالَ: والقائلُونَ بهذا القولِ كانُوا يَدعُونَ ويتضَرَّعُونَ إلى أنْ يجعَلَهُمْ اللهُ سُعَداءَ لا أشقِياءِ. وهَذا التَّأويلُ رواهُ جابرٌ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

ومِنها: قَولُهُ تعَالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]؛ أي: لا يَطولُ عمُرُ إنسَانٍ ولا ينقُصُ، إلا وهوَ في كِتابٍ؛ أي: في اللَّوحِ المحفُوظِ.

قالَ الزَّمخْشَرِيُّ: وصُورَتُهُ أنْ يُكتَبَ في اللَّوحِ المحفُوظِ: إنْ حجَّ فلانٌ ولمْ يغْزُ؛ فعمُرُهُ أربعُونَ سنةً، وإنْ حجَّ وغَزا؛ فعُمُرهُ ستُّونَ سنَةً، فإذا جمَعَ بينَهُما فقَدْ بلَغَ السِّتينَ وقدْ عُمِّرَ، وإذا أفرَدَ أحَدَهُما عَنِ الآخَرِ، فلا يجَاوِزُ الأربَعِينَ، فقَدْ نقُصَ مِن عمُرِهِ الذِي هوَ الغايَةُ وهوَ السِّتُّونَ. قالَ: وإلَيهِ أشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأنْ قالَ: «الصَّدقَةُ والصِّلةُ يَعمُرانِ الدِّيارَ، ويزِيدانِ في الأعمَارِ»[2].

وعَنْ كَعبٍ أنَّهُ قالَ حِينَ طُعِنَ عُمرُ رَضيَ اللهُ عَنهُ: لو أنَّ عُمرَ دَعا اللهَ لأخَّرَ في أجلِهِ. فقِيلَ لكَعبٍ: أليسَ قدْ قالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً

---

(١) «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٩/ ٥١)، وأضاف: وهذا مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٥٢٥٩) بلفظ: «صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران...» وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٣): رجاله ثقات إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة. ولعله سبق نظر منه رحمه الله لأن عبد الرحمن بن القاسم يروي هذا الحديث عن أبيه القاسم عن السيدة عائشة كما في مطبوع المسند، والله تعالى أعلم.

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. قال: فقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١][1].

قالَ الزَّمخشَرِيُّ: وقدِ استفَاضَ عَلَى ألسِنةِ النَّاسِ: أطالَ اللهُ عمُرَكَ، وفسَحَ في مُدَّتك، وما أشبَهَهُ[2].

ومِنها: قَولُهُ تَعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ...﴾ [الأنعام: ٢] الآيةَ. فثَبتَ أنَّ للإنسَانِ أجلَينِ. وتأوَّلها حُكَماءُ الإسْلامِ عَلى ما حَكاهُ الإمَامُ الفَخرُ: إنَّ لكلِّ إنسَانٍ أجَلَينِ:

أحدُهُما: الآجالُ الطَّبِيعيَّةُ.

الثَّاني: الآجالُ الاخْتِراميَّةُ.

فالآجالُ الطَّبيعِيَّةُ: هيَ التي لو بقِيَ المزاجُ مَصُوناً عنِ العَوارِضِ الخَارجِيَّةِ؛ كالغرَقِ والحرقِ ولسْعِ الحشَراتِ وغيرِها، لانتَهتْ مُدَّةُ بقائهِ إلى الأوْقاتِ الفَلكيَّةِ.

والآجالُ الاخْتراميَّةُ: هيَ التِي تحصُلُ بسبَبٍ مِن الأسبَابِ الخارِجيَّةِ؛ كالغَرَقِ والحَرقِ ولسْعِ الحشَراتِ.

هذا دَليلُهُمْ مِنَ الكِتابِ.

وأمَّا دلِيلُهم من السُّنَّةِ: فاحتَجُّوا مِنها:

بقَولِهِ ﷺ: «صِلةُ الرَّحمِ تزِيدُ في العُمُرِ»[3]. وفي طَريقٍ آخرَ: «صِلْ رحِمكَ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٦١٣).

(٣) مرَّ قبل قليل بلفظ قريب عند الإمام أحمد، وهو بهذا اللفظ في «المعجم الأوسط» للطبراني (٩٤٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٤): فيه أصبغ غير معروف، وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف.

يُزَدْ في عمُرِكَ»[١]، وفي آخَرَ: «مَنْ أحَبَّ أنْ يُنسَأَ لهُ في عمُرِهِ، فليَصِلْ رحِمَهُ»[٢].

وحَدِيثِ أبي حَنيفَةَ: «لا يزِيدُ في العمُرِ إلا البرُّ، ولا يردُّ القدَرَ إلا الدُّعاءُ، وإنَّ العبْدَ ليُحرَمُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصيبُهُ»[٣].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لكلِّ واحِدٍ أجَلانِ: أجلٌ إلى الموْتِ، وأجَلٌ مِنَ الموتِ إلى البَعثِ، فإنْ كانَ برّاً تقيّاً، وَصُولاً للرَّحِمِ، زِيدَ لهُ مِن أجَلِ البَعثِ في أجَلِ العمُرِ، وإنْ كانَ ضِدَّ ذلِكَ، نُقِصَ مِن العمُرِ، وزِيدَ في أجلِ البَعْثِ[٤].

هذا حاصِلُ استِدْلالِ أهلِ القَولِ الأوَّلِ وحجَّتُهمْ.

واحتَجَّ أهلُ القولِ الثَّاني، وهمُ القَائلُونَ: بأنَّ العمُرَ لا يزيْدُ ولا ينقُصُ بالكِتابِ والسنَّةِ.

فاحتَجُّوا مِن الكِتابِ بآياتٍ:

مِنها: قولُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤].

ومِنْها: قولُهُ تَعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

---

(١) أخرجه الحارث في «مسنده»، كما في «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (٢/ ٨١٣) (٨٤١)، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وهذا الحديث وإن ثبت بألفاظ أخرى في الصحاح إلا أنه في سند الحارث راوٍ وضَّاع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ قريب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أبو حنيفة كما في «جامع المسانيد» للخوارزمي (١/ ١١٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٣٨٦)، وابن ماجه (٩٠) وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٢١٣٩) وحسَّنه من حديث سلمان رضي الله عنه.

(٤) نقله السمعاني في «تفسيره» (٢/ ٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ١٠٩) وغيرهما.

ومِنْهـا: قَولُـهُ تَعَالـى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

ومِنْها: قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

ومِنها: قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

واحتَجُّوا مِنَ السُّنَّةِ:

بحدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ: «إنَّ الملَكَ يكتُبُ رِزقَهُ وأَجَلَهُ...»[١].

وبحدِيثِ: «فرَغَ ربُّكُمْ مِن ثَلاثٍ، فذكَرَ مِنها: الآجَالَ»[٢].

وبحدِيثِ أمِّ حَبيبَةَ، حَيثُ قالَتْ: اللَّهُمَّ متِّعني، بأبي أبي سُفْيانَ، وبأخِي مُعاوِيةَ، وبزَوجِي رَسولِ اللهِ ﷺ. فقَالَ لها عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لقَدْ سألْتِ اللهَ في آجَالٍ مَضرُوبةٍ، وأرزَاقٍ مقسُومةٍ، لا يُؤخَّرُ مِنها شَيءٌ»[٣].

وأجابُوا عَنْ قَولِهِ تَعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]: بعَدَمِ حَملِها عَلَى العُمُومِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٧٢٣) وابن حبان في «صحيحه» (٦١٥٠) من حديث أبي الدرداء ولفظ أحمد: «فرغ الله إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره وشقي أم سعيد»، وأخرجه ابن أبي الجعد في «مسنده» (١٩٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «أربع قد فرغ منهن من الخَلق والخُلق والرزق والأجل». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٥): فيه عيسى بن المسيب، وثقه الحاكم، والدارقطني في «السنن» وضعفه جماعة، وبقية رجاله في أحد الإسنادين ثقات.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) بلفظ قريب، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فقَالَ ابنُ جُبَيرٍ وقَتَادَةُ: المرادُ بالمحْوِ والإِثْبَاتِ: نسْخُ الحُكْمِ المتقَدِّمِ بحكمٍ آخرَ بدَلاً مِنَ الأوَّلِ.

قلْتُ: وفيهِ نظَرٌ، لأنَّ القلَمَ جرَى بما هوَ كائنٌ إلى يَومِ القِيَامَةِ، ومِنْ جُملِة ذلِكَ الحكْمُ، فلمَّا جازَ نسْخُ الحكْمِ وإثبَاتُهُ، فكذَلِكَ العمُرُ.

وقالَ أبو صَالحٍ والضَّحَّاكُ[1]: المرادُ بالآيَةِ: محْوُ ما في دِيوانِ الحفَظَةِ، مما لَيسَ بحَسَنةٍ ولا سيِّئةٍ، لأنهُمْ مأمُورُونَ بكَتْبِ ما ينطِقُ بهِ الإنسَانُ.

قُلتُ: هوَ قَريبٌ، لكِنَّ المرادَ لا يدْفَعُ الإِيْرادَ.

وقالَ بعضُهُم: أرادَ بالمحْوِ: محْوَ الذُّنوبِ مِنَ الصَّحائفِ بالتَّوبةِ.

وقالَ الحسَنُ: يمحُو مَن حَانَ أجَلُهُ، ويدَعُ ثابِتاً مَن لمْ يحِنْ أجَلُهُ.

وقالَ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ: يمحُو ما يَشَاءُ مِنَ القُرونِ، ويُثْبتُ ما يشَاءُ مِنْها.

قلتُ: وفي كلٍّ مِن هذِهِ الأجوِبَةِ نظَرٌ لِمَا مرَّ، ولأنَّهُ تخْصِيصٌ مِن غَيرِ مخَصِّصٍ.

وأجابُوا عَنْ قَولِهِ تَعَالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ..﴾ [فاطر: ١١] الآيَةَ.

بأنَّ المرادَ بالعمُرِ: الطَّويلُ العمُرِ، والمرادُ بالنَّاقصِ: قصِيرُ العمُرِ. والمعنَى: كلُّ مَن طالَ عمُرُهُ، أو نقصَ، فهُو مكتُوبٌ في الكِتَابِ.

قالَ ابنُ حزمٍ: فبالضَّرُورةِ عَلِمنا أنَّ [مَن عمِّر مئَة عَام وَعمِّر آخر ثَمَانِينَ سنة

---

(١) أبو صالح هو باذام مولى أم هانئ، قال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسيرٌ، وقال ابن معين: لا بأس به، كما في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٧)، والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي البلخي، قال ابن حبان: كان ممن عنى بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع وكان معلم كتاب يعلم الصبيان فلا يأخذ منهم شيئا إنما يحتسب في تعليمهم مات سنة خمس ومائة. «مشاهير علماء الأمصار» (ص٣٠٨)، وورد هذا القول في كثير من كتب التفاسير منسوباً لابن عباس والضحاك، فتأمل.

فَإِن][1] الذِي عُمِّرَ ثمَانِينَ عَامَاً، نقصَ اللهُ عزَّ وجلَّ منهُ عددَ خمسِ مئةِ عامٍ وأحدٍ وعِشْرِينَ عاماً[2]، فهذا هوَ ظَاهرُ الآيةِ، ومعنَاها عَلَى الحقِيقَةِ. انْتهى[3].

وفسَّرَها ابنُ جُبيرٍ بوجْهٍ آخَرَ، وهوَ أَنَّهُ قالَ: مَكتُوبٌ في أوَّلِ الكِتابِ: عمُرُهُ كذا أو كذا. ثمَّ يكتَبُ أسفَلَ مِن ذلِكَ: ذهَبَ يومٌ، ذهَبَ يومَانِ، ذهَبَ ثلاثَةٌ، حتَّى ينقَضِيَ عمُرُهُ. حكَاهُ المفسِّرُونَ عَنهُ[4].

وأجابُوا عَن قَولِهِ تَعَالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢].

بأنَّ المرَادَ بالأجَلِ الأوَّلِ: أجلُ الماضِينَ. وبالأجَلِ الثَّاني: أجَلُ البَاقِينَ.

أو المـرادُ بـالأوَّلِ: أجَلُ المـوْتِ، وبالثَّانـي: أجَلُ الحيـاةِ في الآخِـرَةِ، لأنَّهُ لا آخِـرَ لهـا ولا انِقضَاءَ.

أو أنَّ الأجَـلَ الأوَّلَ: هـوَ مـا بَيـنَ خَلْـقِ الإنسَـانِ إلـى مَوتِـهِ. والثَّاني: مـا بَينَ مَوتِـهِ إلـى بَعثِهِ.

أو أنَّ الأجَلَ الأوَّلَ: هوَ النَّومُ. والثَّاني هوَ الوَفاةُ.

أو أنَّ الأوَّلَ: ما انْقَضَى مِن عمُرِ كلِّ واحِدٍ. والثَّاني: ما بقِيَ مِن عمُرِ كلِّ واحِدٍ.

إلى غَيرِ ذلِكَ مِن أقوالِ المفسِّرينَ.

وأجابُوا عَنْ حَديثِ: «صلَةِ الرَّحِمِ تزِيدُ في العُمُرِ» بأجْوبَةٍ:

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة لا بد منها من كتاب: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/ ٤٩).

(٢) عبارة ابن حزم: «عمر ثَمَانِينَ نقص من عدد عمر الآخر عشْرين عَاما فَهَذَا هُوَ ظَاهر....».

(٣) قوله: «قال ابن حزم...» إلى هنا سقط من (ج). انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/ ٤٩).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٢)، و«زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٣/ ٥٠٨).

فقِيلَ: المرادُ بالزِّيادةِ في العُمرِ: السَّعةُ في الرِّزقِ واليَسَارُ والزِّيادَةُ فيهِ؛ لأنَّ الفَقرَ مَوتٌ، كمَا في الأخبَارِ: إنَّ اللهَ تَعَالى أعلَمَ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ بأنَّهُ يمُوتُ عَدُوُّهُ، ثمَّ رآهُ بعْدَ ذلِكَ ينسُجُ الخُوصَ، فقَالَ: يا رَبِّ! وعَدْتَني أنْ تُميتَهُ. قالَ: قَدْ فعَلْتُ، ذلِكَ لأنِّي أفقَرْتُهُ.

قلتُ: وفي هَذا الجَوابِ نظَرٌ؛ لأنَّ السَّعَةَ في الرِّزقِ، أمرٌ قدْ فُرِغَ مِنهُ في الأزَلِ، كالعُمرِ.

وقيلَ: المرادُ بالزِّيادَةِ في العُمرِ: نفْيُ الآفَاتِ عَنهُمْ، والزِّيادَةُ في أفهامِهِمْ وعُقُولِهِمْ وبَصَائرِهِمْ.

قلتُ: وفيهِ نظَرٌ، لِمَا مرَّ.

وقيلَ: إنَّ اللهَ يكتُبُ أجَلَ عَبدِهِ مئةَ سَنةٍ، وجعَلَ تَركِيبَهُ وبنيتَهُ وهَيئتَهُ، كتَعمِيرِ ثمانِينَ سَنة، فإذا وصَلَ رحِمَهُ زادَ اللهُ في ذلِكَ التَّركِيبِ، وفي تِلكَ البِنيَةِ، ووَصَلَ ذلكَ النَّقصَ، فعاشَ عِشرِينَ أُخرَى، حتَّى بلَغَ المئةَ، وهوَ الأجَلُ الذِي لا يَستَأخرُ عَنهُ ساعَةً ولا يستَقدِمُ.

وقالَ ابنُ حَزمٍ: إنما مَعنَاهُ: إنَّ اللهَ تَعَالى لَمْ يزَلْ يعلَمُ أنَّ زيدَاً سيَصِلُ رحِمَهُ، وأنَّ ذلِكَ سببٌ إلى أنْ يبلُغَ مِنَ العمُرِ كذا وكذا. وكذا كلُّ حَيٍّ في الدُّنيا؛ لأنَّهُ مِن علمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ أنَّهُ سيُعمِّرُهُ كذا وكذا منَ الزَّمانِ، وأنَّهُ تَعَالى قَدْ علِمَ أنَّهُ سيُغذى بالطَّعامِ والشَّرابِ، ويتنفَّسُ بالهَواءِ، ويسْلَمُ مِنَ الآفاتِ القاتِلَةِ تِلكَ المدَّةَ، ويكُونُ كلُّ ذلِكَ سَبباً إلى بُلوغِهِ تلْكَ المدَّةَ التي لا بُدَّ مِن استِيفائها، فالسَّببُ والمسبَّبُ كلُّ ذلِكَ قدْ سبَقَ في عِلْمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، كما هوَ لا يُبدَّلُ. انتهى(١).

---

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٣/ ٤٩).

وقيلَ: إنَّ هذِهِ الزِّيادَةَ بالنِّسبَةِ إلى ما يظْهرُ للمَلائكَةِ في اللَّوحِ المحفُوظِ، فيظْهَرُ لهُمْ أنَّ عمُرَهُ ستُّونَ سنَةً، إلا أنْ يصِلَ رحِمَهُ، فإنْ وصلَها زِيدَ لهُ أربعُونَ، وقَدْ علمَ اللهُ ما سيقَعُ لَهُ مِن ذلِكَ عِلْماً أزليّاً.

قالَ الحافِظُ الجَلالُ السُّيوطِيُّ: قَدْ تظَاهَرَتِ الأحادِيثُ والآثارُ عِندِي، عَلَى زيادَةِ العمُرِ ونقصِهِ، بالنِّسبَةِ إلى ما كُتِبَ في اللَّوحِ المحفُوظِ، أو برَزَ إلى الملائكَةِ، لا بالنِّسبَةِ إلى ما عَلِمَ اللهُ تَعالى، فإنَّ عِلمَهُ أزَليٌّ لا يتَغيَّرُ، والأشْياءُ كلُّها واقِعةٌ عَلَى وَفقِ عِلمِهِ في الأزَلِ مِن غَيرِ زِيادَةٍ ونَقصٍ. انتَهى[1].

قالَ ابنُ حَزمٍ: لا يكُونُ البتَّةَ إلا ما سبَقَ في عِلمِهِ أنَّهُ سيَكُونُ، فمَنْ يسْألُ عنِ المقتُولِ: لو لم يُقْتَلْ، أكانَ يمُوتُ أو يَعيشُ؟ فسُؤالُهُ سَخِيفٌ فاسِدٌ؛ لأنَّهُ إنما سَألَ: لو لمْ يمُتْ هذا الميْتُ، أكانَ يَموتُ، أم كانَ لا يمُوتُ؟!

وهذِهِ حمَاقةٌ[2]؛ لأنَّ القتْلَ علَّةٌ للمَوتِ، كما أنَّ الحمَّى القاتِلَةَ، والبَطَنَ القاتِلَ، وسائرَ الأمْراضِ القاتِلَة، عِللٌ للمَوتِ الحادِثِ عَنها، ولا فرْقَ. انتَهى[3].

وكمَا أنَّ الطبَّ سبَبٌ للبُرءِ، فقَدْ صحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تصْحِيحُ الطِّبِّ، والأمرُ بالعِلاجِ، وأنَّهُ قالَ: «تدَاوَوا، فإنَّ اللهَ تَعَالى لمْ يخلُقْ داءً، إلَّا خلَقَ لهُ دَواءً إلا السَّامَّ، والسَّامُّ: الموْتُ»[4].

---

(١) لم أقف على هذا النقل للإمام السيوطي فيما بين يدي من كتب.

(٢) عبارة ابن حزم: وهذه حماقة جداً.

(٣) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٣/ ٤٩).

(٤) أخرجه ابن ابي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٢٢٠)، وسكت عنه الذهبي، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولا اعتِبارَ باعتراضِ قَومٍ قالُوا: قَدْ سبَقَ عِلمُ اللهِ في نهايَةِ أجَلِ المرْءِ، ومُدَّةِ صحَّتِهِ، ومدَّةِ سقَمِهِ، فأيُّ مَعنىً للعِلاجِ؟

فيُقالُ لهُمْ: جمِيعُ ما يتصَرَّفُ فيهِ النَّاسُ مِنَ الأكْلِ والشُّربِ واللِّباسِ، لطَردِ البَردِ والحَرِّ، والسَّعيِ في المعَاشِ بالحرْثِ والغَرْسِ، والحِرَفِ والصَّنائعِ، وغَيرِ ذلِكَ، وقَدْ سبَقَ عِلمُ اللهِ بنهَايةِ الأجَلِ، والصِّحَّةِ والسَّقَمِ، فأيُّ مَعنىً لذلِكَ كلِّهِ، إلا أنْ يقُولُوا: علْمُ اللهِ قدْ سبَقَ بما يكُونُ مِن ذلِكَ، وبأنَّها أسبَابٌ، إلى بُلوغِ نهايَةِ العمُرِ المقدَّرِ.

فنَقولُ لهُمْ: هكَذا الطِّبُّ، قدْ سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّهُ سببٌ للبُرءِ، وطُولِ العمُرِ، فصَحَّ أنَّ كلَّ ذلِكَ مُقدَّرٌ سابِقٌ في عِلمِ اللهِ تَعَالى.

قُلتُ: هذا حاصِلُ كَلامِ الفَرِيقَينِ في هَذِهِ المسْألَةِ، وما قالُوهُ مِن دَليلٍ وتَعلِيلٍ، وهذا الجَوابُ الأخِيرُ هوَ الحقُّ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالى، ولعلَّهُ مُرادُ كلٍّ مِنَ الفَرِيقَينِ، والخِلافُ بَينَهُما لفظِيٌّ؛ إذ لا يسَعُ مَن لهُ أدْنَى تأمُّلٍ أنْ يُخالِفَ في أنَّ عِلمَ اللهِ تَعَالى لا يَتغَيَّرُ ولا يَتبدَّلُ، ولا يسَعُ مَن أمعَنَ النَّظَرَ في الآياتِ والأحادِيثِ الوارِدَةِ في المحْوِ والإثْباتِ منَ اللَّوحِ أنْ يخالِفَ في وُقوعِ ذلِكَ فيهِ.

وهذا فيهِ دَلالةٌ عَلَى مَزِيدِ قُدرَةِ اللهِ وعَظَمتِهِ، حَيثُ يتصَرَّفُ في العالمِ العُلويِّ والسُّفلِيِّ بما شاءَ مِن محوٍ وإثْباتٍ، وغيرِها[1]، وأنَّهُ لا حَجْرَ عَلَيهِ في فِعلِهِ، بخِلافِ ما إذا قُلنا: بعدَمِ وُقوعِ المحوِ والإثْباتِ، فيكُونُ فيهِ ما فيهِ، عَلَى ما فيهِ.

فتلَخَّصَ: أنَّ ما في عِلمِ اللهِ تَعَالى، لا يَتغيَّرُ ولا يَتبَدَّلُ، وما في اللَّوحِ المحفُوظِ يُغيَّرُ ويبَدَّلُ ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] فتأمَّلْ!!

---

(١) في (ج): «وغيرهما».

فإنْ قُلتَ: يرُدُّ هذا ما مَرَّ نقْلُهُ عَنِ المفسِّرينَ، مِن أنَّ اللَّوحَ المحفُوظَ محفُوظٌ مِن الشَّياطِينِ، ومِن أنْ يغيَّرَ أو يبدَّلَ![1]

قلتُ: ذلِكَ كِنايةٌ عَنْ صَونِهِ وحِفظِهِ، مِن أنْ يتطَرَّقَ إليهِ خَللٌ أو فسَادٌ مِن أحَدٍ مِن المخلُوقاتِ، بلِ اللهُ هوَ الذِي يمحُو ويُثبِتُ، ألا تَراهُ أسنَدَ ذلِكَ إلى نفسِهِ، فقَالَ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

فإنْ قلتَ: يرُدُّ هَذا ما مرَّ نقْلُهُ مِنَ الأحادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مِن أنَّ اللهَ تَعَالى لَمَّا خلَقَ القلَمَ كتَبَ مقادِيرَ كلِّ شيءٍ، وما هُوَ كائنٍ إلى يومِ القِيامَةِ[2]، والمثبَتُ بعدَ المحْوِ، لمْ يكتَبْ إلا بعْدَ المحْوِ، فيلزَمُ[3] أنَّهُ لمْ يَكتُبْ مقادِيرَ كلِّ شَيءٍ حِينئِذٍ.

قلتُ: هوَ قَويٌّ، وجوابُهُ: إنَّ المثبَتَ بعدَ المحوِ كانَ مَوجُوداً فيهِ، ولكنَّ اللهَ لمْ يُطلِعْ علَيهِ الملائكَةَ إلا بعْدَ إثبَاتِهِ، فعَلَى هذا فالمحْوُ والإثبَاتُ إنما هُوَ راجِعٌ إلى الملائكَةِ الموكَلِينَ باللَّوحِ بحسَبِ ما يتراءَى لهُمْ، فيكُونُ ذلِكَ لهُمْ عِبرةً تامَّةً، وحِكمَةً بالغةً مِن أنَّ اللهَ تَعَالى هوَ المتَصرِّفُ التَّصرُّفَ العَامَّ المطلَقَ، مِن غَيرِ مُعارِضٍ لهُ، لا إلَهَ إلا هُوَ، يَفعَلُ ما يشَاءُ، ويحكُمُ ما يُرِيْدُ.

فتَأمَّلْ!! فإني لم أرَ في كَلامِهِمْ مَن صرَّحَ بهذَينِ السُّؤالَينِ وجَوابِهِما، والحامِلُ لي علَى ذِكرِهما: دَفعُ اعتِراضٍ ما عسَاهُ أنْ يرِدَ عَلى ما حقَّقهُ الحافِظُ السُّيوطيُّ تبَعاً لجَماعةٍ محقِّقينَ جامِعِينَ بينَ ما وَرَدَ منَ الأحادِيثِ والآياتِ المتعَارِضَةِ، فافْهَمْ، واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٠)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٦٧)، و«تفسير الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) في (ج): «فلزم».

خاتمةٌ

وقَعَ في كلامِ بَعضِ العُلَماءِ مِن أهلِ التَّصوُّفِ وغيرِهِمْ: اعلَمْ أنَّ كلَّ ما قدَّرَ اللهُ تَعَالى مِن ابتِداءِ العالَمِ إلى آخِرِهِ، مَسطُورٌ مُثبَتٌ في اللَّوحِ المحفُوظِ، وهوَ لَوحٌ لا يُشبِهُ لوحَ الخَلقِ، وثُبوتُ المقادِيرِ في هذا اللَّوحِ تُضَاهِي ثُبوتَ كَلِماتِ القُرآنِ في دِماغِ حافِظِهِ، حتَّى كأنَّهُ يقرَؤهُ، وينظُرُ إلَيهِ، ولَو فتَّشْتَ دِماغَهُ لم تُشاهِدْ شَيئاً، فاللَّوحُ كمِرآةٍ تظْهرُ عَلَيها الصُّوَرُ، والقَلْبُ إذا تخلَّصَ مِن الشَّواغِلِ، وكانَ صافِياً جَوهَرُهُ ارتفَعَ الحِجَابُ بينَهُ وبينَ اللَّوحِ المحفُوظِ، فوقَعَ فيهِ كلُّ شَيءٍ مما في اللَّوحِ، كما تقَعَ الصُّورَةُ مِن مِرآةٍ أُخْرَى[1].

ثمَّ إنَّ لقلْبِ الإنسَانِ عينَينِ، عَلَيهِما غِشَاوةٌ كثِيفَةٌ مِن شَهَواتِهِ وأشْغَالِهِ الدُّنيويَّةِ، فصَارَ لا يَكادُ أنْ يُبصِرَ شَيئاً، مِن عَجائِبِ الغَيبِ والملَكُوتِ، ما لَمْ تنقَشِعْ تلْكَ الغِشَاوةُ عَن عَينَي قَلبِهِ، ولَمَّا كانَتْ تلْكَ الغِشاوَةُ مُنقشِعةً عن أعْينِ الأنْبياءِ وبَعضِ الأوْلِياءِ، فلا جرَمَ أنهُمْ نَظَروا إلى الملَكُوتِ وشاهَدُوا عَجَائبَهُ، وشاهَدُوا الموْتَى في عالَمِ الملَكُوتِ، وأخْبَرُوا عنهُمْ.

واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ، وعَلَى رَسولِهِ محمَّدٍ صلَّى وسلَّمَ، وعَلَى سَائِرِ إخْوانِهِ منَ النَّبيينَ والمرسَلِينَ، وآلِ كُلٍّ وصَحْبِهِ أجمَعِينَ.

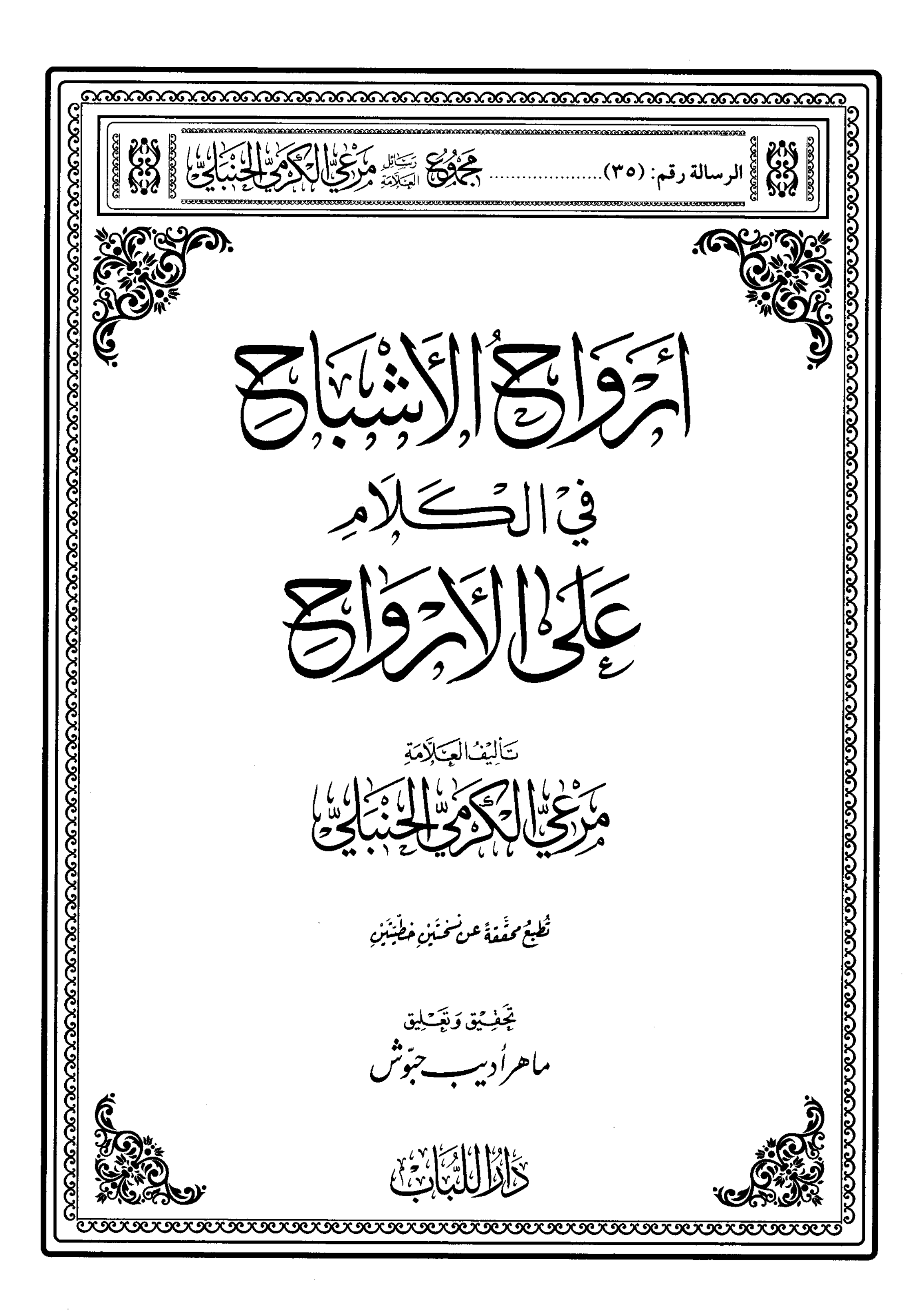
قالَ مُؤلِّفهُ الحَقِيرُ: مَرعِيُّ بنُ يُوسُفَ الحنْبَلِيُّ: لخَّصتُ هَذهِ الرِّسالَةَ مِن كِتَابي: «بهجَةِ النَّاظِرِينَ»، وكِتَابي «أرْواحِ الأشبَاحِ»[2] في يَومَي السَّبتِ والأحَدِ في العِشْرِينَ مِن رَمَضانَ، سنَةَ ١٠٢٢.

---

(١) في (ج): «في مرآة أخرى».

(٢) وهو أيضاً مختصر من كتابه «إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾» وتكاد الكلمات تكون متطابقة حتى في المقدمة.




مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي
الرسالة رقم: (٣٥)
أرواح الأشباح
في الكلام
على الأرواح
تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
تطبع محققة عن نسختين خطيتين
تحقيق وتعليق
ماهر أديب حبوش
دار اللباب

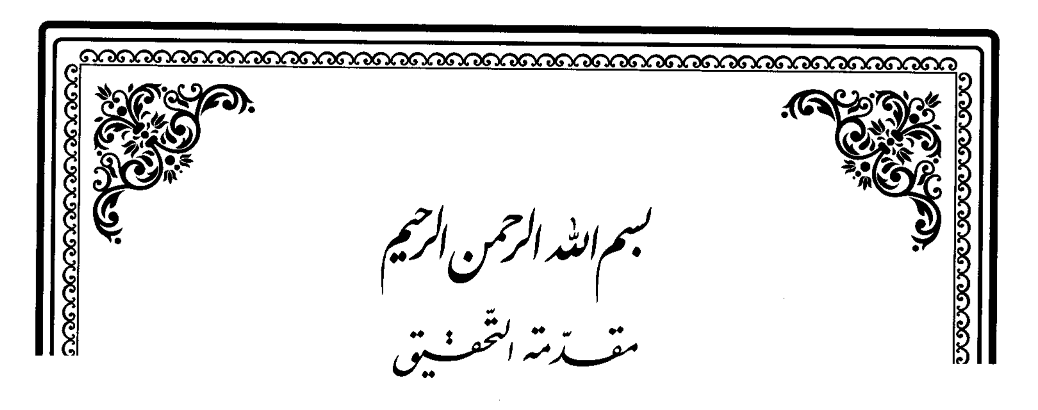
ارديه عواطفه، واسال على كافة الفقرا اجدا ول
اوديه عوارفه ومعارفه، فلم يزل غاموا للواردين
ملتطم تيار بحر فرايده، ولم تزل جواري الزهر في قاع
البحر اللا تناهي فرايد قلايده، وزاحم بعلو همته الكواكب
بمنكبيه، ووطئ فرق الفرقدين بقدميه، ودانت
لعظمته وعظيم مهابته شم الانوف، وان تصدت لمواثلة
الشمس فاعتراها من مخافته الكسوف، وقمع [illegible]
الاكاسرة، وردع بسطوته الجبابرة ذوي الف
الابجه والراي المسدد، والسعد المؤبد [illegible]
المنصور المؤيد [illegible]
[illegible] العادل، واحق [illegible] العاضل الفاضل امين
وقد اتحفت جنابه العالي بهذا الكتاب، وجعلته
وصلة لمزيد الثواب، فهاك كتابا لم يسمح الزمان في
هذا الفن بمثله، ولم ينسج ناسج على منواله وشكله،
وسميته ارواح الاشباح في الكلام على الارواح

مكتبة أمجة زاده (أ)

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا حمدا لخالق
الاشباح من [illegible] لقابض الارواح وباري النسم
وتنويها لمن اوجد مخلوقاته على وفق ما جرى به القلم
[illegible] لمن زين الاشباح بالارواح وسوابغ النعم [illegible]
لمن من علينا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وتوحيدا لمن جعل الروح من
العلم المكتوم فلم تدرك ولم تعلم، حارت عقول
ذوي الالباب فيها فلم يدركوها، وتكلموا في حقيقتها
فلم يثبتوها، وطلبوا الوصول الى معرفتها فلم يعرفوها
فما بقي الا التسليم والتسليم اسلم، عقول تاهت في
حقيقتها وانفس وقلوب حارت في ادراك معناها
فانى لها ان تدرك الها ازليا موجودا من قبل في القدم
المنزه عن ان يخطر بالخواطر، و[illegible] في الضماير، الذي
تفضل على من شاء بما شاء، وانعم احمده حمد عبد معترف
بالعجز والتقصير ظالم في نفسه ولنفسه الملتزم والصلاة
والتسليم على من اعطاه الله علم الاولين والاخرين وما
كان

كان وما سيكون كيف لا وهو النبي الامي المعظم
المختوم صلى الله عليه وعلى ساير اخوانه من النبيين
والمرسلين وعلى آل كل وصحبه وسلم وشرف وكرم
ومجد وعظم وبعد فيقول احقر الورى واذل
الفقرا مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي قد خطر بالبال
وتخيل في الفكر والخيال ان الخص مختصرا لطيفا
ومختصرا شريفا اخذته من مبحث الروح من كتابي الموسوم
ببهجة الناظرين وايات المستدلين وانما افردته
منه لان مبحث الكلام في الروح مبحث شريف والعلم
باشارات تقرب اليها علم مقدار منيف كيف لا
وقد قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف
ربه وها انا اذكر ما تيسر ذكره ليزداد الطالب
في العرفان رغبة اذ انظر في حال هذه النفس
التي بين جنبيه وتفكر وتامل فيما نضير اليه
وتذكره وقد اكثرت في ذلك من ذكر كلام اهل
السنة والجماعة العالمين وتركت غالبا اقوال
اهل الضلالة والمبتدعين وجمعت ما تفرق جمعه
من كلام الايمة في هذا الكتاب وابدعت فيه الغرايب
مما يسر ذوي الالباب فهاك كتابا لم يسمح الزمان في

مكتبة بايزيد (ب)



الحمدُ للهِ خالقِ الأَرواحِ وفالقِ الإِصباحِ، والصَّلاةُ والسلامُ على عبدِهِ ونبيِّه الصادقِ الأمينِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

وبعدُ:

فيقولُ سبحانهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فقد بيَّن سبحانه في هذه الآيةِ أنَّ حقيقةَ الرُّوحِ أمرٌ اخْتصَّ به لنَفْسه، ولم يُطْلعْ عليه أحداً مِن خَلْقه، فلا يجوزُ لأحدٍ أن يتكلَّمَ فيه، ومِن هنا الْتزَمَ علماءُ الأمَّةِ بهذا الحدِّ الذي رُسِمَ لهم ولم يخوضُوا في هذه المسألة.

لكنَّ هذا لا يَعني عدَمَ تناوُلِ بعضِ المسائلِ المتعلِّقةِ بها، والتي جاءَ في القرآنِ والسنَّةِ إشاراتٌ إليها، ومِن هنا انْبَرى بعضُ العلماءِ بما آتاهُ اللهُ من سَعَةِ العلمِ وعُمقِ الفَهْمِ ببَحْثِ بعضِ المسائلِ، مُستَنْبِطاً من الآياتِ القرآنيَّة والأحاديثِ النَّبويَّة بعضَ الحقائقِ المتعلِّقةِ بالأرواح، لكنْ دونَ الخَوْضِ في حقيقتِها، الذي منعَ اللهُ سبحانهُ منه بالآيةِ المذكورة.

ومِن هنا جاءَتْ بعضُ المؤلَّفات التي عُنِيَتْ بهذا الجانب، ولعلَّ مِن أحسنِ ما كُتبَ فيه وأوسعِهِ، وأكثرِه الْتِزاماً بحدودِ الشَّريعةِ وانطلاقاً منها،

هـو كتـابُ «الـروح» لابن القيِّـم، الذي تنـاوَلَ فيه كثيـراً من المسـائلِ المهمَّـةِ التي تتعلَّـق بمسـألةِ الـروح، ومنهـا أيضـاً كتـاب: «شَـرْحُ الصُّدورِ بشَـرْح حـالِ الموتَى فـي القُبور» للسـيوطيِّ.

وهذه الرسالةُ للمؤلِّف رحمه الله سارَتْ على نَهْجِهما واستَمدَّت منهما، مُقتصِرةً على زُبدةِ الكلام، مُستدلَّةً بحديثِ سيدِ الأنام، وما وَرَدَ عن أصحابه الكِرام، ومستفيدةً من أقوالِ أئمَّةٍ أعلام، وسمَّاها مؤلفُها العلامةُ مرعي الكرميُّ:

«أرْواحَ الأشْباحِ في الكَلامِ عَلَى الأرْواحِ»

وقد نقلَ المؤلِّف فيها عن جمعٍ من أئمَّة التفسير، منهم: الطَّبريُّ وأبو الليث السَّمَرقنديُّ، والزمخشريُّ وابن عطيةَ والكَوَاشيُّ، والبغويُّ والرازيُّ والقُرطبيُّ وأبو حيَّانَ الأندلسيُّ، كما نقَل عن شرَّاحِ البخاريِّ كابنِ بطَّالٍ وابنِ حجرٍ العسقلانيِّ، وعن غيرِهم كابنِ العربيِّ والقاضي عبدِ الوهَّاب والكَرْمانيِّ، ومن مصادره الأساسيَّة كتاب: «الرُّوح» لابن القيم، لكنَّ أهمَّ كتابٍ اعتمدَ عليه واستمدَّ منه هو كتاب: «شَرْح الصُّدورِ بشَرْح حالِ الموتَى في القُبور» للسيوطيِّ، وبواسطته نقل كثيراً من الأخبارِ والأقوال والاستنباطاتِ والحُجَج.

لكـنْ ممَّـا يؤخَـذُ علـى المؤلِّف فيها اسـتدلالُه علـى أمـورٍ غيبيَّـةٍ ـ لا تُعلم إلا بتوقيـفٍ ـ بأخبـارٍ لـم تَـرِدْ في أيِّ ديـوانٍ من دَوَاوينِ السُّـنَّة، بـل لا يُعْرفُ لها إسـنادٌ أصـلاً، كتلـك التـي نقلهـا مـن «الـدرة الفاخـرة» للغزالـي مـن أن النَّفـسَ السَّـعيدةَ حيـن تُقبـض يُعـرجُ بها في الهـواءِ، فلا تـزالُ تمرُّ بالأُمـمِ السـالِفةِ والقُـرونِ الخالِيةِ كأمثَـالِ الجـرادِ المنتَشِـرِ حتَّـى تنتَهِـيَ إلـى السَّـماءِ الدُّنيـا، ثمَّ مِن سـماءٍ إلى سـماءٍ

إلـى السَّـماءِ السَّـابعةِ، ثـمَّ يصعَدُونَ بها إلى سِـدرةِ المُنتَهـى، ثمَّ يمرُّونَ بهـا في بحرٍ مِـن نـورٍ، ثـمَّ بحرٍ مِـن ظُلمةٍ، ثـمَّ بحرٍ مِن مـاءٍ، ثمَّ بحـرٍ مِن ثلـجٍ، ثمَّ بحرٍ مِـن بردٍ، كلُّ بحـرٍ طولُـهُ ألـفُ عـامٍ، حتـى ينتَهُـوا بها إلـى الحجُـبِ المضرُوبـةِ عَلَـى عرْشِ الرَّحمـنِ وهـوَ ثمانـونَ ألفَ سُـرادقٍ..إلى آخـر الكلام.

ولا نَـدْري مـن أيـنَ أتـى الغَزالـيُّ بهذه الأمـورِ الغيبيَّـة، فكتُـبُ السُّـنَّة أمامنا، وكلُّ شـيءٍ أصبَـحَ مُتاحـاً للناظريـنَ، ولـم نَجِـدْ هذا الذي ذكـرَه ممَّـا لا يَحِقُّ لأحد أن يخـوضَ فيـه إلا بدليـلٍ من القـرآنِ والسـنَّةِ الصحيحـة، فكيف بمـا لا يُوجدُ في صحيحـةٍ ولا ضعيفة؟

ومـن ذلـك ما نقلَـه عن الكَواشـيِّ مـن قولهِ: الـرُّوحُ ملَـكٌ عَظيـمٌ لَهُ سَـبعُونَ ألْـفَ وجْـهٍ، وهـوَ أعظَمُ خلْـقِ اللهِ تَعَالـى، وهوَ أقـرَبُ الخَلقِ إلـى اللهِ يـومَ القِيامَةِ، يشْـفَعُ لأهْـلِ التَّوحِيـدِ، لـولا أنَّ بينَـهُ وبيـنَ الملائكَـةِ سِـتراً مِن نُـورٍ لاحتـرَقَ أهلُ السَّـماواتِ مِـن نُورِهِ.

فمـن أيـن جـاء الكواشـيُّ بهـذا العلـمِ الغيبـيّ، ومـا هـو دليلـه من القـرآن أو الأثـرِ النَّبوي؟

ومما يؤخَذُ عليه أيضاً بعضُ الأوهام كنِسْبتِهِ إلى الإمامِ أحمدَ القولَ بأنَّ أرواحَ أطفالِ المسلِمينَ في الجنَّة مجمعٌ عليه، والصَّوابُ أنَّ كلام الإمامِ رحمه الله في مآلهم لا في أرواحهم الآنَ كما بينَّاه في مكانه.

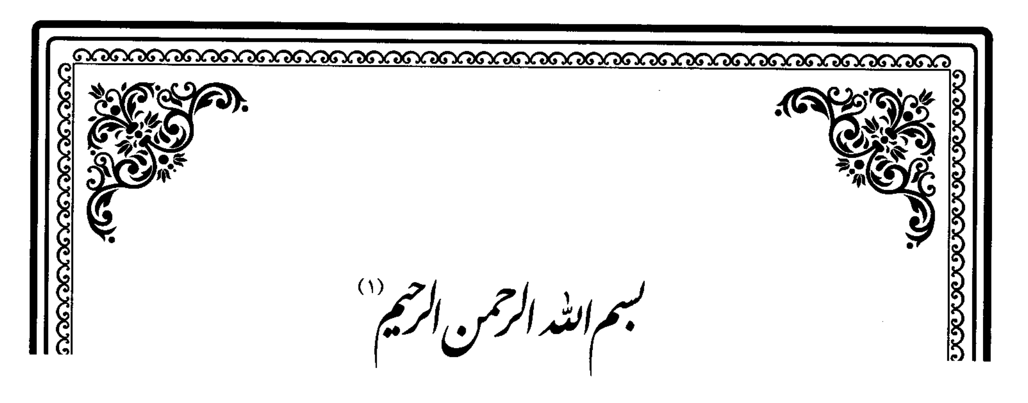
لكنَّ ما ذُكِرَ لا يَغُضُّ مِن فضلِ هذا الكتابِ، الذي كَثُرتْ فوائدُه واتَّسَعَتْ عوائدُه، وخصوصاً مع ما أعانَنَا اللهُ عليه مِن تنقيحٍ وتَصْحيحٍ، وألْهَمَنا إيَّاه مِن البيانِ والتَّوضيحِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

وقد اعتَمَدْنا في تحقيقِه على نسختَينِ خطيَّتينِ جيِّدتينِ، هما: نسخةُ أمجه زاده ورُمِزَ لها بـ(أ)، ونسخة بايزيد ورمزها: (ب)، كما استعنَّا بالمصادرِ لا سيَّما كتابُ السيوطيِّ من أجلِ تقويم عبارةٍ، أو استدراكِ سقطٍ، أو تصحيحِ تحريفٍ، ونحوِ ذلك مما يؤدِّي إلى خدمةِ النصِّ وإبرازِه بأحسنِ حلَّة، كما أراده مؤلِّفُه.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

المحقق

* * *



ربَّنـا آتِنـا مِـن لدُنْـكَ رحمـةً وهيِّئ لنا مِـن أمرِنا رَشَـدا، حمـداً لخالِقِ الأشـباحِ مِـن العَدَم، وشُـكراً لقابِـضِ الأرواحِ وبارِئ النَّسَـم، وتَنْزيهاً لـمَن أَوْجَـدَ مخلوقاتِه علـى وَفْقِ ما جَرَى به القَلَم، وتَقْديسـاً لـمَن زيَّنَ الأشـباحَ بالأرواحِ وسَـوَابغِ النِّعَم، وتمجيـداً لـمَن مَـنَّ علينا وعلَّمَنا ما لـم نكُنْ نَعْلَم، وتوحيداً لـمَن جَعَـلَ الرُّوح من العِلْـم المكْتُوم فلـم تُدْرَكْ ولـم تُعْلَم.

حـارَتْ عقـولُ ذوي الألبـابِ فيهـا فلـم يُدْرِكوهـا، وتكلَّمـوا فـي حقيقتِهـا فلـم يُثْبِتوهـا، وطلبـوا الوصـولَ إلـى معرفتِهـا فلـم يَعْرِفوها، فمـا بقي إلا التَّسـليمُ والتسـليمُ أسـلم.

فعقـولٌ تاهَـتْ في حقيقـةِ ذَواتها، وقلوبٌ حـارَتْ فـي إدراكِ صِفاتهـا، فأنَّى لهـا أنْ تُـدْرِكَ إلهـاً أزليًّـا موجوداً مِـن قَبْلُ في القِـدَم، المنـزَّهُ عمَّا يَخطُـرُ بالخواطِر

(١) البسملة إضافة من المحقق، وقد جاء على غلاف النسخة (ب) ما نصه: «برَسْمِ سيِّدِنا ومولانا فريدِ الذَّاتِ والصِّفات، حَمِيدِ الخِصَالِ والسِّمَات، الإمامِ الفاضِل، والـهُمَامِ الكامِل، مَن هو بحرٌ لكلِّ فضلٍ محيطٌ، وحازَ المجدَ الكاملَ بالجُودِ البسيط، الرَّوْضِ المَمْطورِ إلَّا أنه الـمُزْهِر، والصَّباحِ المنشورِ إلَّا أنَّه الـمُسْفِر، الحَبْرِ الذي فاقَ بصفاتهِ الأوائل، والبَحرِ المشتمِلِ بذاتِهِ على جواهِرِ الفضائل، سيِّدِنا ومولانا حجِّي أفندي، لا بَرِحَتْ بحارُ الـمَكارِمِ مِن أياديهِ متفجِّرة، ووجوهُ العطايا تَصْدُرُ عن راحَتِها وهي ضاحكَةٌ مستبشِرَة».

ويَهْجِسُ في الضَّمائر، الذي تفضَّلَ على مَن شاءَ بما شاءَ وأَنْعَم.

أَحْمَدُه حَمْدَ عبدٍ مُعترِفٍ بالعجزِ والتَّقصير، ظالمٍ في نفسِه ولنَفْسِه أَظْلَم.

والصلاةُ والتَّسليمُ على مَن أعطاهُ اللهُ علمَ الأوَّلينَ والآخِرين، وما كان وما سيكُون، كيف لا وهو النَّبيُّ الأمِّيُّ المعظَّمُ المحترَم، صلَّى اللهُ عليه وعلى سائرِ إخوانهِ من النَّبيِّين والمرسَلِين وعلى آلِ كلٍّ وصَحْبِه وسَلَّم، وشرَّفَ وكَرَّم، ومَجَّدَ وعَظَّم.

وبعدُ:

فيقولُ أحقرُ الورى، وأذلُّ الفُقَرا، مَرْعيُّ بنُ يوسُفَ المقدسيُّ الحنبليُّ: قد خَطَر بالبال، وتَخيَّلَ في الفِكْرِ والخيَال، أنْ ألخِّصَ مجموعاً لطيفاً، ومختصَراً شريفاً، أخذْتُه من مَبْحَثِ الرُّوح من كتابي الموسومِ بـ: «بَهْجَةُ النَّاظِرينَ وآياتُ المستدلِّين»، وإنَّما أَفْرَدْتُه منه لأنَّ مَبحَثَ الكلامِ في الرُّوحِ مَبْحثٌ شريف، والعِلْمَ بإشاراتٍ تقرِّبُ إليها عِلْمٌ مقدارُه مُنيف، كيف لا وقد قال عليه السَّلام: مَن عَرَفَ نَفْسَه فقد عَرَفَ ربَّه[١].

وها أنا أَذْكُرُ ما تَيَسَّر ذِكْرُه ليَزدادَ الطَّالبُ في العِرْفانِ رغبةً إذا نَظَر في حالِ هذه النَّفْسِ التي بين جَنْبَيِهِ وتَفكَّر، وتَأمَّلَ فيما تَصيرُ إليه وتَذَكَّر، وقد أكثرتُ في ذلك من ذِكْرِ كلامِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ العالِمِين، وتركتُ غالباً أقوالَ أهل الضَّلالةِ والمبتدِعِين، وجَمعْتُ ما تَفرَّقَ جمعُه مِن كلامِ الأئمَّةِ في هذا الكتاب، وأَبْدَعْتُ فيه الغَرائبَ ممَّا يَسُرُّ ذَوِي الألباب[٢].

---

(١) قال أبو المظفر ابن السمعاني: لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني: من قوله، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص٦٥٧). وذكره السلمي في «تفسيره» (٢/ ٨٦) من قول علي رضي الله عنه.

(٢) من أول الرسالة إلى هنا وقع بدلًا منه في (أ) نصٌّ غير مكتمل قد سقط أولُه، وهذا لفظ ما وُجد =

فهاكَ كِتَاباً لَمْ يسمَحِ الزَّمانُ في هذا الفنِّ بمثلِهِ، ولَمْ يَنسُجْ ناسِجٌ عَلَى مِنوالِهِ وشكْلِهِ، وسمَّيتهُ:

«أرْواحَ الأشْباحِ في الكَلامِ عَلَى الأرْواحِ»

فأقُولُ وباللهِ التَّوفِيقُ ومنهُ أرْجُو الهِدايةَ إلى أقوَمِ طَرِيقٍ:

مُقدِّمةٌ في الكَلامِ عَلَى قَولِهِ تَعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ **الآيَةَ:**

اختَلَفَ المفسِّرُونَ: ما المُرادُ بالرُّوحِ؟

ففِي «تفسِيرِ السَّمرقَندِيِّ»: قالَ مجاهِدٌ: الرُّوحُ خَلْقٌ مِن خَلْقِ اللهِ لهُ أيْدٍ وأرْجُلٌ[١].

وفي «تفسِيرِ ابنِ عادِلٍ» عن مجاهِدٍ: الرُّوحُ خَلْقٌ عَلَى صُورةِ بني آدمَ يأكُلُونَ ويشْرَبونَ، لهُمْ أيدٍ وأرْجُلٌ، لَيسُوا بملائكَةٍ، وهُمْ يَضعُفُونَ عَنِ الملائكَةِ، قالَ أبو صَالحٍ: وهم[٢] يُشبِهُونَ النَّاسَ وليسُوا بناسٍ[٣].

= منه: «أردِية عواطِفِهِ، وأسالَ عَلَى كافَّةِ الفقرِ أجدَّ أولِ أودِيةِ عوارِفِهِ ومَعارِفِهِ، فلَمْ يزَلْ غامِراً للوارِدِينَ بملتَطِمِ تيَّارِ بحرِ فرائدِهِ، ولمْ ترتمي جوارِي الزُّهدِ في قاعِ البحرِ إلا لتُضاهِيَ فرائدَ قلائدِهِ، وزاحَمَ بعلُوِّ همَّتِهِ الكواكِبَ بمنكِبَيهِ، ووطِئَ فرقَ الفرقَدَينِ بقدَميهِ، ودانَتْ لعظَمتِهِ وعظِيمِ مهابتِهِ شُمُّ الأنُوفِ، وارتعَدتْ لصولَتِهِ الشَّمسُ فاعترَاها مِن مخافتِهِ الكسُوفُ، وقمَعَ بقوَّتِهِ الأكاسِرةَ، وردَعَ بسطْوتِهِ الجبابرَةَ، ذي الألَقِ الأمجدِ، والرأيِّ المسدَّدِ، والسَّعدِ المؤبَّدِ، والوزِيرِ المنصورِ المؤيَّدِ،... دولتَهُ العادلَةَ، وأحكامَهُ الفاصِلةَ الفاضلَةَ، آمِينَ. وقد أتحفْتُ جَنابهُ العالي بهذا الكِتابِ، وجعَلتُهُ وصلَةً لمزِيدِ الثوابِ».

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٢٧). ورواه بهذا اللفظ أبو الشيخ في «العظمة» (٤٢٢).

(٢) «وهم» من (ب).

(٣) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (١٢/ ٣٧٥). وليس فيه: (وهم يضعفون عن الملائكة). =

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ: الرُّوحُ خلقٌ مِنْ خَلقِ اللهِ تَعَالى صُورهُمْ كصُورِ بنِي آدَمَ، وما ينزِلُ مِنَ السَّماءِ ملَكٌ إلا ومعَهُ واحِدٌ مِنَ الرُّوحِ[1].

وفي «تفسِيرِ السَّمرقَندِيِّ»: قالَ مُقاتلٌ: الرُّوحُ ملَكٌ عَظيمٌ عَلَى صُورةِ الإنسَانِ أعظَمُ مِن كلِّ مخلُوقٍ.

وفيهِ أيضاً: رُوِيَ في بَعضِ الرِّواياتِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أَنَّهُ قالَ: الرُّوحُ ملَكٌ لهُ مِئةُ ألفِ جَناحٍ، كلُّ جَناحٍ لو فتَحهُ لأخَذَ ما بَينَ المشرِقِ والمغرِبِ[2].

وفي «تفسِيرِ الكَواشِي»[3]: الرُّوحُ ملَكٌ عَظيمٌ لَهُ سَبعُونَ ألْفَ وجْهٍ، وهوَ أعظَمُ خلْقِ اللهِ تَعَالى، وهوَ أقرَبُ الخَلقِ إلى اللهِ يومَ القِيامَةِ، يشْفَعُ لأهْلِ التَّوحِيدِ، لولا أنَّ بينَهُ وبينَ الملائكَةِ سِتراً مِن نُورٍ لاحترَقَ أهلُ السَّماواتِ مِن نُورِهِ.

وقالَ ابنُ مَسعُودٍ: الرُّوحُ مَلكٌ أعظَمُ مِنَ السَّماواتِ ومنَ الجِبالِ، وأعظَمُ منَ الملائكَةِ، يسبِّحُ اللهَ كلَّ يومٍ اثنَتي عشْرَةَ ألْفَ تَسبِيحَةٍ، يخلُقُ اللهُ مِن كلِّ تَسبِيحةٍ مَلَكاً يجِيءُ يَومَ القِيامَةِ صفّاً واحِداً[4].

= ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٤٦٩) عن مجاهد بلفظ: (الروح يأكلون ولهم أيد وأرجل ولهم رؤوس وليسوا بملائكة).

وابن عادل نقل كلامه من «تفسير الرازي» (٢١/ ٣٩٤)، وقد عقبه الرازي بقوله: ولم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول.

(١) رواه مجاهد عن ابن عباس كما في «تفسير مجاهد» (ص٦٩٦)

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٢٧).

(٣) الكواشي هو أبو العباس، موفق الدين، أحمد بن يوسف الموصلي الشيباني الشافعي المتوفى سنة (٦٨٠)، واسم تفسيره: «التبصرة»، وهو تفسيره الكبير، ثم لخصه وسماه: «التلخيص»، وله أيضاً: «كشف الحقائق في التفسير». انظر: «كشف الظنون» (١/ ٤٥٧ و٤٨٠) و(٢/ ١٤٨٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦ ـ ٤٧). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا قول غريب جدًّا.

وفي «السَّمرقندِيِّ»: يُقَالُ: إنَّ جمِيعَ الملائكَةِ تكُونُ صفّاً واحِداً والرُّوحُ بنَفسِهِ يكُونُ صفّاً واحِداً[١]؛ لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨][٢].

وقِيلَ: الرُّوحُ جِبريلُ، يؤيِّدُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقيلَ: الرُّوحُ القُرآنُ، يؤيِّدُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقيلَ: الرُّوحُ عِيسَى عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وقيل: الوحي[٣]. وقيلَ: القوَّةُ، وقِيلَ: سألُوهُ عَنْ مَلَكٍ لهُ ألسِنَةٌ، وقِيلَ غيرُ ذلِكَ[٤].

وذهَبَ أكثَرُ المفسِّرينَ ـ وهوَ الحقُّ ـ: أنَّ المُرادَ بالرُّوحِ هُنا: الذِي في الجسَدِ، وبهِ حَياةُ الحَيوانِ، ففي البُخارِيِّ والسَّمرقَنْدِيِّ والكَواشِيِّ و«الكشَّافِ» وغيرِها عنِ ابنِ مَسْعُودٍ أنَّهُ قالَ: كُنتُ أمشِي معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فمَرَّ بقَومٍ منَ اليَهُودِ، فقَالَ بعضُهُمْ: سَلُوهُ عنِ الرُّوحِ، وقالَ بعضُهُمْ: لا تسَلُوهُ[٥]، فقَالُوا: يا محمَّدُ! ما الرُّوحُ؟ فقَامَ مُتوكِّئاً عَلَى عَسِيبٍ، فظَنَنْتُ أنَّهُ يُوحَى إليهِ، فنزَلَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآيَةَ، فقَالَ بَعضُهُمْ لبَعضٍ: قدْ قُلنا لكُمْ: لا تسْألُوهُ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٢٧).

(٢) «لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾» من (ب).

(٣) «وقيل: الوحي» من (ب).

(٤) «وقِيلَ غيرُ ذلِكَ» من (أ).

(٥) في (ب): «تسألوه».

(٦) رواه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤)، وانظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٢٧)، و«الكشاف» (٢/ ٧١٥).

قالَ القُرطبيُّ: الرَّاجِحُ أنهُمْ سَألُوهُ عَنْ رُوحِ الإنسَانِ[١].

وقالَ الإمَامُ الفَخرُ: المختَارُ أنهُمْ سألُوهُ عَنِ الرُّوحِ الذِي هوَ سبَبُ الحَياةِ، وأنَّ الجَوابَ وقَعَ عَلَى أحسَنِ الوُجُوهِ، وبَيانُهُ: إنَّ السُّؤالَ عَنِ الرُّوحِ يحتَمِلُ أنْ يكُونَ عنِ الماهِيَّةِ، وهَلْ هيَ مُتحيِّزَةٌ أم لا؟ وهَلْ هيَ حالَّةٌ في مُتحيِّزٍ أم لا؟ وهَلْ هِيَ قَديمةٌ أو حَادِثةٌ؟ وهَلْ تبقَى بعْدَ انفِصَالها مِنَ الجسَدِ أو تَفْنَى؟ وما حَقِيقَةُ تَعذِيبِها وتَنعِيْمِها؟ وغيرِ ذلكَ، إلا أنَّ الأظهَرَ أنهُمْ سألُوهُ عنِ الماهيَّةِ، وهلِ الرُّوحُ قدِيمةٌ أو حادِثةٌ[٢]؟

وقالَ أهلُ النَّظرِ: سألُوهُ عَن كَيفِيَّةِ مَسلَكِ الرُّوحِ في البدَنِ، وامتِزاجِهِ بهِ، وهذا هوَ الذِي استَأثَرَ اللهُ بعلْمِهِ.

وفي «تفسِيرِ الكَواشِي»: أنَّ اليَهودَ قالُوا لقُرَيشٍ: سَلُوا محمَّدَاً عَنْ ثَلاثٍ، فإنْ أخبرَكُمْ عَنْ اثنتَينِ وأمسَكَ عنِ الثَّالثةِ فهوَ نبيٌّ، فسَألُوهُ عَنْ فتيَةِ الكَهْفِ، وعَن ذِي القَرنينِ، وعَنِ الرُّوحِ، فنزَلَ قصَّةُ أهلِ الكهْفِ، وقصَّةُ ذِي القَرْنَينِ، ونزَلَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآيَةَ[٣].

وقدِ اعترَضَ ابنُ عادِلٍ في «تفسِيرِهِ» عَلَى هَذا الخَبرِ[٤]، وفي اعتِراضِهِ نظَرٌ، وهوَ: أنَّ الجَوابَ تَفْصِيلاً تُركَ لقولِ اليَهودِ فيما بَينهُمْ: إنْ لمْ يُجِبْ عَنها فهُوَ صادِقٌ؛ لأنَّ ذلِكَ عِندَهُمْ مِن عَلاماتِ نُبوَّتِهِ، فكَانَ تَرْكُ الجَوابِ تصدِيقاً لما تقدَّمَ في كُتبِهمْ

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٦٧).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٩) عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٨١) عن ابن عباس.

(٤) انظر: «اللباب» (١٢/ ٣٧٣)، وهذا الاعتراض نقله ابن عادل عن الرازي. انظر: «تفسير الرازي» (٢١/ ٣٩٢).

مِن وَصفِهِ بذلِكَ، أو أنَّ السُّؤالَ كانَ سُؤالَ تَعجِيزٍ وتَغلِيطٍ[١]؛ إذِ الرُّوحُ مُشتَرَكٌ بينَ رُوحِ الإنسَانِ، وجِبريلَ، ومَلَكٍ آخرَ، والقُرآنِ، وعِيسَى، فلو أجابَ عَنْ واحدٍ منها لقالَتِ اليَهُودُ: لَمْ نُرِدْ هذا، فجَاءَ الجَوابُ مجمَلاً عَلَى وجهٍ يَصدُقُ عَلَى كلٍّ مِن مَعَاني الرُّوحِ.

إذا علمْتَ ذلِكَ، فهَذا أوانُ الشُّروعِ في المـرَادِ، وعَلَى اللهِ الهِدَايةُ إلى سَبِيلِ الرَّشَادِ.

* * *

فصل[٢]

في الكَلامِ عَلَى الرُّوحِ

اختَلَفَ النَّاسُ في الرُّوحِ عَلَى فِرقتَينِ: فرْقَةٌ أمسَكَتْ عنِ الكَلامِ فيها لأنَّها سرٌّ مِن أسْرارِ اللهِ تَعَالى لم يُؤتِ عِلمَهُ البشَرَ، وهذهِ الطَّريقَةُ هيَ المختَارَةُ، وإمسَاكُهمْ عَنِ الكَلامِ فيها عَلى سَبيلِ الأدَبِ، لا أنَّهُ يحرُمُ الخَوضُ في ذلِكَ، كمَا قالَ العلَّامةُ ابنُ رسْلانَ:

والـرُّوْحُ مـا أخْبَـرَ عَنْهـا المجْتَبَـى فنُمْسِـكُ الـمقَـالَ فيْهـا أدَبـا

وقالَ الجُنَيدُ: الرُّوحُ شيءٌ استَأثَرَ اللهُ بعِلمِهِ، ولم يُطلِعْ عَليهِ أحداً مِن خَلقهِ، فلا يجُوزُ لعِبادِهِ البَحثُ عنهُ بأكثَرَ مِن أنَّهُ مَوجُودٌ[٣].

---

(١) في (ب): «وتغليظ».

(٢) في (أ): «باب».

(٣) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ص٦٧)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» للسيوطي (ص٣١٠) وعنه نقل المؤلف، ولفظ الكلاباذي: (...ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾).

قالَ بعضُهُمْ: وعَلى هَذا ابنُ عبَّاسٍ وأكثرُ السَّلفِ، وقدْ ثبَتَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّهُ كانَ لا يفَسِّرُ الرُّوحَ، ففي «تفسِيرِ السَّمرقنْدِيِّ»: كانَ ابنُ عبَّاسٍ يكْتُمُهُ، يعْنِي: يجعَلُهُ مِنَ المكتُومِ الذِي لا يفَسَّرُ[1].

وأخرَجَ ابنُ جَرِيرٍ بسنَدٍ مُرسَلٍ: أنَّ الآيَةَ لما نزَلَتْ قالَتِ اليَهودُ: هكَذا نجِدُهُ في التَّوراةِ[2].

ونقَلَ أبو القاسِمِ السَّعدِيُّ في «الإفصَاحِ»[3]: أنَّ أماثِلَ الفَلاسِفَةِ توقَّفُوا عَنِ الكَلامِ فيها، وقالُوا: هَذا أمرٌ غَيرُ محسُوسٍ لنا، ولا سَبِيلَ للعُقُولِ إلَيهِ.

قالَ الجَلالُ السُّيوطيُّ: أبهَمَها اللهُ في القُرآنِ والتَّوراةِ، وكتَمَ عَن خَلقِهِ عِلمَها، فمِنْ أينَ للمُتعمِّقِينَ الاطِّلاعُ عَلَى حَقِيقَةِ أمْرِها[4]؟!

وقدِ اختَلَفَ أهلُ هذِهِ الطَّرِيقَةِ: هَلْ علِمَ النبيُّ ﷺ الرُّوحَ؟

فقَالَ ابنُ أبي حاتمٍ: عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ بُريدَةَ: لقَدْ قُبِضَ النبيُّ ﷺ وما يعلَمُ الرُّوحَ[5].

قالَ بعضُهُمْ: وهوَ الصَّحِيحُ للآيةِ، ورجَّحهُ البَغوِيُّ[6].

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» للسيوطي (ص٣١٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) كذا في (أ) و(ب)، ونقل الكلام السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٣١١)، وفيه: أبو القاسم القشيري السعدي في «الإيضاح».

(٤) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» للسيوطي (ص٣١٠).

(٥) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» للسيوطي (ص٣١٠)، وزاد في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٢) عزوه لأبي الشيخ، وهو في «العظمة» (٤٠٧).

(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ١٢٦).

وقالَتْ طائفَةٌ: بَلْ عَلِمها ﷺ، وأطلَعَهُ اللهُ تَعَالى عَلَيها، ولَمْ يأمُرْهُ أنْ يُطلِعَ عَلَيها أُمَّتَهُ.

قلْتُ: وهَذا هوَ الأكمَلُ في حقِّهِ ﷺ، وامتَنَعَ مِن تَعريفِها لنا لأنَّ اللهَ تَعَالى قدْ حسَمَ بابَ الكَلامِ فيها لِدِقَّةِ مَعَانِيها وضَعفِ العُقُولِ عَن فَهمِها، وللإفضَاءِ إلى ما لا يَليقُ، ولأنَّهُ لا حاجَةَ للخَلقِ بمعْرِفَتها.

واختُلِفَ في حِكمَةِ إخفَائها عنَّا:

فقَالَ ابنُ بطَّالٍ: الحِكمَةُ في ذلِكَ تَعريفُ الخلْقِ عجْزَهُمْ عَن عِلمِ ما لا يُدرِكُونَهُ حتى يَضْطَّرهم إلى ردِّ العِلمِ إلَيهِ[1].

وقالَ الإمَامُ العَلَّامةُ القُرطُبيُّ: حِكمَتُهُ: إظْهارُ عجْزِ المرْءِ؛ لأنَّهُ إذا لَمْ يَعلَمْ حَقِيقَةَ نَفسِهِ معَ القَطعِ بوُجودِهِ كانَ عَجزُهُ عَن إدْراكِ حَقِيقَةِ الحقِّ سُبحانَهُ وتَعَالى مِن بابِ أَوْلى[2].

وقَريبٌ مِنهُ عَجزُ البصَرِ عَن إدراكِ نفسِهِ، واللهُ تَعَالى أعلَمُ.

***

فصْلٌ

في كلامِ الخائضِينَ في حَقِيقَةِ الرُّوحِ

اعلَمْ أنَّ كلامَ العُقلاءِ في حَقِيقةِ الرُّوحِ إنَّما هوَ بحسَبِ الإذْنِ فيها، وبقَدْرِ الطَّاقةِ البشَريَّةِ عَلَيها، فإنَّ عقْلَ الإنسَانِ مُقيَّدٌ بالمدَارِكِ والنُّصوصِ، وتحقِيقُ

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «المفهم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٣٥٧)، ونقله عنه تلميذه أبي عبد الله القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٦٨).

الأشْياءِ عَلَى ما هِيَ عَلَيهِ في نفْسِ الأمْرِ مُتعسِّرٌ ـ بلْ متعَذِّرٌ ـ لا سيَّما في مِثلِ الرُّوحِ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآيةَ، فمَعرِفةُ حَقِيقَتِها وكُنْهِ ذاتِها لا[1] سَبيْلَ للوُصولِ إليهِ، وأمَّا إدْراكُها بوجْهٍ يمَيِّزُها عما عَدَاها فهوَ سهْلٌ فلنَتكلَّمْ عَليهِ؛ فنَقولُ:

قالَ العُلماءُ: الرُّوحُ اسمٌ يذكَّرُ ويؤنَّثُ، وأهلُ اللُّغةِ يفْهَمُونَ مِنهُ مَعنىً كفَهمِ سَائرِ المعَاني مِنَ الألفَاظِ، وإنْ تعسَّرَ عَلَيهِمْ تَعيينُ ذلِكَ المعْنَى بعَينِهِ، واختَلَفُوا في جَوابِ السُّؤالِ عَنْ تَعيِينِهِ[2]: أجوْهَرٌ هوَ أمْ عرَضٌ، أجسْمٌ هوَ أم جِسمَانيٌّ؟ لكِنَّ المفْهُومَ الظَّاهرَ مِنهُ عندَهُمْ أنَّهُ أمرٌ في هذا الهَيكَلِ المخصُوصِ المسمَّى بالبَدنِ، ويُطلَقُ عَلَيهِ: القوَّةُ العاقِلَةُ، والنَّفسُ النَّاطِقةُ.

قالَ ابنُ العَربيِّ: وقدْ يعبَّرُ بالرُّوحِ عَنِ النَّفسِ، وبالعَكسِ، كما يعبَّرُ عَن الرُّوحِ وعنِ النَّفسِ بالقَلبِ، وقدْ يعبَّرُ عَنِ الرُّوحِ بالحَياةِ[3]. وقد يُعبَّر عنها بالإنسان.

قال ابنُ حزمٍ: اخْتَلفَ النَّاسُ في لفظِ الإنسانِ: على ماذا يَقَعُ؟ فذهبت طائفةٌ أنه إنَّما يقَعُ على الجسَدِ دونَ النَّفْس، وذهبتْ طائفةٌ أنَّه إنما يَقَعُ على النَّفْس دون الجسَد، وذهبَ طائفةٌ أنه إنما يقعُ عليهما معاً، ولكلِّ طائفةٍ حُجَّةٌ[4].

واعلَمْ أنَّ العُقلاءَ قدِ اختَلَفُوا في الرُّوحِ والنَّفسِ: هَل هُما شيءٌ واحِدٌ أو شيئانِ؟

---

(١) في (ب): «فلا».

(٢) «واختَلَفُوا في جَوابِ السُّؤالِ عَنْ تَعيِينِهِ» من (أ).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٠٣).

(٤) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤١). والكلام من قوله: «وقد يُعبَّر عنها بالإنسان...» إلى هنا من (ب).

فحكَى[١] ابنُ زَيدٍ: أنَّ أكثَرُ أهلِ العِلمِ ذَهبُوا إلى أنَّ الرُّوحَ والنَّفسَ اسمَانِ لشَيءٍ واحِدٍ.

وقالت طائفةٌ: النَّفْسُ هي النَّسيمُ الدَّاخلُ والخارجُ بالتَّنفُّس، والرُّوح عَرَضٌ وهو الحياةُ فقَط، فهو غيرُ النَّفْس؛ قال ابنُ حزمٍ: وهو قولُ الباقِلَانيِّ ومَن اتَّبعه من الأَشْعريَّة[٢].

وقالَ ابنُ حَبيبٍ: هُما شَيئانِ ـ واختَارَهُ الحافِظُ ابنُ حَجرٍ في «شَرحِهِ عَلى البُخارِيِّ»[٣] ـ فالرُّوحُ هوَ النَّفَسُ المتَرَدِّدُ في الإنسَانِ، والنَّفْسُ هيَ التِي يُقالُ لها: جسَدٌ مجسَّدٌ، لها يَدانِ ورِجْلانِ وعَينانِ ورَأسٌ، وإنها هِيَ التِي تَلَذُّ وتفرَحُ وتألَمُ وتحزَنُ، وتغضبُ وترضَى وتَعْلَمُ وتَجْهلُ[٤]، وإنها هيَ التِي تُتَوفَّى في المنَامِ، وتخرُجُ وتسْرَحُ وترَى الرُّؤيا، فتُسَرُّ بما ترَى أو تحزَنُ بهِ، ويبقَى الجِسمُ دُونها بالرُّوحِ، لا يلَذُّ ولا يفرَحُ ولا يعْقِلُ حتَّى تَعُودَ إلَيهِ النَّفسُ، فإنْ أمسَكَها اللهُ تعالى ولمْ يُرجِعْها إلى جَسَدِها تَبِعها الرُّوحُ فصَارَتْ مَعَها شَيئاً واحِداً وماتَ الجِسْمُ، وإنْ أرسَلَها إلى أجَلٍ مُسمَّى وهوَ أجلُ الوَفاةُ حيِيَ الجِسْمُ.

---

(١) في (أ): «حكى».

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٧). والكلام من قوله: «وقالت طائفةٌ: النَّفْسُ هي النَّسيمُ...» إلى هنا من (ب)، لكنه وقع قبل ما سيأتي من قوله: «فالرُّوحُ هوَ النَّفَسُ المترَدِّدُ...»، ولا يستقيم عليه السياق؛ لأن يتخلل كلام ابن حبيب ويفسد به المعنى.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٠٣).

(٤) «وتغضب وترضى وتعلم وتجهل» زيادة من (ب)، ولم ترد هذه العبارة ضمن كلام ابن حبيب الذي ذكره العدوي في «حاشيته على شرح كفاية الطالب» (١/ ١٣٣)، والآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٩٤).

واحتجَّ[١] بقولِهِ تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

ووافقَهُ عَلَى ذلِكَ كثيرٌ مِنَ العُلَماءِ، قالَ السُّهيليُّ: ويدُلُّ عَلَى مُغايرَةِ الرُّوحِ والنَّفسِ قولُهُ تَعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] وقولُهُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنَّهُ لا يصِحُّ جعْلُ إحْدَاهِما مَوضِعَ الآخَرِ، ولولا التَّغايرُ لسَاغَ ذلِكَ[٢]. وسيَأتي الكَلامِ عَلَى ذلِكَ.

وإذا فرَّعنا عَلَى قَولِ الأكثرِ ـ وهوَ أنَّ الرُّوحَ والنَّفسَ شيءٌ واحِدٌ ـ فاعلَمْ أنَّ العُقَلاءَ قدِ اختَلَفُوا: هَلِ النَّفْسُ عِبارَةٌ عَنْ هذا الهَيكَلِ الإنسَانيِّ المخصُوصِ، أو عِبارَةٌ عَنْ شيءٍ آخرَ وراء هَذا الهَيكَلَ؟

فذَهَبَ جمْعٌ عَظيمٌ مِنَ المتكَلِّمِينَ إلى الأوَّلِ.

وذهَبَ آخَرُونَ إلى الثَّاني؛ قالَ بعضُ المحقِّقِينَ: وهوَ الصَّحِيحُ، بدَلِيلِ أنَّ هَذا الهَيكَلَ يَلحَقُهُ الفَناءُ بالموْتِ، والنَّفسُ باقِيةٌ لا يلحَقُها الفَناءُ، وأنَّ الرُّوحَ تُنَعَّمُ أو تُعذَّبُ عَلَى ما أخبرَ بِهِ الصَّادِقُ المبلِّغُ عَنِ اللهِ تَعالى.

وإذا قُلْنا: إنَّ النَّفْسَ ما وراءَ هذا الهَيكَلِ، فِفي حَقِيقَتِها للعُقلاءِ أقوالٌ:

فقِيلَ: إنَّها جَوهرٌ لطِيفٌ نُورانيٌّ مُشَابكٌ لهذا البَدَنِ، وهذا قَولٌ للإمَامِ[٣] الفَخْرِ[٤].

ونحْوُهُ لإمَامِ الحَرمَينِ: وهوَ أنَّها جَوهرٌ جِسمانيٌّ نُورانيٌّ شَرِيفٌ حَاصِلٌ في

---

(١) أي: ابن حبيب. انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٩٤).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٠٣).

(٣) في (ب): «الإمام».

(٤) انظر: «تفسير الرازي» (٣١/ ١٦٢).

البَدَنِ، سَارٍ فيهِ سَرَيانَ الدَّمِ[١] في البَدَنِ، وماءِ الوَردِ في الوَردِ، والدُّهْنِ في السِّمسِمِ، والنارِ في الفَحْمِ.

ونحْوُ هَذا لبَعضِهِمْ: أنَّها جِسمٌ لطِيفٌ مُشتَبِكٌ بالجِسْمِ اشتِباكَ الماءَ بالعُودِ الأخضَرِ.

وهذِهِ العِبَاراتُ الثَّلاثُ مَعنَاها واحِدٌ.

قالَ الإمَامُ النَّوَويُّ رحمَهُ اللهُ تَعَالى: وهذا أصَحُّ ما قِيلَ فيها.

وقيلَ: إنَّها لَيسَتْ جِسْمَاً ولا جِسمانيَّةً، بلْ هيَ جَوهرٌ مجرَّدٌ غيرُ حالٍّ في البَدَنِ، غيرُ مُتحيِّزٍ ولا حَالٍّ في المتحيِّزِ، مُتصرِّفٌ في البَدَنِ تَصرُّفَ التَّدبيرِ، وانقِطاعُ تصَرُّفهِ عَنهُ هوَ الموْتُ، وهوَ مَذهبُ جمهُورِ الفَلاسِفَةِ، ومَعمَرٍ المعْتَزليِّ، واختَارَهُ الغزَاليُّ والحَلِيمِيُّ وجمْعٌ مِن مشَايخِ الصُّوفيَّةِ.

وعلى القولِ بأنَّها جوهرٌ فقيل: إنَّها لا تَنْقسِمُ بل هي واحدةٌ.

ورُدَّ ذلك بأنَّ نَفْسَ كلِّ شخصٍ غيرُ نفسِ الشَّخصِ الآخرِ.

قال ابن حزمٍ: وإنَّما قال: إنَّ النفسَ جوهرٌ لا جسمٌ، مَن ذَهَب إلى أنَّها هي الخالقةُ لمَا دونَ اللهِ تعالى، على ما ذَهَب إليه بعضُ الصابئين، أو مَن كنَى بها عن اللهِ تعالى.

قال: وكِلَا القولينِ سُخْفٌ وباطلٌ[٢].

---

(١) في (ب): «السم».

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٧). والكلام من قوله: «وعلى القولِ بأنَّها جوهرٌ...» إلى هنا من (ب)

وقيلَ: إنَّها عرَضٌ لطِيفٌ هوَ ألطَفُ المخلُوقاتِ وأصفَى الجَواهرِ وأنْورُها، بها تُرَى المغيَّبَاتُ، وبها يكُونُ الكَشْفُ لأهْلِ الحقَائِقِ.

وقيلَ: هيَ لَطيفَةٌ ربَّانيَّةٌ مُودَعَةٌ في الهَياكِلِ الجُثمانيَّةِ، ضَمِنَ لكَ رِزْقاً وجعَلَها عِندَكَ رَهْناً، فمَتى أدَّى لكَ ما ضمِنَ أخَذَ ما رَهَنَ.

وقال جالينوسُ وأبو الهُذَيل: النَّفْسُ عَرَضٌ من الأعراض، ثم اختَلَفا:

فقال جالينوس: هي مزاجٌ مجتمِعٌ متولِّدٌ من تركيبِ أخلاطِ الجسد.

وقال أبو الهُذَيل: هي عَرَضٌ كسائرِ أعراضِ الجسد[1].

وقيلَ: هيَ مَعْنًى اجتَمَعَ فيهِ الطِّيبُ والنُّورُ، والعِلْمُ والعُلُوُّ، وغَيرُ ذلِكَ، ألا ترَى أنَّهُ إذا كانَ مَوجُوداً يكُونُ الإنسَانُ بهَذِهِ الصِّفاتِ؟

وقيلَ: إنَّها أجسَامٌ لطِيفَةٌ حيَّةٌ لذَواتها سَاريَةٌ في الأخْلاطِ لا يَتطرَّقُ إليها تبَدُّلٌ وانحِلالٌ، وبقَاؤها فيها هوَ الحياةُ وانفِصالُها عَنها هوَ الموْتُ.

وقيلَ: إنَّها الأجزَاءُ الأصلِيَّةُ مِنَ البدَنِ البَاقِيةُ مِنْ أوَّلِ العمُرِ إلى آخرِهِ.

وقيلَ: إنَّها الأرْواحُ المكفُوفَةُ في الدِّماغِ تصْلُحُ لقَبولِ قوِيِّ الحِسِّ والحَركةِ، نافِذَةٌ في الأعْضَاءِ إلى جمْلَةِ البدَنِ.

وقيلَ: إنَّها الحَرارَةُ الغَريزِيَّةُ، وبِهِ قالَ جمْعٌ مِنَ الأطبَّاءِ، قالَ بَعضُهُمْ: ولعَلَّها المرادُ في قَولِ بعضِ الحُكَماءِ: إنَّها الأجزَاءُ النَّاريَّةُ السَّاريَةُ في البَدَنِ.

وقيلَ: إنَّها أجسَامٌ لطِيفَةٌ محلُّها البطْنُ الأيسَرُ مِنَ القَلبِ، نافِذَةٌ إلى جُملَةِ البَدَنِ.

---

(١) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٧). والكلام من قوله: «وقال جالينوسُ وأبو الهُذَيل...» إلى هنا من (ب).

وقيلَ: إنَّ النَّفسَ هوَ النَّفَسُ المعبَّرُ عَنهُ بالهَواءِ.

وقيلَ: إنَّها الأخْلاطُ الأربعَةُ.

وقيلَ: إنَّها صِفةُ الحَياةِ.

وقِيلَ: إنها الشَّكْلُ والتَّخطِيطُ.

وقيلَ: إنَّها المزَاجُ.

وقيلَ: إنَّها الدَّمُ.

وقيلَ غَيرُ ذلِكَ.

قالَ ابنُ حجَرٍ: وقدْ بلَغَتِ الأقْوالُ فيها فَوقَ المئةِ قَولٍ[١].

وقالَ بَعضُهُمْ: إنَّ فيها ألْفَ قَولٍ[٢].

وقالَ بعْضُ المتكَلِّمينَ: والذِي يظهَرُ أنَّ الرُّوحَ بقُربِ القَلْبِ.

وقالَ ابنُ عَبدِ السَّلامِ: ولا يَبعُدُ عِندِي أنْ تكُونَ الرُّوحُ في القَلْبِ[٣].

وفي حَديثٍ لابنِ عَساكرٍ أنَّ: «النَّفسَ في القَلبِ، والقَلْبَ مُتعلِّقٌ بالنِّياطِ، والنِّياطَ يَسقِي العُرُوقَ، فإذا هلَكَ القَلبُ انقطَعَ العِرقُ» الحَدِيثَ بطُولِهِ، وهوَ مُرسلٌ[٤]، ولهُ طُرقٌ أُخرَى مُرسَلةٌ، ومَوصُولةٌ في «المعجَمِ الأوْسَطِ»

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٠٣).

(٢) من قوله: «قال ابن حجر...» إلى هنا من (أ).

(٣) انظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ١٩٨).

(٤) قطعة من حديث طويل رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) عن الزهري مرسلًا، في قصة خزيمة بن حكيم السلمي ثم البهزي مع النبي ﷺ.

للطَّبرانيِّ[١]، قالَ الحافِظُ ابنُ حَجرٍ: والحدِيثُ [فيه] غَرِيبٌ كَثيرٌ، وإسنَادُهُ غَرِيبٌ جِدًّا[٢].

قلتُ: وأنْتَ قَدْ عَلِمْتَ ممَّا مرَّ أنَّ هذِهِ الأقْوالَ كلَّها اجتِهادِيَّةٌ، وأنَّ الصَّحِيحَ الوَقفُ؛ لأنَّ ذلِكَ لا يُعلَمُ إلا بالتَّوقِيفِ، ولمْ يَرِدْ فِيهِ ما يفسِّرُ حَقِيقَتَها، قالَ اللهُ تَعالى لنبيِّهِ حِينَ سألَهُ اليَهودُ عَنِ الرُّوحِ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ فوجَبَ المصِيرُ إلَيهِ، واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ.

قال ابنُ حزمٍ: والنَّفسُ لا تتغذَّى ولا تَنمو؛ لأنَّها ليسَتْ مركَّبةً من الطَّبائعِ الأربعةِ، بخلافِ ما تَركَّبَ منها فيَحتاجُ للغذاء.

قال: وأمَّا ارتباطُها بالجسد من أَجْلِ الغذاء فلا يَعرِفُ كيفيَّتَه إلا خالقُها[٣].

تنْبيهٌ: مَذهَبُ أكثرِ المسْلِمينَ أنَّ الرُّوحَ جِسمٌ، وهوَ الذِي دلَّ عَليهِ الكِتابُ والسُّنَّةُ وإجمَاعُ الصَّحابَةِ؛ لوَصْفِها في الآياتِ والأحادِيثِ بالتَّوفِّي، والقَبضِ والإمْسَاكِ، والإرْسَالِ والتَّناوُلِ، والإخْراجِ والخُروجِ، والتَّنعِيمِ والتَّعذِيبِ، والرُّجُوعِ والدُّخولِ والرِّضَى، والانتِقَالِ والتَّردُّدِ في البرزَخِ، وبوصفِها أنها تأكُلُ وتشرَبُ وتسرَحُ[٤]

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٧٣١) من حديث جابر في قصة خزيمة السابقة، وفيه: (خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري)، بدل: (خزيمة بن حكيم)، ولم ترد فيه القطعة المذكورة. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٣٣): فيه يوسف بن يعقوب أبو عمران، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته ولم ينقل تضعيفه عن أحد.

(٢) انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٢٤٢)، وما بين معكوفتين منه. وليراجع الكلام فيه، ففي سياقه اختلاف عما نقله المؤلف.

(٣) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٥٥). والكلام من قوله: «قال ابن حزم والنفس...» إلى هنا من (ب).

(٤) «وتسرح» من (أ).

وتأوِي وتنطِقُ وتعرِفُ وتنكِرُ.. إلى غَيرِ ذلِكَ مما هوَ مِن صِفاتِ الأجسَامِ، والعَرَضُ لا يتَّصِفُ بهذِهِ الصِّفاتِ، وأيضاً فلا شكَّ أنَّها تعرِفُ نَفسَها وتدرِكُ المعقُولاتِ، وهذِهِ علومٌ، والعلُومُ أعراضٌ، فلو كانَتْ عرَضاً والعرَضُ قائمٌ بهِ لزِمَ قِيامُ العرَضِ بالعرَضِ وهوَ فاسِدٌ.

وقالَ ابنُ القيِّمِ عَلَى قاعِدَةِ أهْلِ السُّنَّةِ: إنَّ الرُّوحَ ذاتٌ قائمَةٌ بنَفْسِها تصْعَدُ وتنزِلُ، وتتَّصِلُ وتنْفَصِلُ، وتذهَبُ وتجِيءُ، وتتحرَّكُ وتسكُنُ، وعلى هَذا أكثَرُ مِن مِئةِ دَليلٍ مُقرَّرةٌ[١].

وقال ابنُ حزمٍ: ذَهَبَ سائرُ أهلِ الإسلامِ والملَلِ الـمُقِرَّة بالـمَعاد: إلى أن النَّفسَ جسمٌ طويلٌ عريضٌ عميقٌ، ذاتُ مكانٍ، حيَّةٌ مميِّزةٌ مصرِّفةٌ للجَسَد[٢].

ونَفْسُ الإنسان كذلك، إلَّا أنَّها عاقلةٌ متصرِّفةٌ في العلومِ والصناعات[٣].

فائدةٌ: اعلَمْ أنَّهُ قدْ ثبَتَ بالدَّلائلِ القَطعِيَّةِ حُدُوثُ كلِّ شيءٍ، ولا قدِيمَ إلا اللهُ سُبحَانَهُ، وقدْ أجمَعَ أهلُ السنَّةِ والجمَاعةِ عَلَى أنَّ الرُّوحَ مُحدَثَةٌ مخلُوقَةٌ، ولا يخَالِفُ في ذلِكَ إلا الزَّنادِقةُ، ونُسِبَ ذلِكَ إلى أفلاطُونَ، وهوَ مذْهَبٌ باطِلٌ، لكِنِ اختَلَفَ العُلَماءُ: هلِ الرُّوحُ حادِثةٌ معَ حدُوثِ البدَنِ أو قبلَهُ؟ عَلَى قولَينِ:

ذهَبَ بَعضُهُمْ إلى أنَّ الرُّوحَ خُلِقتْ قبلُ، واستَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بما أخرَجَهُ ابنُ مَندَهْ مِن حَدِيثِ عَمرِو بنِ عَبَسَةَ مَرفُوعاً: «إنَّ اللهَ تَعالى خلَقَ أرْواحَ العِبادِ قبْلَ العِبادِ بألفَي عامٍ، فمَا تعارَفَ مِنها ائتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنها اختَلَفَ» وسنَدُهُ ضَعِيفٌ جِدّاً[٤].

---

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (ص٤٩) ط: الرسالة ناشرون، بتحقيقنا.

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٧).

(٣) من قوله: «قال ابن حزم ذهب...» إلى هنا من (ب).

(٤) انظر: «الروح» لابن القيم (ص١٨٨) وقد ساقه ابن القيم عن ابن منده بإسناده، وفيه عطاء بن =

وفي كلامِ ابنِ وَهبٍ: صحَّ أنَّ اللهَ تَعَالى خَلَقَ الأرْواحَ جُملةً واحِدةً، وأخَذَ اللهُ عَهدَها وشَهادَتَها بالرُّبوبيَّةِ، وهِيَ مخلُوقَةٌ مُصوَّرةٌ عاقِلةٌ قبلَ أنْ تُؤمَرَ الملائكَةُ بالسُّجودِ لآدمَ، وقَبلَ أنْ يُدخِلَها في(1) الأجسَادِ، والأجسادُ يومَئذٍ تُرابٌ.

قالَ: فصَحَّ أنَّ الأرْواحَ أجسَامٌ حاملةٌ لأعْراضِها منَ التَّعارُفِ والتَّناكُرِ وأنها عارِفةٌ مميِّزةٌ، انتهَى.

قال ابنُ حزمٍ: إنَّ اللهَ قد نصَّ أنه أخَذَ من بني آدمَ من ظُهورِهم ذرِّيَّاتهم، وهذا نصٌّ على أنَّ اللهَ تعالى خلَق أنفسَنا جميعاً مِن عهدِ آدمَ عليه السلامُ لأنَّ الأجسادَ كانت تراباً وماءً.

قال: وصحَّ ضرورةً أنَّ عنصرَ أجسامِنا مخلوقٌ من أوَّلِ خَلْقِه السَّمواتِ والأرض، وهكذا بيَّن الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١](2).

وورد(3) في حَدِيثٍ آخرَ: «إنَّ الأرْواحَ جُنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعَارَفَ مِنها ائتلَفَ وما تناكَرَ مِنها اختَلَفَ»(4)، قالَ بَعضُهُمْ: في هَذا الحَدِيثِ إشَارةٌ إلى أنَّ المُرادَ الإخبَارُ

= عجلان الحنفي البصري، وهو متروك، بل أطلق عليه ابن معين والفلاس وغيرهما الكذب، كما في «التقريب». وقوله: «فما تعارف...» له شاهد في الصحيح سيأتي قريباً.

(١) «في» من (ب).

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٣/ ٧٥ ـ ٧٦). والكلام من قوله: «قال ابن حزم إن الله قد نص...» إلى هنا من (ب).

(٣) «ورد» من (ب).

(٤) رواه مسلم (٦٧٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والبخاري (٣٣٣٦) تعليقا من حديث عائشة رضي الله عنها.

عَنْ بَدءِ الخَلْقِ، عَلَى ما ورَدَ أنَّ الأرْواحَ خُلقَتْ قبلَ الأجسَادِ فكانَتْ تَلتَقِي فكَانَتْ تتشامُّ[١]، فلمَّا حلَّتِ الأجسَادَ تعارَفَتْ بالمعْنَى الأوَّلِ، فصَارَ تعَارُفُها وتناكُرُها عَلَى ما سبَقَ مِنَ العهْدِ المتقَدِّمِ[٢].

وقالَ بعضُهُمْ: هوَ إشَارَةٌ إلى مَعنَى التَّشاكُلِ في الخَيرِ والشَّرِّ، والصَّلاحِ والفسَادِ، وأنَّ الخيِّرَ مِنَ النَّاسِ يحِنُّ إلى شَكلِهِ، والشرِّيرَ يميلُ إلى نظِيرِهِ، فتَعارُفُ الأرْواحِ يقَعُ بحسْبِ الطِّباعِ التي جُبِلَتْ عَلَيها من خيرٍ أو شرٍ، فإذا اتَّفقَتْ تعارَفَتْ، وإذا اختَلَفَتْ تناكَرَتْ.

* * *

فصْلٌ

في الكَلامِ عَلَى الأرْواحِ عِندَ النَّومِ

قالَ الحُكَماءُ وغَيرُهُمْ: إنَّ النَّومَ حالَةٌ طَبيعِيَّةٌ تُعطِّلُ القوَى المدْركَةَ بترَقِّي البُخاراتِ إلى الدِّمَاغِ.

واعلَمْ أنَّ النَّومَ يُسمَّى وَفاةً، قالَ اللهُ تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قالَ الإمَامُ الفَخرُ: المقْصُودُ مِنَ الآيَةِ أنَّهُ تَعَالى يَتوفَّى الأنفُسَ عِندَ الموْتِ وعِندَ النَّومِ، إلا أنَّهُ يمسِكُ الأنفُسَ التي قَضَى عَلَيها الموتَ، ويُرسِلُ الأُخرَى ـ وهِيَ النَّائمَةُ ـ إلى أجلٍ مُسمَّى[٣].

---

(١) في النسختين: «تتسامر»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ١٥٣١)، و«التوضيح» لابن الملقن (١٩/ ٢٩٣)، و«فتح الباري» (٦/ ٣٦٩).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٢٦/ ٤٥٦).

وفي «الصَّحيحِ»: «إنَّ اللهَ قبَضَ أرْواحَنَا حِينَ شاءَ، ورَدَّها عَلَينا حِينَ شاءَ»[١]، فنطَقَتِ الشَّريعَةُ بقبْضِ الرُّوحِ والنَّفسِ في النَّومِ، قالَهُ ابنُ عَطيَّةَ[٢].

ولا يلزَمُ مِن ذلِكَ خُرُوجُ الرُّوحِ مِن جَسَدِها، بلِ البارِي عزَّ وجلَّ جعَلَ لها عالَمَ النَّومِ كالبَرزَخِ، مُنكَشِفٌ لها في حَالَةِ النَّومِ ما بَعُدَ عَنْها، وتطَّلِعُ عَلَيهِ ولو في أقصَى المشْرِقِ والمغرِبِ وعِندَ العَرشِ، فقَدْ ثبَتَ في ابنِ أبي شَيبةَ وغَيرِهِ مِن طُرقٍ صَحِيحَةٍ أنها تَبلُغُ العَرشَ في النَّومِ وأنَّها تعرُجُ لذَلِكَ بما يكشِفُهُ اللهُ لها، وهِيَ باقِيةٌ بالبَدَنِ، على ما سَيأتي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى[٣].

***

فصل

الكلامِ عَلَى رُؤيا الأرواحِ في المنامِ[٤]

واعلَمْ أنَّهُ قدْ كثُرَتِ الأقْوالُ في ذلِكَ:

فحَكَى الثَّعلَبيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ وغيرِهِ مِنَ المفَسِّرينَ: أنَّ أرْواحَ الأحيَاءِ والأمْواتِ تَلتَقِي في المنَامِ فتتَعَارَفُ ما شاءَ اللهُ، فإذا أرَادَ جَمِيعُها الرُّجوعَ إلى الأجسَادِ أمسَكَ اللهُ تَعالى أرْواحَ الأمْواتِ عِندَهُ وأرْسَلَ أرْواحَ الأحْياءِ إلى أجسَادِها[٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه بلفظ: «إنَّ اللهَ قَبَضَ أرواحَكُم حينَ شاءَ، ورَدَّها عليكم حينَ شاءَ».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٣).

(٣) انظر ما سيأتي في الفصل الآتي، وهو فصل الكلامِ عَلَى رُؤيا الأرواحِ في المنامِ.

(٤) «فصل الكلامِ عَلَى رُؤيا الأرواحِ في المنامِ» من (أ).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٣٨)، وقد حكاه عن المفسرين ولم يرد في مطبوعه ذكر ابن عباس، =

وأخرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ عَنِ السُّدِّيِّ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] قال: يتوفَّاها في منامِها، فتَلتَقِي رُوحُ الحيِّ ورُوحُ الميِّتِ، فيتَذاكرَانِ ويَتعَارَفانِ، ثمَّ ترجِعُ رُوحُ الحَيِّ إلى جسَدِهِ في الدُّنيا إلى بقِيَّةِ أجَلِها[١].

قالَ العلَّامةُ ابنُ القيِّمِ الحَنبلِيُّ: ومنَ الدَّليلِ عَلَى تلاقِي أرواحِهِمْ: أنَّ الحيَّ يرَى الميتَ في مَنامِهِ، فيُخبِرُهُ الميْتُ بأمورِ غيْبٍ ثمَّ توجَدُ كما أخبَرَ[٢].

وعنِ ابنِ سِيرِينَ قالَ: ما حدَّثكَ الميتُ بشَيءٍ في النَّومِ فهُوَ حقٌّ لأنَّهُ في دارِ الحقِّ[٣].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: في ابنِ آدَمَ نفسٌ ورُوحٌ بَينَهُما مِثلُ شُعاعِ الشَّمسِ، فالنفسُ التي بها العَقلُ والتَّمييزُ، والرُّوحُ التي بها النَّفَسُ والتَّحريكُ، فإذا نامَ العبدُ قبضَ اللهُ نفسَهُ ولمْ يقبِضْ روحَهُ[٤].

وقالَ الإمامُ الفَخرُ: النَّفسُ الإنسانيَّةُ عِبارةٌ عَنْ جَوهرٍ مُشرقٍ رُوحانيٍّ، إذا تعلَّقَ بالبدَنِ حصَلَ ضَوءُهُ في جَميعِ الأعضَاءِ، وهوَ الحياةُ، فبوقْتِ الموتِ ينقَطِعُ تعلُّقهُ عَنْ ظاهِرِ البدَنِ وعَنْ باطِنِهِ، وبوقْتِ النَّومِ ينقطِعُ تعلُّقهُ عَنْ ظاهِرِ البدَنِ، فثبتَ أنَّ

= ورواه عن ابن عباس الطبراني في «الأوسط» (١٢٢)، وابن منده كما في «الروح» (ص٢٨). قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠): رجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (ص٢٨)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٣).

(٢) انظر: «الروح» لابن القيم (ص٢٩)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٣).

(٣) رواه أبو محمد بن عمرو العكبري في «فوائده» من طريق شيخ لم يسم عن ابن سيرين. انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٣). وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن سيرين.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٣٨)، ورواه ابن أبي حاتم كما في «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٣١٢).

الموْتَ والنَّومَ مِن جنسٍ واحِدٍ، إلا أنَّ الموْتَ انقِطاعٌ تامٌّ، والنَّومَ انقِطاعٌ ناقِصٌ[(١)].

وقالَ الشَّيخُ ابنُ عَبدِ السَّلامِ: في كلِّ جَسدٍ رُوحانِ: أَحَدُهما رُوحُ التيقُّظِ التي أَجرَى اللهُ العادَةَ أنها إذا كانَتْ في الجَسدِ كانَ الإنسَانُ مُستيقِظاً، فإذا خرجَتْ مِنَ الجسَدِ نامَ الإنسَانُ، والأُخرَى رُوحُ الحياةِ التي أَجرَى اللهُ العادَةَ أنَّها إذا كانَتْ في الجسَدِ كانَ حيًّا، فإذا فارقَتْهُ ماتَ[(٢)].

ويدُلُّ عَلَى روحِ الحياةِ قَولُهُ تَعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ويدُلُّ عَلَى وجودِ رُوحَي الحياةِ واليقَظةِ قَولُهُ تَعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقالَ ابنُ عبدِ البَرِّ في «التمْهيدِ» عنْ بعضِ أصحَابِ الإمَامِ مالِكٍ: النَّفسُ جسَدٌ مجسَّدٌ كخلْقِ الإنسَانِ، والرُّوحُ كالماءِ الجارِي، واحتجَّ بقولِهِ تَعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ الآيةَ.

وقالَ: ألا ترَى أنَّ النائمَ قدْ توفَّى اللهُ نفسَهُ، ورُوحُهُ صاعِدٌ ونازِلٌ، والنَّفْسُ تسرَحُ في كلِّ وادٍ، وترَى ما تَراهُ منَ الرُّؤيا، فإذا أَذِنَ اللهُ في ردِّها إلى الجسَدِ عادَتْ واستَيقَظَ لعَودِها جمِيعُ أعضاءِ الجسَدِ.

قالَ: فالنَّفسُ غيرُ الرُّوحِ، والرُّوحُ كالماءِ الجارِي في البُستانِ، فإذا أرادَ اللهُ إفسَادَ ذلِكَ البُستانِ منعَ منهُ الماءَ الجارِيَ فيهِ فتمُوتُ حياتُهُ، فكذلِكَ الإنسَانُ[(٣)].

وقالَ بعضُهمْ: اللهُ يتوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوتها بإزالَةِ نفسِها وتمييزِها، ويتوفَّى التي لم تمُتْ بإزالَةِ تمييزِها فقَطْ.

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢٦/ ٤٥٦).

(٢) انظر: «قواعد الأحكام» (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) انظر: «التمهيد» (٥/ ٢٤٤)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٣١٣).

وقالَ عِكرمَةُ ومجاهِدٌ: إذا نامَ الإنسَانُ كانَ لهُ سببٌ يجرِي فيهِ الرُّوحُ، وأصلُهُ في الجسَدِ، فتبلُغُ حَيثُ شاءَ اللهُ، فما دامَ ذاهِباً فإنَّ الإنسَانَ نائمٌ، فإذا أرجَعَ إلى البدَنِ انتبَهَ، وكانَ بمنزِلةِ شُعاعِ الشَّمسِ هوَ ساقطٌ بالأرْضِ، وأصلُهُ متَّصلٌ بالشَّمسِ(١).

وذكَرَ ابنُ مَندَهْ عَنْ بعضِ العُلماءَ: أنَّ الرُّوحَ تمتَدُّ مِن منخرِهِ وأصلُهُ في بدنِهِ، فلَو خرَجَ [الروح] بالكليَّةِ لماتَ، كما أنَّ السِّراجَ لو فرِّقَ بينَهُ وبينَ الفَتيلةِ لطَفِئَتْ، ألا ترَى أنَّ مركَزَ النَّارِ في الفَتِيلةِ وضَوءُها يملأُ البَيتَ، فالرُّوحُ تمتَدُّ مِن منخَرِ الإنسَانِ، وتجُولُ في البُلدانِ، ويُريهِ المَلَكُ الموكَّلُ بأرواحِ العِبادِ ما أحَبَّ، ثم يرجِعهُ إلى بدنِهِ(٢).

وسئل(٣) عكرمةُ عَنْ الرجُلِ يرَى في مَنامِهِ كأنَّهُ بخراسَانَ وبالشَّامِ، وبأرْضٍ لم يطَأها قالَ: تلْكَ الرُّوحُ تَرَى، والرُّوحُ مُعلقَةٌ بالنَّفسِ، فإذا استَيقظَتْ جرَّ النَّفسُ الرُّوحَ(٤).

قلتُ: لعَمرِي إنَّ هذِهِ الأقوالَ مما يتعلَّقُ بها النَّاسُ، ويتنَافسُونَ فيها، ولعَمرِي إنَّ ذلِكَ ممَّا يزيدُ المرءَ بصِيرةً في دينِهِ، وتحيُّراً في عجائِبِ خَلقِ اللهِ وقُدرتِهِ لا إلَهَ إلا هوَ، وقدْ أشارَ ابنُ عطيَّةَ إلى أنَّ هذِهِ الأقوالَ غَلبةُ ظنٍّ، ورأى أنَّ حقِيقةَ الأمرِ في أنَّهُ سُبحانَهُ وتَعالى استَأثَرَ بعِلمِ ذلِكَ، وغيَّبَهُ عَنْ عِبادِهِ(٥).

---

(١) انظر: «الروح» (ص١٢٥)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٧).

(٢) انظر: «الروح» (ص١٢٥) وما بين معكوفتين منه، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٧) وعنه نقل المؤلف.

(٣) في (أ): «وقال».

(٤) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٢٦٧). ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٢٨).

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٣).

وقالَ مُقاتلٌ: للإنسانِ حياةٌ ورُوحٌ ونفْسٌ، فإذا خرَجَتْ نفْسُهُ التي يَعقِلُ بها الأشياءَ لمْ تُفارِقِ الجسَدَ، بلْ تخرُجُ كحبْلٍ ممتدٍّ لهُ شُعاعٌ، فيرَى الرُّؤيا بالنَّفسِ التي خَرجَتْ مِنهُ، وتَبقَى الحياةُ والرُّوحُ في الجسَدِ، فيتقَلَّبُ النائمُ فيهِما ويتنَفَّسُ، فإذا تحرَّكَ رجعَتْ إليهِ أسرَعَ مِن طرفَةِ عَينٍ، فإذا أرادَ اللهُ أنْ يُميتَهُ في المنامِ أمسَكَ اللهُ تلْكَ النَّفسَ التي خرجَتْ.

وقالَ أيضاً: إذا نامَ الإنسَانُ[١] خرجَتْ نفسُهُ وسرحَتْ، فإذا رأتِ الرُّؤيا رجعَتْ فأخبرَتِ الرُّوحَ، وتخبرُ الرُّوحُ القلْبَ، فيُصبِحُ يعلَمُ أنهُ رأَى كيْتَ وكيْتَ[٢].

***

فصْلٌ

في الكلامِ علَى رُؤيا الأرواحِ في المنامِ[٣]

قالَ صاحِبُ «القبَسِ»: تقولُ: رأيتُ رُؤيةً، إذا عاينْتَ ببصَرِكَ، و: رأيتُ رَأياً، إذا اعتقَدْتَ بقلْبِكَ، و: رأيْتُ رُؤيا ـ بالقصْرِ ـ، إذا عاينْتَ في مَنامِكَ، وقدْ يُقالُ: إنَّ الرُّؤيا تُستَعمَلُ في اليَقينِ كقَولِهِ تَعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ بناءً علَى مذهَبِ الجُمهورِ وأنَّها في اليقَظةِ[٤].

إذا تقرَّرَ هذا ففِي «المستدْركِ للحاكِمِ»، و«الأوسَطِ» للطَّبرانيِّ، عنِ ابنِ عمرَ قالَ: لقِيَ عمَرُ عليّاً رضي الله عنهما فقالَ: يا أبا الحسَنِ! الرُّؤيا مِنها ما يَصدُقُ ومِنها

---

(١) في (ب): «النائم».

(٢) انظر: «الروح» (ص٢٥١)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٣١٢).

(٣) «في المنام» ليس في (ب).

(٤) انظر: «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» (ص١١٣٥).

ما يكذِبُ؟ قالَ: نعَمْ، سمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «ما مِن عَبدٍ ولا أمَةٍ يَنامُ فيمتَلِئُ نَوماً إلا عُرِجَ برُوحِهِ إلى العرْشِ، فالَّذِي لا يستَيقِظُ إلا عندَ العرْشِ فتلْكَ الرُّؤيا التي تَصدُقُ، والتي تَستيقِظُ دونَ العرْشِ فتلْكَ الرُّؤيا التي تكذِبُ» [1].

وأخـرَجَ البيهَقِـيُّ فـي «شـعَبِ الإيمـانِ» عَـنْ عبـدِ اللهِ بنِ عمـرِو بـنِ العاصِ قـالَ: إنَّ الأرواحَ يُعـرَجُ بهـا فـي مَنامِهـا إلـى السَّـماءِ، وتُؤمَـرُ بالسُّـجودِ عِنـدَ العَـرشِ، فمَـنْ كانَ طاهِراً سـجَدَ عندَ العَـرشِ، ومَـن كانَ ليسَ بطاهِرٍ سـجَدَ بعِيداً عنِ العَـرْشِ [2].

وأخرَجَ ابنُ المبارَكِ في «الزُّهدِ» عَنْ أبي الدَّرداءِ قالَ: إذا نامَ الإنسَانُ عُرِجَ برُوحِهِ حتَّى يُؤتَى بها إلى [3] العرشَ، فإنْ كانَ طاهِراً أُذِنَ لها بالسُّجودِ، وإنْ كانَ جُنباً لمْ يؤذَنْ لها في السُّجودِ [4].

وقالَ ابنُ عبدِ السَّلامِ في رُوحِ اليقَظةِ: أجرَى اللهُ العادَةَ أنَّها إذا كانَتْ في الجسَدِ كانَ الإنسَانُ مُستيقِظاً، فإذا خرجَتْ منَ الجسَدِ نامَ الإنسَانُ، ورأتْ تلكَ الرُّوحُ المنامَاتِ، فإذا رأتْها في السَّماواتِ صحَّتِ الرُّؤيا لأنَّهُ لا سَبيلَ للشَّيطانِ إلى السَّماواتِ، وإنْ رأتْها دوَن السَّماواتِ كانَتْ مِن إلقاءِ الشَّياطينِ، فإذا رجعَتْ استَيقظَ الإنسَانُ كما كانَ [5].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٢١٦) مطولًا، والحاكم في «المستدرك» (٨١٩٩) بالاقتصار على القطعة المذكورة. وقال الذهبي في التلخيص: حديث منكر لم يصححه المؤلف.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٧٨١)، ورواه أيضا البخاري في «التاريخ» (٦/ ٢٩٢).

(٣) «إلى» من (ب).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٤٥). وفيه ابن لهيعة.

(٥) انظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ١٩٧).

وقد[1] اختلَفَ العُقلاءُ في حقِيقةِ الرُّؤيا التي يراهَا النائمُ؛ فقالَ القاضِي أبو بكْرٍ: هيَ خواطِرُ واعتِقاداتٌ.

وقالَ الإسفَرايينيُّ: هيَ إدراكٌ بأجْزاءٍ لم تحُلَّها آفةُ النَّومِ، وهذا الإدْراكُ كإدْراكِ اليقْظانِ[2].

وقالَ ابنُ فُورَكَ: هِيَ أوهامٌ.

وقالتِ المعتزِلةُ: هيَ تخاييلُ لا حقِيقةَ لها ولا دَلِيلَ فيها.

وهذا مِنَ المُعتزِلةِ جارٍ عَلَى أُصولها في تخيُّلِها عَلَى العامَّةِ مِن إنكارِ أصولِ الشَّرعِ في الجنِّ وأحادِيثِها، والملائكَةِ وكلامِها، وأنَّ جِبريلَ عَليهِ السَّلامُ لو كلَّمَ النبيَّ ﷺ بصَوتٍ لسمِعهُ الحاضِرونَ.

وقالَ الطَّبائعِيُّونَ: مَنشَؤها عَنْ غلَبَةِ الأخْلاطِ، فينْسَبُ إلى كلِّ خلْطٍ ما يُناسِبهُ مِن ذلِكَ.

وقالَ صالحٌ المعتزِليُّ: هيَ رُؤيةُ عينٍ؛ حكاهُ عَنهُ صاحِبُ «القبَسِ»[3].

وقالَ قومٌ: هيَ رُؤيةٌ بعَينَينِ في القلْبِ يُبصِرُ بهِما، وأذنان[4] في القَلبِ يسمَعُ بهِما.

وقالَ قومٌ: إنَّها كلامُ اللهِ تَعالى للعَبدِ في النَّومِ؛ لمَا في «مُسندِ» أبي عَبدِ اللهِ الترمِذيِّ العارِفِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الرُّؤيا للعَبدِ كلامٌ يكلِّمهُ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى في مَنامِهِ»[5].

---

(١) «قد» من (ب).

(٢) انظر: «القبس» لأبي بكر بن العربي (ص١١٣٥).

(٣) انظر: «القبس» لأبي بكر ابن العربي (ص١١٣٥).

(٤) في (ب): «وآذان».

(٥) انظر: «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (١/ ٣٩٠) عن عبادة بن الصامت مرفوعاً. قال الحافظ =

وهيَ البُشرَى المشَارُ إلَيها في قولِهِ تَعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤] كذا فسَّرهُ رسُولُ اللهِ ﷺ لأبي الدَّرداءِ، وقالَ: «ما سألَني أحدٌ قبلَكَ»[١].

وقالَتِ الحُكماءُ: إنَّ صورَ العالمِ مَنقُوشةٌ في ظلِّ العرْشِ؛ فعندَ زَوالِ الحجُبِ الظُّلمانيَّةِ تَنتقِشُ الصورُ الغَيبيَّةُ في غيبِ النَّفسِ، ومالَ إلى هذا القَولِ بعضُ الصوفيَّةِ كابنِ العربيِّ نزيلِ دِمشقَ.

قلتُ: وهذا كلامٌ فيهِ غُموضٌ، وتحقِيقُهُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ ما رأيتُهُ في كلامِ بعضِ أهلِ التَّحقِيقِ: اعلَمْ أنَّ كلَّ ما قدَّرَ اللهُ مِن ابتِداءِ العالمِ إلى آخرِهِ مَسطُورٌ ومُثبَتٌ في اللَّوحِ المحفُوظِ، وهوَ لوحٌ لا يُشبِهُ لوحَ الخلْقِ، وثُبوتُ المقادِيرِ في هذا اللَّوحِ تُضاهِي ثُبوتَ كلِماتِ القُرآنِ في دِماغِ حافظِهِ حتَّى كأنَّهُ يَقرؤهُ وينظُرُ إليهِ، ولو فتَّشتَ دِماغهُ لم تُشاهِدْ شَيئاً، فاللَّوحُ كمِرآةٍ تظهَرُ فيها الصوَرُ، والقلْبُ إذا تخلَّصَ منَ الشَّواغلِ وكانَ صافِياً جوهَرُهُ ارتفَعَ الحجَابُ بينَهُ وبينَ اللَّوحِ المحفُوظِ فوقَعَ فيهِ شيءٌ مما في اللَّوحِ كما تقَعُ الصُّورةُ مِن مِرآةٍ أُخرَى.

ثمَّ إنَّ لقلْبِ الإنسَانِ عَينينِ عَليهِما غِشاوةٌ كثِيفَةٌ مِن شهَواتِهِ وأشغَالِهِ الدُّنيويَّةِ، فصارَ لا يكادُ أنْ يُبصِرَ شَيئاً مِن عجائبِ الغَيبِ والملَكُوتِ ما لمْ تنقَشِعْ تلْكَ الغِشَاوةُ عَن عَيني قلْبِهِ، ولمَّا كانَتْ تلْكَ الغشَاوةُ مُنقشِعةً عَنْ أعيُنِ الأنْبياءِ وبعضِ الأولِياءِ،

= في «الفتح» (١٢/ ٣٥٤): وذكر بن القيم حديثاً مرفوعاً غير معزو: «أن رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام»، ووجد الحديث المذكور في «نوادر الأصول» للترمذي من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه في (الأصل الثامن والسبعين)، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واه. وانظر: «الروح» (ص٣٩)، ولم يصرح ابن القيم برفعه.

(١) رواه الترمذي (٢٢٧٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وقال: حديث حسن.

فلا جرَمَ أنهُمْ نَظرُوا إلى الملكُوتِ، وشاهَدُوا أعاجِيبَهُ[١] وشاهَدُوا الموتَى في عالمِ الملَكُوتِ وأخْبَروا عنهُمْ.

إذا علِمتَ هذا: فالرُّؤيا الصالحَةُ لا تحصُلُ إلا بانقِشاعِ تلكَ الغِشاوةِ عَنِ القلبِ؛ فلذَلك لا يوثَقُ إلا برُؤيا الإنسانِ الصالحِ الصَّادقِ، فمَنْ كثُرَ كذبُهُ لم تصدُقْ رُؤياهُ غالِباً، ومَن كثُرَ فسادُهُ ومَعاصِيهِ أظلَمَ قلبُهُ، فكانَ ما يراهُ أضغَاثَ أحْلامٍ.

ولذلِكَ أمرَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بالطهارَةِ عندَ النومِ؛ فالرُّؤيا حِينئذٍ مَعرفةُ شيءٍ مِن عالمِ الغَيبِ يحصُلُ للقلْبِ في النَّومِ، وهيَ مِن عجائبِ صُنعِ اللهِ تَعَالى، ومِن أفصَحِ الأدلَّةِ عَلى عجائبِ الملَكُوتِ، والنَّاسُ عنهُ غافِلُون كغفلَتِهِمْ عَن سائرِ العجائبِ.

قلتُ: وقد رأيتُ في كلامِ الكَرمانيِّ ما يُشيرُ لنحْوِ هذا، وهوَ أحسَنُ ما قيلَ في هذا البابِ؛ فإنَّهُ قالَ في «كتابِهِ الكَبيرِ»[٢]: الرُّؤيا ثمانِيةُ أقسَامٍ: المعبَّرُ منها[٣] واحِدٌ، وسبعَةٌ لا تعبَّرُ.

فالسَّبعةُ: أربعَةٌ مِنها نشَأتْ عن[٤] الأخلاطِ الأربعَةِ الغالِبةِ عَلَى مِزاجِ الرَّائي، فمَنْ غلَبَ عَليهِ خلْطٌ رأى ما يُناسبُهُ:

فمَنْ غلبَتْ عَليهِ الصَّفراءُ رأى الألْوانَ الصُّفرَ والطُّعومَ المرةَ، والسُّمومَ والحُرورَ والصَّواعقَ ونحوَ ذلِكَ.

---

(١) في (ب): «عجائبه».

(٢) ونقله أيضاً القرافي في «الفروق» (٤/ ٢٤١)، وما سيأتي بين معكوفتين منه.

(٣) في (أ): «عنها».

(٤) في (ب): «في».

ومَنْ غلَبَ عَليهِ الدمُ رأى الألوانَ الحُمرَ والطُّعومَ الحُلوةَ، وأنواعَ الطَّربِ؛ لأنَّ الدمَ مُفرِّحٌ حلوٌ والصفْراءَ مُسخِّنَةٌ[1] مرَّةٌ.

ومَن غلَبَ عليهِ البلغَمُ رأى الألوانَ البِيضَ والأمطارَ والمياهَ والثَّلجَ.

ومَن غلَبَ عليهِ السَّوداءُ رأى الألوانَ السُّودَ والأشياءَ المحرَّقةَ، والطُّعومَ الحامِضةَ؛ لأنَّهُ طعْمُ السَّوداءِ.

ويعرَفُ ذلِكَ بالأدلَّةِ الطبيَّةِ الدالَّةِ عَلَى غلبَةِ [ذلك الخَلْطِ على] ذلِكَ الرائي.

القِسمُ الخامِسُ: ما هوَ مِن حدِيثِ النَّفسِ، ويعلَمُ ذلِكَ بجَولانهِ في اليقَظةِ وكثرَةِ الفِكرِ فيهِ، فيَستَولي عَلَى النَّفسِ فتتكيَّفُ فيهِ فيراهُ في النَّومِ.

السَّادسُ: ما هوَ منَ الشَّيطانِ، ويُعرَفُ ذلِكَ بكَونِهِ فيهِ حثٌّ عَلَى أمرٍ تُنكِرُهُ الشَّريعَةُ، أو بأمرٍ مَعروفٍ جائزٍ غيرَ أنَّهُ يؤدِّي إلى أمرٍ مُنكَرٍ؛ كما إذا أمرَهُ بالحجِّ تَطوُّعاً[2]، فتضِيعُ عائلَتهُ، أو يعُقُّ بذلِكَ أبوَيهِ.

السَّابعُ: ما كانَ فيهِ احتِلامٌ.

الثَّامنُ: الذِي يجُوزُ تَعبيرُهُ؛ وهوَ ما خرَجَ عَنْ هذِهِ، وهوَ مِن ملَكِ الرُّؤيا منَ اللَّوحِ المحفُوظِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى وكَّلَ ملَكاً باللَّوحِ المحفُوظِ ينقُلُ مِنهُ لكلِّ أحدٍ ما يتعلَّقُ بهِ مِن أمرِ الدُّنيا والآخِرةِ مِن خَيرٍ أو شرٍّ، لا يَترُكُ مِن ذلِكَ شَيئاً عَلِمهُ مَن عَلمَهُ أو جَهِلهُ مَن جَهلَهُ، ذكرَهُ مَن ذكرَهُ أو نسِيهُ مَن نسِيهُ، وهذا هوَ الذِي يجوزُ تفسِيرُهُ، وما عداهُ فلا يفسَّرُ لأنَّهُ أضغاثُ أحلامٍ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) في (أ) و(ب): «مستحسنة» والمثبت من «الفروق».

(٢) في (ب): «بالتطوع بالحج».

فصل(١)

في الكلامِ على موتِ الأرواحِ ومن يقبضها(٢)

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

اعلَمْ: أنهُ(٣) لا خِلافَ بينَ عُلماءِ الإسلامِ أنَّ كلَّ نفسٍ مِن نفوسِ الإنسِ والجنِّ(٤) والحيَواناتِ البريَّةِ والبَحريَّةِ لا بُدَّ لها مِن ذَوقِ الموتِ.

وكذلك الملائكة؛ خلافاً لابن حزم محتجًا بأنَّ الموتَ إنَّما هو فراقُ النَّفس للجسدِ المركَّب، وقد نصَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن الملائكة خُلقوا من نورٍ، فليس فيهم شيءٌ يفارقُ شيئاً فيسمَّى موتاً.

قال: فإنِ اعترَض معترِضٌ بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] لَزِمه إنْ حَمَل هذه الآيةَ على عمومِها أنَّ حورَ العينِ يَمُتْنَ فيَجعل الجنةَ دارَ موت. انتهى(٥).

وقدِ اختَلَفَ العُلماءُ في حقِيقةِ الموتِ: هلْ هوَ أمرٌ وجُودِيٌّ أو عدمِيٌّ؟

فقالَ الأشعَريُّ: هوَ أمرٌ وجُودِيٌّ؛ لقولِهِ تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] والعدَمُ لا يُخلَقُ.

---

(١) في (أ): «باب».

(٢) «ومن يقبضها» من (ب).

(٣) «اعلم أنه» من (أ).

(٤) بعدها في (أ): «والملائكة».

(٥) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٢١). والكلام من قوله: «وكذلك الملائكة...» إلى هنا من (ب).

وقالَ بعضُهمْ: هوَ أمرٌ عدمِيٌّ، وبهِ قالَ الزَّمخشرِيُّ[١]، ومعْنَى الخلقِ في الآيةِ: التَّقديرُ.

وقالَ بعضُ عُلماءِ التصوُّفِ: ليسَ الموتُ بعدَمٍ صِرفٍ، ولا بقاءٍ محضٍ، وإنما هوَ انتِقالٌ مِن دارٍ إلى دارٍ، ومِن حالٍ إلى حالٍ.

وقالَ القاضِي عبدُ الوَهَّابِ[٢]: الموتُ عِبارةٌ عَن خلُوِّ الجِسمِ منَ الرُّوحِ.

وقال ابن حزمٍ: الموتُ هو فراقُ الرُّوحِ للجسد فقط؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال: فصحَّ أنَّ الحياةَ المذكورة إنَّما هي ضمُّ الجسد إلى النفس، وهو نفخُ الرُّوح فيه، والموتَ هو التفريقُ بين الجسدِ والنَّفْس، لا ما يَظنُّه أهلُ الجهلِ من أنَّ النَّفْس تُعْدَم جملةً، بل هي موجودةٌ قائمةٌ كما كانَتْ قَبْلَ الموتِ وقَبْلَ الحياةِ الأُولى، بل حِسُّها وعلمُها أتمُّ ما كان[٣].

وقالَ بعضُهمْ: إنَّ الموتَ عِبارةٌ عَن تغييرِ حالةِ الإنسانِ، فحقِيقةُ الإنسَانِ نفسُهُ وروحُهُ وهيَ باقيةٌ، وموتُهُ: تغيُّرُ حالِهِ مِن حَيثُ سُلِبَ منهُ عينُهُ وأُذنُهُ ولسانُهُ ونحوُها.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٥٧٥).

(٢) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد، قاض من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالأدب، له كتاب: «التلقين» في فقه المالكية، و«عيون المسائل»، و«شرح الرسالة»، و«الإشراف على نكت مسائل الخلاف» و«المعونة على مذهب علام المدينة»، وغيرها. والكتب المذكورة كلها مطبوعة لكن لم أجد فيها كلامه المنقول هنا.

(٣) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٥٦). والكلام من قوله: «قال ابن حزم الموت هو فراق...» إلى هنا من (ب).

وحاصِلُهُ: أنَّ الموتَ سلْبُ الإنسَانِ عنْ أحوالِهِ بإزعاجِهِ مِن هذا العالمِ[١] إلى عالِمٍ آخَر لا يُناسِبُ هذا العالمَ، ولا يمكِنُ كشْفُ الغطَاءِ عَنْ حقِيقَةِ الموتِ، إذ لا يعرِفُ الموتَ مَن لا يعرِفُ الحياةَ، ومعرِفةُ الحياةِ بمعرفَةِ حَقيقَةِ الرُّوحِ، ومَعرفةُ حقِيقةِ الرُّوحِ مُتعذِّرٌ، فكَيفَ تُعرفُ حقِيقةُ الموتِ؟

وإذا قُلنا: إنَّ الموتَ أمرٌ وجودِيٌّ، فهَلْ هوَ جوهرٌ أو عرَضٌ؟

قالَ صاحِبُ «مطامِحِ الأفهَامِ»[٢]: فيهِ نظَرٌ، انتَهى.

قلتُ: والظاهِرُ أنَّهُ جوهَرٌ[٣]؛ لحديثِ «الصحِيحَينِ»: «يجاءُ بالموتِ يومَ القِيامةِ في صُورةِ كبشٍ أملحَ، فيُوقَفُ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فيُقالُ: هلْ تعرِفُونَ هذا؟ فيقُولونَ: نعَمْ؛ هذا الموتُ، فيذْبَحُ»[٤].

زادَ أبو يعْلَى في رِوايتِهِ عَن أنسٍ: «كما تُذبَحُ الشَّاةُ»[٥].

فثَبتَ بهذا أنهُ جسْمٌ لا عرَضٌ؛ لأنَّ العرَضَ لا يُذبحُ، واختَارَ هذا الحافِظُ السُّيوطيُّ، واستدَلَّ علَى ذلِكَ بما أخرجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ عَنْ قَتادةَ في قولِهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] قالَ: الحياةُ فرسُ جِبريلَ، والموتُ كبشٌ أملَحُ.

وقالَ مُقاتلٌ والكَلبيُّ: خلقَ الموتَ في صُورةِ كبشٍ لا يمرُّ عَلى أحدٍ إلا ماتَ، وخلقَ الحياةَ في صورَةِ فرسٍ لا تمُرُّ عَلى أحدٍ إلا حيِيَ.

---

(١) «من هذا العالم» ليس في (ب).

(٢) «مطامح الأفهام في شرح الأحكام» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤هـ). انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٧١٨).

(٣) في (ب): «أمر وجودي».

(٤) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٨٩٨).

وأخرَجَ أبو الشَّيخِ عَنْ وهْبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ: خلقَ اللهُ الموتَ كَبشاً أملَحَ لهُ أربعَةُ أجنِحةٍ: جناحٌ تحتَ العرْشِ، [وَجَنَاحٌ في الثَّرى، وَجَنَاحٌ في المَشرِق] وجناحٌ في المغرِبِ قالَ لهُ: كُنْ فكَانَ، ثمَّ قالَ: ابرُزْ فبرَزَ [الموتُ لعزرائيل].

وبهذِهِ الآثارِ عرِفَ أنَّ الموتَ جِسمٌ خُلقَ في صُورةِ كَبشٍ لا عرَضٌ[1]، انتهى.

وأمَّا مَن يقُولُ: إنَّ الموتَ عدَميٌّ، فقالَ: لعلَّ هذا الكَبشَ صُورةُ ملَكٍ منَ الملائكةِ الذِينَ يقبِضُونَ أرواحَ الخلائقِ، وأمَّا الموتُ في نفسِهِ فهوَ عدَمٌ محضٌ راجِعٌ إلى سلْبِ الحياةِ، أو هوَ استِعارةٌ وكِنايةٌ عنِ[2] الخلُودِ الدائمِ، فضرَبَ المثَلَ بالموتِ، ولا موتَ هُناكَ حقيقَةً، واللهُ تَعَالى أعلَمُ.

* * *

فصلٌ

فيمَن يقبِضُ الأرواحَ[3]

قالَ[4] اللهُ تَعَالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقالَ تَعَالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١].

وقالَ تَعَالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ الآيةَ [الأنعام: ٦١].

الجمعُ بينَ هذِهِ الآياتِ الثَّلاثِ: أنَّ تَوَفِّيَ الملائكَةِ: القَبضُ والنَّزعُ، وتوفِّيَ

---

(١) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٤٣). وكلام وهب رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٣٩)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) «إلى» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «ولا موت هناك حقيقة وأما من يقبض الأرواح».

(٤) في (ب): «فقال».

مَلكِ الموتِ: الدُّعاءُ والأمرُ بدُعاءِ الأرواحِ فتُجيبُهُ، وتوفِّيَ اللهِ تَعالى: خلْقُ الموتِ، وهوَ المتوفِّي حقِيقةً.

وفي الخَبرِ: أنَّ ملَكَ الموتِ وملَكَ الحياةِ تَناظرا؛ فقالَ ملَكُ الحياةِ: أنا أُحيي الموتَى، وقالَ ملَكُ الموت: أنا أُميتُ الأحياءَ، فأَوحَى اللهُ إليهما: كُونا عَلى عمَلِكُما وما سُخِّرتما لهُ؛ فأنا المميتُ والمحيِي، لا يمِيتُ ولا يحيِي سِوايَ[1].

وأمَّا أرواحُ الجنِّ: فالصحِيحُ أنَّ ملَكَ الموتِ يقبِضُها كما يقبِضُ أرواحَ الإنسِ.

وقيلَ: إنَّ أعوانَهُ تنفَرِدُ بقبْضِ أرواحها[2]، ونُسِبَ هذا القَولُ للمُبتدِعةِ.

وكذلِكَ يقبِضُ أرواحَ الحيواناتِ عَلَى الأصحِّ.

وفي «شرحِ الصُّدورِ»: أخرَجَ أبو الشَّيخِ والعُقيلِيُّ في «الضُّعفاءِ» والدَّيلمِيُّ عَن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «آجالُ البهائمِ وخشَاشِ الأرضِ كلِّها في التَّسبيحِ، فإذا انقضَى تسبِيحُها قبَضَ اللهُ أرواحَها، وليسَ إلى ملَكِ الموتِ مِن ذلِكَ شيءٌ»[3].

ولهُ طريقٌ آخرُ أخرجَهُ الخطِيبُ في «الرواةِ عَن مالِكٍ» مِن حديثِ ابنِ عُمرَ.

قالَ ابنُ عطيَّةَ والقُرطبيُّ: وكأنَّ معْنَى ذلكَ أنَّ اللهَ يُعدمُ حَياتها بلا مُباشرةِ ملَكِ [الموت][4]. كذا نقَلَ السُّيوطيُّ[5].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٢٠).

(٢) في (أ): «أرواحهما».

(٣) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٤٣). ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٣٥)، والديلمي في «الفردوس» (١٦٩٥). ورواه أيضاً ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٩٧) وقال: موضوع. وقال العقيلي: لا أصل له.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٨). والعبارة المذكورة للسيوطي، أما ابن عطية والقرطبي فاقتصرت عبارتهما على: (كأنه يعدم حياتها).

(٥) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٥٧) وما بين معكوفتين منه.

وقدْ سُئِلَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ عَنِ البراغِيثِ: أملَكُ الموتِ يقبِضُ أرواحَها؟ فأطرَقَ طوِيلاً ثمَّ قالَ: ألها نفسٌ؟ ثم[1] قالَ[2]: نعَمْ، قالَ: فإنَّ ملكَ الموتِ يقبِضُ أرواحَها ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ أخرجَهُ الخطِيبُ[3].

وأخرَجَ ابنُ ماجَهْ عَن أبي أُمامةَ قالَ: سمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ وكَّلَ ملَكَ الموتِ بقبْضِ الأرواحِ، إلا شهُداءَ البحرِ فإنَّ اللهَ يتولَّى قبضَ أرواحِهِمْ»[4].

وأخرجَ جُوَيبرٌ[5] في «تفسِيرِهِ» عنِ الضحَّاكِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: وكِّلَ ملَكُ الموتِ بقبْضِ أرواحِ الآدَميينَ، فهوَ الذِي يقبِضُ أرواحَهمْ، وملَكٌ في الجنِّ، وملَكٌ في الشَّياطينِ، وملَكٌ في الطَّيرِ والوحشِ والسِّباعِ والحِيتانِ والنَّملِ، فهُمْ أربعَةُ أملاكٍ، والملائكَةُ يموتُونَ في الصَّعقةِ الأُولى، وإنَّ ملَكَ الموتِ يلِي قبضَ أرواحِهمْ ثمَّ يمُوتُ، فأمَّا الشُّهداءُ في البحرِ فإنَّ اللهَ يلِي قبضَ أرواحِهمْ لا يكِلُ ذلِكَ إلى ملَكِ الموتِ لكرامتِهمْ عَليهِ حَيثُ ركِبُوا لججَ[6] البحرَ في سَبيلِهِ.

قالَ الحافِظُ السُّيوطيُّ رحمِهُ اللهُ: وجُويبرٌ ضَعيفٌ جدًّا، والضحَّاكُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ مُنقطِعٌ، ولآخرِهِ شاهِدٌ مرفُوعٌ[7]، واللهُ سُبحانَهُ أعلَمُ.

---

(١) «ثم» من (ب).

(٢) أي: قال السائل مجيباً للإمام.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٩)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٥٧).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٧٧٨)، وضعفه البوصيري في «الزوائد» (٣/ ١٥٩).

(٥) وقع في النسختين: «ابن جويبر»، وهو خطأ.

(٦) «لجج» من (ب).

(٧) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» (ص٥٨). ويريد بالشاهد المرفوع حديث أبي أمامة المتقدم.

فصلٌ

في الكلامِ عَلَى الأرواحِ حِينَ الموتِ

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

قالَ الثعلبيُّ: سكرَةُ الموتِ: غمرَتُهُ وشدَّتُهُ(١)، كالسُّكْرِ الذِي يغلِبُ عَلَى فهمِ الإنسانِ منَ الشَّرابِ والنَّومِ، فللمَوتِ سكرةٌ بعدَ سكرةٍ، وشدَّةُ ألمِ سكرَةِ الموتِ لا يعرِفُها إلا مَن ذاقَها، ومَن لمْ يذُقْها إنَّما يعرِفُها بالاستِدلالِ بأحوالِ النَّاسِ في النَّزعِ.

ففي البُخاريِّ أنهُ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عندَ مَوتهِ جعَلَ يُدخِلُ يديهِ في الماءِ فيمسَحُ بهِما وجهَهُ ويقُولُ: «لا إلهَ إلا اللهُ، إنَّ للمَوتِ سكراتٍ»(٢).

وفي الثَّعلبيِّ عَن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ العبدَ ليُعالجُ كُرَبَ الموتِ وسكراتِهِ، وإنَّ مفاصِلَهُ ليسلِّمُ بعضُها عَلَى بعضٍ؛ تقولُ: عليكَ السَّلامُ تفارِقُني وأفارِقُكَ إلى يومِ القِيامةِ»(٣).

قالَ الحكَماءُ: إنَّ هذِهِ النَّفسَ النَّاطقةَ لمَّا تعلَّقتْ بالبدَنِ واستَأنسَتْ بهِ كرِهتْ فِراقَهُ لشدَّةِ الإلفِ بينَهُما بتكرُّرِ(٤) الدُّهورِ والأزمِنةِ.

وقالَ ابنُ سِينا: إنَّ تعلُّقَ النَّفسِ بالبدَنِ عَظُمَ جداً حتَّى إنها بعَد المفارَقةِ تَشتاقُ إليهِ وتلتَفِتُ إلى الأجرامِ البدنيَّةِ المدفُونةِ، فعُلمَ بذلِكَ أنَّ تعلُّقَ النَّفسِ بالبدَنِ في

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٢٠/ ٣٩٥). و«تفسير البغوي» (٧/ ٣٥٩)، وفيهما: ﴿سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وفهمه. ولم أجده عند الثعلبي.

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٩) من حديث أنس مرفوعاً. وفي إسناده الخضر بن أبان وهو ضعيف.

(٤) في (ب): «بتكرار».

غايةِ الشدَّةِ، ولا ترضى فِراقهُ بحالٍ حتَّى قيلَ: إنَّ النفُوسَ المقدَّسةَ كذلِكَ.

وحُكِيَ أنَّ أفلاطُونَ كانَ دائمَ البُكاءِ، فسألَهُ بعضُ أصحابِهِ عَنْ ذلِكَ فقالَ: إنما أبكِي عَلَى مُفارقَةِ النَّفسِ عَنِ البدَنِ، معَ أنهُما قدْ تآلَفا زَمَاناً كثِيراً، واللهُ أعلَمُ.

* * *

فصلٌ

في قَبضِ أرواحِ المؤمِنينَ

قالَ[1] اللهُ تَعالى فيها: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: ٢].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الملائكةُ تَنْشطُ أنفُسَ المؤمِنينَ عندَ الموتِ للخُروجِ، وذلِكَ بأنهُ ليسَ مؤمنٌ يحضُرهُ الموتُ إلا عُرِضتْ عَليهِ الجنَّةُ قبلَ أنْ يمُوتَ، فيرَى فيها أشباهاً مِن أهلِهِ وأزواجِهِ مِنَ الحُورِ العينِ فيَدْعُونهُ إلَيها، فنفْسُهُ إليهِمْ نَشيطَةٌ أنْ تخرُجَ فتأتِيَهُمْ[2].

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ أيضاً: أنَّ الملائكةَ تَنشطُ نفسَ المؤمِنِ فتقبِضُها كمَا يُنشَطُ العِقالُ مِن يدِ البَعيرِ[3]، ثمَّ يتناولُها ملَكُ الموتِ، وهوَ معْنَى قولِهِ: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ فإنْ كانَ ذلِكَ مِنَ المقرَّبينَ فيُؤتى لهُ بغُصنٍ مِن ريحانِ الجنَّةِ فيشمُّهُ ثمَّ يقبِضُ روحَهُ[4].

وأمَّا ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ فقالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنهُ: هيَ الملائكةُ تسبَحُ بأرواحِ

(١) في (ب): «زماناً كثيراً إذا علمت هذا فنقول أما قبض أرواح المؤمنين فقد قال».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٨) عن أبي العالية.

المؤمِنينَ، وكذلِكَ السَّابقاتُ: هيَ الملائكَةُ تسبِقُ بأرواحِ المؤمِنينَ إلى الجنَّةِ[١].

وفـي النَّسـائيِّ عَـنْ أبـي هُريـرَةَ رضِـيَ اللهُ عنـهُ: أنَّ نبـيَّ اللهِ ﷺ قـالَ: «إذا احتُضِـرَ المؤمِـنُ أتتْـهُ ملائكَـةُ الرحمَـةِ بحرِيـرةٍ بيضَـاءَ فيقُولُـونَ لروحِـهِ: اخرُجِي راضِيـةً مرضيَّـاً عنـكِ إلـى رَوحِ اللهِ وريحـانٍ، وربٍّ غيـرِ غَضبـانَ، فتَخـرُجُ كأطيبِ ريـحِ مِسـكٍ، حتَّى إنـهُ ليناوِلُـهُ بعضُهـمْ بعضَاً فيشـمُّونهُ حتَّى يأتـوا بِه بابَ السَّـماءِ، فيقُولـونَ: مـا أطيـبَ هـذِهِ الرِّيـحِ التـي جاءتكُـمْ مـنَ الأرْضِ فيأتُـونَ بـهِ أرواحَ المؤمِنيـنَ فلهُـمْ أشـدُّ فرَحـاً بـهِ مِـن أحدِكُـمْ بغائـبٍ يَقدَمُ عليـهِ، فيسـألُونهُ مـا فعَلَ فـلانٌ؟ مـا فعَـلَ فُـلانٌ؟» الحديـثَ[٢].

وفي «التذكِرةِ» للقُرطبيِّ عَن أبي أيُّوبَ الأنْصارِيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: إذا قُبضَتْ نفسُ المؤمِنِ تلقَّاها أهلُ الرحمَةِ مِن عِبادِ اللهِ كما يتلقَّونَ البشِيرَ في الدُّنيا، فيقبِلُونَ عليهِ يسألُونَهُ فيقُولُ بعضُهمْ لبعضٍ: أَنْظِرُوا أخاكُمْ حتَّى يستَرِيحَ فإنَّهُ كانَ في كرْبٍ شدِيدٍ، قالَ: فيُقبِلُونَ عَليهِ فيسألُونَهُ: ما فعَلَ فلانٌ، ما فعلَتْ فُلانةٌ، وهلْ تزوَّجتْ؟ فإذا سألُوهُ عَنْ رجُلٍ قدْ ماتَ قبلَهُ فيقُولُ: إنَّهُ قد[٣] هلَكَ، فيقُولونَ: إنَّا للهِ وإنا إليهِ راجعُونَ، ذُهِبَ بهِ إلى أُمِّهِ الهاوِيةِ، فبِئسَتِ الأمُّ وبئسَتِ المربِّيةُ[٤].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٣)، و«شرح الصدور» (ص٦٧).

(٢) رواه النسائي (١٨٣٣).

(٣) «قد» من (ب).

(٤) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٢٢٩)، ورواه هكذا موقوفاً ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٣)، ورواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٤٠)، وابن الجوزي في «العلل» (١٥٢٢) من حديث أبي أيوب مرفوعاً. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ... وقد روي عن أبي أيوب موقوفاً، وهذا شيء يروي عن عبيد بن عمير.

وفي «الدرَّةِ الفاخِرةِ في كشفِ علُومِ الآخرَةِ[١]» للإمامِ الغزاليِّ قالَ: إذا قبَضَ الملَكُ النَّفسَ السَّعيدةَ تناولَها ملَكانِ حسَانُ الوجُوهِ عَليهِما أثوابٌ حسَنةٌ، ولهُما رائحةٌ طيِّبةٌ، فيَلُفُّونها في حرِيرةٍ مِن حَريرِ الجنَّةِ، ويعرُجُونَ بها في الهواءِ، فلا تزالُ تمرُّ بالأُممِ السالِفةِ والقُرونِ الخالِيةِ كأمثَالِ الجرادِ المنتَشِرِ حتَّى تنتَهِيَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، ثمَّ مِن سماءٍ إلى السَّماءِ السَّابعةِ، ثمَّ يصعَدُونَ بها إلى سِدرةِ المُنتَهى، ثمَّ يمرُّونَ بها في بحرٍ مِن نورٍ، ثمَّ بحرٍ مِن ظُلمةٍ، ثمَّ بحرٍ مِن ماءٍ، ثمَّ بحرٍ مِن ثَلْجٍ، ثمَّ بحرٍ مِن بَرَدٍ، كلُّ بحرٍ طولُهُ ألفُ عامٍ، حتى ينتَهُوا بها إلى الحجُبِ المضرُوبةِ عَلَى عرْشِ الرَّحمنِ وهوَ ثمانونَ ألفَ سُرادقٍ، فحِينئذٍ يُنادِي مُنادٍ مِن وراءِ تلْكَ الحجُبِ مِنَ الحضرَةِ القدسيَّةِ: مَن هذِهِ النَّفسُ التي جئتُمْ بها؟ فيُقالُ: فلانُ بنُ فلانٍ، يقولُ الجليلُ جلَّ جلالُهُ: قرِّبُوهُ فنِعمَ العبدُ كنتَ[٢]، فإذا وقَفَ بينَ يديهِ الكريمَتينِ أخجَلَهُ ببَعضِ اللَّومِ والمعاتَبةِ حتَّى يظنَّ أنهُ هالِكٌ، ثمَّ يعفُو[٣] عنهُ سُبحانَهُ، ومِنَ النَّاسِ مَن يصِلُ إلى الكُرسيِّ، ومِنهُمْ إلى الحجُبِ، وإنَّما يصِلُ إليهِ عارِفُوهُ[٤].

وقالَ في «التذكِرةِ» عنِ الرُّوحِ: والذِي عَليهِ أهلُ السنَّةِ أنها ترفَعُها الملائكةُ حتَّى توقِفَها بينَ يدَي اللهِ تَعَالى فيسأَلُها، فإنْ كانَتْ مِن أهلِ السَّعادةِ قالَ لهُمْ: سِيروا بها وأرُوها مَقعَدَها منَ الجنَّةِ، فيسِيرونَ بها في الجنَّةِ عَلَى قدْرِ ما يغسَّلُ الميتُ، فإذا

---

(١) «في كشف علوم الآخرة» ليس في (ب).

(٢) «كنت» من (ب).

(٣) في (ب): «فيعفو».

(٤) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٢٣٨ ـ ٢٤٠)، وقد ذكره عن الغزالي هكذا دون سند، ولم أجده في كتاب من كتب السنة، وأمثال هذه الأمور الغيبية لا تؤخذ إلا بالسمع، وهذا ينسحب على ما سيأتي من نحو هذا.

غُسِّلَ وكفِّنَ رُدتْ وأدرِجتْ بينَ كفنِهِ وجسَدِهِ، فإذا حمِلَ عَلَى النَّعشِ فإنهُ يسمَعُ كلامَ النَّاسِ مِن تكلُّمٍ بخيرٍ أو تكلُّمٍ بشرٍّ، فإذا وصَلَ إلى قبرِهِ وصلِّيَ عليهِ رُدَّ فيهِ الرُّوحُ وأُقعِدَ ذا روحٍ وجسَدٍ، ودخَلَ عليهِ الملكانِ الفتَّانانِ، كما سَيأتي[1].

وعَن عمرِو بنِ دِينارٍ قالَ: ما مِن ميتٍ يموتُ إلا ورُوحهُ في يدِ ملَكٍ ينظُرُ إلى جسدِهِ كيفَ يغسَّلُ، وكيفَ يكفَّنُ، وكيفَ يمشَى بهِ، ويُقالُ لهُ وهوَ عَلى سرِيرِهِ: اسمَعْ ثناءَ النَّاسِ علَيكَ، ويعلَمُ ما يكُونُ في أهلِهِ بعدَهُ، وإنهُمْ ليغسِّلُونَهُ ويكفِّنُونَهُ، وإنَّهُ لينظُرُ إلَيهِمْ[2].

وعَنْ حُذيفَةَ قالَ: إنَّ الرُّوحَ بيدِ الملَكِ والجسَدُ يقلَّبُ، فإذا حمَلُوهُ تبِعَهمْ، فإذا وضِعَ في القَبرِ بثَّهُ فيهِ، أخرجَهُ البَيهقِيُّ[3]، واللهُ سُبحانَهُ أعلَمُ.

***

فصلٌ

في قبضِ أرواحِ الفاجِرينَ

قالَ[4] اللهُ تَعَالى فيها: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقࣰا﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: النازِعاتُ: الملائكَةُ التي تَنزِعُ أرواحَ الكفَّارِ ومَعنى: ﴿غَرۡقࣰا﴾ ما قالَ ابنُ مَسعودٍ: أنفاسُ الكفَّارِ ينزِعُها ملَكُ الموتِ مِن أجسادِهِمْ مِن تحتِ كلِّ شعرَةٍ، ومِن تحْتِ الأطرافِ[5]، وأصولِ القَدمَينِ، ثمَّ يُغرِقُها ويردُّها في جسَدِهِ، فهذا عمَلُهُ بالكفَّارِ.

---

(١) «كما سيأتي» من (أ).

(٢) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٣) رواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٤٥).

(٤) في (ب): «والله تعالى أعلم وأما قبض روح الفاجر فقال».

(٥) «الأطراف» كذا في (أ) و(ب)، والذي في المصادر التي ذكرت الخبر: «الأظافير». انظر: «تفسير =

وقالَ ابنُ جُبيرٍ: نُزعتْ أرواحُهمْ، ثمَّ غُرقَتْ، ثمَّ قُذفَ بها في النَّارِ.

وقيلَ: يرَى الكافِرُ نفسَهُ في وقتِ النَّزعِ كأنها تغرَقُ.

وفي النَّسائيِّ مِن تتمَّةِ حَديثِ أبي هُرَيرَةَ السَّابقِ: «وإنَّ الكافِرَ إذا احتُضِرَ أتتْهُ ملائكَةُ العذابِ بمسُوحٍ فيقُولونَ: اخرُجِي ساخطَةً مَسخوطاً عَليكِ إلى عَذابِ اللهِ، فتخرُجُ كأنتَنِ ريحِ جيفَةٍ حتَّى يأتُوا بِهِ بابَ الأرْضِ، فيقُولونَ: ما أنتنَ هذِهِ الرِّيحَ حتَّى يأتُوا بِهِ أرواحَ الكفَّارِ»[١].

وذكر[٢] الثَّعلبيُّ في تفسِيرِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: إنَّ أبوابَ السَّماءِ لا تُفتَحُ لأرواحِهمُ الخبِيثَةِ فلا يَصعدْنَها بلْ يُهوَى بها إلى سجِّينٍ تحتَ الصخرَةِ الخضراءِ التي تحتَ الأرْضِ[٣].

وذكَرَ الثَّعلبيُّ أيضاً عَنْ أبي هُرَيرَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ صفَةَ قبضِ رُوحِ المؤمِنِ، ثمَّ قالَ: وإذا كانَ الرجُلُ السوءُ قالوا لها: اخرُجِي أيتُها النَّفسُ الخبِيثَةُ التي كانَتْ في الجسَدِ الخَبيثِ ذَميمةً، وأبشِري بحمِيمٍ وغسَّاقٍ، وآخرَ مِن شكلِهِ أزواجٌ، فيقُولونَ ذلكَ حتَّى تخرُجَ، ثمَّ يُعرَجُ بها إلى السَّماءِ فيُستفْتَحُ لها، فيُقالُ: مَن هذا؟ فيقُولونَ: فلانٌ، فيقُولونَ: لا مَرحباً بالنَّفسِ الخبِيثةِ التي كانَتْ في الجَسَدِ الخبيثِ، ارجِعي ذَميمَةً، فإنَّهُ لا تُفتَحُ لكِ أبوابُ السَّماءِ، فتُرسَلُ منَ السَّماءِ إلى الأرْضِ فتصِيرُ إلى القبرِ[٤].

= الثعلبي» (١٠/ ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٠)، «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٧).

(١) رواه النسائي (١٨٣٣).

(٢) في (أ): «وفي».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٣). ورواه ابن ماجه (٤٢٦٢)، والإمام أحمد في «المسند» =

وفي «الهدايةِ» لمكيٍّ في تفسيرِ قولِهِ تَعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ أنَّهُ رُوي أنَّ أرواحَ الكفَّارِ يُصعَدُ بها إلى السَّماءِ فتأبى السَّماءُ أنْ تقبلَها، ثمَّ يُهبطُ بها إلى الأرْضِ فتَأبى الأرضُ أنْ تَقبلَها، فيُهبَطُ بها إلى سبعِ أرَضِينَ حتَّى يُنتَهى بها إلى سِجِّينٍ وهوَ خدُّ إبلِيسَ، فيُخرَجُ لها مِن تحتِ خدِّ إبلِيسَ كتابٌ، فيُختَمُ ويوضَعُ تحْتَ خدِّ إبليسَ لهلاكِهِ للحسَابِ[1]، واللهُ أعلَمُ.

فائـدةٌ: قـالَ الحافِـظُ السُّـيوطيُّ فـي كتابِـهِ «شـرح الصُّـدورِ»: وقـعَ فـي كلامِ الغزالـيِّ فـي «الـدرَّةِ الفاخِـرةِ»: أنَّ روحَ المؤمِنِ عَلى صُـورةِ النَّحلـةِ، ورُوحَ الكافِرِ عَلـى صُـورةِ الجَـرادةِ، وهـذا شـيءٌ لا يُعـرَفُ أصلُهُ، بـلْ وقَعَ فـي حَديـثِ الصُّورِ: «أنَّ إسـرافِيلَ يدعُـو الأرواحَ فتأتِيهِ جَمِيعاً أرواحُ المسـلِمِينَ تتوهَّـجُ نُوراً، والأُخرَى ظُلمـةً، فيجْمَعُهـا جمِيعـاً فيعلِّقُهـا فـي الصُّورِ، ثـمَّ ينفُخُ فيـهِ، فيقُولُ الـربُّ: وعزَّتي وجلالـي ليرجِعـنَّ كلُّ روحٍ إلـى جسـدِهِ، فتخـرُجُ الأرْواحُ مـنَ الصـورِ مثـلَ النَّحلِ قَـدْ مـلأتْ ما بيـنَ السَّـماءِ والأرْضِ، فتأتـي كلُّ روحٍ إلى جسَـدِها فتدخُلُ، فتمشِـي في الأجسَـادِ مثـلَ السُّـمِّ في اللَّدِيـغِ»[2].

فقولُهُ: «مثلَ النَّحلِ» ليسَ المرادُ أنَّ الرُّوحَ تُشبهُهُ في الهيئةِ والصُّورةِ، بلْ في الخروجِ وهَيئتِهِ فقَطْ، ومثلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: ٧].

= (٨٧٦٩)، وقال البوصيري في «الزوائد» (٤/ ٢٥٠): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٨١٢٣). ورواه الحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٢٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٤)، عن كعب الأحبار.

(٢) هذه قطعة من حديث أبي هريرة الطويل حديث الصُّوْر، رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٣)، قال البيهقي: وهو حديث روي عن محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وفي إسناده مقال.

وفي لفظِ هذا الحديثِ في «تفسيرِ جُويبرٍ»: فتأتي أرواحُ المؤمنينَ منَ الجابيةِ[١]، وأرواحُ الكفَّارِ مِن برهُوتَ، ولهُنَّ أهدَى إلى أبدانها مِن أحدِكُمْ إلى رحلِهِ، والأرْواحُ يومئذٍ سُودٌ وبِيضٌ، فأرْواحُ المؤمنينَ بيضٌ، وأرواحُ الكفَّارِ سُودٌ[٢]، واللهُ سُبحانَهُ أعلَمُ.

***

فصلٌ
في الكلامِ عَلَى الأرواحِ في القبرِ

اعلَمْ وفَّقكَ اللهُ تَعَالى[٣]: أنَّ سُؤالَ الملَكينِ حقٌّ ثابِتٌ بالكِتابِ والسُّنةِ وإجماعِ الأُمةِ، ولمْ يخالِفْ في ذلِكَ إلا الزَّنادقةُ والملاحِدةُ ممَّنْ تمذْهَبَ بمذهَبِ الإسْلامِ في ظاهِرِ الأمرِ.

أمَّا الكتابُ فقولُهُ تَعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ الآيةَ [إبراهيم: ٢٧]، جاءَ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّها في سُؤالِ الملَكَينِ[٤].

وحكَى عبدُ الوهَّابِ الإجماعَ في أنَّ القصْدَ بها التَّثبيتُ عندَ المسألَةِ.

وأما السنَّةُ فقالَ الجَلالُ السيوطِيُّ: قدْ تواترَتِ الأحادِيثُ بذلِكَ مِن روايةِ أنسٍ، والبراءِ، وتميمٍ الداريِّ، وبشِيرٍ، وثَوبانَ، وجابرٍ، وعبدِ اللهِ بنِ رَواحَةَ، وعُبادَةَ بنِ الصَّامتِ، وحذَيفَةَ، وضَمُرةَ، وابنِ عبَّاسٍ، وابنِ عُمر، وابنِ مسعودٍ، وعمرَ، وعثمانَ،

---

(١) في (ب): «الحابية».

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص٣١٨).

(٣) «وفقك الله تعالى» من (أ).

(٤) رواه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٧٢١٩)، من حديث البراء رضي الله عنه.

وعمرِو بنِ العاص [١] ومعاذِ بنِ جبَلٍ، وأبي أُمامَةَ، وأبي الدَّرداءِ، وأبي رافعٍ، وأبي سعِيدٍ الخُدرِيِّ، وأبي قتَادةَ، وأبي هُرَيرَةَ، وأبي مُوسَى، وعائشَةَ، وأسماءٍ [٢]، انتَهى.

وأمَّا الإجماعُ: فاعلَمْ أنَّ أهلَ السنَّةِ ومَن وافقَهُمْ مجمِعُونَ عَلى ذلِكَ، لكِن اختَلفُوا: هلِ السُّؤالُ للبَدنِ فقَطْ، أو الروحِ فقَطْ، أو هما مَعاً؟

فقالَتْ طائفَةٌ: السُّؤالُ للبَدنِ بلا رُوحٍ، مِنهُمْ: ابنُ الزَّاغُونيِّ، وأنكرَهُ الجُمهورُ.

وقالَتْ طائفَةٌ: السُّؤالُ للرُّوحِ بلا بدَنٍ مِنهُمُ ابنُ حزمٍ، وابنُ عقِيلٍ وابنُ الجَوزيِّ.

والصحِيحُ أنَّ السؤالَ للبَدنِ والرُّوحِ، قالَ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدينِ بنُ تيمِيةَ الحنبَليُّ: الأحادِيثُ مُتواترَةٌ عَلَى عودِ الرُّوحِ إلى البدنِ [٣].

وقالَ العلامَةُ ابنُ القيِّمِ الحنبلِيُّ: الأحادِيثُ مصرِّحةٌ بإعادَةِ الرُّوحِ إلى البدَنِ عندَ السُّؤالِ، لكِنْ لا عَلى هذِهِ الحالَةِ المعهُودَةِ بينَنا كما أنَّ حياةَ النائمِ وهوَ حيٌّ غيرُ حياةِ المستَيقِظِ [٤].

وقال ابنُ حزمٍ: لم يأتِ قطُّ عن رسولِ اللهِ ﷺ في خبرٍ يصحُّ أنَّ أرواحَ الموتى تُردُّ إلى أجسادِهم عند المساءَلة.

قال: ولو صحَّ ذلك لقُلْنا به، وإنما انفردَ بهذه الزيادةِ التي فيها ردُّ الروحِ للجسد في القبرِ المنهالُ بنُ عمرٍو وليس بالقويِّ؛ تركَه شعبةُ وغيرُه. انتهى [٥].

---

(١) في (أ): «وابن عباس وابنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ وابنِ عمرِو بنِ العاصِ»، والمثبت من (ب) والمصدر.

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص١٢١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٦)، والكلام كله منقول من «شرح الصدور» (ص١٤٧).

(٤) انظر: «الروح» (ص٥٦)، و«شرح الصدور» (ص١٤٦) والكلام منه.

(٥) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٥٧)، وقد تعقبه ابن القيم في رده للحديث المذكور فقال: =

وسئلَ الحافظُ ابنُ حجَرٍ عنِ الميتِ إذا سئلَ: هلْ يُقعَدُ أم يُسأَلُ وهوَ راقدٌ؟

فأجابَ: أنه يُقعَدُ.

وسئلَ عنِ الرُّوحِ: هلْ تلبَسُ الجثَّةَ كما كانَتْ؟

فأجابَ: نعَمْ، لكِنَّ ظاهِرَ الخبرِ أنها تحِلُّ في نصفِهِ الأعلَى.

وسئلَ: هلْ يكشَفُ للميِّتِ حينَ يُسألُ حتَّى يَرى النبيَّ ﷺ؟

فأجابَ: بأنهُ لمْ يرِدْ في حديثٍ، ولكِن ادَّعاهُ بعضُ مَن لا يُحتَجُّ بهِ بغَيرِ مُستندٍ سوَى قولِهِ: «في هذا الرَّجلِ»[1]، ولا حجَّةَ فيهِ لأنَّ الإشارَةَ للحاضِرِ في الذِّهنِ[2].

وأمَّا كونُ الأطفَالِ يُسألُونَ أو لا، وكونِ السُّؤالِ خاصاً بالمسلِمينَ أو لا؟

= (وأما قوله: إن الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوي، فهذا من مجازفته رحمه الله، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة...) إلى آخر كلامه.، وقد خرجنا طرقه كلَّها في تحقيقنا لكتاب «الروح» فراجعه. ثم قال ابن القيم: (وقوله: إن المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهي قوله: «فتعاد روحه في جسده» وضعَّفه، فالمنهال أحد الثقاة العدول، قال ابن معين: المنهال ثقة، وقال العجلي: كوفي ثقة. وأعظم ما قيل فيه: إنه سُمع من بيته صوت غناء، وهذا لا يوجب القدح في روايته واطِّراحَ حديثه، وتضعيف ابن حزم له لا شيء، فإنه لم يذكُر موجِبا لتضعيفه غيرَ تفرده بقوله: «فتعاد روحه في جسده» وقد بينَّا أنه لم يتفرد بها، بل قد رواها غيره، وقد روي ما هو أبلغ منها أو نظيرُها كقوله: «فترد إليه روحه» وقوله: «فتصير إلى قبره فيستوي جالسا» وقوله: «فيُجلسانه» وقوله: «فيجلس في قبره»، وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها). انظر: «الروح» (ص٥٨ و٦١). والكلام من قوله: «قال ابن حزم لم يأت...» إلى هنا من (ب).

(١) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «العبدُ إذا وُضِعَ في قبرِه، وتُوُلِّيَ وذهبَ أصحابُه حتى إنَّه ليَسمَعُ قَرْعَ نِعالِهم، أتاه مَلَكَان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجلِ محمدٍ ﷺ؟...».

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص١٤٦).

فراجِعهُ في كتَابِنا: «بهجَةُ الناظِرينَ» إلى غَيرِ ذلِكَ مما ذكَرناهُ فيهِ[1]، وليسَ قَصدُنا هُنا إلا الكَلامَ عَلَى الأرْواحِ.

واعلَمْ: أنَّ عذَابَ القبرِ ونعيمَهُ ثابتٌ بالكتَابِ والسنَّةِ وإجماعِ الأُمةِ كما هوَ معلُومٌ، لكِن اختلَفَ العلماءُ: هلِ العذابُ عَلَى الرُّوحِ والجسَدِ مَعاً، أو على الرُّوحِ فقَطْ؟ المشْهورُ أنَّهُ عليهِما مَعاً.

وفي «الإحياءِ» للغزاليِّ أنَّ ابنَ عمَرَ قالَ: إنَّ هذِهِ الأبدانَ ليسَ يضُرُّها هذا التُّرابُ شَيئاً، وإنَّما الأرواحُ هيَ التي تُعاقَبُ وتُثابُ إلى يومِ القِيامَةِ[2].

وكذا ذكَره ابنُ حزمٍ وقال: فمالَ ابنُ عُمرَ إلى أسماءَ فعزَّاها وقال: إنَّ هذه الجثَثَ ليست بشيءٍ، وإنَّ الأرواحَ عند الله عزَّ وجلَّ[3].

وقالَ اليافِعيُّ: مذهَبُ أهلِ السنَّةِ أنَّ أرواحَ الموتى تُردُّ في بعضِ الأوْقاتِ مِن عِلِّيينَ أو مِن سِجِّينٍ إلى أجسَادهِمْ في قُبورِهمْ عندَ إرادَةِ اللهِ تَعالى، وخُصوصاً ليلَةَ الجمُعةِ، فيجلِسُونَ ويتحدَّثُونَ، وينعَّمُ أهلُ النعِيمِ، ويعذَّبُ أهلُ العذابِ.

قالَ: وتختَصُّ الأرواحُ دُونَ الأجسَادِ بالنَّعيمِ أو العذابِ ما دامَتْ في عِليينَ أو سِجِّينٍ، وفي القَبرِ يشترِكُ الرُّوحُ والجسَدُ[4].

وفي «بحرِ الكَلامِ» للنسَفيِّ: أرواحُ العصَاةُ في جوفِ طيرٍ سُودٍ تحتَ الأرْضِ

---

(١) «مما ذكرناه فيه» من (أ).

(٢) انظر: «الإحياء» (٤/ ٤٩٧)، و«شرح الصدور» (ص١٩٩)، والكلام منه.

(٣) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٥٧)، ورواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٦٧٧)، وابن حزم في «المحلى» (١/ ٢٢). والكلام من قوله: «وكذا ذكره ابن حزم...» إلى هنا من (ب).

(٤) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٢٠).

السابعَةِ، وهيَ مُتصلَةٌ بأجسادِها فتتعَذَّبُ الأرواحُ وتتألَّمُ الأجسادُ؛ كالشَّمسِ في السَّماءِ، ونُورُها في الأرضِ[١].

وقالَ العلَّامةُ ابنُ القيِّمِ: إنَّ الأرواحَ لها اتِّصالٌ بأجسَادِها في قُبورِها ليحصُلَ للجسَدِ مِنَ النَّعيمِ والعذَابِ ما كُتبَ لهُ[٢].

وحكِيَ عَنْ طائفةٍ منَ المتكلِّمينَ: أنَّ الأرواحَ تموتُ بمَوتِ الأجسادِ، ونسِبَ هذا إلى المعْتزلةِ، وهوَ مذهَبُ الفلاسفَةِ، زعَمُوا أنَّ الأرواحَ أعْراضٌ تَفْنى ولا تبْقَى وقتَينِ، فإذا ماتَ الميِّتُ فلا رُوحَ هنالِكَ أصْلاً.

وقالَ بهذا جماعَةٌ مِن فقَهاءِ الأندلُسِ منهُمْ عَبدُ الأعْلَى [بنُ وهبِ بن محمدِ بنِ عمرَ بن لُبابة]، والسُّهيلِيُّ، وأبو بكرِ ابنُ العَربيِّ، كذا نقَلَ عنهُمْ الحافِظُ السُّيوطيُّ، وقدِ اشتَدَّ نكِيرُ العُلماءِ لهذه المقالَةِ، حتَّى قالَ سُحنُونُ بنُ سَعيدٍ وغيرُهُ: هذِهِ أقوالُ أهلِ البدَعِ، والنُّصوصُ الكثِيرةُ الدالَّةُ عَلَى بقاءِ الرُّوحِ[٣] بعدَ مُفارقَتِها للأبدانِ ترُدُّ ذلِكَ وتُبطِلُهُ[٤].

قالَ بعضهُمْ: بلِ القُرآنُ يرُدُّ عليَهِمْ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والذائقُ لا بدَّ أنْ يبقَى بعدَ المذُوقِ.

قلتُ: بلِ الصَّحيحُ أنَّ الرُّوحَ لا تَفنى أصْلاً ولا عِندَ النَّفخِ في الصُّورِ، وهيَ منَ المسْتَثنى في قولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

---

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٤).

(٢) انظر: «الروح» (ص١٤٩)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٨) والكلام منه.

(٣) في (ب): «الأرواح».

(٤) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٩)، وما بين معكوفتين منه.

قَالَ الثَّعلبيُّ: قَالَ الضحَّاكُ: كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلا وجهَهُ، والجنَّةَ، والنارَ، والعرشَ، والكرسيَّ، واللَّوحَ، والقلَمَ، والرُّوحَ[1].

قالَ المحقِّقُ ابنُ القيِّمِ: اختُلفَ في أنَّ الرُّوحَ هلْ تموتُ معَ البدَنِ وتذُوقُ الموتَ أمِ البدَنُ وحدَهُ؟ قولانِ؛ الصَّوابُ أنَّهُ إنْ أُريدَ بذَوقِها الموتَ مُفارقَتُها للجسَدِ، فنعَمْ هيَ ذائقةُ الموتِ بهذا الاعتِبارِ، وإنْ أُريدَ أنها تنعَدِمُ أصْلاً فلا، بلْ هيَ باقيَةٌ بعدَ خَلقِها بالإجماعِ في نعِيمٍ أو عذابٍ[2]، انتَهى.

قلتُ: وعَلَى هذا يتخرَّجُ كلامُ ابنِ العربيِّ السابقِ ومَن وافقَهُ مِن فقَهاءِ الأندلُسِ، ولعلَّ هذا مُرادهُمْ، والتبَسَ ذلِكَ على الناقِلِ عَنهُمْ فتوهَّمَ أنهُمْ قائلُونَ بمقالَةِ الفلاسِفةِ، ويُؤيدُ ما قُلناهُ حِكايةُ ابنِ القيِّمِ الإجماعَ[3] عَلَى بقائها فتأمَّلْ، واللهُ سُبحانَهُ أعلَمُ[4].

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٨)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «الروح» (ص٤٤ ـ ٤٥)، و«شرح الصدور» (ص٣١٦) والكلام منه. وكلمة: «بالإجماع» ليست في مطبوع «الروح».

(٣) لم ترد كلمة «الإجماع» في مطبوع «الروح» كما أسلفنا.

(٤) من قوله: «قلت...» إلى هنا من (أ).

بابٌ
في الكلامِ عَلى مُستقَرِّ الأرواحِ بعدَ الموتِ

وذلكَ عَلى أقسامٍ كما سَتراهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالى[١].

أمَّا أرواحُ الأنْبياءِ عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ: فهِيَ في الجنَّةِ بلا نزاعٍ[٢].

قالَ بعضُهمْ: وهمُ[٣] الذِينَ ذكرَهمُ اللهُ تَعَالى في قولِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ ـ ١٢]، فلا شكَّ أنَّ أرواحَهُمْ عندَ اللهِ في أعلَى عِليينَ، وثبتَ في الصَّحيحِ أنَّ آخرَ كلمةٍ تكلَّمَ بها رسُولُ اللهِ ﷺ عندَ موتِهِ أنَّهُ قالَ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الأعْلَى»[٤].

وقالَ رجلٌ لابنِ مَسعودٍ: قبِضَ رسُولُ اللهِ ﷺ فأينَ هوَ؟ قالَ: في الجنَّةِ[٥].

قالَ العلَّامَةُ ابنُ القيِّم: إنَّ للرُّوحِ شأناً عظِيماً، فتكُونُ في الرَّفيقِ الأعلَى وهيَ مُتصلَةٌ بالبدَنِ بحيْثُ إذا سلَّمَ المسلِّمُ عَلَى صَاحِبها ردَّ السَّلامَ وهيَ في مَكَانها هُناكَ.

وقدْ رأَى ﷺ موسَى في السَّماءِ السادِسةِ، فالرُّوحُ كانَتْ هُناكَ في مِثالِ البدَنِ، ولها اتِّصالٌ بالبَدنِ بحيْثُ يصلِّي في قَبرِهِ ويرُدُّ عَلى مَن يسلِّمُ عليهِ، وهوَ في الرَّفيقِ الأعلَى، ولا تنافيَ بينَ الأمرَينِ فإنَّ شأنَ الرُّوحِ[٦] غيرُ شأنِ الأبدانِ.

---

(١) «كما سَتراهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالى» سقط من (ب).

(٢) «بلا نزاعٍ» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «هم».

(٤) رواه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٠٦).

(٦) في (ب): «الأرواح».

وقدْ مثَّل بعضُهمْ ذلِكَ بالشَّمسِ[١] وشُعاعِها في الأرْضِ، وإنْ كانَ غيرَ تامِّ المطابقَةِ مِن حَيثُ إنَّ الشُّعاعَ إنما هوَ عرَضٌ للشَّمسِ، وأمَّا الرُّوحُ فهيَ في نَفسِها تنزِلُ، وكذلِكَ رُؤيةُ النبيِّ ﷺ الأنبياءَ ليلةَ الإسْراءِ في السماواتِ، والصَّحيحُ أنهُ رأى فيها الأرْواحَ في مِثالِ الأجسَادِ معَ ورودِ أنهُمْ أحياءٌ في قُبورِهمْ يُصلُّونَ.

أخرجَ مُسلمٌ عَن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ ليلةَ أُسرِيَ بهِ مرَّ بموسَى عَليهِ السَّلامُ وهوَ يصلِّي في قَبرِهِ[٢].

وقال ابن حزمٍ: إنَّما رأى روحَهُ فقط، وأمَّا الجسدُ فمُوارًى بالتُّراب بلا شكٍّ.

قال: فعلَى هذا أن موضعَ كلِّ رُوحٍ يسمَّى قبراً له. انتهى[٣].

وقدْ قالَ ﷺ: «مَن صلَّى عَليَّ عندَ قبرِي سمِعتُهُ، ومَن صلَّى عليَّ نائياً بلِّغتُهُ»، أخرجَهُ البَيهقِيُّ مِن حدِيثِ أبي هُرَيرَةَ[٤].

وقالَ: «إنَّ اللهَ وكَّلَ بقبرِي مَلَكاً أعطاهُ أسماءَ الخلائقِ فلا يصلِّي عليَّ أحدٌ إلى يومِ القِيامةِ إلا أبلغَني باسمِهِ واسمِ أبيهِ» أخرجَهُ البزَّارُ والطَّبرانيُّ مِن حديثِ عمَّارِ بنِ

---

(١) في (أ): «بالشمس والسماء».

(٢) رواه مسلم (٢٣٧٥).

(٣) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٥٧)، والكلام من قوله: «وكذا ذكره ابن حزم...» إلى هنا من (ب).

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (١٥٨٣)، ورواه أيضا العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٣٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٤) وقال: هذا حديث لا يصح، ومحمد بن مروان [أحد رواته] هو السدي، قال يحيى: ليس بثقة، وقال ابن نمير: كذاب، وقال السعدي: ذاهب، وقال النسائي: متروك، وقال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا اعتباراً، قال العقيلي: لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعمش وليس بمحفوظ.

ياسرٍ، وأخرَجهُ البُخاريُّ في «تاريخِهِ»[1]، هذا معَ القطْعِ بأنَّ رُوحهُ في أعلَى عليينَ معَ أرواحِ الأنبياءِ، وهوَ الرَّفيقُ الأعلَى.

فثَبتَ بهذا أنْ لا مُنافاةَ بينَ كونِ الرُّوحِ في عِلِّيينَ أو الجنَّةِ أو السَّماءِ، ومعَ ذلِكَ فلَها بالبدَنِ اتِّصالٌ بحيثُ تُدرِكُ وتسمَعُ وتُصلِّي وتقرَأُ، وإنَّما يسَتغرَبُ هذا الكَونَ الشَّاهدُ لهذا الكَونِ الدُّنيويِّ الذِي ليسَ فيهِ ما يُشابهُ هذا، وأمورِ البرزَخِ والآخرَةِ عَلى نمطٍ غَيرِ هذا المألُوفِ في الدُّنيا، انتَهى كلامُ ابنِ القيِّمِ رحمَهُ اللهُ[2].

وفي «بحرِ الكلامِ» للنَّسفيِّ: أرواحُ الأنبياءِ تخرُجُ مِن جسَدِها ويصِيرُ مَثَلُ صُورِتها مَثَلُ المسْكِ والكافُورِ، وتكُونُ في الجنَّةِ تأكُلُ وتشرَبُ وتتَنعَّمُ وتأوِي بالليل[3] إلى قنادِيلَ مُعلقَةٍ تحتَ العَرشِ.

وقالَ الشَّيخُ تقيُّ الدينِ السُّبكيُّ: حياةُ الأنبِياءِ والشُّهداءِ في القَبرِ كحَياتِهِمْ في الدُّنيا، ويشهَدُ لهُ صَلاةُ مُوسَى في قبرِهِ، فإنَّ الصَّلاةَ تَستدْعِي جسَداً حيَّاً، وكذلِكَ الصِّفاتُ المذكُورةُ في الأنبِياءِ ليلَةَ الإسْراءِ كلُّها صِفاتُ الأجسَامِ، ولا يلزَمُ مِن كَونِها حياةً حقِيقيَّةً أنْ تكُونَ الأبدانُ معَها كما كانَتْ في الدُّنيا منَ الاحتياجِ إلى الطَّعامِ والشَّرابِ[4]، واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٤١٦)، والبزار في «مسنده» (١٤٢٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٤٨)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٢)، وفيه نعيم بن ضمضم (أو ابن جهضم) قال الهيثمي: ضعيف. وفيه أيضاً: ابن الحميري، قال الهيثمي: اسمه عمران، قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال صاحب «الميزان»: لا يعرف. وفي هذه المصادر: «أسماع الخلائق» بالعين.

(٢) انظر: «الروح» (ص٥٦ ـ ٥٧ و١٢٢ ـ ١٢٣)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٥ ـ ٢٣٦) والكلام منه.

(٣) «بالليل» من (ب).

(٤) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٠٢).

فصلٌ
في الكَلامِ عَلى أرْواحِ الشُّهداءِ

مذهَبُ العُلماءِ: أنَّ أرواحَهُمْ في الجنَّةِ، وقدْ تكاثَرَتِ الأحادِيثُ بذلِكَ؛ كحدِيثِ مُسلمٍ، وأحمدَ، وأبي داودَ، وغيرِهمْ:

أخرَجَ مُسلمٌ عنِ ابنِ مَسعُودٍ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أرواحَ الشُّهداءِ عندَ اللهِ في حَواصِلِ طيرٍ خُضرٍ تَسرَحُ في أنهارِ الجنَّةِ حيثُ شاءَتْ، ثمَّ تأوِي إلى قناديلَ تحتَ العرشِ»(1).

وأخرَجَ الإمامُ أحمَدُ، وأبو داودَ، والبَيهقِيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لمَّا أُصيبَ أصحابكُمْ بأحدٍ جعَلَ اللهُ أرواحَهمْ في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ ترِدُ أنهارَ الجنَّةِ، وتأكُلُ مِن ثمارِها وتأوِي إلى قنادِيلَ مِن ذهَبٍ مُعلَّقةٍ في ظلِّ العَرشِ»(2)، والأحادِيثُ في هَذا كثِيرةٌ.

ورُوِيَ عَنْ مجاهِدٍ أنهُ قالَ: ليسَ الشُّهداءُ في الجنَّةِ ولكنَّهمْ يُرزقُونَ مِنها.

وقالَ: إنَّهمْ أحياءٌ عندَ ربِّهمْ يُرزَقُونَ مِن ثمَرِ الجنَّةِ، ويجِدُونَ ريحَها وليسُوا فيها.

ويؤيِّدُ هذا ما أخرَجَ الإمَامُ أحمدُ والطَّبرانيُّ والبَيهَقِيُّ وابنُ أبي شَيبةَ بسنَدٍ حسَنٍ

---

(1) رواه مسلم (١٨٨٧).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨٨)، وابن أبي شيبة «المصنف» (١٩٣٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٣)، وفي «الدلائل» (٣/ ٣٠٤)، وفي «الشعب» (٤٢٤٠)، وفي «البعث» (٢٠١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (١٤٥).

عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «الشُّهداءُ عَلى بارِقِ نهْرٍ ببَابِ الجنَّةِ في قبَّةٍ خضْراءَ يخرُجُ إلَيهِمْ رِزقُهمْ منَ الجنَّةِ غَدوةً وعشِيَّةً»[١].

وأجيبَ: بأنَّ هذا في عُمومِ الشُّهداءِ، والذِينَ في القَناديلِ تحتَ العَرشِ خواصُّهمْ، أو أنَّ المرَادَ بهِمْ هُنا غَيرُ شُهداءِ المعركَةِ؛ كالمطْعونِ، والمبطُونِ، والغَريقِ، وغيرِهمْ ممَّنْ ورَدَ النصُّ بأنَّهُ شَهيدٌ، أو سائرُ المؤمِنينَ فإنَّ كلَّ مؤمِنٍ باللهِ ورُسلِهِ يُقالُ: فيهِ شَهيدٌ.

كما روِيَ عَنْ أبي هُريرَةَ أنَّهُ قالَ: كلُّ مُؤمنٍ صِدِّيقٌ وشَهيدٌ، فقيلَ: ما تقُولُ يا أبا هُريرَةَ؟! فقالَ: اقرَأوا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩][٢].

وفي حديثِ البراءِ أنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «مُؤمِنو أُمَّتي شُهداءُ» ثمَّ تلا رسُولُ اللهِ ﷺ هذِهِ الآيةَ[٣].

وأخرَجَ ابنُ مَندَهْ عَن أم كبشَةَ بنت المعرور[٤] قالَتْ: دخَلَ عَلينا رسُولُ اللهِ ﷺ فسَألناهُ عَنْ هذِهِ الرُّوحِ، فوصَفَها صِفةً لكنَّهُ أبكَى أهلَ الميتِ، فقالَ: «إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ في حَواصِلِ طيرٍ خُضرٍ تَرعَى في الجنَّةِ، وتأكُلُ مِن ثمارِها، وتشْربُ مِن مِياهِها، وتأوِي إلى قَنادِيلَ مِن ذهَبٍ تحتَ العرْشِ، يقُولونَ: ربَّنا ألحِقْ بِنا إخْوانَنا، وآتِنا ما وعَدتَنا» الحدِيثَ[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩٠)، وأبو داود (٢٥٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٨٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٤١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (٧٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٤) في (أ) و(ب): «عن كبشة أم كلثوم».

(٥) انظر: «الروح» (ص١٢٠)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٠). ورواه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٠١)، وفي إسناد الحديث موسى بن عبيدة، وهو ضعيف.

قلتُ: هذا حديثٌ عامٌّ في المؤمنين، ولعلَّ المرادَ بهِ خاصٌّ وهمُ الشُّهداءُ، بدَليلِ قولِهِ تَعالى في الآيةِ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وقولِهِ عَليهِ السَّلامُ في الحدِيثِ: «ألحِقْ بنا إخْوانَنا» أو أنَّ في الحدِيثِ حذْفَ مُضافٍ؛ أي: إنَّ أرواحَ شُهداءِ المؤمِنينَ.

قالَ القُرطبيُّ: قدْ جاءَ في أرْواحِ الشُّهداءِ رِواياتٌ، فَفِي حَديثِ كعبٍ: «نَسَمةُ المؤمِنِ طائرٌ»، وهوَ يدُلُّ عَلَى أنَّها تكُونُ طائِراً؛ أي: عَلى صُورتِهِ لا أنها تكُونُ فيهِ، وفي لفظٍ: «أنَّ نَسَمةَ المؤمِنِ طائرٌ يَعْلُقُ في ثمارِ الجنَّة ويأوي إلى قناديلَ تحتَ العرش»، وفي بعضه: «أنَّها في حَواصِلِ طير خضر»[1]، وفي روايةٍ عنِ ابنِ مَسعُودٍ عَند ابنِ ماجَه: «أرواحُ الشُّهداءِ عِندَ اللهِ كطَيرٍ خُضرٍ»[2]، ولفظُ ابنِ عمَرَ: في صوَرِ طيرٍ بيْضٍ[3]، وفي لفظٍ: «أرواحُ الشُّهداءِ طيرٌ خضرٌ»[4].

قال ابنُ حزمٍ: إن معنَى قولِهِ عليه السلامُ: «طائرٌ يَعْلُقُ» هو على ظاهِره، بمعنى: أنها تَطيرُ في الجنَّة فقط، لا أنها تُمسخُ في صورةِ الطيرِ، وأمَّا روايةُ: «في حواصلِ طيرٍ خضرٍ» فإنها صفةُ القناديلِ التي تأوي إليها، والحديثانِ معاً حديثٌ واحدٌ. انتهى[5].

---

(١) هذه الأحاديث بعضها تقدم، وبعضها الآخر سيأتي قريباً. من قوله: «وفي لفظٍ: «أنَّ نَسَمةَ المؤمِنِ..»» إلى هنا من (ب).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٨٠١).

(٣) رواه نعيم بن حماد في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٦٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

(٤) رواه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ٩٠).

(٥) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٩)، والكلام من قوله: «قال ابن حزم إن معنى...» إلى هنا من (ب).

وقالَ القابِسِيُّ: أنكَرَ العُلماءُ رِوايَةَ: «في حواصِلِ طَيرٍ» لأنها حِينئذٍ تكُونُ محصُورةً مضيَّقاً عَلَيها، ورُدَّ بأنَّ الرِّوايةَ ثابتَةٌ، والتأوِيلَ محتَمِلٌ، وهوَ: أنَّ (في) بمَعْنى: عَلى؛ نحوُ ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] والمعْنى: أرواحُهُمْ عَلَى طَيرٍ خُضرٍ، أو لا مانِعَ مِن أنْ تكُونَ في الأجْوافِ حقِيقَةً، ويُوسِّعَها اللهُ تَعَالى حتَّى تكُونَ أوسَعَ منَ الفضَاءِ[1].

ولا يخْفَى فسَادُ مَن قالَ: يلزَمُ أنْ يكُونَ رُوحانِ في جسَدٍ، وهوَ محالٌ؛ لأنَّ المستَحيلَ قيامُ حياتَينِ بجوهَرٍ واحِدٍ، وأمَّا روحَانِ في جسَدٍ فلا؛ كالجَنينِ في بطْنِ أمهِ ورُوحُهُ غيرُ رُوحِها.

والفَرقُ بينَ حَياةِ الشُّهداءِ وغَيرِهِمْ مِنَ المؤمِنينَ الذِينَ قيلَ: أرواحُهمْ في الجنَّةِ، مِن وجهَينِ:

أحدُهُما: أنَّ الشُّهداءَ يُرزقُونَ منَ الجنَّةِ، وغيرُهمْ لم يثبُتْ في حقِّهِ مثلُ ذلِكَ، وإنْ جاءَ أنهُمْ يَعْلقونَ في شجَرِ الجنَّةِ، فقِيلَ: معناهُ التعلُّقُ، وقيلَ: الأكلُ منَ الشَّجرةِ، وعَلَى كلِّ تَقديرٍ فلا يلزَمُ مُساواتهُمْ للشُّهداءِ في كمالِ تنعُّمِهمْ في الأكلِ.

الثَّاني: أنَّ أرواحَ الشُّهداءِ يُخلَقُ لها أجسَادٌ ـ وهيَ الطَّيرُ التي تكُونُ في حَواصِلِها ـ ليكمُلَ لها بذلِكَ نعِيمُها، فيكُونُ أكملَ مِن نعِيمِ الأرْواحِ المجرَّدةِ عَنِ الأجسَادِ، فإنَّ الشُّهداءَ بذَلُوا أجسَادَهمْ للقَتلِ في سَبيلِ اللهِ، فعوِّضُوا عَنها بهذِهِ الأجسَادِ في البرْزخِ.

قالَ الشَّيخُ ابنُ عبدِ السَّلامِ[2]: الموْتُ عِبارةٌ عَنْ نزعِ الرُّوحِ منَ الجسَدِ لا إلى جسَدٍ آخرَ، والمجاهِدُ تُنقَلُ روحُهُ إلى طَيرٍ أخضَرَ، فقدِ انتقَلَ مِن جسدٍ إلى آخرَ

---

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٠).

(٢) في «أماليه». انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣٠).

بخِلافِ غيرِهِ، يؤيِّدهُ ما رُويَ عَن ابنِ عمَرَ أنها تركَبُ في جسَدٍ آخرَ، فهُوَ وإنْ كانَ مَوقُوفاً فلَهُ حكْمُ المرفوعِ؛ لأنَّ مثلَهُ لا يُقالُ مِن قبَلِ[1] الرأيِ.

قالَ السُّيوطيُّ: وقدْ رأيتُ لهُ شاهِداً مَرفُوعاً، وساقَ الحدِيثَ وقالَ فيهِ: يُهبطُ اللهُ جسَداً مِنَ السَّماءِ يَجعَلُ فيهِ روحَهُ، ثمَّ يصعَدُ بهِ إلى اللهِ فما يمرُّ بسمَاءٍ مِنَ السَّماواتِ إلا شيَّعتهُ[2] الملائكَةُ، حتَّى ينتَهِي بهِ إلى السَّماءِ السَّابعةِ، فإذا انتهى بهِ وقَعَ ساجِداً، ثمَّ يؤمَرُ بهِ فيُكسَى سبعِينَ حُلةً مِنَ الإستَبرقِ، ثمَّ يقالُ: اذهَبُوا بهِ إلى إخوانِهِ منَ الشُّهداءِ فاجعَلُوهُ معَهمْ، الحدِيثَ[3].

وقالَ الإمامُ أبو حيَّانَ في «تفسيرِهِ» عندَ قَولِهِ تَعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩] اختلَفَ النَّاسُ في هذِهِ الحَياةِ، فقالَ قومٌ: مَعنَاها: بقاءُ أرواحِهمْ دُونَ أجسادِهِمْ؛ لأنَّا نشَاهِدُ فسادَها وفنَاءَها، وذهَبَ آخرُونَ إلى أنَّ الشهيدَ حيُّ الجسَدِ والرُّوحِ، ولا يقدَحُ في ذلِكَ عدَمُ شعورِنا بهِ، فنحْنُ نراهُمْ علَى صفَةِ الأمواتِ وهُمْ أحياءٌ؛ كما قالَ تَعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وكما ترَى النائمَ علَى هَيئَتِهِ وهوَ يرَى في منامِهِ ما يتنَعَّمُ بهِ أو يتألَمُ، يؤيِّدُ هذا قولُهُ تَعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: بحياتِهِمْ بأجسادِهِمْ لكَونِ ذلِكَ منَ الغَيبِ عنكُمْ[4].

---

(١) في (ب): «قبيل».

(٢) وقع بعدها سقط في (ب) بمقدار لوحة، وسنذكر نهايته في موضعه.

(٣) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤١). ورواه هناد في «الزهد» (٢٠١) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة قال: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال...وذكره.

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١/ ٦٢٢)، و«شرح الصدور» (ص٢٤٠).

وكـذا قـالَ ابـنُ جَريـرٍ فـي «تفسِـيرِهِ»: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا تَرونهُـمْ فتعلَمُـونَ أنهُمْ أحيـاءٌ[١].

ولأنَّهُ لو كانَ المرادُ حياةَ الرُّوحِ فقَطْ لمْ يكُنْ للشهيدِ مزيَّةٌ عَن غَيرِهِ، وقدْ يكشِفُ اللهُ لبعْضِ الأولياءِ فيشَاهدُ ذلِكَ كما وردَتْ بِهِ الحكاياتُ مِنَ الثِّقاتِ.

قالَ بعضُهمْ: والظاهِرُ [أنَّ][٢] رزْقَ الشُّهداءِ بالأكلِ والشُّربِ في البرزَخِ ليسَ للاحتِياجِ بلْ للإكرامِ والتنْعِيمِ، واللهُ سبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ.

***

فصلٌ

في الكلامِ عَلَى أرواحِ بقيَّةِ المؤمِنينَ

وقدْ كثُرتْ فيها الأقوالُ؛ فقِيلَ: إنها في السَّماءِ السَّابعةِ، أخرَجَ أبو نُعيمٍ بسنَدٍ ضَعيفٍ عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أرواحُ المؤمِنينَ في السَّماءِ السَّابعةِ يَنظُرونَ إلى منازِلِهمْ في[٣] الجنَّةِ»[٤].

وأخرَجَ أيضاً عَنْ وهبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ: إنَّ للهِ في السَّماءِ السَّابعةِ داراً يُقالُ لها: البَيضاءُ، تجتَمِعُ فيها أرواحُ المؤمِنينَ، فإذا ماتَ الميتُ مِن أهلِ الدُّنيا تلقَّتهُ الأرواحُ يسْأَلُونَ عَنْ أخبارِ الدُّنيا كما يسأَلُ الغائبَ أهلُهُ إذا قدِمَ عَليهِمْ[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٧٠٣)، وفيه: «..فتعلموا أنهم..»، بالنصب للفعل وهو الصواب.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هنا آخر السقط في النسخة (ب) الذي أشرنا إليه من قبل.

(٤) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣١). ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢٨١).

(٥) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣١). ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٠).

وأخرجَ سعِيدُ بنُ مَنصورٍ عنِ ابنِ عمَرَ أَنَّهُ عزَّى أسماءَ بابنِها عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ وجثَّتُهُ مَصلُوبةٌ، فقالَ: لا تحزَني فإنَّ الأرواحَ عندَ اللهِ في السَّماءِ، وإنَّما هذِهِ جُثثٌ[١].

وقيلَ: إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ كلِّهِمْ في جنَّةِ المأوى؛ لأنَّها تأوِي إليها الأرواحُ - وهيَ تحْتَ العرشِ - فيتنعَّمونَ بنعِيمِها، ويتنسَّمونَ بطِيبِ ريحِها. نصَّ علَى ذلِكَ الإمامُ أحمَدُ رضِيَ اللهُ عنهُ، فقالَ: أرواحُ المؤمِنينَ في الجنَّةِ، وأرواحُ الكفَّارِ في النَّارِ[٢]، واستُدلَّ عَلى ذلِكَ[٣] بحدِيثِ كعْبِ بنِ مالكٍ، وأُمِّ هانئٍ، وأبي هُريرَةَ، وأمِّ بشرٍ، وعبدِ اللهِ بنِ عمَرَ ونحْوِها[٤].

وأخرَجَ الإمامُ مالكٌ في «الموطَّأ» والإمامُ أحمَدُ والنَّسائيُّ بسنَدٍ صحِيحٍ عَن كعْبِ بنِ مالِكٍ قالَ: إنما نسمَةُ المؤمِنِ طائرٌ يعلُقُ في شجَرِ الجنَّةِ، حتَّى يرجِعهُ اللهُ إلى جسَدِهِ يومَ يبعَثُهُ[٥].

وأما أطفالُ المسلِمينَ - أي: أرواحُهمْ - فالجمهورُ عَلى أنَّها في الجنَّةِ، وحكَى الإمامُ أحمدُ الإجماعَ عَلى ذلِكَ[٦]، وكذلِكَ نصَّ الإمامُ الشَّافعيُّ عَلى

---

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣١)، وفيه: «وإنما هذه جثة». وقد تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الروح» (ص١١٠)، و«شرح الصدور» (ص٢٤٦) والكلام منه.

(٣) «على ذلك» ليس في (ب).

(٤) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٦)، وفيه: «..وعبد الله بن عمرو ونحوهم».

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٤٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٧٧٦)، والنسائي (٢٠٧٣).

(٦) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٥). وذكر كلام أحمد أيضاً ابن قدامة في «المغني» (٩/ ٢٩١)، وابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ١٠٧٥). لكن في الاستدلال بكلامه هنا نظر، فظاهره في مآل أطفال المسلمين في الآخرة، لا في أرواحهم الآن، ومن يراجع ما نقلوه يظهر له ما قلناه، والله أعلم.

أنهُمْ في الجنَّةِ، أخرَجَ سعيدُ بنُ مَنصورٍ عَنْ مكحُولٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ ذرارِي المسلِمينَ أرواحُهمْ في عصَافيرٍ خُضرٍ في شجَرِ الجنَّةِ يكفُلهمْ أبوهُمْ إبراهِيمُ عليهِ السَّلامُ»[١].

وأخرَجَ الإمامُ أحمَدُ، والحاكِمُ، والبَيهقِيُّ، وابنُ أبي الدُّنيا عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أولادُ المؤمِنينَ في الجنَّةِ يكفُلُهُمْ إبراهِيمُ وسارَةُ حتَّى يرُدَّاهمْ إلى آبائِهمْ»[٢].

وفي حدِيثٍ آخرَ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ في الإسْلامِ فهوَ في الجنَّةِ شبْعانُ ريَّانُ يقُولُ: يا ربِّ أورِدْ عليَّ أبويَّ»[٣].

وقالَتْ طائفَةٌ منَ الصَّحابةِ: الأرواحُ عندَ اللهِ، صحَّ ذلكَ عنِ ابنِ عمَرَ[٤].

---

(١) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٢٩ و٢٤٥). ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٥١٤)، وهو مرسل.

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٢٩). ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٣٢٤)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٢٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٤١٨)، والبيهقي في «البعث» (٢١٠). وهو عند أحمد من طريق عبد الرَّحمنِ بن ثابتٍ، عن عطاءِ بنِ قُرَّةَ، عن عبد اللهِ بن ضَمْرَةَ، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ» وإسناده حسن، أما اللفظ المذكور فهو عند الباقين من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن أبي حازم، عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده ضعيف من أجل مؤمل بن إسماعيل، فهو سيئ الحفظ، وقد خالف مؤملًا فيه وكيع، فرواه عن سفيان الثوري موقوفاً، أخرجه كذلك ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠٥٢)، وقال الدارقطني عن الموقوف: إنه أشبه. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص٢٢٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العزاء» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: «شرح الصدور» (ص٢٢٩).

(٤) تقدم في بداية هذا الفصل.

وأخرَجَ ابنُ مَندَه مِن طريقِ الشَّعبيِّ عَنْ حُذيفةَ قالَ: إنَّ الأرْواحَ مَوقُوفةٌ عندَ الرَّحمنِ تنظُرُ توعُّدَها حتَّى ينفَخَ فيها[١].

وأخرَجَ ابنُ أبي الدُّنيا عَن عَبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العَاصِ: أنَّهُ سئلَ عَنْ أرواحِ المؤمنِينَ إذا ماتوا أينَ هُمْ؟ فقالَ: صورُ طيرٍ بيضٍ في ظلِّ العرْشِ[٢].

وقالَتْ طائفةٌ: أرواحُ بني آدمَ عندَ أبيهِمْ في البرزَخِ عَنْ يمينِهِ وشِمالِهِ؛ لما في «الصحيحَينِ» في قصَّةِ الإسْراءِ: «فلمَّا فتِحَ علَونا السَّماءَ فإذا رجُلٌ قاعِدٌ عَلَى يمينِهِ أسوِدَةٌ وعَلَى يسارِهِ أسوِدَةٌ، فإذا نظَرَ قِبلَ يمينِهِ ضَحِكَ، وإذا نظَرَ قِبلَ شِمالِهِ بكَى، فقُلتُ لجبريلَ: مَن هذا؟ قالَ: آدمُ، وهذِهِ الأسوِدةُ عَنْ يمينِهِ وشِمالِهِ نسَمُ بنيهِ؛ فأهلُ اليمِينِ منهُمْ أهلُ الجنَّةِ، والأسوِدةُ التي عَنْ شِمالِهِ أهْلُ النَّارِ» الحديثَ[٣].

وذكَرَ بعضُهمْ[٤] عَن إسْحاقَ بنِ راهُويَهْ أنهُ ذكَرَ هذا الذِي قُلناهُ بعينِهِ، وقالَ: على هذا أجمَعَ أهلُ العلْمِ.

قالَ ابنُ حَزمٍ: وهوَ قولُ جميعِ أهلِ الإسْلامِ، وهوَ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الآيةَ [الواقعة: ٨ ـ ٩]،

---

(١) انظر: «الروح» (ص١٢٧)، و«شرح الصدور» (ص٢٤٨)، وفيه: داود بن يزيد الأوردي، وهو ضعيف كما في «التقريب».

(٢) رواه نعيم بن حماد في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٦٤).

(٣) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٧٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) هو محمد بن نصر المروزي. انظر: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٤/ ٥٩)، و«الروح» (ص١١٢)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٤). وقد قاله المروزي في كتابه: «الرد على ابن قتيبة». انظر: «الروح» (ص١٣٣)، وانظر ما قاله ابن القيم في مناقشة هذا النقل.

فلا تزالُ الأرواحُ هُناكَ حتَّى يتِمَّ عددُها برجُوعِها إلى البرزَخِ فتقُومُ السَّاعةُ[1].

قالَ بعضُهُمْ: وظاهِرُ هذا القَولِ يقتَضِي أنَّ أرواحَ الكفَّارِ في السَّماءِ، وهوَ مخالِفٌ للقُرآنِ ولحديثِ أنَّ السَّماءَ لا تُفتَحُ لرُوحِ الكافرِ.

والجوابُ: أنَّهُ ورَدَ في بعضِ طُرقِ الحدِيثِ ما يُزيلُ هَذا الإشكالَ، ولفظُهُ: «وإذا هوَ تعرَضُ عَليهِ أرواحُ ذريَّتِهِ، فإذا كانَ روحَ المؤمِنِ قالَ: روحٌ طيِّبةٌ اجعلُوها في عليينَ، وإذا كانَ روحَ الكافِرِ قالَ روحٌ خبيثَةٌ اجعَلُوها في سِجِّينٍ» الحدِيثَ[2].

ففِي هذا أنهُ تعرَضُ عليهِ أرواحُ ذرِّيتهِ في السَّماءِ، وأنَّهُ يأمرُ بجعْلِ الأرواحِ في مُستقرِّها، فدلَّ عَلَى أنْ ليسَ محلُّ استِقرارِها في السَّماءِ الدُّنيا.

قلتُ: ورأيتُ في كلامِ ابنِ وهْبٍ أنَّ مُستقرَّها حيثُ كانَتْ قبلَ خلْقِ أجسادِها؛ أي: عنْ يمِينِ آدمَ وشِمالِهِ، قالَ: وهَذا ما دلَّ عَليهِ الكِتابُ والسنَّةُ، وأطالَ الكلامَ ثمَّ قالَ: ثم[3] يتوفَّاها فترجِعُ إلى البرزَخِ التي رآها فيهِ رسُولُ اللهِ ﷺ ليلَةَ أُسرِيَ بهِ إلى سماءِ الدُّنيا: أرواحُ أهلِ السَّعادةِ عَنْ يمِينِ آدمَ، وأرواحُ أهلِ الشَّقاوةِ عَنْ يسَارِهِ عندَ مُنقطَعِ العناصِرِ الماءِ والتُّرابِ والهواءِ والنَّارِ تحتَ السَّماءِ، ولا يدُلُّ ذلِكَ

---

(١) انظر: «الروح» (ص١١٢)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٤). وانظر ما قاله ابن القيم في مناقشة كلام ابن حزم في «الروح» (ص١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) قطعة من حديث طويل في قصة الإسراء: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي إسناده عمارة بن جوين أبو هارون العبدي، قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك، ومنهم من كذبه. وانظر كلام ابن كثير على هذا الحديث في أول الإسراء.

(٣) «ثم» من (ب).

عَلى تعادُلهِمْ، بلْ هَؤلاءِ عَنْ يمينِهِ في العُلوِّ والسعةِ، وهؤلاءِ عَنْ يسَارِهِ في السّفلِ والسّجنِ[١].

وزعَمَ ابنُ حزمٍ نحوَ هذا فقالَ: إنَّ اللهَ خلَقَ الأرواحَ جُملةً قبلَ الأجسَادِ، وإنهُ جعلَها في برزَخٍ وذلِكَ البرزَخُ عندَ مُنقطَعِ العناصِرِ حَيثُ لا ماءَ ولا هَواءَ، ولا تُرابَ ولا نارَ، وأنَّهُ إذا خلَقَ الأجسَادَ أدخَلَ فيها تلْكَ الأرْواحَ، ثمَّ يُعيدُها عندَ قبضِها إلى ذلِكَ البرزَخِ، وتجعَلُ[٢] أرْواحُ الأنبياءِ والشُّهداءِ إلى الجنَّةِ[٣].

قالَ بعضُهمْ[٤]: وهذا قولٌ لمْ يقُلْهُ أحدٌ مِنَ المسلِمينَ، ولا هوَ مِن جنسِ كلامِهمْ، وإنما هوَ مِن جنسِ كلامِ الفلسَفةِ.

وقيلَ: إن الأرواحَ كلَّها في الصوْرِ، وفي بعضِ التفاسِيرِ: إنَّ في هذا الصُّورِ أرواحَ الخلائقِ كلِّها إنسِها وجنِّها وهوامِها في الثُّقُبِ التي في الصُّورِ؛ لأنَّ فيهِ ثُقُباً بعدَدِ أرواحِ الخلائقِ.

قلتُ: لكِنْ يُشكِلُ عليهِ أنَّ الصُّورَ فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ تحْتَ العرشِ، والسَّماءُ لا تفتَحُ لأرواحِ الكفَّارِ، ما لمْ يُرَدْ بـ(الأرواح كلّها): ما عدا أرواحِ الكافِرِينَ.

أو أنَّ الصُّورَ محيطٌ بالعالمِ، فقَدْ ورَدَ أنَّ كلَّ دائرةٍ فيهِ كعَرضِ السَّماءِ والأرْضِ.

---

(١) لم أجده عن ابن وهب وهو بحرفه كلام ابن حزم. انظر: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٤/ ٥٩)، و«الروح» (ص١١١ و١٣٢)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٤).

(٢) في (ب): «وتعجل».

(٣) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٩)، وهذا معنى كلامه السابق، ولعل السيوطي ذكره مرتين الأولى بلفظه والثانية بمعناه، ووهم المؤلف فنسب ما ذكر أولاً لابن وهب، وما ذكر ثانياً لابن حزم.

(٤) هو السيوطي. انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٩).

وقيلَ: إنَّ الأرواحَ[١] إذا أُخرِجَتْ تكُونُ بينَ السَّماءِ والأرْضِ.

وقيلَ: إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ مُرسلةٌ تذهَبُ حَيثُ شاءَتْ، أخرجَهُ ابنُ أبي الدُّنيا عَنْ مالِكِ بنِ أنسٍ[٢].

وقيلَ: إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ في برْزخٍ منَ الأرْضِ تذهَبُ حيثُ شاءَتْ، أخرَجَهُ ابنُ مَندَهُ عَنْ سَعيدِ بنِ المسيِّبِ عَن سَلمانَ[٣].

قالَ ابنُ القيِّمِ: البرزَخُ هوَ الحاجِزُ بينَ الشَّيئينِ فكأنَّهُ أرادَ: في أرضٍ بينَ الدُّنيا والآخرَةِ[٤].

وقالَتْ طائفةٌ: تجمَعُ الأرْواحُ بموضِعٍ مِنَ الأرْضِ، فأرواحُ المؤمِنينَ تُجمعُ بالجابيَةِ، وقيلَ: ببئرِ زَمزمَ، وأرواحُ الكفَّارِ تجمَعُ ببرَهُوتَ، فالجابِيةُ موضِعٌ بالشَّامِ، وبرَهُوتَ باليمَنِ، وعزا ابنُ حزمٍ هذا القولَ للرَّوافض وقال: هذا قولٌ فاسدٌ لا دليلَ عليه أصلاً[٥].

ورجَّحَ هذا القاضِي أبو يَعلَى الحنبَليُّ[٦]، وهوَ مخالِفٌ لنصِّ الإمامِ أحمَدَ مِنْ[٧] أنَّ أرواحَ الكفَّارِ في النَّارِ.

---

(١) في (ب): «إنها».

(٢) انظر: «الاستذكار» (٣/ ٩٢)، و«الروح» (ص١١٠)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٢) والكلام منه.

(٣) انظر: «الروح» (ص١١١)، و«شرح الصدور» (ص٢٣١) والكلام منه. ورواه المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٤٢٩).

(٤) انظر: «الروح» (ص١٣١)، و«شرح الصدور» (ص٢٣١) والكلام منه.

(٥) انظر: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٤/ ٥٧). والكلام من قوله: «وعزا ابن حزم هذا القول...» إلى هنا من (ب).

(٦) في كتابه: «المعتمد». انظر: «شرح الصدور» (ص٢٤٧) والكلام منه.

(٧) «من» من (أ).

ولعلَّ لبرهُوتَ[١] اتِّصالاً بجهنَّمَ في قعْرِها كما رُوِيَ أنَّ تحتَ البحرِ جهنَّمَ.

وأخرَجَ الحاكِمُ أنَّ كعْبَ الأحبارِ أرسَلَ إلى عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضِيَ اللهُ عَنهُما يسأَلُهُ عَنْ أرواحِ المؤمِنينَ أينَ تجتمِعُ؟ وأرواحِ أهلِ الشِّركِ أينَ تجتَمِعُ؟ فقالَ: أمَّا أرواحُ المؤمِنينَ فتجتَمِعُ بأريحا، وأما أرواحُ أهلِ الشِّركِ فتجتَمِعُ بصنعاءَ، فصدَّقهُ كعبٌ عَلى ذلِكَ[٢].

وقيلَ: إنَّ الأرواحَ عَلى أفنِيةِ قُبورِها، وبهِ قالَ ابنُ وضَّاحٍ وجماعةٌ.

قالَ ابنُ عبدِ البرِّ: هذا أصَحُّ ما قيلَ، قالَ: وحدِيثُ السُّؤالِ، وعرْضِ المقعَدِ، وعذابِ القَبرِ، وزيارَةِ القُبورِ، والسَّلامِ علَيهِمْ، وخِطابِهِمْ مخاطَبَةَ الحاضِرِ العاقِلِ، دالٌّ عَلَى ذلِكَ[٣].

قالَ ابنُ العربيِّ: وهو أصحُّ ما ذُهبَ إليهِ، ووجْهُ هذا القَولِ قولُهُ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حينَ خرَجَ إلى المقابِرِ: «السَّلامُ عليكُمْ دارَ قومٍ مُؤمنينَ»[٤]، والسَّلامُ إنما يكُونُ عَلى الموجُودِ لا عَلَى المعدُومِ.

وفي الصَّحيحِ: أنهُ ﷺ قالَ: «ما مِن أحدٍ يمرُّ بقَبرِ أخيهِ كانَ يعرِفُهُ في الدُّنيا فيسلِّمُ عَليهِ إلا عرفَهُ وردَّ عَليهِ السَّلامَ»[٥].

---

(١) في (ب): «لبئر برهوت».

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣٢). ورواه الحاكم (٦٢٤٧).

(٣) انظر: «التمهيد» (١٤/ ١٠٩)، و«الاستذكار» (٣/ ٨٩)، و«الروح» (ص١٢٢)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٥) والكلام منه.

(٤) رواه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن عبد البر في «الاستذكار» (١/ ١٨٥)، وصحح إسناده عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٢/ ١٥٢ـ١٥٣)، و«الصغرى» (١/ ٣٤٥)؛ وقال ابن رجب في «أهوال القبور» (ص١٠٩): يشير =

وفي الصحيحين[١] أنهُ ﷺ نادَى أهلَ القَليبِ، فقالَ لهُ عمَرُ في ذلِكَ فقالَ: «ما أنتُمْ بأسمَعَ لما أقوله[٢] مِنهم إلا أنهُمْ لا يستَطِيعُونَ أنْ يجِيبُوا» إلى غيرِ ذلِكَ مِنَ الأحادِيثِ.

وأمَّا إنكارُ عائشة رضي الله عنها ذلك واستدلالُها بقولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ﴾ [النمل: ٨٠].

فأُجيبَ عنه: أنَّ معنى ذلك: أنْ لا تُسْمعَهم سماعاً ينفعُهم، أو لا تُسمعَهم إلا أنْ يشاء الله[٣].

قالَ العلَّامَةُ ابنُ القيِّمِ رحمَهُ اللهُ تَعالى: مسألَةُ مَقرِّ الأرْواحِ بعدَ الموتِ عَظِيمةٌ لا تُتلقَّى إلا مِن السَّمعِ، وقدْ قيلَ: إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ كلِّهمْ في الجنَّةِ الشُّهداءُ وغيرُهمْ، إذا لم تَحبسهمْ[٤] كَبيرةٌ ونحوُها؛ لقولِهِ تَعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨][٥].

ثمَّ قالَ[٦]: إنْ أُريدَ بقولِهِمْ هذا: أنَّها مُلازمةٌ للقُبورِ لا تُفارِقُها، فهو خطأٌ يردُّهُ

= إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر.

(١) في النسختين: «وفي صحيح» والصواب المثبت. ورواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤)، من حديث أنس.

(٢) «لما أقوله» من (ب).

(٣) من قوله: «وأما إنكار عائشة..» من (ب).

(٤) في (أ): «إذا لم تجد لهم»، وهو تصحيف.

(٥) انظر: «الروح» (ص١١٠ ـ ١١٣)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٣).

(٦) هذا الكلام الآتي قاله ابن القيم عقب ما تقدم من القول أن الأرواح على أفنية قبورها، وهو الذي صححه ابن عبد البر على ما تقدم قريباً، فكان حقه أن يذكر ثمة. انظر: «الروح» (ص١٢١)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٥).

الكتابُ والسنَّةُ، وعرْضُ المقعَدِ لا يدُلُّ عَلى أنَّ الرُّوحَ في القبرِ، ولا عَلَى فِنائِه، بلْ يدُلُّ عَلى أنَّ لها اتِّصالاً بهِ، فصحَّ أنْ يُعرَضَ علَيها مَقعدُها، فإنَّ للرُّوحِ شَأناً، فتكُونُ في الرَّفيقِ الأعْلَى وهيَ مُتصلَةٌ بالبَدنِ بحَيثُ إذا سلَّمَ المسلِّمُ عَلى صاحِبها ردَّ السَّلامَ.

ثمَّ قالَ: فللرُّوحِ مِن سُرعةِ الحركَةِ والانتِقالِ الذِي كلَمحِ البصَرِ ما يقتَضِي خُروجَها منَ القبرِ إلى السَّماءِ في[1] أدْنى لحظَةٍ، وشاهِدُ ذلِكَ روحُ النَّائم، فقَدْ ثبَتَ أنَّ رُوحَ النائمِ تصعَدُ حتى تخرِقَ السَّبعَ الطِّباقَ وتسجُدَ للهِ بينَ يدَي العرْشِ، ثم ترَدُّ إلى جسَدِهِ في أيسَرِ زَمانٍ.

قالَ: فثبتَ بهذا أنْ لا مُنافاةَ بينَ كونِ الرُّوحِ في عِليينَ أو الجنَّةِ أو السَّماواتِ[2]. وقدْ مرَّ بعضُ كلامِهِ في هذا فراجِعهُ[3].

فثبَتَ بذلِكَ أنَّ للرُّوحِ اتصالاً شَدِيداً بالجسَدِ، ولا يَعلَمُ كنْهَ ذلِكَ وحقِيقتَهُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، وإذا كانَ النائمُ يعرَجُ بروحِهِ إلى العرْشِ معَ تعلُّقِها ببدَنِهِ، وسُرعَةِ عَودِها إليهِ عِندَ انتِباهِهِ فأرْواحُ الموتَى المجرَّدةُ مِن أبدانِهِمْ أَولى بعرُوجِها إلى السَّماءِ، وعَودِها إلى القَبرِ في مِثلِ تلْكَ السُّرعةِ.

وقدْ أشارَ الحافِظُ ابنُ حجَرٍ في «فتاويهِ» لنحوِ هذا فقالَ: إنَّ أرواحَ المؤمِنينَ في عِليينَ، وأرواحَ الكفَّارِ في سجِّينٍ، ولكلِّ روحٍ اتِّصالٌ بجَسَدِها اتِّصالٌ معنَويٌّ لا يشبِهُ الاتِّصالَ في الحياةِ، بلْ أشبَهُ شيءٍ بهِ حالُ النائمِ، وإنْ كانَ هوَ أشدَّ مِن حالِ النائمِ اتِّصالاً.

---

(١) «في» ليست في (ب).

(٢) انظر: «الروح» (ص١٢٢ ـ ١٢٣)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٥).

(٣) انظر ما تقدم في فصل الكلامِ عَلى مُستقَرِّ الأرواحِ بعدَ الموتِ.

قالَ: وبهذا يجمَعُ بينَ ما ورَدَ مِن أنَّ مقرَّها في عِليينَ أو سِجِّينٍ [وبَين مَا نَقله ابنُ عبد البَرِّ عَن الْجُمْهُور أَيْضا أَنَّهَا عِنْد أفنية قبورها].

قالَ: وإذا نُقِلَ الميتُ مِن قَبره[1] إلى قبرٍ فالاتِّصالُ المذكُورُ مُستمِرٌّ، وكذا لو تفرَّقتِ الأجسَادِ[2]، انتهى.

وقدْ جمَعَ العلامَةُ ابنُ القيِّم رحمَهُ اللهُ بينَ الأحاديثِ الوارِدَةِ في الأرواحِ فقالَ: لا يحكَمُ عَلى قولٍ مِن هذِهِ الأقوالِ بالصحَّةِ، ولا عَلى غيرِهِ بالبُطلانِ، بلِ الصَّحيحُ أنَّ الأرواحَ مُتفاوتةٌ في مُستقرِّها في البرزَخِ أعظَمَ تفاوُتٍ، ولا تعارُضَ بينَ الأدلَّةِ، فإنَّ كلًّا مِنها واردٌ عَلَى فريقٍ مِنَ النَّاسِ بحسْبِ درجَاتِهِمْ في السَّعادةِ والشَّقاوةِ.

فمِنها أرواحٌ في أعْلَى عليينَ وهمُ الأنبياءُ، وهمْ مُتفاوِتونَ في مَنازلِهِمْ، ومِنها أرواحٌ في طُيورٍ خُضرٍ تسرَحُ في الجنَّةِ حيثُ شاءَتْ وهيَ أرواحُ الشُّهداءِ لا جمِيعُهمْ، فإنَّ مِنهُمْ مَن يُحبَسُ عَن دخُولِ الجنَّةِ لدَينٍ أو غيرِهِ كما في الحدِيثِ[3]، ومِنهُمْ مَن يكُونُ عَلَى بابِ الجنَّةِ كما في حَدِيثِ ابنِ عبَّاسٍ[4]، ومِنهُمْ مَن يكُونُ محبُوساً في قبرِهِ كحدِيثِ صاحِبِ الشَّملةِ: «إنها تشتَعِلُ عليهِ ناراً في قَبرِهِ»[5]، ومِنهُمْ مَن يكُونُ

---

(١) في المصدر: «من قبر».

(٢) انظر: «شرح الصدور» (ص٢٣٩) وما بين معكوفتين منه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٥٣) من حديث محمد بن عبد الله بن جحش: أن رجلًا جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الْجنَّة»، فَلَمَّا ولى قال: «إِلَّا الدَّين، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيل آنِفاً».

(٤) كذا نقل المؤلف عن السيوطي، والذي في «الروح» حديث سمرة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّى الفَجْرَ، فقال: «هاهنا مِن بني فلانٍ أحدٌ؟» ثلاثًا، فقال رجلٌ: أنا، فقال: «إنَّ صاحبَكم محبوسٌ عن الجنَّةِ بدَيْنِهِ» رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠١٢٤).

(٥) رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (٣١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

محبُوساً في الأَرْضِ لَمْ تَصِلْ روحُهُ إلى الملأِ الأعْلَى لكونِها رُوحاً سفليَّةً أرضيَّةً، والأنفُسُ الأرضيَّةُ لا تجامِعُ الأنفُسَ السَّماويةَ كما أنها لا تجامِعُها في الدُّنيا، فالرُّوحُ بعدَ المفارقَةِ تُلحَقُ بأشكَالها وأصحَابِ عَمَلِها، والمرءُ معَ مَن أحبَّ، ومِنها أرواحٌ تكُونُ في بحرٍ مِن دمٍ، إلى غيرِ ذلِكَ، فلَيسَ للأرواحِ مُستقرٌّ واحِدٌ، ومعَ ذلكَ فلَها اتِّصالٌ بأجسادِها في قُبورِها ليحصُلَ لهُ مِنَ النَّعيمِ ما كُتبَ لهُ[1]، انتَهى.

وقدْ أشارَ لنحوِ هذا صاحبُ «الإفصاحِ»[2] فقَالَ: المنعَّمُ عَلى جِهاتٍ مُختلِفةٍ:

فمِنها: ما هوَ طائرٌ في شجَرِ الجنَّةِ.

ومِنها: ما هوَ في حواصِلِ طَيرٍ خُضرٍ.

ومِنها: ما هوَ في حواصِلِ طَيرٍ بِيضٍ.

ومِنها: ما هوَ في حواصِلِ طيرٍ كالزَّرازِيرِ.

ومِنها: ما يأوِي في قنادِيلَ تحتَ العرْشِ.

ومِنها: ما هوَ في أشخَاصِ صوَرٍ مِن صوَرِ الجنَّةِ.

ومِنها: ما هوَ في صُورةٍ تخلَقُ لهُمْ مِن ثوابِ أعمالِهِمْ.

ومِنها: ما تسرَحَ وتتردَّدُ إلى صُورَتِها تَزورُها.

ومِنها: ما تتلَقَّى أرواحَ المقبُوضِينَ.

وممَّنْ سِوى ذلِكَ في كفالَةِ مِيكائيلَ، ومِنها ما هوَ في كَفالةِ آدمَ، ومِنها ما هوَ في كفالَةِ إبراهِيمَ.

---

(١) انظر: «الروح» (ص١٣٨)، و«شرح الصدور» (ص٢٣٧) والكلام منه.

(٢) هو شبيب بن إبراهيم كما في مطبوع «التذكرة» للقرطبي (ص٤٣٧). ولعل الصواب: شيث بن إبراهيم صاحب كتاب «حز الغلاصم في إفحام المخاصم».

قالَ الإمامُ القُرطبيُّ: وهوَ قولٌ حسَنٌ يجمَعُ الأخبارَ حتَّى لا تتدافَعَ[١]، انتَهى.

قلتُ: لكِنْ بقِيَ هنا شيءٌ نبَّهَ عليهِ بعضُهمْ، فقالَ: ومعَ ذلِكَ فتعلُّقُها العُلويُّ باقٍ لها، إلا أنَّ أكثَريةَ استِقرارِها ما ذكَرنا، كَما أنَّ بعضَها يكُونُ بفِناءِ القَبرِ مِن ظُهرِ يومِ الخميسِ إلى طلوعِ[٢] شمسِ يومِ السَّبتِ يَنتظِرُ الزائرَ، ومعَ ذلِكَ فاتِّصالها بمقامِها الأعلَى باقٍ معَها، فلا يُقالُ: إنها فارقَتهُ فانقطَعَ نعِيمُها منهُ؛ إذ العالمُ البرزَخيُّ يصيرُ أقرَبَ شيءٍ شَبهاً بعالمِ النَّومِ تنتَفِي فيهِ المسافاتُ والأبعَادُ، وتنقَطِعُ[٣] فيهِ الكثافاتُ الجِرميَّةُ، فتصِيرُ الرُّوحُ غيرَ محجُوبةٍ بشَيءٍ مِن ذلِكَ؛ للقوَّةِ التي جعلَها اللهُ لها، ولموجِبِ شأنِ عالمِها، ذكَرَ ذلِكَ الآمدِيُّ في «أبكارِ الأفكَارِ».

وذكَرَ بعضُهمْ: أنَّ الأرواحَ تعلَمُ بالزَّائرِ متى زارَ، وتحضُرُ لأجلِهِ بفِناءِ القَبرِ؛ أي: جانِبِهِ، وترُدُّ على كلِّ مُسلِّمٍ سَلامهُ، معَ بقائها عَلَى ما هيَ عَليهِ منَ الاتِّصالِ بعالَمِها الأعلَى ومعْهَدِها الأعلَى، عالمةً بما يُقالُ معَ عَرْضِ أعمالِ الأولادِ والخدَمةِ والأصدقاءِ عَلَيها كلَّ ليلةِ جمُعةٍ، أو كلَّ ليلَةِ إثنَينِ في قولٍ، وروايات الأوَّلِ قويَّةٌ، وترَى الزائرَ في أيِّ وقتٍ زارَ، بأيِّ مكانٍ كانَ، حتَّى ثبتَ في السنَّةِ علْمَ أهلَ المقبُرَةِ المتَّسعةِ فراسِخَ بمسَلِّمٍ سلَّمَ برأسِ المقبُرةِ، ولوْ بحيثُ يُسمِعُ نفسَهُ، ويردُّ عليهِ السَّلامَ كلُّ مَن كانَ بالمقبُرةِ منَ الأمواتِ، انتَهى.

وقالَ الحكِيمُ الترمِذيُّ: الأرواحُ [أنواعٌ: أرواحٌ] تجُولُ في البرْزخِ، فتُبصِرُ

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٤٣٧ ـ ٤٣٨).

(٢) «طلوع» من (ب).

(٣) في (ب): «وتتقطع».

أحـوالَ الدُّنيـا، والملائكَـةُ تتحـدَّثُ فـي السـماءِ عَـنْ أحـوالِ الآدميـينَ، وأرواحٌ تحـتَ العـرْشِ، وأرواحٌ طيَّـارةٌ إلـى الجِنـانِ إلى حَيـثُ شـاءَتْ عَلَى أقدارِهـمْ مِنَ السَّـعيِ إلـى اللهِ أيـامَ حياتهِـمْ، واللهُ سُـبحانَهُ أعلَمُ[١].

قلـتُ: هـذا الذِي مرَّ ذكـرُهُ كلُّهُ فـي أرواحِ بنـي آدَمَ، وهلْ كذلِـكَ أرواحُ الجنِّ؟ الظاهِـرُ أنهُـمْ كذلِـكَ، ولكِـنْ مـا حُكـمُ أرواحِ بقيَّـةِ الحيوانـاتِ مِـن وحـشٍ وطَيـرٍ وحشَـراتٍ، فهَـلْ تمُـوتُ أرواحُهَـا بمـوتِ أجسَـادِها، أو لا؟ فـإنْ قُلنـا بالثَّانـي وهوَ الظَّاهـرُ فأيـنَ مُسـتقرُّ أرواحِها؟

لم أرَ في ذلِكَ نَقلاً سِوى ما مرَّ مِن أنَّ أرواحَ الخلائقِ كلِّها إنسِها وجنِّها وهوامِّها في الثُّقَبِ التي في الصُّوْرِ.

فسُبحانَ علامِ الغُيوبِ الذِي ليسَ علْمُ شيءٍ عنهُ بمحْجوبٍ، يعلَمُ خائنَةَ الأعيُنِ وما تخْفِي الصُّدور، لا إلهَ إلا هوَ كلُّ شيءٍ عندَهُ في كتابٍ مَسطُور.

* * *

---

(١) انظر: «نوادر الأصول» (٢/ ٢٥٩) وما بين معكوفتين منه، و«شرح الصدور» (ص٢٤٣) والكلام منه.

خاتمةٌ

الحشرُ لغةً: الجمْعُ، تقولُ: حشَرتُ النَّاسَ: إذا جمعتَهمْ، والمرادُ بهِ في القِيامةِ: جمعُ الأجزاءِ بعدَ التفرُّقِ معَ إحياءِ الأبدانِ بعدَ مَوتها، وهوَ مذهَبُ الجمْهورِ.

قال ابنُ حزمٍ: اتَّفقَ جميعُ أهلِ القِبلةِ على تَنَابُذِ فِرقهِم على القولِ في البعثِ، وعلى تكفيرِ مَن أنكَرَ ذلك[1].

وقال شيخُ الإسلام تقيُّ الدِّين ابنُ تَيميَّةَ: إنَّ أهلَ الأرضِ في المَعادِ على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها ـ وهو مذهبُ سَلَفِ المسلمين من الصَّحابةِ والتَّابعِينَ وغيرِهم مِن أهلِ السُّنَّة والحديثِ من الفقهاءِ والصُّوفيةِ والنُّظَّار ـ: هو إثباتُ مَعادِ الأرواحِ والأبدانِ جميعاً، وأنَّ الإنسانَ إذا ماتَ كانت روحُه منعَّمةً أو معذَّبةً، ثم تُعادُ روحُه إلى بدنِهِ عند القيامةِ الكُبرى.

ثانيها: قولُ مَن يُثْبِتُ مَعادَ الأبدانِ فقط، كما يقولُ ذلك كثيرٌ من المتكلِّمين الجَهْميَّةِ والمعتزلةِ، وبعضُ المصنِّفين يَحكي هذا القولَ عن جمهور المسلمين، وذلك غلطٌ فإنَّه لم يَقُلْ ذلك أحدٌ من أئمَّة المسلمين.

ثالثُها: أنَّ المَعادَ للنَّفسِ النَّاطقةِ وأنَّ الأبدانَ لا تُعادُ، وهذا لم يَقُلْه أحدٌ من أهلِ المِلَل لا المسلمين ولا اليهودِ ولا النصارى، بل هؤلاء كلُّهم متَّفِقون على إعادةِ الأبدانِ وعلى القيامةِ الكبرَى، وأهلُ هذا القولِ فلاسفةٌ مَلاحِدةٌ كفَّارٌ عند المتَّبِعينَ للأنبياء، ثم إنَّ منهم مَن يقولُ بأنَّ الأرواح تتناسخُ: إما في أبدانِ الآدميِّين،

(١) انظر: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٦).

أو أبدانِ الحيوانِ مطلقاً، أو في جميعِ الأجسامِ النَّامية، ومنهم مَن يقولُ بالتناسُخِ للأنفس الشقيَّةِ فقط.

رابعُها: إنكارُ الـمَعادَينِ جميعاً، كما هو قولُ أهلِ الكفر من العَرَبِ واليُونانِ والهندِ والتُّركِ وغيرِهم(١).

إذا علِمتَ هذا، فمَذهبُ أهلِ الحقِّ: أنَّ المعادَ جِسمانيٌّ ورُوحانيٌّ، وأنَّ الناسَ يُبعثُونَ بأجسادِهِمْ وأرواحِهِمْ حُفاةً عُراةً غُرلاً.

وذهَبَ الفلاسِفةُ إلى أنَّ المعادَ رُوحانيٌّ فقطْ، وهوَ مذهبٌ باطِلٌ.

وذهبَ قومٌ إلى أنهُ جسمانيٌّ فقطْ، وهوَ مذهَبُ مَن يقُولُ: إنَّ الإنسانَ عِبارةٌ عَنْ هذا الهيكَلِ المحسُوسِ لا غيرُ.

والصحِيحُ المذهَبُ الأوَّلُ بمقتَضَى الكُتبِ الإلهيَّةِ، وأقوالِ الأنبياءِ عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، معَ أنَّ العقْلَ يجوِّزُ ذلِكَ ولا يحِيلُهُ.

حيثُ تقرَّرَ هذا: فإعادَةُ المعدُومِ عندَ أهلِ الحقِّ جائزَةٌ عَقلاً، وثابتةٌ بالسَّمعِ حسًّا، اقتضَتهُ الكُتبُ الإلهيَّةُ عَلى أَلسنَةِ الأنبياءِ، وتواترَ ذلِكَ عِندهُمْ، وشاعَ وذاعَ، ووافقَتِ المعتزِلةُ عَلى ذلِكَ بناءً على أنَّ المعدُومَ عندهم(٢) شيءٌ، فلو لمْ يقُولوا بهِ لأحالُوهُ؛ لأنَّ المعدُومَ قبلَ الوجُودِ عِندهُمْ قابلٌ للوجُودِ، فكذا إذا انعدَمَ بعدَ الوجُودِ، وعندَ أهلِ السنَّةِ: المعدُومُ نفيٌ محضٌ، وهُمْ معَ ذلِكَ قائلُونَ بجوازِ إعادَتهِ.

وللمتكلِّمينَ في إعادَةِ الأعراضِ قولانِ:

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٦/ ٧) وما بعدها. والكلام من قوله: «قال ابن حزم اتفق جميع أهل القبلة...» إلى هنا من (ب).

(٢) «عندهم» من (ب).

أحدُهما: جوازُ إعادتِها؛ وهوَ الصحيحُ لأنَّهُ تعالى قادرٌ عَلى كلِّ شيءٍ.

الثَّاني: عدَمُ جوازِهِ، وهوَ قولُ الفلاسِفةِ وبعْضِ المعتزلَةِ كأبي الحسَنِ البصريِّ والخوارِزميِّ والكُرَّامِيةِ.

واعلَمْ أنَّ مذهَبَ الأكثرينَ أنهُ تَعالى يعدِمُ الأجسادَ ثمَّ يُعيدُها، ويدُلُّ عليهِ وجوهٌ:

أحدُها: قولُهُ تَعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ والهلاكُ هوَ الفَناءُ.

والثَّاني: قولُهُ تَعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ حكَمَ بأنَّ الإعادَةَ مثلُ الابتِداءِ، ولما كانَ الابتِداءُ بخلقِ الذَّواتِ والتَّأليفِ وجَبَ أنْ تكُونَ الإعادَةُ كذلِكَ.

وقالَ شارِحُ «المواقِفِ»: هلْ يُعدِمُ اللهُ الأجزاءَ البدنيَّةَ ثمَّ يعيدُها، أو يفرِّقُها ويُعيدُها؟ الحقُّ أنهُ لمْ يثبُتْ في ذلِكَ شيءٌ، فلا يُجزَمُ فيهِ بشيءٍ لعدَمِ الدَّليلِ عَلَى شيءٍ مِنَ الطَّرفينِ.

وليسَ في قولِهِ تَعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] دليلٌ عَلى الإعدامِ، فإنَّ هلاكَ كلِّ شيءٍ: خُروجُهُ عَنْ صفَاتِهِ المطلوبَةِ، وزَوالُ التَّأليفِ كذلِكَ، ومثلُهُ يسمَّى فناءً عُرفاً، فلا يتِمُّ الاستِدلالُ بقولِهِ تَعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] عَلَى الإعدامِ أيضاً.

وفي الصحِيحِ عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ شيءٌ منَ الإنسَانِ إلا يَبلَى، إلا عظْمٌ واحِدٌ وهو عظْمُ الذنَبِ، ومنهُ يركَّبُ اللهُ الخلقَ يومَ القِيامةِ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥/ ١٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيهما: «عجب الذنب».

وفي الصحِيحِ أيضاً: «كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُهُ الترابُ إلا عجْمَ الذنَبِ، مِنهُ خُلق ومنهُ يركَّبُ»(١).

وقال ابن حزمٍ: إنَّ عَجْبَ الذَّنَبِ خاصةً تَتبدَّدُ أجزاؤه وهي عظام بحسَبِها لا تَحُولُ تراباً(٢).

وذكرَ المفسِّرونَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهُما في قولِهِ تَعَالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ قال: لا تزالُ الخصُومةُ بالناسِ يومَ القِيامةِ حتَّى يتخاصَمَ الرُّوحُ والجسَدُ، فتقُولُ الروحُ: ربِّ! أنتَ خلقْتَني ولمْ يكُن لي يدٌ أبطِشُ بها، ولا رجلٌ أمشِي بها، ولا عِينٌ أبصِرُ بها، ولا أذنٌ أسمَعُ بها، فجئتُ فدخلْتُ في هذا الجسَدِ، فضعِّفْ عليهِ أنواعَ العذابِ ونجِّني، فيقُولُ الجسَدُ: يا ربِّ! أنتَ خَلقتَني بيدِكَ فكنْتُ كالخشَبةِ ليسَ لي يدٌ أبطِشُ بها، ولا رِجلٌ أمشِي بها، ولا عَينٌ أبصِرُ بها، ولا أُذنٌ أسمَعُ بها، فجاءَ هذا كشعاعِ الشَّمسِ فدخَلَ فيَّ، فبهِ نطَقَ لسَاني، وبهِ أبصَرتْ عَيني، وبهِ سمِعتْ أُذُني، وبهِ مشَتْ رِجلي فضعِّفْ عَليهِ أنواعَ العذابِ ونجِّني.

قالَ: فيضْرِبُ اللهُ لهما مَثلاً بأعمَى ومُقعدٍ دخَلا بُستَاناً فيهِ ثمارٌ؛ فالأعمَى لا يُبصِرُ الثمرَةَ، والمقعَدُ لا يَنالها، فنادَى المقعَدُ الأعمَى: ائتِني حتَّى تحمِلَني فدَنا منهُ وحمَلهُ فنالَ الثَّمرةَ وأكلَ مِنها، وأطعَمَ صاحِبهُ، فعَلَى أيِّهما العذابُ؟ قالا: عَليهِما مَعاً، قالَ اللهُ تَعَالى: فعليكُما العذابُ جمِيعاً(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٥/ ١٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه: «عجب الذنب».

(٢) انظر: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٤/ ٥٨). وقوله: «وقال ابن حزمٍ: إنَّ عَجْبَ الذَّنَبِ خاصةً تَتبدَّدُ أجزاؤه وهي عظام بحسَبِها لا تَحُولُ تراباً» من (ب).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٤٨)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٤٨).

نسألُ اللهَ سُبحانَهُ أنْ يُجيرَنا منَ العذابِ، وأنْ يحشُرَنا بمنِّهِ في زُمرةِ الأحبابِ، وأنْ يُرِيَنا وجهَهُ بلا سابقَةِ عَذابٍ، وأنْ يمُنَّ عَلينا في الدارَينِ بالعافيةِ إنَّهُ كريمٌ وهابٌ[١].

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ عَلى سيِّدِ العالمينَ، وأشرَفِ المرسَلِينَ، وعَلَى سائرِ إخوانِهِ منَ النَّبيينَ، وعَلى آلِ كلٍّ وصحبِهِ أجمَعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والمسؤولُ ممَّنِ اطَّلَعَ فيهِ عَلى خللٍ أو فسادٍ سبَّبهُ السآمةُ والملَلُ أنْ يُبادِرَ إلى إصلاحِهِ عَلَى وجهٍ حسَنٍ ليكُونَ ممَّنْ يدفَعُ بالتي هي أحسنُ، فإني وضعتُه معترِفاً بقِصَر الباعِ وكثرةِ الذُّهولِ، راجياً من اللهِ به الانتفاعَ ومَزيدَ القبول، فلولا طمعُ واضِعِه في الثَّواب ما كَشَف فضائحَه ولا عرَّض نفسَه لتكليمِ الألسنةِ الجارحة.

فأسألُ اللهَ سبحانه أنْ يُجازيَني بصَنيعي الجميلِ الوفاةَ على الإسلامِ، وأنْ يُدْخِلَني وإخواني دارَ السَّلامِ بسلامٍ، بمحمدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ آمينَ.

قال مؤلِّفُه الفقيرُ الحقيرُ راجي عفوَ مولاهُ الغنيِّ الكبيرِ: فرغتُ من هذا الكتابِ نهارَ الخميسِ بالجامعِ الأزهَرِ ثالثَ شهرِ ربيعٍ الآخِرِ من شهورِ سنةِ اثنينِ وعشرينَ وألفٍ من الهجرةِ النبويَّةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسَّلام[٢].

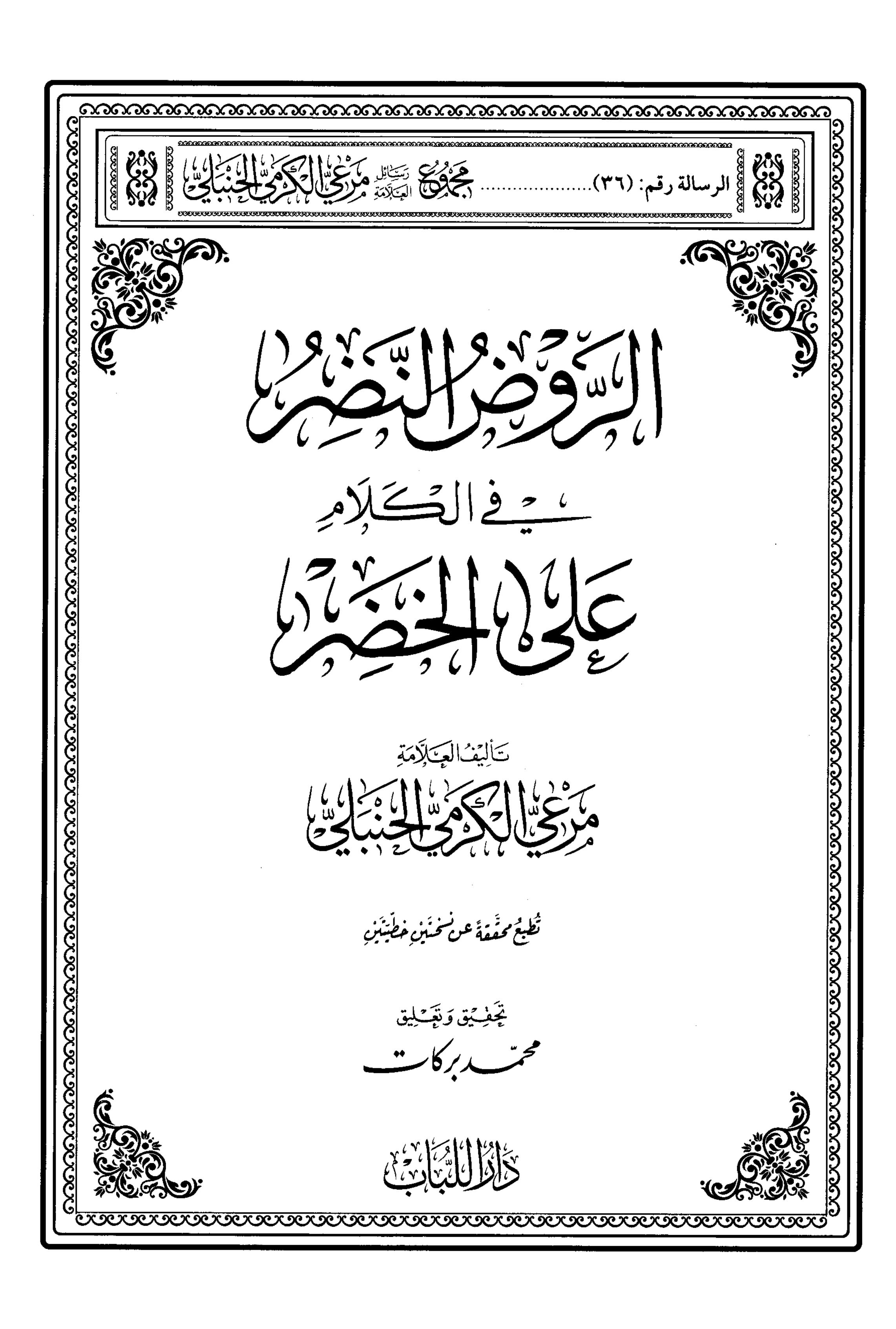
* * *

(١) في (ب): «والله سبحانه وتعالى أعلم» مكان: «نسأل الله سبحانه أن يجيرنا...».

(٢) من قوله: «بالتي هي أحسن...» إلى هنا من (ب)، حيث وقع هنا خرم في النسخة (أ).

وجاء في آخر النسخة (ب): «وكان الفراغُ من كتابةِ هذه النُّسخةِ على يدِ العبدِ الفقيرِ مرعيِّ بنِ محمدٍ البَدْراويِّ الوَفَائيِّ، يومَ الخميسِ ثامنَ شهرِ رجبٍ الحرامِ سنة (١٠٢٩) غَفَرَ اللهُ لهما».





الروض النضر في الكلام على الخضر

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

طبع محققة عن نسختين خطيتين

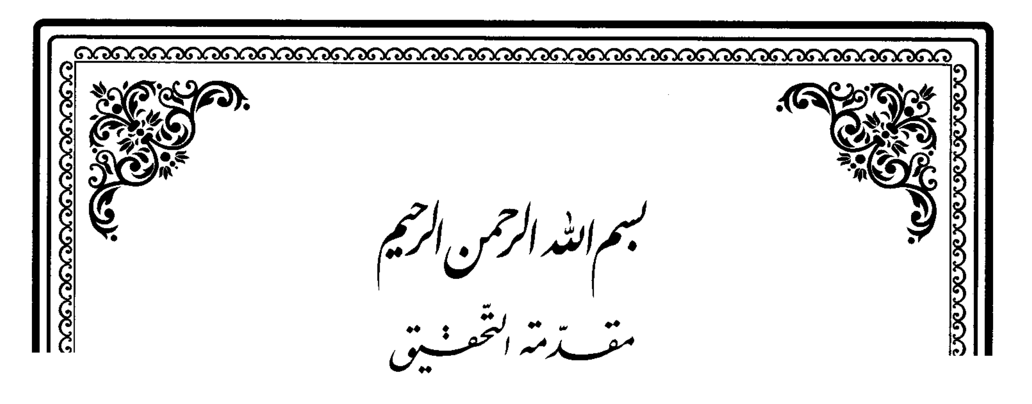
تحقيق وتعليق

محمد بركات

دار اللباب

مكتبة رسول كتاب (ر)

مكتبة لا له لي (ل)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ المرسَلينَ محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

وبعدُ: فهذهِ رسالةُ «الرَّوضِ النَّضرِ في الكلامِ على الخضرِ» للعلَّامةِ مرعيِّ الكرميِّ الحنبليِّ، وهي رسالةٌ مختصرةٌ كلماتُها يسيرةٌ، في حقِّ الخضرِ، تُعرفُ بشخصهِ الذي اتفقَ العلماءُ على أنَّهُ العبدُ الصالحُ الذي أذنَ اللهُ لنبيِّهِ موسى عليه السلامُ أنْ يلقاهُ عندَ مجمَعِ البحرَينِ.

لكن اختلفوا: في اسمهِ ونسبهِ، وهل هو نبيٌّ أو وليٌّ؟

واختلفوا: هل هو حيٌّ أو ميتٌ؟ وإذا كان حيًّا ما سببُ طولِ حياتهِ.

والمصنفُ رحمه الله يَذهبُ مذهبَ القائلينَ بعدمِ وجودهِ حيًّا الآن، كمذهبِ ابنِ القيمِ والسُّيوطيِّ كما زعمَ المصنفُ.

هذا، وقد تناولَ العلماءُ البحثَ في مسألةِ الخضرِ قديماً وحديثاً، وصنَّفوا فيها، كابنِ المنادي، وابنِ الجوزيِّ، وابن حجرٍ العسقلانيِّ، والسُّيوطيِّ والملا عليٍّ القاري.

والمصنفُ أحدُ مَن تناولَ هذهِ المسألةَ بالبحثِ، لأنَّها حديثُ كلِّ زمانٍ وعصرٍ، فكانتْ رسالتُه كالمقالةِ لأهلِ زمانهِ.

هذا، واعتمدَ المصنِّفُ في جمعِ مادَّتِهِ العلميَّةِ لهذهِ الرسالةِ مِن مصادرَ متعددةٍ، منها التاريخيَّة كتاريخِ الطَّبريِّ، وكتبِ الثَّعلبيِّ، وتاريخِ ابنِ عساكر، وتاريخِ التَّبابِعةِ لنشوان الحِمْيَري. كما أنَّه اعتمدَ على بعضِ التفاسيرِ، وكتبِ الحديثِ، واستعانَ بكتابِ «الزَّهر النَّضرِ» لابنِ حجرٍ العسقلانيِّ، وكتابِ المنارِ المُنيفِ لابن القيِّم.

هذا، وقد قُمنا بتوثيقِ نصوصِ هذه الرسالةِ، وتخريجِ أحاديثِها وبيانِ حالها مِن الصَّحةِ والضَّعفِ.

وقد اعتمدنا في تحقيقها على نُسختين خطِّيتينِ:

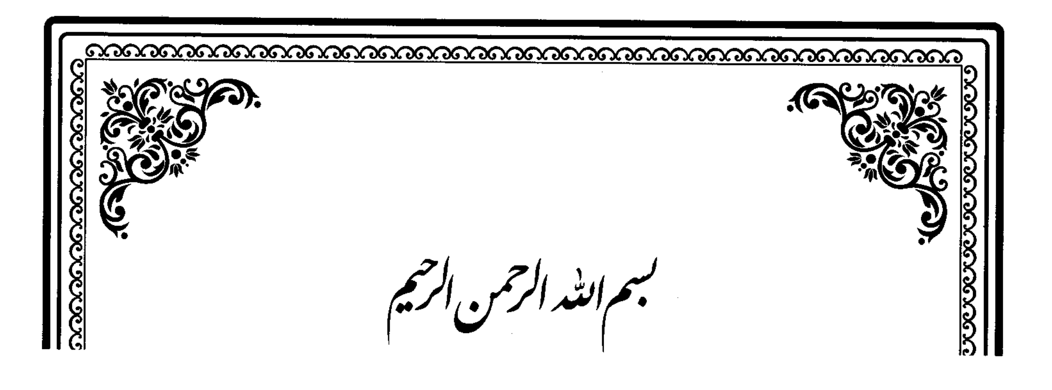
الأولى منهما: نسخة مكتبة لا له لي، وقد رمزنا لها بـ(ل) وهي نسخةٌ جيدةٌ، نسخَها أحمدُ بنُ يحيى الأكرمي سنة (١٠٤٠هـ)، أي بعد وفاة المصنف بسبع سنين.

والثانية: نسخةُ مكتبةِ رسول كتاب، وقد رمزنا لها بـ(ر)، وهي نسخة مقروءة مقابلة، جاء في خاتمتها ما نصه: نقل هذا من نسخة كتبت من خط المؤلف.

ونرجو مِن اللهِ تعالى أنْ نكونَ قد وفِّقنا للصَّوابِ في عملِنا هذا، ونسألُه تعالى العفوَ عما وقعَ من الزَّللِ والخطأ، وأنْ يتقبلَ منَّا، إنَّه تعالى سميعُ الدُّعاءِ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

المحقق

***



الحمدُ للهِ جاعلِ العلماءِ الأعلامِ ورثَةَ الأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ في بيانِ الحقِّ والأحكامِ، والصلاةُ والسلامُ عَلى المبعوثِ داعِياً لدارِ[1] السلامِ، وعَلى آلِهِ وأصحابِهِ هُداةِ الأنامِ، ومصابيحِ الظلامِ.

وبعدُ: فهٰذِهِ كلماتٌ يسيرَةٌ، وعِباراتٌ مُستنيرةٌ، تتعلَّقُ بشأنِ الخَضِرِ عليهِ السلامُ، وما فيهِ منَ الكلامِ للعلماءِ الأعلامِ منَ الخُلفِ في: اسمِهِ، واسمِ أبيهِ، ونبوَّتِهِ وفي حيَاتِهِ، وفي سببِها، وغيرِ ذلكَ.

أما في[2] **اسمِهِ**: فهوَ الخَضِرُ بفتحِ الخاءِ وكسرِ الضادِ المُعجَمَتينِ، ويجوزُ قياساً سكُونُ الضادِ معَ فتحِ الخاءِ وكسْرِها كفَخِذٍ وكبِدٍ.

سمِّيَ خَضِراً لحديثِ الترمذِيِّ وصحَّحهُ: «إنما سمِّي خَضِراً لأنهُ جلسَ عَلى فروةٍ بيضاءَ، فقامَ فإذا هيَ تهتَزُّ مِن تحتِهِ خَضراءَ»[3].

وفي حديثِ البُخاريِّ: «إنما سمِّيَ الخَضِرُ، لأنهُ جلَسَ عَلى فَرْوةٍ بيضاءَ، فإذا هيَ تهتَزُّ مِن خَلْفِهِ خضراءَ»[4].

---

(١) في (ر): «إلى دار».

(٢) لفظ: «في» سقط من (ر).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥١) من حديث أبي هريرة، وفيه: «على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء».

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٠٢) من حديث أبي هريرة.

والفَروةُ كما في «مسنَدِ عبدِ الرزَّاقِ»: الحشِيشُ الأبيَضُ، وما أشبَهَهُ[١].

وقيلَ: وجهُ الأرضِ[٢].

وقيلَ: هيَ الأرضُ البَيضاءُ التي ليسَ فيها نباتٌ، وجزَمَ بِهِ الخطَّابيُّ[٣] ومَن تبِعهُ.

وعَنْ مجاهِدٍ: لأنهُ كانَ إذا صلَّى عَلى الأرضِ اخضَرَّ ما حولَهُ[٤].

واسمُهُ قبلَ ذلكَ: بَليَاءُ بفتحِ الباء الموحَّدةِ، وسكُونِ اللامِ، ثمَّ مثنَّاةٍ تحتيَّةٍ. وفي خطِّ الحافظِ الدِّمياطيِّ بنُقطتَينِ أوَّلهُ، وقيلَ: بزيادَةِ ألفٍ بعدَ الياءِ وقبلَ الياءِ.

وقيلَ: اسمُهُ اليَسعُ[٥]، وقيلَ: عامِرٌ[٦]، وقيلَ: خَضرونُ[٧]، والأوَّلُ أثبَتُ.

وكُنيتُهُ عندَ وهْبٍ أبو العبَّاسِ[٨].

وأبـوهُ: ملـكَانُ بـنُ فالـخِ بنِ عابرِ بنِ شـالخِ بنِ أرفخشَـد بنِ سـامِ بنِ نـوحٍ[٩]، وقيلَ غيـرُ ذلِكَ.

---

(١) قاله عبد الرزاق كما في «مسند أحمد» (٨٢٢٩)، وليس في مصنفه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦).

(٣) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢٢٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٨٢).

(٥) انظر: «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي (٢/ ١٢٧).

(٦) انظر: «الزهر النضر» (ص٦٠)، وفي «تلقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي (ص١٥٥): عامر الرام أخو الخضر.

(٧) انظر: «المحبر» لابن حبيب (٣٨٨)، و«المنتظم» لابن الجوزي (١/ ٣٥٧).

(٨) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص٤٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٨٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٧٦).

(٩) انظر: «المعارف» (٤٢)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٥).

ومولِـدُهُ: قبلَ إبراهِيـمَ وهـوَ ابـنُ عمِّ جـدِّهِ، وفـي الثَّعلبيِّ نحـوُهُ، وقيـلَ: بعدَ إبراهيمَ(١).

وروَى الدارقُطنيُّ عَن ابنِ عبَّاسٍ: أنهُ ابنُ آدمَ لصُلبِهِ(٢).

وقيلَ: إنهُ ابنُ قابِيلَ بنِ آدمَ(٣)

وقـالَ ابـنُ لَهِيْعـةَ: إنـهُ ابـنُ فِرعـونَ نفسُـهُ(٤)، وقيـلَ: ابـنُ بنتِـهِ(٥)، وأنه اسـمُهُ خَضـرونُ بـنُ عَابيـلَ بـنُ معمَـرِ بـنِ عيصُو بـنِ إسـحَاقَ بـنِ إبراهِيـمَ(٦).

وقيلَ: إنهُ مِن ذريَّةٍ بعضِ مَن آمَنَ بإبراهيمَ عَليهِ السلامُ(٧).

وقيلَ: إنهُ الذِي أماتَهُ اللهُ مئةَ عامٍ ثمَّ بعثَهُ، فأبقاهُ(٨) إلى نفخِ الصورِ(٩).

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٥)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٣٧٩)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٤٧).

(٢) رواه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٨٢٧)، وقال ابن كثير في «تاريخه» (١/ ٣٨٠): وهذا منقطع وغريب. وضعفه ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٢٤٦)، والقسطلاني في «الإرشاد» (٥/ ٣٨٤).

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٢٠٤)، و«الزهر النضر» لابن حجر (ص٥٩).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣)، و«الإصابة» (٢/ ٣٤٧)، وقال ابن كثير في «البداية» (١/ ٣٢٦)، والقسطلاني في «الإرشاد» (١/ ١٧٣): غريب جداً، وقال ابن الملقن في «التوضيح» (٣/ ٣٧٢): وهذا بعيد، ابن لهيعة وابن أيوب مطعون فيهما.

(٥) انظر: «الزهر النضر» (٦٢).

(٦) انظر: «البداية والنهاية» (١/ ٣٢٦). وفيه: اليفز، بدل: معمر.

(٧) انظر: «المعارف» (٤٢)، و«الزهر النضر» (٦٣).

(٨) في (ر): «وأبقاه».

(٩) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٧)، و«البحر المحيط» (٢/ ٦٣٣).

وقيلَ: كانَ أبوهُ فارِسيّاً، ومِن ذريَّةِ الأزْدِ[١].

وأما نبوتُهُ، فهوَ نبيٌّ عندَ الجمهُورِ، قالهُ القُرطبيُّ في «تفسِيرِهِ»، قالَ: والآيةُ تشهَدُ بنبوَّتهِ، لأنهُ لم تكُنْ بواطِنُ أفعالِهِ إلا بوحيٍ - وجزَمَ بذلكَ ابنُ حزمٍ[٢] - ولأنَّ الحُكمَ بالباطنِ إنما هوَ للأنبياءِ عليهِمُ السلامُ[٣].

وقالَ الحافِظُ السيوطيُّ في تفسيرِ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: نبوَّةً في قولٍ، وولايةً في آخرَ وعليهِ أكثرُ العلماءِ[٤]. انتهى.

وحكَى السُّهيليُّ: أنهُ منَ الملائكةِ لا مِن بني آدمَ[٥].

وفي ابنِ عطيةَ والبغويِّ عنْ أكثرِ أهلِ العلمِ أنهُ نبيٌّ[٦]. واختُلفَ في رسالتِهِ[٧].

ووافقَ القشيريُّ في طائفةٍ عَلى أنهُ وليٌّ[٨].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٠١)، و«الزهر النضر» (٦٣).

(٢) انظر: «الإحكام في أصول الفقه» لابن حزم (٥/ ١٣٦).

(٣) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦).

(٤) «تفسير الجلالين» (ص٣٩٠).

(٥) نقله ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١١٦) عن السهيلي، وله كتاب «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأعلام».

(٦) بل ذكر البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٨٨) أنه لم يكن نبياً، وعند ابن عطية في «المحرر» (٣/ ٥٣٧) أن الناس اختلفت فيه، فقيل: هو نبي، وقيل: هو عبد صالح، وأما القائل بأنه نبي، هو الثعلبي كما في «عرائس المجالس» (٢٢٦).

(٧) انظر: «الزهر النضر» (ص٦٨).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٢٦)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١٧)، و«الزهر النضر» (٦٩).

وأما **سبَبُ طولِ حياتِهِ** عَلى القولِ بها[1]: ففي «المبتدَأِ» لابنِ إسحاقَ أنَّ آدمَ أخبرَ بنِيهِ بالطُّوفانِ، ودعَا لمَن يحفَظُ بدنَهُ بالتعمِيرِ حتى يدفِنَهُ، فكانَ الذِي تولَّى ذلكَ معَ نوحٍ هوَ الخَضِرُ[2].

وروَى خيثمَـةُ بـنُ سـليمانَ مِن طريـقِ جعفَرٍ الصـادِقِ عَن أبيـهِ: أنَّ إسـكندَرَ ذا القَرنيـنِ طلَـبَ مِن صديقٍ لـهُ منَ الملائكَـةِ الدلالَةَ عَلى شـيءٍ يطولُ بِهِ عمُـرهُ، فدلَّهُ عَلـى عيـنِ الحيـاةِ في داخِـلِ الظُّلمةِ، فسـارَ إليهـا والخضِرُ عَلـى مقدمتـه، فظفرَ بها الخضِـرُ دونَ ذي القَرنينِ[3].

وفـي «تاريـخِ الطبريِّ»: أنـهُ كانَ في أيَّـامِ أفريـدُودَن عَلى مقدمةِ إسـكندَرَ ذي القَرنيـنِ الأكبرَ[4].

[ذو القَرنينِ]

قلتُ: وذُو القَرنينِ يلتبَسُ عَلى كثيرٍ منَ المؤرِّخينَ والمفسِّرينَ، وحقيقةُ الحالِ أنَّ المسمَّى بهذا الاسمِ **أربعَةُ ملوكٍ**[5]:

الأولُ: الماحُ باني سدِّ يأجوجَ ومأجوجَ، وهوَ صعبُ بنُ مالكِ بنِ الحارِثِ، ينتَهِي نسبَهُ لكهلانَ الحِميريِّ ملكِ حميرَ.

---

(١) لفظ: «بها» سقط من (ل).

(٢) انظر: «تاريخ ابن عساكر» (١٦/ ٤٠٠)، و«الزهر النضر» (ص٧١).

(٣) انظر: «تاريخ ابن عساكر» (١٧/ ٣٤٦)، و«الزهر النضر» (ص٧١).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٦).

(٥) انظر: «خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة» لنشوان الحميري (ص٩٨) وما بعدها، لخصها المصنف من قوله هناك.

وحميَرُ هـوَ ابنُ سـبأِ بنِ يشْـجُبَ بنِ يعـرُبَ بنِ قحطَانَ بـنِ هودٍ عَليـهِ الصلاةُ والسلامُ.

وسئِلَ عنهُ كعبُ الأحبارَ فقالَ: الصحيحُ عِندنا أنهُ مِن حِميرَ، وأنهُ صعبٌ[١].

وعدَّةُ مُلوكِ حِميرَ ألفُ ملِكٍ، والتَّبابعَةُ منهُمْ الذينَ غزَوا بلادَ الأعاجمِ سبعونَ تُبَّعاً[٢]، ومنهُمْ ذو القَرنينِ.

هـذا وسـمِّيَ ذا القَرنيـنِ قيـلَ: لشـيبٍ كانَ عَلـى قرنَيهِ ولِـدَ وهو فيـهِ[٣]، وقيلَ غيـرُ ذلكَ.

وكانَ في زمَنِ إبراهيمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، واجتمَعَ بهِ وهوَ سائرٌ إلى الشمالِ، وكانَ الخَضِرُ عَلى مقدِّمةِ عسكَرِهِ[٤].

الثاني: الإسكَندرُ ذو القَرنينِ الرُّوميِّ، وإليهِ ينسَبُ «تاريخُ ذي القَرنينِ»، وكانَ ملكُهُ خمسَ عشرةَ سنةً، وعمُرهُ ستٌّ وثلاثونَ سنةً[٥].

وكانَ رجُلاً صالحَاً، ورجالُهُ أدركُوا عيسَى بنَ مريمَ منهُمْ جالِينوسُ، وأرسْطا طالِيسَ الحكِيمُ، وكانَ هوَ مؤدِّبهُ. وهوَ مِن نسلِ لويانَ[٦] بنِ عيصُو بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ[٧].

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٨).

(٢) المصدر السابق (ص٢٠ ـ ٢١).

(٣) المصدر السابق (ص٩٦).

(٤) المصدر السابق (ص٩٨).

(٥) المصدر السابق (ص١٠٣ ـ ١٠٤).

(٦) في (ل): «نويان» والذي في كتاب نشوان الحميري (ص١٠٨): يونان.

(٧) المصدر السابق (١٠٨).

وهذا هوَ الذِي يلتبِسُ بذِي القَرنينِ الأوَّلِ، وذاكَ يقالُ عمُرهُ ألفا سنَةٍ[١]، ولذلكَ بلَغَ مغرِبَ الشمسِ ومطلِعَها وجاءَ ذلكَ في أشعارِ العربِ، ومنهُ:

عُمِّرْتَ أَلْفَاً بعْدَ أَلْفٍ قبْلَهـا ... في العَالَمِينَ فقَدْ دُعِيْتَ وَحِيْدَا

وقَصَدْتَ آفَاقَ البِلادِ بقُدْرةٍ ... فوجَدْتَ نحْسَاً عِنْدَها وسُعُوْدَا

فهَدَيتَ مِنْها مُؤمناً ذا هِمَّةٍ ... وقسَرتَ مِنها كافِراً وجَحُودَا[٢]

الثالثُ: المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ اللخميُّ ملكُ الحيرَةِ، وكانَ يُدعَى بذِي القَرنينِ؛ لأنهُ كانَ لهُ مسايح مِن شعرٍ، أي: غدائرُ، وهيَ قرونُ الشَّعرِ[٣].

الرابعُ: هو الصعبُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مالكٍ مِن نسلِ حِميَرَ الأصغرِ بنِ سبأٍ الأصغرِ بنِ كعب.

وأما **طولُ حياةِ الخضِرِ ووجودُهُ حيّاً إلى الآنَ**، فقَدِ اختَلَفَ العُلَماءُ في ذلكَ اختِلافاً كثيراً:

فذهَبَ قومٌ إلى أنهُ حيٌّ إلى الآنَ، واختارَهُ ابنُ الصلاحِ، وتبِعهُ الإمامُ النووِيُّ وخلائقُ، واتَّفقَ عليهِ الصوفيةُ[٤].

قالَ الدارقُطنيُّ: مدَّ اللهُ في أجلِهِ حتَّى يكذِّبَ الدجَّالَ[٥].

---

(١) المصدر السابق (١٠٥).

(٢) المصدر السابق (١٠٦).

(٣) المصدر السابق (١١٢).

(٤) انظر: «فتاوى ابن الصلاح» (ص١٨٥)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٣٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٨٢٧) من قول ابن عباس، وإسناده ضعيف.

وعندَ عَبدِ الرزَّاقِ أنَّه[١] الذِي يقتُلُهُ الدجَّالُ ثمَّ يحييهِ[٢]، ووافقَهُ إبراهِيمُ بنُ سُفيانَ الراوِي لـ«صحيحِ مسلمٍ» عَن مُسلمٍ[٣].

وفي النقَّاش[٤] بطرقٍ: أنهُ حيٌّ. وكلُّها واهيةٌ.

وعبارَةُ «تفسِيرِ الثعلَبيِّ»: معمَّرٌ عَلى جميعِ الأقوالِ محجُوبٌ عنِ الأبصارِ، وأنهُ لا يمُوتُ إلا بآخرِ الزمانِ حِينَ يُرفعُ القرآنُ[٥].

ورِوِيَ: أنهُ عَليهِ الصلاةُ والسلامُ سمِعَ كلاماً وهوَ بالمسجِدِ، فقالَ: «اذهَبْ يا أنَسُ! لهذا القائلِ وقُلْ لهُ: يستَغفِرْ لي»، فذهَبَ فذكَرَ لهُ، فقالَ لهُ: قُل لهُ: إنَّ اللهَ فضَّلكَ عَلى الأنبياءِ بما فضَّلَ بِهِ رمضانَ على الشهورِ، فذهَبُوا ينظُرونَ، فإذا هوَ الخضِرُ[٦]. لكنهُ ضعِيفٌ وواهي.

منهُ ما عِندَ ابنِ عساكِرٍ وفي «أفرادِ الدارَقُطنيِّ» مِن مرفُوعِ ابنِ عبَّاسٍ: «يجتَمِعُ الخَضِرُ وإلياسُ كلَّ عامٍ بالموسِمِ، فيحلِقُ كلُّ واحدٍ مِنهُما رأسَ صاحبِهِ، ويتفرَّقانِ عَلى هؤلاءِ الكَلماتِ: بسمِ اللهِ ما شاءَ اللهُ، لا يسوقُ الخيرَ إلا اللهُ، ما شاءَ اللهُ، لا

---

(١) في (ل): «هو».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «جامع معمر» (٢٠٨٢٤) عن معمر قوله.

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٧٢).

(٤) لعله أبو سعيد محمد بن علي النقاش الأصبهاني الحنبلي ت ٤١٤هـ، له كتاب في «الموضوعات»، ينقل عنه الذهبي في «الميزان».

(٥) نقله النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٣٦) عن الثعلبي المفسر، وليس القول في التفسير له، بل في «عرائس المجالس» (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٢٢) من حديث عمرو بن عوف. وقال ابن عدي: لا يتابع عليه. يعني كثير بن عبد الله. وله نسخة موضوعة. وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٣٣).

يصرِفُ السوءَ إلا اللهُ، ما شاءَ اللهُ، ما كانَ مِن نعمَةٍ فمِنَ اللهُ، ما شاءَ اللهُ لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ»[1].

ورُويَ: أنهُما يصومانِ رمضَانَ ببيْتِ المقدِسِ[2].

ورِويَ: أنهُ دخَلَ الإمامُ عَليّ الطوافَ فسمِعَ قائلاً يقولُ: يا مَن لا يشغلُهُ سمعٌ عَن سمعٍ.. الحديثَ، فإذا هوَ الخضِرُ. وهوَ عندَ ابنِ عساكرٍ مِن وجهَينِ ضعِيفَينِ[3].

و[جاء في] اجتماعِهِ ببعضِ الصحابةِ فمَنْ بعدَهُمْ [أخبارٌ] كلُّها واهيَةٌ.

وذهبَ قومٌ مُحققُونَ وأعيانُ أهلِ الحديثِ إلى **إنكارِ وجُودِ الخَضِرِ الآنَ**، وأنهُ ليسَ بحيٍّ عليهِ السلامُ، وأنكَرَ وجودَهُ خلائقُ.

قالَ الحافِظُ ابنُ حجَرٍ في «شرحِ البُخارِيِّ»[4]: وجزَمَ بأنهُ غيرُ موجُودٍ الآنَ البُخاريُّ وإبراهِيمُ الحربيُّ، وأبو جعفَرِ ابنُ المناوِيِّ، وأبو يعلَى ابنُ الفراءِ، وأبو طاهرٍ العبَّاديُّ، وأبو بكرِ ابنُ العربيِّ، وطائفةٌ، وعمدَتهُمْ الحدِيثُ المشهُورُ عنِ ابنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٩/ ٢١١)، والدارقطني في «المزكيات» (٢٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٢٤)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٥)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٩٥).

وقال الدارقطني: غريب من حديث ابن جريج، وقال العقيلي: الحسن بن رزين بصري مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ، وقال: لا يتابع عليه مسنداً ولا موقوفاً، وقال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد منكر.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٢٨)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٦٢): معضل.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ٤٢٥) من طريقين عن علي بن أبي طالب ورواه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ١٩٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٩٨)، وقال: لا يصح، ومحمد بن الهروي مجهول، وابن محرز متروك.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٤٣٤)، وما بين معكوفتين منه.

عمَرَ وجابرٍ وغيرِهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ في آخرِ حياتِهِ: «لا يبقَى عَلى وجهِ الأرْضِ بعدَ مئةِ سَنةٍ ممن هوَ عَليها اليومَ أحدٌ»(١). قالَ ابنُ عمرَ: أرادَ بذلِكَ انخِرامَ قرنِه.

قالَ ابنُ حجَرٍ: ومِن حجَجِ مَن أنكرَ وجودَهُ قولُهُ تَعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وحديثُ ابنِ عباسٍ: «ما بعَثَ اللهُ نبيّاً إلا أخذَ اللهُ عليهِ الميثاقَ: لئنْ بعِثَ محمَّدٌ وهوَ حيٌّ ليُؤمنَّنَ بهِ ولينصُرنَّهُ». أخرجَهُ البُخاريُّ(٢)، ولم يأتِ في خبرٍ صحيحٍ أنهُ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ ولا قاتَلَ معَهُ، وقدْ قالَ ﷺ يومَ بدرٍ: «اللهُمَّ إنْ تهلِكْ هذِهِ العِصابَةُ لا تُعبَدْ في الأرضِ»(٣). فلو كانَ الخَضِرُ مَوجُوداً لَمْ يصِحَّ هذا النَّفيُ، وقدْ قالَ ﷺ: «رحِمَ اللهُ مُوسَى لوَدِدنا لو كانَ صبرَ حتَّى يقُصَّ اللهُ عَلَينا مِن خَبرِهما»(٤). فلو كانَ الخَضِرُ مَوجُوداً لما حَسُنَ هذا التمَنِّي، ولأحضَرَهُ بينَ يدَيهِ، وأراهُ العجائبَ.

وقالَ ابنُ عطيَّةَ: روَى النقَّاشُ أخباراً كثيرةً عَلى بقائهِ لا تقُومُ بشيءٍ مِنها حجَّةٌ، قالَ: ولو كانَ باقِياً لكَانَ لهُ في ابتداءِ الإسلامِ ظهُورٌ، ولمْ يثبُتْ شيءٌ مِن ذلِكَ، انتهى(٥).

وقالَ العلامَةُ شمسُ الدينِ ابنُ القيِّمِ في كتابِهِ المسمَّى بـ«المنَارِ المنيْفِ في

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧)، من حديث ابن عمر، ومسلم (٢٥٣٨) من حديث جابر.

(٢) لم أقف عليه في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٨)، والترمذي (٣٠٨١) من حديث عمر بن الخطاب. وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٢) من حديث ابن عباس.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٤٣٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٣٧).

الصحيحِ والضَّعيفِ»[1] ما نصُّهُ: فصلٌ: ومِنها - أي: الموضُوعاتِ - الأحادِيثُ التي يُذكَرُ فيها الخَضِرُ وحياتُهُ كلُّها كذِبٌ.

وسئلَ إبراهِيمُ الحربيُّ عَن تعمِيرِ الخَضِرِ وأنهُ باقٍ فقالَ: مَن أحالَ عَلى غائبٍ لمْ ينتَصِفْ منهُ، وما ألقَى هذا بينَ الناسِ إلا الشيطانُ.

وسئلَ البخاريُّ عنِ الخَضِرِ وإلياسٍ، هلْ هُما حيَّانِ؟ فقالَ: كيفَ يكُونُ هَذا وقدْ قالَ النبيُّ ﷺ: «لا يبْقَى عَلى رأسِ مئةِ سنَةٍ ممَن هوَ عَلى ظهْرِ الأرْضِ أحدٌ»[2].

وسئلَ عَن ذلِكَ غيرُهُ منَ الأئمةِ فقرَأَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وسئلَ منهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ فقالَ[3]: لو كانَ الخضِرُ حيًّا لوجَبَ عليهِ أنْ يأتيَ إلى النبيِّ ﷺ، ويجاهِدَ بينَ يدَيهِ، ويتعلَّمَ منهُ، وقدْ قالَ النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: «اللهُمَّ! إنْ تهلِكْ هذِهِ العِصابةُ لا تعبَدْ في الأرضِ»[4] فأينَ كانَ الخضِرُ حينئذٍ؟

وقالَ ابنُ حزمٍ في بعضِ تصانيفِهِ[5]: والخضِرُ عليهِ السلامُ نبيٌّ قدْ ماتَ؛ لأنَّ محمَّداً ﷺ لا نبيَّ بعدَهُ. وقالَ تَعالى حاكياً عنِ الخَضِرِ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] فصحَّتْ نُبوَّتهُ. انتَهى.

قالَ أبو الفرَجِ ابنُ الجوزيِّ في «مُؤلَّفٍ»[6] ألَّفَهُ في إنكارِ حياةِ الخَضِرِ: الدليلُ

---

(١) انظر: «المنار المنيف» (ص٦٧).

(٢) سلف تخريجه.

(٣) انظر: «الرد على المنطقيين» (ص١٨٥).

(٤) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٥) انظر: «الإحكام في أصول الفقه» لابن حزم (٥/ ١٣٦).

(٦) وسماه: «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر».

عَلى أنَّ الخضِرَ ليسَ بباقٍ في الدُّنيا أربعةُ أشياءٍ: القرآنُ، والسنَّةُ، وإجماعُ المحقِّقينَ مِنَ العلماءِ، والمعقُولُ.

أما القرآنُ: فقولهُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] فلو دامَ البقاءُ لهُ كانَ خالِدَاً.

وأمَّا السنةُ: حديثُ «أرأيتُكُمْ هذِهِ» السابقِ[1].

ثم ذكَرَ عنِ البُخارِيِّ، وعليِّ بنِ مُوسَى الرِّضا: أنَّ الخضِرَ ماتَ.

قالَ: وممَّنْ قالَ إنَّ الخَضِرَ ماتَ، إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الحربيُّ [ت ٢٨٥هـ]، وأبو الحُسَينِ ابنُ المناديِّ[2] [ت ٣٣٦هـ] وهما إمامانِ، وكانَ ابنُ المنادي يقبِّحُ قولَ مَنْ يقولُ: إنهُ حيٌّ.

وحكَى القاضِي أبو يعْلَى [ت ٤٥٨هـ] موتَهُ عنْ بعضِ أصحابِ الإمامِ أحمَدَ وذكَرَ عَن بعضِ أهلِ العلمِ أنَّه احتَجَّ بأنهُ لو كانَ حيَّاً لوجَبَ عليهِ أنْ يأتيَ إلى النبيِّ ﷺ لحديثِ: «لو أنَّ مُوسَى كانَ حيَّاً ما وسِعَهُ إلا أنْ يتَّبِعني» أخرجَهُ أحمَدُ[3]، فكيفَ يكُونُ حيَّاً ولا يصلِّي معَ رسولِ اللهِ ﷺ الجمُعةَ والجماعَةَ ويجاهِدُ معهُ؟ ألا ترَى أنَّ عيسَى إذا نزَلَ إلى الأرضِ يُصلِّي خلفَ إمامِ هذِهِ الأمَّةِ؟

قالَ أبو الفرَجِ: وما أبعدَ فهمَ مَن يُثبِتُ وجودَ الخضِرِ وينسَى ما في طيِّ إثباتِهِ مِن الإعراضِ عَن هذِهِ الشريعَةِ.

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) في النسخ: «المناوي»، والتصويب من «المنار المنيف» (ص٧٢)، وترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٦١).

(٣) أخرجه أحمد (١٥١٥٦) من حديث جابر. وإسناده ضعيف لضعف مجالد.

وأما الدليلُ منَ المعقُولِ فمن عَشْرَةِ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّ الذي أثبتَ حياتَه يقولُ: إنَّهُ ولَدَ آدمَ لصُلبهِ[1]، وهَذا فاسدٌ مِن وجهَينِ: أحدُهما: أنهُ يكُونُ عمرُهُ اليومَ ستَّةَ آلافِ سنةٍ، وهذ بعيدٌ في العاداتِ أنْ يقعَ في حقِّ بشرٍ.

ثانيهما: أنهُ لو كانَ ولدَهُ لصلبهِ أو الرابعَ مِن أولادِهِ كانَ عَلى الخِلْقَةِ الأُولى، مُفْرِطَ الطُّولِ والعرضِ، وما ذكَرَ أحدٌ ممَّنْ يدَّعي رؤيةِ الخضرِ أنهُ رآهُ عَلى خِلْقةٍ عظِيمةٍ.

الثالثُ: أنَّهُ لو كانَ حيَّاً قبلَ نوحٍ لركِبَ معهُ في السفينةِ، ولمْ ينقُلْ هذا أحدٌ.

الرابعُ: أنَّ العلَماءَ اتَّفقُوا عَلى أنهُ لمْ يبقَ بعدَ نوحٍ غيرُ نسلِهِ لقولِهِ تَعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] وهذا يُبطِلُ قولَ مَن قالَ: إنهُ كانَ قبلَ نوحٍ.

الخامسُ: لو كانَ هَذا صحِيحاً لكانَ مِن أعظَمِ الآياتِ والعجائبِ، وكانَ خبرُهُ بذلكَ يُذْكَرُ في القرآنِ الكريمِ، لأنهُ مِن أعظَمِ آياتِ الربُوبيَّةِ.

السادسُ: أنَّ القولَ بحياتِهِ قولٌ عَلى اللهِ بلا علمٍ، فإنَّ حياتَهُ لو كانَتْ ثابتَةً لدلَّ عَلَيها القرآنُ أو السنةُ، ولا وُجودَ لها فيهِما.

السابعُ: غايةُ ما يتمسَّكُ بِهِ مَن ذهبَ إلى حياتِهِ حِكاياتٌ يُخبِرُ الرجُلُ بها أنَّهُ رأى الخَضِرَ، فيا للهِ العجَبُ، هَلْ للخَضِرِ علامةٌ يَعرِفُه بها مَن رآهُ؟ وكثيرٌ مِنهمْ يغترُّ بقولِهِ: أنا الخَضِرُ، فمِن أينَ لهُ أنَّ المُخبِرَ صادِقٌ؟!

الثامنُ: أنَّ الخضِرَ فارَقَ موسَى كليمَ الرحمنِ ولمْ يُصاحِبْهُ، وقالَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] فكيفَ يرضَى بمفارقَةِ مِثلِ مُوسَى ثمَّ يجتَمِعُ بمثلِ هَؤلاءِ.

---

(١) سلف خبره.

التاسِعُ: إنَّ الأمةَ مُجمِعةٌ عَلى أنَّ الذِي يقولُ: أنا الخَضِرُ، لو قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ كذا، لم يتَلفَّتُ إلى قولِهِ، ولمْ يحتَجَّ بهِ في الدينِ.

العاشِرُ: أنهُ لو كان حيَّاً لكانَ جهادهُ، ورِباطُهُ، وحضورُهُ الجمُعةَ والجماعَةَ، وتعلِيمُ العلمِ أفضلَ لهُ بكثيرٍ مِن سياحَتِهِ، انتَهى[١].

قالَ الحافظُ ابنُ حجَرٍ في حديثِ انخِرامِ القرنِ السابقِ[٢]: ومَن أثبَتَ حياتَهُ يجيْبُ بأنهُ مخصُوصٌ منَ الحديثِ، كمَا خُصَّ منهُ إبليسُ بالاتفاقِ، أو بأنَّ مَقرَّهُ على وجهِ البحرِ كما ورَدَ في أثرٍ[٣]، فليسَ هوَ في الأرضِ.

وأجابَ ابنُ الصلاحِ عمَّنْ يقُولُ بحياتِهِ عن الحديثِ: «أرأيتكُمْ ليلتكُمْ هذِهِ..»[٤] إلى آخرِهِ بأنهُ في مَن يشاهِدُ الناسُ ويخالِطونَهُ، لا في مَن ليسَ كذلِكَ كالخَضِرِ، واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى أعلَمُ.

وقالَ الحافظُ الجلالُ السُّيوطيُّ في بعضِ «مؤلَّفاتِهِ»: وأمَّا الخضِرُ بخصُوصِهِ فأئمةُ الحديثِ لا يُثبِتُونَ لهُ الآنَ وجوداً، وما يُروَى في حقِّهِ منَ الأحاديثِ رواهُ في ديوانِ الموضُوعاتِ مَعدوداً.

وأما أنا فلا أقولُ في حقِّهِ نفياً ولا إثباتاً، ولا أنطِقُ في شأنِهِ بثاءٍ ولا باءٍ ولا تاءٍ مُراعاة لأهلِ الحديثِ والصُّوفيةِ، ولعدَمِ أدلَّةٍ بإثباتِهِ وفيِّةٍ. انتهى.

---

(١) «المنار المنيف» (ص٧٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٤٣٤).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١٥).

(٤) رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

قلتُ: وبقولِ السُّيوطيِّ أقولُ، غيرَ أنَّ عِندي بعضَ ميلٍ إلى مذهَبِ القائِلِينَ بعدَمِ وجودِهِ الآنَ؛ لأنَّ الحُجةَ النقليَّةَ والعقليَّةَ معهُمْ، بخلافِ القائِلِينَ بحياتِهِ، فإنهُ ليسَ معهُمْ[1] بذلِكَ حديثٌ واحِدٌ صحيحٌ يؤيِّدُ قولَهُمْ، وإنما هوَ مجرَّدُ آراءٍ وحُسبانٍ، وصورةِ دَعوى بلا بُرهانٍ، والدَّعوى بلا دليلٍ كلُّ أحدٍ يقدِرُ علَيها وينهَضُ إلَيها، وإنَّما الدَّعْوى المعتبرَةُ هيَ الدعوَى بدلَيلٍ يُصدِّقُها، وبُرهانٍ يحقِّقُها، والأصلُ أنَّ الآنَ لا يعيشُ هذِهِ المدةَ كما هوَ مُشاهدٌ، فلا يُنتَقلُ عَن هذا الأصلِ إلا بدَليلٍ، ولا دليلَ هُناكَ صحيحٌ لا مِن حَديثٍ ولا مِن غَيرِهِ فيرجَعُ إلى الأصلِ[2] وهوَ عدَمُ حياتِهِ هذِهِ المدَّةَ حتَّى يثبُتَ بالدليلِ الصَّحيحِ وجودُهُ، والدَّليلُ مُنتفٍ، فانتفَتْ حياتُهُ إلى الآنَ، فتأمَّلْ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَمُ[3].

***

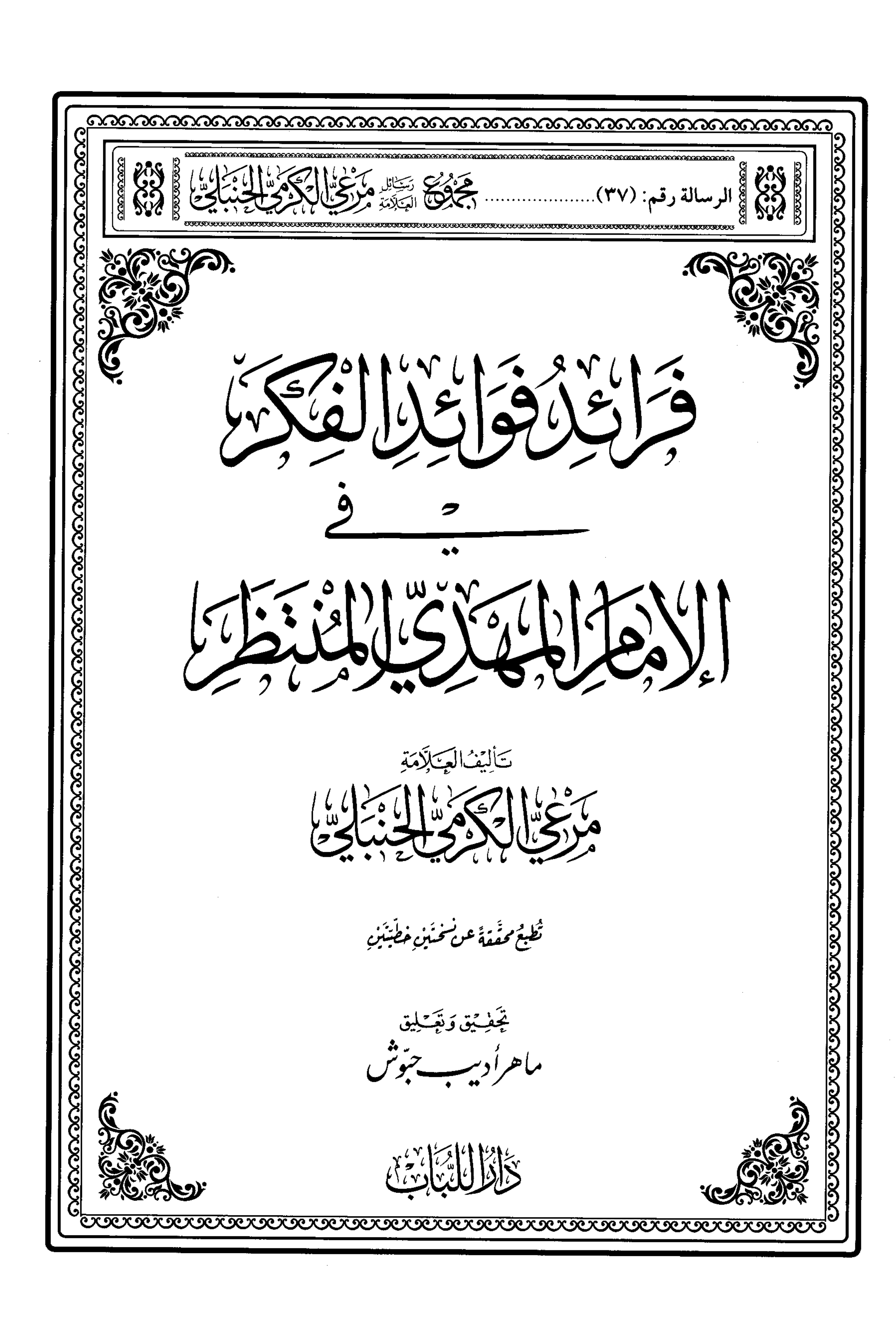
(١) في (ر): «لهم».

(٢) في (ر): «للأصل».

(٣) جاء في خاتمة النسخة (ر): «تمتْ بحمْدِ اللهِ تعالى، نقَلَ هَذا مِن نسخةٍ كتبتْ مِن خطِّ المؤلفِ رحمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً بفضلِهِ وكرمِهِ آمينَ، وهَذا آخرُ ما وُجدَ للعالمِ العُمدَةِ الشيخِ مَرعِي الحنبليِّ جزاهُ اللهُ عَن سعْيِهِ خَيراً».

وفي خاتمة (ل): «تمتْ هذِهِ الرسالَةُ في حقِّ الخضِرِ عَليهِ السلامُ، تأليفُ الشيخِ الإمامِ والحبرِ الهُمامِ مرعِي بنِ يوسُفَ الحنبلِيِّ المقدسِيِّ عَلى يدِ الفقِيرِ الحقِيرِ أحمَدَ بنِ يحْيى الأكرمِيِّ الصالحيِّ عفَى اللهُ عنهُ. السلميَّةُ في ختامِ ربيعٍ الأولِ سنَةَ أربعِينَ وألفٍ مِن الهجرةِ النبويةِ».





فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر

تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق
ماهر أديب حبوش

دار اللباب

اسعين وعليه التوكل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق

حمدا لمالك الملك والملك ومدبر الفلك والفلك ومدبر امر الملوك والسلاطين قاصم الجبابرة والفراعنة والاكاسرة والقياصرة والهراقلة والعمالقة والمتكبرين وجاعل هذه الامة المرحومة لاولئك الاقوام وارثين وجعل منها الخلفا الراشدين والامرا المعظمين والوزرا المكرمين والملوك العادلين والايمة المهديين وسيبعث الامام المنتظر محمد المهدي عند انقطاع الزمن وظهور الفتن وتغلب المفسدين فيظهر الله به الدين ويقمع به المبتدعين ويفتح على يديه حصون المشركين احمده سبحانه تعالى على تيسير كل خير للمومنين وعلى تيسير احوال المسلمين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اعطاه الله علم الاولين والاخرين واخبرنا بما كان وما سيكون الى يوم الدين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الايمة المهديين الراضيين المرضيين وسلم تسليما وبعد فيقول الفقير الى الله مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي هذه فرايد تسر المحبين وفوايد تسي الحاسدين وعرايس تجلى للناظرين ونفايس تشترى بالدر الثمين واحاديث صحيحة وحسان واثار مروية وبيان واخبار شهيرة وكلمات منيرة واشارات مستنيرة ذكرت فيها اخبار الامام محمد المهدي الذي يظهر اخر الزمان فيعز الله به اهل الايمان ويذل به اهل

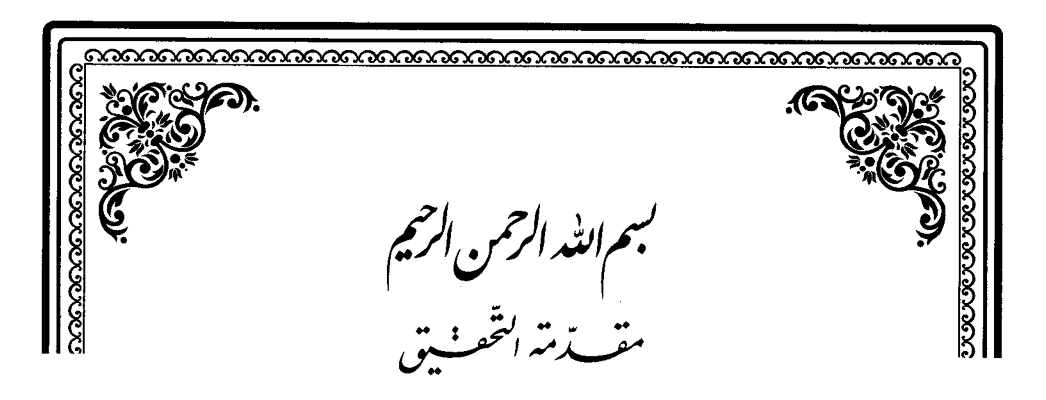
اهل الطغيان ويملا الارض عدلا وقسطا كما مليت جورا وظلما وجمعت فيها الاخبار المفرقة والاثار المتفرقة والاحاديث الصحيحة والاقوال الراجحة لا المرجوحة واعتمدت في ذلك ما ذكره حفاظ المحدثين والعلما الراسخين ايمة الاسلام والعلما الاعلام وقد عزوت الاقوال الى ناقليها خشية التبعات واوضحت الالفاظ لمتاملها لاغتنام الدعوات فهاك كتابا لم يسمح الزمان بمثله لحسن ترتيبه وصحة نقله وسميته فرايد فوايد الفكر في الامام المهدي المنتظر وقد جعلته سبعة ابواب ليكون اسهل لطريق الصواب فاقول وبالله المستعان ومنه ارجو العفو والغفران الباب الاول في حقيقة ظهور المهدي الباب الثاني في اسمه وصفته الباب الثالث في علامات ظهوره الباب الرابع في ذكر ما يعقد بالخلافة وفي اي موضع تكون بيعته ومن اين خروجه الباب الخامس فيما يكون من الفتن قبل ظهوره وبعده الباب السادس في اجتماعه بعيسى عليه السلام الباب السابع في وفاته وقدر مدته وهو تمام الكتاب وستريك هذه الابواب مفصلة بابا بعد باب والله سبحانه وتعالى المسول ان يوفق للصواب وان يعصمنا من الخطا والزلل والشك والارتياب وان يقبضنا قبل ظهور الفتن مع زمرة الاحباب وان يرزقنا رزقا واسعا حلالا طيبا كافيا بغير حساب وان يدخلنا الجنة بلا سابقة

مكتبة أسعد أفندي (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اثق وبه استعين وعليه اتوكل واليه اتوسل حمدا لمالك الملك الملك ومدبر الفلك والفلك ومدبر امر الملوك والسلاطين قاصم الجبابرة والفراعنة والاكاسرة والقياصرة والهراقلة والعمالقة والمتكبرين وجاعل هذه الامة المرحومة لاوليك الاقوام وارثين وجعل منها الخلفا الراشدين والامرا المعظمين والوزرا المكرمين والملوك العادلين والايمة المهديين وسيبعث الامام المنتظر محمد المهدي عند انقطاع الزمن وظهور الفتن وتغلب المفسدين فيظهر الله به الدين ويقمع به المبتدعين ويفتح على يديه حصون المشركين احمد الله سبحانه وتعالى على تيسير كل خير للمومنين وعلى تيسير احوال المسلمين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي اعطاه الله علم الاولين والاخرين واخبرنا بما كان وما سيكون الى يوم الدين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الايمة المهديين الراضين المرضيين وسلم تسليما وبعد فيقول الفقير الى الله مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي هذه فرايد تسر المحبين وفوايد تسي الحاسدين وعرايس تجلى للناظرين ونفايس تشترى بالدر الثمين واحاديث صحيحة وحسان واثار مروية وبيان واخبار شهيرة وكلمات منيرة واشارات مستنيرة ذكرت فيها اخبار الامام محمد المهدي الذي يظهر اخر الزمان فيعز الله به اهل الايمان ويذل به اهل الطغيان ويملا الارض

عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وجمعت فيها الاخبار المفرقة والاثار المتفرقة والاحاديث الصحيحة والاقوال الراجحة لا المرجوحة واعتمدت في ذلك ما ذكره حفاظ المحدثين والعلما الراسخين ايمة الاسلام والعلما الاعلام وليس للمعترض هذه الالفاظ الا جمع الكلام وترتيب هذه العبارات على حسن نظام وقد عزوت الاقوال لناقليها خشية التبعات واوضحت الالفاظ لمتامليها لاغتنام الدعوات فهاك كتابا لم يسمح الزمان بمثله لحسن ترتيبه وصحة نقله وسميته فرايد فوايد الفكر في الامام المهدي المنتظر وقد جعلته سبعة ابواب ليكون اسهل لطريق الصواب فاقول وبالله المستعان ومنه ارجو العفو والغفران الباب الاول في حقيقة ظهور المهدي الباب الثاني في اسمه وصفته الباب الثالث في علامات ظهوره الباب الرابع في ذكر ما يعقد بالخلافة وفي اي موضع يكون بيعته ومن اين خروجه الباب الخامس فيما يكون من الفتن قبل ظهوره وبعده الباب السادس في اجتماعه بعيسى عليه السلام الباب السابع في وفاته وقدر مدته وهو تمام الكتاب وستريك هذه الابواب مفصلة بابا بعد باب والله سبحانه وتعالى المسول ان يوفق للصواب وان يعصمنا من الخطا والزلل والشك والارتياب وان يقبضنا قبل ظهور الفتن مع زمرة الاحباب وان يرزقنا رزقا واسعا حلالا طيبا كافيا بغير حساب وان يدخلنا

مكتبة باريس (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسوله الأمين:

وبعدُ: فهذه رسالةٌ في حقيقةِ المهديِّ وعلاماتِ ظهوره، وما جاء فيه من الأثر عن خيرِ البشر، وعن كلِّ ذي قولٍ معتبَر، للعلَّامة الكَرْميّ، تُضاف إلى رسالة العلَّامة القارِي التي نشرناها في مجموعِ رسائلهِ، لتساهمَ في رسمِ الصورةِ عن هذه القضيةِ التي كثُر الكلامُ فيها عبر التاريخ الإسلاميّ.

والذي يساعدُ على رسمِ الصورةِ المذكورةِ أنَّ هذه الرسالةَ قلَّما تشتركُ مع سابقتها في الأحاديثِ والآثار، ما يجعلها إضافةً حسنةً وإغناءً للبحث يُؤخذ بالاعتبار، لكنَّ الملاحظَ عليها كثرةُ إيرادِ الضعيفِ والمرسَلِ والموقوف، بل واعتمادُها على آثارٍ ليست من المرفوعِ ولا الموقوفِ، وهي مع ذلك تحتاجُ إلى دراسةٍ للأسانيد؛ لتمييز الصَّحيح من الضَّعيفِ أو الموضوعِ، هذا عدا عن عددٍ لا بأسَ به من الأحاديثِ والآثارِ، التي لم نجدْ لها إسناداً يُعرف به حالُها.

وقد وجَّهنا العنايةَ بشكلٍ خاصٍّ إلى المرفوع، ثم الموقوفِ على الصَّحابة، وذلك بدراسةِ أسانيده، ونقلِ ما قاله أهلُ العلمِ بالحديثِ فيه، فإنْ لم نجد اجتهدنا على قلةِ البضاعةِ وضعفِ الصِّناعةِ، وهذا فيما عثرنا له على سندٍ من كتب الحديث، وأمَّا ما عداه فلا يكلِّف الله نفساً إلا وسعَها.

وقد استندَ المؤلفُ في كتابه هذا على كتاب «عِقْدِ الدُّرَر في أخبار المنتظَر» ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي السُّلميِّ الشافعيِّ المتوفى بعد سنة (٦٥٨هـ) ومنه استَقَى كثيراً من الروايات، وعنه نقل عَزْوَها، كما اعتمَد أيضاً على رسالة «العَرْف الوَرْديّ في حقيقةِ المهديِّ»، المطبوعةِ ضمن «الحاوي للفتاوى» لجلال الدين السيوطيِّ، مع نقل بعض الأخبار من «التَّذكِرة بأحوال الموتَى وأمورِ الآخرة» للقرطبيّ، وسمَّاه:

«فرائد فوائدِ الفِكَرِ في الإمامِ المهديِّ المنتظَرِ»

وهو كعنوانه قد حَوَى فرائدَ أَثيرة، وفوائدَ كثيرة، مع نتائج الفِكَر، المستفادة من خلاصةِ ما جاء في الأثر، كلُّ ذلك بأسلوبٍ سهلِ المنال، وسياقٍ حَسَن المقال، لا إخلالَ فيه ولا إملال، مقسِّماً إياه لسبعة أبواب، ليكُونَ أسهلَ لطريقِ الصواب، وهي مبيَّنةٌ في أول الكتاب، وقد قال في خطبته، معرِّفاً بموضوعه، وبطريقته في عرضه: هذِه فرائدُ تسرُّ المحبِّين، وفوائدُ تسيءُ الحاسدين، وعرائسُ تُجلَى للناظرين، ونفائسُ تُشرَى بالدرِّ الثمين. وأحاديثُ صحيحةٌ وحسان، وآثارٌ مرويَّةٌ وبيان، وأخبارٌ شهيرة، وكلماتٌ منيرة، وإشاراتٌ مستنِيرة، ذكرتُ فيها أخبارَ الإمام محمَّدٍ المهديِّ الذي يظهَرُ آخرَ الزمان...، وجمعتُ فيها الأخبارَ المفرَّقة، والآثارَ المتفرِّقة، والأحاديثَ الصحيحة، والأقوالَ الراجحةَ لا المرجوحة، واعتمدتُ في ذلك ما ذكرَهُ حفَّاظُ المحدِّثين والعلماء الراسخين أئمَّةِ الإسلام، والعلماءِ الأعلام، وليسَ للفقيرِ من هذه الكلماتِ إلا جمعُ الكلام، وترتيبُ هذه العباراتِ على أحسَنِ نظام، وقد عزَوتُ الأقوالِ لناقليها خشيةَ التَّبعات، وأوضحتُ الألفاظَ لمتأمِّليها لاغتنامِ الدعوات، فهاكَ كتاباً لم يسمَحِ الزمانُ بمثلِه، لحسنِ ترتيبِه وصحَّةِ نقلِه.

لكنْ مع هذا قد يُؤخذ على المؤلِّف استدلالُه بأحاديث حُكِم عليها بالوضع، بل وجَعَلها من روايات الثقات المرضيَّة، كما في حديث جابرٍ رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً: «مَن كذَّبَ بالدجَّالِ فقد كفَرَ، ومن كذَّبَ بالمهديِّ فقد كفَرَ». وقد استَوفَيْنا الكلامَ عليه في مكانه.

ومنها حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه: «تكون هدَّةٌ في رمضانَ توقِظُ النائمَ، وتفزِعُ اليقظانَ».

وهو حديثٌ ذكره الدَّيْلميُّ في «الفردوس» (٨٧٢٩)، ورواه ابنُ الجوزيِّ في «الموضوعات» (٢/ ٣٦٩) وقال: موضوع.

ومنها حديثٌ عزاه لروايةِ أبي أُمامةَ، والصوابُ أنه لفيروزَ الدَّيْلميِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يكونُ في رمضانَ صوتٌ»، قالوا: يا رسولَ اللهِ! في أولِه أو في وسَطِه أو في آخِره؟ الحديث.

وهو حديثٌ رواه ابنُ الجوزيِّ في «الموضوعات» أيضاً، وقال: لا يَصحُّ.

ومنها حديث حُذيفَة مرفوعاً: «المهديُّ رجلٌ من ولَدي وجهُه كالكوكَبِ الدرِيِّ اللونُ لونُ عربيٍّ، والجسمُ جسمُ إسرائيلِيٍّ...» الحديث.

وهو خبرٌ باطلٌ كما قال ابنُ الجوزيِّ في «العلل»، فيه محمد بنُ إبراهيم بن كثير الصُّوْريُّ، قال الذهبيُّ في «الميزان»: روَى عن رَوَّاد بن الجراح خبراً باطلاً أو منكراً في ذِكْر المهديِّ، ثم أَورد له هذا الحديث.

وحديثٌ آخرُ طويلٌ رواه الطبريُّ في «تفسيره»، ومن طريقه الثعلبيُّ في «تفسيره»، عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً. وهو حديثٌ موضوعٌ بالكلِّيَّة كما

ذكـر ابنُ كثيـر عنـد تفسـير قولـه تعالـى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١] وتعجَّـب مـن الطبـريِّ كيـف لـم ينبِّه علـى ذلك.

ومنها خبرٌ طويلٌ جدًّا عن عليٍّ رضي الله عنه، فيه ذكرُ أخبارٍ عن المهديِّ والسفيانيِّ، وحروبٍ طاحنة، وقصصٍ أقربَ إلى الخرافات والأساطير، أَورده مفرَّقاً في مواضعَ نقلاً عن «عقد الدرر» الذي ذكره مجموعاً بتمامه، ولم نَعرفْ له سنداً ولا أصلاً، ويَغلبُ على الظنِّ أنه من وضعِ بعضِ الفرقِ التي اتَّبعت هواها، فتراها تُعنى بأمثالِ هذه الخرافاتِ وتهواها.

وكذا بعضُ الأخبارِ والآثار، المرويَّةُ عن كعبِ الأحبار، وهي بلا شكٍّ من الإسرائيليات، ومن أحاديثِ الخرافات.

وقد يَعزو الحديثَ لغير الصَّحيحين وهو فيهما؛ كما في حديثِ جابرٍ مرفوعاً: «يكونُ في أُمتي خليفَةٌ يحثو المالَ حثواً، لا يعدُّه عدًّا».

فقد عزا هذا الحديثَ للبَزَّار مع أنه في «صحيح مسلم».

وثمةَ ملاحظةٌ أخرى على هذا الحديث، وهو أن المتنَ الذي أورده المؤلِّفُ ليس فيه دليلٌ واضحٌ على موضوع الرسالة؛ إذ يَحتمل أن لا يكونَ هذا الأمرُ في آخر الزمان، بل قد يكونُ قريباً من زمَن النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وذلك كما وقعَ في خلافةِ عمرَ بنِ عبد العزيز رحمه الله، لكنْ وردت روايةٌ أخرى عند مسلمٍ من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أوضحُ دلالةً منه، وأَجْلى بياناً، حيث جاءت مقيَّدةً بآخِر الزمان، ولفظُها: «يكونُ في آخِرِ الزمان خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّه». فكان الأجدر بالمؤلف ذكر هذه لا تلك.

وربما يَجعل الأقوالَ الموقوفةَ على التابعين حجةً لإثباتِ بعض المسائل الغيبية، كما قال بعد أن أورد مجموعةً من الأخبار عنهم فيها إشارةٌ إلى تعدُّد المهديِّ: فثبتَ بهذا تعدُّدُ المهديِّ. وهذا أمر يحتاجُ إثباتُه إلى خبرٍ يَصلحُ للاحتجاج به، وليس فيما أَورده شيءٌ من هذا.

ولا يخلو الأمرُ من بعضِ الأوهام أحياناً، كما في حديث: «المهديُّ منِّي، أجلَى الجبهةِ، أَقْنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئت ظُلماً وجَوراً، يملِكُ سبعَ سنينَ».

عزاه لابنِ مسعودٍ وهو في المصادر كلِّها لأبي سعيدٍ.

ومن ذلك قولُه: وفي مرفوعِ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ أنهُ حينَ ذكرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ قال: يا رسولَ اللهِ! كيف لنا بهذا حتى نعرِفَهُ؟ فقالَ: «هو رجلٌ من ولدِي كأنهُ من رجالِ بني إسرائيلَ...».

فأَوهَم أنه من حديثِ عمران، بينما هو من حديث حذيفةَ وإنْ كان عمرانُ هو السائلَ.

ونَسب لأبي هُريرَةَ هذا الخبر: سيخرُجُ المهديُّ كارِهاً من مكَّةَ من ولدِ فاطمةَ فيُبايَعُ.

والصوابُ أنه للزُّهري، كما سيأتي في مكانه.

كما يُؤخذ عليه وقوعُه فيما وقع فيه غيرُه من المتأخِّرين الذي ينقلون بالواسطة دون الرجوع إلى المصادر الأصليَّة، فمِن ذلك إيرادُه الحديثَ المرويَّ عن أبي إسحاقَ قال: نظرَ عليٌّ كرَّمَ الله وجهَهُ إلى ابنِهِ الحسنِ فقال:

إن ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وسيُخرِجُ اللهُ من صُلبِه رجلاً يسمَّى باسمِ نبيِّكُم..، الحديث.

ثم قال متابعاً لصاحب «عقد الدرر»: أخرجَهُ أبو داودَ في «سُننِهِ»، وأبو عيسى الترمذِيُّ في «جامعِه»، وأبو عبدِ الرحمن النَّسائيُّ في «سُننِهِ».

والصوابُ أنه لم يخرِّجه سوى أبي داود، وليس عند الترمذيِّ ولا النسائيِّ، ولا ذكره المِزِّيُّ في «تحفة الأشراف» إلا عن أبي داود.

علماً أنه حديثٌ ضعيفٌ معلولٌ بعلتين: الأولى إبهام شيخ أبي داود فيه، والثانية أن أبا إسحاق ـ وهو عمرو بن عبد الله السبيعي ـ وإنْ كان قد رأى عليّاً رضي الله عنه، لكنْ لم تَثبت له روايةٌ عنه.

ومثلُه في متابعةِ السلميِّ في «عقد الدرر» قولُه: وعن أبي هُريرَةَ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يُبعَثَ دجَّالون...».

فقال: أخرجَه مسلمٌ في «صحيحِه»، وأخرجَهُ البخاريُّ بمعناه.

وهو في الصحيحين كما قال، لكن ليس فيهما: (عن أنس)، وإنما هو لفظ أقحمه السلمي في الحديث وتابعه عليه المؤلف.

ومن ذلك متابعةُ السيوطي في قوله: أخرَجَ نُعَيمٌ عن ابنِ سِيرينَ قالَ: على رايةِ المهديِّ مكتوبٌ: البيعَةُ للهِ تعالى.

وهذا الخبرُ ذكَره السُّلميُّ في «عقد الدُّرَر في أخبار المنتظَر»، ورواه نعيمُ بن حمَّادٍ في «الفتن»، والداني في «السنن الواردة في الفتن»، جميعُهم عن نوفٍ البَكاليِّ، لا عن ابن سيرينَ كما تَوهَّم السيوطيُّ.

وتابَعهما في قولهما: عن كعبٍ قال قتادة المهديّ خيرُ الناسِ...

كذا ورد في النسختين المعتمَدتين، ومثلُه في «عقد الدرر» للسُّلمي و«العرف الوردي» للسيوطيِّ، وفيه تحريفٌ يُوهم أن كعباً يرويه عن قتادةَ، وأنَّى هذا ووفاةُ كعب كانت سنةَ ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، بينما ولادةُ قتادةَ كانت سنةَ واحدٍ وستين؟!

فالصوابُ هو ما رواه نعيم بنُ حمَّاد عن كعبٍ قال: (قادةُ المهديِّ...).

وهناك خطأٌ آخر وقع في النسختين، حيث نَسَب تخريج الخبر فيهما لأبي نُعيمٍ، والذي في «عقد الدرر» و«العرف الوردي» نسبتُه لنُعيم.

كما قد يؤخَذُ عليه تكرارُ الرواياتِ ذاتِ اللفظِ الواحد، وهو أمرٌ لا لزومَ له في رسالةٍ موجزةٍ كهذه عليها أن تُعنى بخلاصةِ الكلام وزُبدته، لا بتكرارِ الرواياتِ المتشابهةِ، بل المتطابقةِ أحياناً حتى إنَّ القارئ ليُجْهِد نفسَه ليتبيَّن على الفرق دون جَدْوى، وهذا كما في حديثِ ابن مسعودٍ في الباب الثاني الذي يتناولُ اسمَه وصِفَته.

وكذا حديثُ أبي سعيد عند أبي داود: «المهديُّ منا أجلَى الجبهَةِ، أقنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً» كرره في موضعين.

ومثلُ ذلك خبرُ عليٍّ رضي الله عنه: أن المهديَّ كثُّ اللحيةِ، أكحلُ العينَينِ، براقُ الثَّنايا، في وجهِه خالٌ، أقنَى أجلَى، في كتِفه علامةُ النبيِّ ﷺ.

ذكره موقوفاً أولاً، ثم أعاده بعد أسطرٍ على أنه مرفوعٌ، هذا مع أنني لم أَجِدْه مرفوعاً.

فهذه بعضُ الملاحظات التي قد تُعتبَر مآخذَ على الكتاب، لكنه رغمَ هذا كتابٌ شيِّقٌ مفيدٌ، قد حَوَى الكثير من التفصيلات، والتي رغم كونِ بعضها مما لا يَصلحُ للاحتجاج به، لكنها مع ذلك لا بدَّ من الاطِّلاع عليها لتكوينِ صورةٍ أشملَ عن هذه المسألة عند أهل السنَّة والجماعة.

وقد تمَّ تحقيقُ الكتابِ بالاعتمادِ على نسختين خطِّيتين نفيستين، وهما: نسخةُ باريس ورُمز لها بـ(ب)[1]، ونسخة أسعد أفندي ورمز لها بـ(أ).

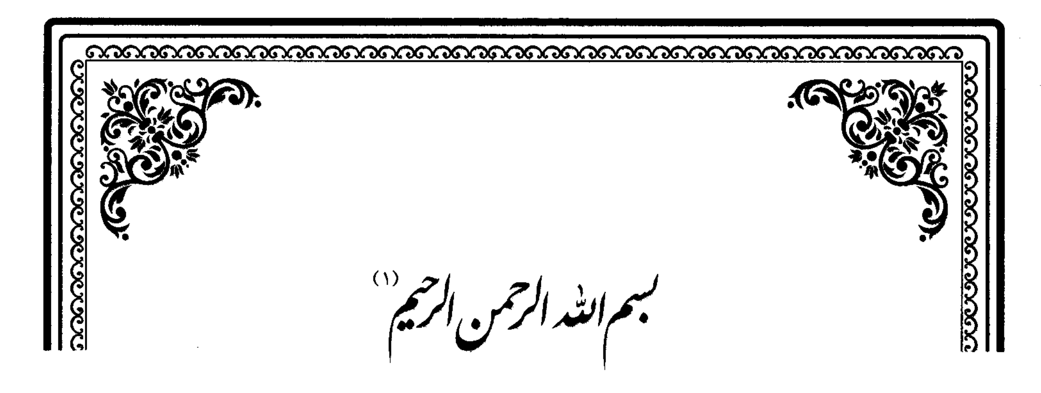
والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

المحقق

* * *

---

(١) وقد كتب في هامشها: «وهي بخط المؤلف». وجاء فيها حاشية للمؤلف يدل على أنه كتب هذه الرسالة سنة ثمان وعشرين وألف.



بسم الله الرحمن الرحيم[1]

وبِهِ أثِقُ وبه أستعِين، وعليه أتوكَّلُ وبه أتوسَّل[2]، حمداً لمالِك المُلكِ والملَك، ومديرِ الفُلكِ والفَلَك، ومدبِّرِ أمرِ الملوك والسلاطين، قاصِمِ الجبابرةِ والفراعنة، والأكاسرَةِ والقياصرة، والهراقلةِ والعمالقَةِ والمتكبِّرين، وجاعلِ هذه الأمةِ المرحومَةِ لأولئك الأقوامِ وارثِين، وجعَلَ منها الخُلفاءَ الراشدين، والأمراءَ المعظَّمِين، والوزراءَ المكرَّمين، والملوكَ العادلِين، والأئمة المهديِّين.

---

(١) جاء على غلاف النسخة (ب): «كتابُ «فرائد فوائدِ الفِكرِ في الإمامِ المهديِّ المنتظَرِ» تصنيفُ العبدِ الفقيرِ الحقير، راجي عفوَ مولاهُ الغنيِّ الكبير، مرعي بن يوسفَ بن أبي بكرِ بن أحمدَ بن يوسفَ غفرَ اللهُ له ذنوبَه، وسترَ في الدارَينِ عيوبَه، ورحمَ والدَيهِ والمسلمينَ والمسلمات، الأحياءَ منهم والأموات، لمؤلِّفه عفا اللهُ عنهُ:

ألا إنَّ نفسِي أصلُ داها طبِيبُها ... ودونَ مُناها حالٌ تسُرُّ أريبَها

فمِن سوءِ حظِّي حبُّ مَن لا يُحبُّني ... وشوقي لمن بالهَجرِ كِبْدي يُذيبُها

فيا عجَبي من مَيلِ نفسِي لحبِّ مَن ... يرى أنَّ هجري والصُّدودَ نصيبُها

أعاتِبُها في حبِّه ثم تنثَني ... وكم لُمتُها لكِن مُناها طبِيبُها

وقد جادَلَتْني بالتموُّهِ وارتضَتْ ... بهِ حجةً والعينُ منها حبيبُها

وقالَت وقد مالَت معَ الغيِّ والصِّبا ... هوى كلُّ نفسٍ أينَ حلَّ حبِيبُها».

(٢) «وبه أتوسل» من (ب).

وسيَبعثُ الإمامَ المنتظرَ محمداً المهديَّ عند انقطاعِ الزمَن، وظهورِ الفتَن، وتغلُّبِ المفسدِين، فيُظهِرُ اللهُ به الدِّين، ويقمَعُ به المبتدِعِين، ويفتَحُ على يديه حصونَ المشركِين.

أحمدُ اللهَ سبحانَه وتعالى على تيسيرِ كلِّ خيرٍ للمؤمنِين، وعلى تيسيرِ أحوالِ المسلِمِين، وأشهَدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الملِكُ الحقُّ المبين، وأشهَدُ أن سيِّدَنا محمداً عبدُه ورسولُه الذي أعطاه اللهُ عِلمَ الأوَّلينَ والآخِرين، وأخبَرنا بما كانَ وما سيكُونُ إلى يوم الدين، صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه الأئمَّةِ المهديِّين، الراضِينَ المرضيِّين، وسلَّم تسلِيماً.

وبعدُ: فيقولُ الفقيرُ إلى اللهِ مرعيُّ بن يوسفَ المقدسيُّ الحنبليُّ:

هذِه فرائدُ تسرُّ المحبِّين، وفوائدُ تسيءُ الحاسدين، وعرائسُ تُجلَى للناظرين، ونفائسُ تُشرَى بالدرِّ الثمين. وأحاديثُ صحيحةٌ وحسان، وآثارٌ مرويَّةٌ وبيان، وأخبارٌ شهيرة، وكلماتٌ منيرة، وإشاراتٌ مستنِيرة، ذكرتُ فيها أخبارَ الإمام محمَّدٍ المهديِّ الذي يظهَرُ آخرَ الزمان، فيعزُّ اللهُ به أهل الإيمان، ويذِلُّ به أهلَ الطغيان، ويملأُ الأرضَ عدلاً وقِسطاً كما مُلئت جَوراً وقَحطاً.

وجمعتُ فيها الأخبارَ المفرَّقة، والآثارَ المتفرِّقة، والأحاديثَ الصحيحة، والأقوالَ الراجحةَ لا المرجوحة.

واعتمدتُ في ذلك ما ذكرَهُ حفَّاظُ المحدِّثين والعلماءِ الراسخين أئمَّةِ الإسلام، والعلماءِ الأعلام، وليسَ للفقيرِ من هذه الكلماتِ إلا جمعُ الكلام، وترتيبُ هذه العباراتِ على أحسَنِ نظام[1]، وقد عزَوتُ الأقوالَ لناقلِيها خشيةَ التَّبِعات،

---

(١) من قوله: «وليس..» إلى هنا من (ب).

وأوضحتُ الألفاظَ لمتأمِّلِيها لاغتنامِ الدعوات، فهاكَ كتاباً لم يسمَحِ الزمانُ بمثلِه، لحسنِ ترتيبِه وصحَّةِ نقلِه، وسمَّيتُه:

«فرائدَ فوائدِ الفِكَرِ في الإمامِ المهديِّ المنتظَرِ»

وقد جمعتُه سبعةَ أبواب؛ ليكُونَ أسهَلَ لطريقِ الصواب؛ فأقولُ وباللهِ المُستعان، ومنه أرجو العفوَ والغُفران:

البابُ الأول: في حقيقةِ ظهورِ المهدِيِّ.

البابُ الثاني: في اسمِه وصِفَته.

البابُ الثالث: في علاماتِ ظهورِه.

البابُ الرابع: في ذكرِ مُبايعتِه بالخلافةِ، وفي أيِّ موضعٍ تكونُ بيعَتُه، ومن أين خُروجه؟

البابُ الخامس: فيما يكونُ من الفِتن قبلَ ظهورِه وبعدَه.

البابُ السادس: في اجتماعِه بعيسَى عليه السلام.

البابُ السابع: في وفاتِه وقَدْرِ مُدَّته، وهو تمامُ الكتابِ.

وستمرُّ بك هذه الأبوابُ مفصَّلةً باباً بعد باب، واللهُ سبحانه وتعالى المسؤولُ أن يوفِّقَ للصواب، وأن يعصِمَنا من الخطأ والزللِ والشكِّ والارتياب، وأن يقبِضَنا قبلَ ظهور الفتنِ مع زمرةِ الأحباب، وأن يرزُقنا رزقاً واسعاً حلالاً طيِّباً كما يشاءُ بغيرِ حساب، وأن يُدخِلَنا الجنةَ بلا سابقةِ عذاب، إنه بذلكَ جدير، كيف لا وهو العزيزُ الوهابُ، آمين.

***

البابُ الأول

في حقيقةِ ظهورِ الإمام المهديِّ رضيَ الله تعالى عنه

وقد كثُرَت فيهِ الأقوالُ:

فمنهُم مَن قال: لا مهديَّ إلا عيسى عليه السلامُ[1].

ومنهُم مَن قال: إنه عمرُ بن عبدِ العزيزِ، أو مهديُّ بني العباسِ الذي تولَّى الخلافَة فيما مضى من الأيام.

ومنهُم مَن قالَ: لا حقيقَةَ لظهورِه بينَ الأنام.

والصحيحُ: أنهُ يخرُجُ آخرَ الزمانِ، وأنهُ غيرُ عيسى عليهِ السلام، وقد كثُرَت بذلكَ الأخبارُ والروايات، وشاعَ ذلكَ في الأمصارِ بأحاديثِ الثقات، فعندَ الإمامِ الحافظِ ابنِ الإسكافِ مرضِيّاً مُسنداً إلى جابرٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من كذَّبَ بالدجَّالِ فقد كفَرَ، ومن كذَّبَ بالمهديِّ فقد كفَرَ»[2].

---

(١) روي حديثاً، وسيأتي.

(٢) أورده بهذا اللفظ وعزاه لأبي بكر الإسكاف في كتابه «معاني الأخبار»: السهيلي في «الروض الأنف» (٢/ ٤٣٢)، والسلمي في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٣٠)، والسيوطي في رسالة «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٩). وعدَّه السهيلي من أغرب ما روي من أحاديث المهدي إسناداً، بينما قال غيره بوضعه. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر (٥/ ١٣٠) ونسب الكتاب للكلاباذي فقال: (وجدت في كتاب «معاني الأخبار» للكلاباذي خبراً موضوعاً...). و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» لناصر الدين الألباني (١٠٨٢) ونسبه للكلاباذي أيضاً لكن بعنوان آخر فقال: (باطل، رواه أبو بكر الكلاباذي في «مفتاح معاني الآثار»...) فذكره بالإسناد عينه الذي ذكره الحافظ ابن حجر. و«تاريخ ابن خلدون» (١/ ٣٨٠) وفيه: (والله أعلم بصحة طريقه...على أنّ أبا بكر الإسكاف عندهم متّهم وضّاع). و«الأنوار الكاشفة» للمعلمي (ص٢٣٣) وفيه: (لا أعرف حديثاً هكذا، ولا أرى ذِكْرَ النبيِّ ﷺ للمهدي =

ألا ترى أن الشارعَ أخبرَ بهِ وبشَّرَ كما ثبَتَ ذلك بالرواياتِ:

ففي حديثِ حُذيفَة رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ: «يا حُذيفَةُ! لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتى يملِكَ رجلٌ من أهلِ بيتي تجرِي الملاحِمُ على يديهِ ويظهَرُ الإسلامُ، ولا يخلِفُ اللهُ وعدَهُ، وهو سريعُ الحسابِ». أخرجَهُ الحافظُ أبو نُعَيمٍ الأصفَهانيُّ[١].

وعن أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو لم يبقَ في[٢] الدنيا إلا ليلةٌ واحدةٌ لملَكَ فيها رجلٌ من أهلِ بيتي». أخرجَهُ الإمام أبو عمرٍو المقرِئ في «سنَنِه»[٣].

وعن قيسِ بنِ جابرٍ عن أبيهِ، عن جدِّهِ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «سيكُون بعدِي خلفاءُ، ومن بعدِ الخلَفاءِ أمراءُ، ومن بعدِ الأمراءِ ملوكٌ جبابرَةٌ، ثم يخرُجُ المهديُّ

= متواتراً ولا قريباً منه، فأما ذكره الدجالَ فمتواتر قطعاً، ومن اطلع على ما في صحيح البخاري وحده علم ذلك).

(١) رواه أبو نعيم في كتابه «صفة المهدي» كما في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٣١)، ورسالة «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٦). ورواه بنحوه الطبراني كما في «المنار المنيف» لابن القيم (ص١٤٨) دون قوله: «تجرِي الملاحِمُ على يديهِ...»، وإسناده ضعيف كما قال ابن القيم، لكن يشهد له ـ دون القطعة المذكورة ـ حديث ابن مسعود الذي رواه الترمذي (٢٢٣١) وقال: حسن صحيح.

(٢) في (أ): «من».

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٦). ورواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٧٢)، وابن ماجه (٢٩٧٩)، ورواه الترمذي عقب الحديث (٢٢٣١) عن أبي هريرة موقوفاً وقال: حسن صحيح.

وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً رواه أبو داود (٤٢٨٣) بإسناد صحيح.

من أهلِ بيتي يملأُ الأرضَ عَدلاً كما مُلئَت جَوراً». رواهُ أبو نُعَيمٍ في «فوائدِه»، وأخرَجهُ الطَّبرانيُّ في «معجَمِه»[١].

وعن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لتُملأنَّ الأرضُ عُدواناً، ثم ليخرُجنَّ رجلٌ من أهلِ بيتي يملؤها قسطاً وعَدلاً كما مُلئَت ظُلماً وعُدواناً». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ في «صفَةِ المهديِّ»[٢].

وعن ابنِ عباسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ملَكَ الأرضَ أربعةٌ: مؤمنان وكافِران، فالمؤمنان ذو القَرنَين وسُليمانُ، والكافِران نُمرود وبخت نصَّرَ، وسيملِكُها خامسٌ: المهديُّ من أهلِ بيتي». أخرجَهُ الإمامُ ابن الجوزِيِّ في «تاريخِه»[٣].

وعن أبي هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يملِكَ رجلٌ من أهلِ بيتي يفتَحُ القسطنطينيَّةَ وجبَلَ الديلَمِ». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ[٤].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٦). ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٠): رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.
ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٤٦) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤) ـ من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٦). ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٣١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠١). وإسناده صحيح.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٧ و٢٨١)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٧). وأورده ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ١٧١ و٢٨٨) لكن عن مجاهد ودون قوله: «وسيملكها خامس...».

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٧ و٢٧٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن =

وعن أبي إسحاقَ قالَ: نظَرَ عليٌّ كرَّمَ الله وجهَهُ إلى ابنِهِ الحسنِ فقال: إن ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وسيُخرِجُ اللهُ من صُلبِه رجلاً يسمَّى باسمِ نبيِّكُم يشبِهُهُ في الخُلقِ ولا يُشبِهُه في الخَلقِ يملأُ الأرضَ عدلاً. أخرجَهُ أبو داودَ في «سُننِهِ»، وأبو عيسى الترمذِيُّ في «جامعِه»، وأبو عبدِ الرحمن النَّسائيُّ في «سُننِهِ»[1].

وعن قتادةَ قالَ: قلتُ لسعيدِ بن المسيِّبِ: أحقٌّ المهدِيُّ؟ فقالَ: نعم، هو حقٌّ، قلتُ: ممن هوَ؟ قال: من قُريشٍ، قلتُ: من أيِّ قُريشٍ؟ قال: من بني هاشمٍ، قلتُ: من أيِّ بني هاشمٍ؟ قال: من ولدِ عبد المُطلِّبِ، قلتُ: من أيِّ ولدِ عبد المُطلِّبِ؟ قالَ: من أولادِ فاطمةَ، قلتُ: من أيِّ ولدِ فاطمةَ؟ قال: حسبُكَ الآنَ. أخرجَهُ الإمام أبو عبدِ اللهِ نُعَيمُ بن حمَّادٍ وغيرُه[2].

وعن أبي مَعبدٍ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما قالَ: إني لأرجو أن لا تذهَبَ الأيامُ والليالي حتى يبعَثَ اللهُ منا أهلَ البيتِ غُلاماً شابّاً حدثاً لم تَلْبَسهُ الفِتنُ ولم يَلْبَسْها، يقيمُ أمرَ هذه الأمةِ، كما فتَحَ اللهُ هذا بنا أرجو أن يختِمَه بنا، قالَ أبو معبَدٍ: فقلتُ لابن عبَّاسٍ: أعجَزَتْ عنهُ شيوخُكُم حتى ترجُوَه لشبابِكُم، قالَ: إن اللهَ

= «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٧). ورواه البزار في «مسنده» (٩٠١٥)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٩٧). وفيه قيس بن الربيع، قال عنه يحيى: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ليس بقوي ومحله الصدق. انظر: «الكاشف» للذهبي (٢/ ١٣٩).

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٨٢). ورواه أبو داود (٤٢٩٠)، وفيه علتان: الأولى إبهام شيخ أبي داود فيه، والثانية أن أبا إسحاق ـ وهو عمرو بن عبد الله السبيعي ـ رأى علياً رضي الله عنه، ولم تثبت له رواية عنه. ولم أجده عند الترمذي والنسائي.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٨١). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٨٢).

عزَّ وجلَّ يفعَلُ ما يشاءُ. أخرجَهُ الإمام أبو عمرٍو الداني في «سُننِه»، والحافظُ أبو بكرٍ البيهَقِيُّ بمعناه في «البعثِ والنُّشورِ»[(١)].

وعن عليٍّ رضي اللهُ عنه قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أمِنَّا المهديُّ أو مِن غيرِنا؟ فقال: «بل منَّا، يختِمُ اللهُ به الدِّينَ كما فتحَهُ بنا»[(٢)].

وأخرَجَ ابنُ عساكر من حديثِ ابن عبَّاسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كيفَ تهلِكُ أمةٌ أنا أوَّلُها، وعيسى ابنُ مريمَ آخِرُها، والمهديُّ من أهلِ بيتي في وسَطِها»[(٣)].

وبالجملَةِ فالأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ شهيرَةٌ فلا نُطيلُ بذِكرِها، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٦ و٢٢٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٦). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٤١)، ومن طريقه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٨٩٠)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٥٩).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٨٣)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٣). ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذاب. ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٨٩) من طريق مكحول عن علي رضي الله عنه، وهو منقطع، فإن مكحولاً لم يسمع من علي.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢١٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٨٩). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥). وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٢٣٤٩).

البابُ الثاني

في اسمِه وصِفَته

فعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنهُ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يلِيَ رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطِئُ اسمُه اسمي». أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ في «مسنَدِه»[1].

وعن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تذهَبُ الدُّنيا حتى يبعَثَ اللهُ رجُلاً من أهلِ بيتي يُواطئُ اسمُه اسمِي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملؤها قِسطاً وعَدلاً كما مُلئَت ظُلماً وجَوراً». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ في «صفَةِ المهديِّ»[2].

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تذهَبُ الدنيا حتى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطئُ اسمُه اسمي».

وفي روايةٍ: «لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يبعَثَ فيه رجلاً من أهلِ بيتي يواطِئُ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأُ الأرضَ قسطاً وعَدلاً، كما مُلئَت ظُلماً وجَوراً». أخرجَهُ جماعةٌ من أهل الحديثِ منهُم: الترمِذِيُّ، وأبو داودَ، والنسائيُّ، والبيهقِيُّ، وأبو عمرٍو الدانيُّ[3].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩١)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧١)، كلاهما نسبه للترمذي، وقد رواه الترمذي وصححه عقب الحديث (٢٢٣١) لكنه موقوف على أبي هريرة. ولم أجده عند الإمام أحمد.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩٢).

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٨٩ ـ ٩٠). ورواه باللفظين أبو داود (٤٢٨٢)، وبالأول الترمذي (٢٢٣٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٥٧٣). قال الترمذي: حسن صحيح. ورواه أيضاً البيهقي في «الاعتقاد» (ص٢١٦)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٥٦) و(٥٦٢) و(٥٦٣) =

وعن عبدِ الله رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تذهَبُ الدنيا حتى يملِكَ رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطئُ اسمُه اسمي يملأُ الأرضَ عَدلاً وقِسطاً كما مُلئَت جَوراً وظُلماً». أخرجَهُ أبو القاسمِ الطبرانيُّ في «مُعجَمه الصغيرِ» [١].

وأخرجَهُ الترمذِيُّ في «جامعِه» وقالَ: «حتى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهلِ بيتي» وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأخرجَهُ أبو داودَ في «سُننِه» كما أخرجَهُ الترمذِيُّ [٢].

ومن مرويِّ ابنِ مسعودٍ يرفعُه: «اسمُ المهديِّ محمدٌ» [٣].

وفي مرفوعِ حُذيفَةَ: «اسمُه محمَّدُ بن عبدِ اللهِ، ويُكنى أبا عبدِ اللهِ» [٤].

ومن أسمائهِ أيضاً: أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ. كما جاءَ في بعضِ الرواياتِ [٥].

= و(٥٦٦) و(٥٦٧) و(٥٧١)، ولم أجده عند النسائي. ومداره في جميع رواياته على عاصم بن أبي النجود وهو صدوق حسن الحديث.

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩١). ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١١٨١).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩١). وتقدم تخريجه قريباً.

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٨)، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٨) عن كعب، و(١٠٨٠) عن الوليد عن أبي رافع عمن حدثه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اسم المهدي اسمي»، وهذا سند ضعيف جداً، الوليد هو ابن مسلم مدلس، وأبو رافع هو إسماعيل بن رافع، قال الذهبي في «الكاشف» (١/ ٢٤٥): ضعيف واه. والراوي عن أبي سعيد مبهم.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩٤)، و«المنار المنيف» (ص٧٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٦)، ونسبوه لأبي نعيم في «صفة المهدي»، ولفظهم: «..اسمه اسمي، وخُلقه خُلقي، يكنى أبا عبد الله». قال ابن القيم: (في إسناده العباس بن بكار لا يحتج بحديثه، وقد تقدم هذا المتن من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وهما صحيحان).

(٥) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠١ و١٥١)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٨). ورواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٦٨٧ ـ الجزء المفقود) =

وأما صِفَته؛ ففي روايةِ [أبي] صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ: «المهديُّ اسمُه محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، وهو رجُلٌ ربعَةٌ مُشربٌ بحمرَةٍ يفرِّجُ اللهُ به عن هذِه الأمةِ كلَّ كربٍ، ويصرِفُ بعدلِهِ كلَّ جَورٍ»[1].

وعن حُذيفَة قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المهديُّ رجلٌ من ولَدي، وجهُه كالكوكَبِ الدرِيِّ، اللونُ لونُ عربيٍّ والجسمُ جسمُ إسرائيلِيٍّ، يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئَت جَوراً، يرضَى في خِلافته أهلُ الأرضِ وأهل السماءِ، والطيرُ في الجوِّ، يملِكُ عشرين سنةً». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ في «مناقبِ المهدِيِّ» والطبرانيُّ في «مُعجَمِه»[2].

وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المهديُّ مني، أجلَى الجبهةِ، أقنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئت ظُلماً وجَوراً، يملِكُ سبعَ سنينَ». أخرجَهُ أبو داودَ والبيهَقِيُّ[3].

= وفي إسناده نظر كما ذكر الطبري، ورواه من طريق آخر مطولاً الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٩٦). وفي إسناده عبد الصمد بن محمد الهمداني، قال عنه الدارقطني كما في «لسان الميزان» (٤/ ٢٢): ليس بالقوي. وفيه أيضاً من لم أقف على ترجمة لهم.

(١) انظر: «كشف المشكل» لابن الجوزي (١/ ٤٥٤)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢١٣)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٠)، ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل كما قال ابن الجوزي، فيه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري، قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٩): روى عن رواد بن الجراح خبراً باطلاً أو منكراً في ذكر المهدي، ثم أورد له هذا الحديث.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٠)، ورواه أبو داود (٤٢٨٥) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٠). وجود إسناده ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٤٤). ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٠ ـ ١٤٤٣) من طرق أربعة ثم قال: (أما طريق أبي داود فلا بأس به). جميعهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فنسبته لابن مسعود لعلها وهم من المصنف رحمه الله.

وعن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ عن أبيهِ رضي اللهُ عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليبعثَنَّ اللهُ من[1] عترتي رجلاً أفرَق الثنايا أجلَى الجبهَةِ، يملأُ الأرض عدلاً، ويَفيضُ المالُ فيضاً». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ[2].

وفي مرفوعِ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ أنهُ حينَ ذكرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ قال: يا رسولَ اللهِ! كيف لنا بهذا حتى نعرِفَهُ؟ فقالَ: «هو رجلٌ من ولدِي كأنهُ من رجالِ بني إسرائيلَ، عليهِ عباءتان قطوانيَّتانِ، كأنَّ في وجهِه الكوكبَ الدريَّ في اللونِ، في خدِّهِ الأيمَنِ خالٌ أسودُ، ابنُ أربعينَ سنةً». أخرجَهُ الإمام أبو عمرٍو عُثمانُ المقرئُ في «سُننِه»[3].

وفي حديثِ أبي أُمامةَ: «المهديُّ من ولدِي ابنُ أربعينَ سنةً، كأنَّ وجههُ كوكبٌ درِّيٌّ، في خدِّهِ الأيمنِ خالٌ أسودُ، عليهِ عباءَتانِ قطوانيَّتانِ، كأنهُ من رجالِ بني إسرائيلَ، يستخرِجُ الكنوزَ، ويفتَحُ مدائنَ التركِ». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ[4].

وفي حديثِ أبي وائلٍ عن عليٍّ رضي اللهُ عنه قالَ: نظرَ إلى الحسنِ فقالَ: إن

---

(١) في (أ): «في».

(٢) رواه أبو نعيم، في «عواليه»، وفي «صفة المهدي». انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧١). ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٢٣). وفي سنده راويان ضعيفان هما طالوت بن عباد عن سويد بن إبراهيم، قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٤٦): طالوت وشيخه ضعيفان والحديث ذكرناه للشواهد.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠١ ـ ١٠٢). ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٩٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وقد تقدمت قريباً قطعة منه.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٢). ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٦٠٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٩): فيه عنبسة بن أبي صغيرة، وهو ضعيف. وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٠٣) في ترجمة عنبسة المذكور: (أتى عن الأوزاعي بخبر باطل)، يريد هذا الحديث.

ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ، سيخرجُ من صلبِه رجلٌ باسمِ نبيِّكُم، يخرُجُ على حين غفلَةٍ من الناس، وإماتةِ الحقِّ، وإظهارِ الجَورِ، يفرَحُ بخروجِه أهلُ السماءِ وسُكَّانها، وهو رجلٌ أجلَى الجبينِ، أقنى الأنفِ، ضخمُ البطنِ، أذيلُ الفخِذَين، بفخِذه الأيمنِ شامةٌ، أفلَجُ الثنايا، يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلِئت ظُلماً وجَوراً[1].

وعن أبي جعفرٍ محمدِ بن عليٍّ قالَ: سُئلَ أميرُ المؤمنين عليٌّ عن صفَةِ المهديِّ فقالَ: هو شابٌّ مربوعٌ حسَنُ الوجهِ، يسيلُ شعرُه على منكِبَيه، يعلُو نورُ وجهِه سوادَ شعرِه ولِحيتِه ورأسِه[2].

وفي روايةٍ أُخرى عن عليٍّ: أن المهديَّ كثُّ اللحيةِ، أكحلُ العينَينِ، براقُ الثَّنايا، في وجهِه خالٌ، أقنَى أجلَى، في كتِفه علامةُ النبيِّ ﷺ[3].

وفي بعض الرواياتِ: المهديُّ رجلٌ أزجُّ أبلَجُ أعيَنُ، يجيءُ من الحجازِ حتى يستويَ على مسجِد دمشقَ. أخرجَهُ نُعَيمٌ[4].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٤)، وفيه: (أذيل الفخذين) ولم يظهر معناه على اللفظين. والحديث لم أجده مسنداً بهذا اللفظ، لكنه تقدم من طريق آخر عن علي رضي الله عنه دون قوله: «يخرُجُ على حين غفلَةٍ... ـ إلى ـ أفلَجُ الثنايا».

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٨)، ولم أجده مسنداً، وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن أبا جعفر ـ وهو الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ لم يدرك عليًّا رضي الله عنه.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٣)، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٣) من طريق الهيثم بن عبد الرحمن عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن علي رضي الله عنه.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٣)، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٢) من طريق السقر بن رستم عن أبيه قوله.

وعنـدَ أبـي داود: «المهـديُّ منـا أجلَـى الجبهَـةِ، أقنـى الأنـفِ، يمـلأُ الأرضَ قِسـطاً»[١].

زاد أبو نُعَيم: «أشمُّ الأنفِ، أفرَقُ الثنايا، أجلى الجبهَةِ، يملأُ الأرضَ عدلاً، ويفيضُ المالُ فيضٌ، بكفِّهِ اليُمنى خالٌ»[٢].

وفي مرفوع عليٍّ أنهُ: «كثُّ اللحيةِ، أكحلُ العينَينِ، برَّاقُ الثنايا، في وجهِه خالٌ، وفي كفِّهِ علامَةٌ»[٣].

وسئلَ الحسينُ بن عليٍّ: بأي شيءٍ يُعرَفُ الإمام المهديُّ؟ قال: بالسكينةِ والوقارِ، قيلَ: وبأيِّ شيءٍ؟ قال: بمعرفَةِ الحلالِ والحرامِ، ويحتاجُ الناسُ إليهِ، ولا يحتاجُ إلى أحدٍ[٤].

وعـن كعـبِ الأحبـارِ رضـي الله عنـهُ قـالَ: إنـي لأجـدُ المهـديَّ مكتُوبـاً فـي أسـفارِ الأنبيـاءِ، مـا فـي حُكمِـه ظلـمٌ ولا عيـبٌ. أخرجَـه أبـو عمـرٍو المقـرِئُ في «سـننه»، ونُعَيـمُ بـن حمَّـادٍ[٥].

وأخرجَ البزَّارُ عن جابرٍ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يكونُ في أُمتي خليفَةٌ يحثو المالَ حثواً، لا يعدُّه عدّاً»[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٥) وقد تقدم قريباً.

(٢) لم أجده.

(٣) تقدم قريباً موقوفاً، ولم أجده مرفوعاً.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٨).

(٥) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٨ و٢٢٨)، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٤)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٨٢).

(٦) رواه البزار في «مسنده» (٣٣٢٧ ـ كشف الأستار)، وهو عند مسلم (٢٩١٣)، ورواه مسلم أيضاً =

وأخرجَ أحمدُ عن أبي سعيدٍ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ من أمرائكم أميراً يحثو المالَ حثواً ولا يعدُّهُ، يأتيهِ الرجلُ فيسألُه فيقولُ: خُذ، فيبسُطُ ثوبَهُ فيحثو فيهِ فيأخذُهُ ثم ينطلِقُ»(١).

وأخرج نُعَيمٌ عن طاوسٍ قالَ: علامَةُ المهديِّ أن يكونَ شديداً على العمَّالِ، جواداً بالمالِ، رحيماً بالمساكِين(٢).

وفي كلامِ أبي جعفرٍ محمدِ بن عليٍّ قالَ: إذا قامَ مهديُّنا أهلَ البيتِ قسمَ بالسويَّةِ، وعدلَ في الرعيةِ، فمن أطاعَه فقد أطاعَ الله، ومن عصاهُ فقد عصى اللهَ، وإنما سُمِّيَ المهديَّ لأنهُ يُهدَى إلى أمرٍ خفِيٍّ(٣).

وعن كعبِ الأحبارِ قالَ: إنما سمِّيَ المهديَّ لأنهُ يُهدَى إلى أمرٍ خفِيٍّ، وسيُخرِجُ التوراةَ والإنجيلَ من أرضٍ يقالُ لها: أنطاكيةُ. أخرجَهُ نُعَيم في كتابِ «الفِتنِ»(٤).

وفي بعضِ رواياته عن كعبٍ قالَ: إنما سمِّيَ المهديَّ لأنهُ يُهدَى إلى أسفارِ

= (٢٩١٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مقيداً بآخر الزمان، فالشاهد فيه أوضح، ولفظه: «يكونُ في آخِرِ الزَّمان خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّه».

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٩٤٠)، وهذه الرواية إسنادها ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وقد تقدم في التعليق السابق رواية مسلم.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٤٢)، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣١).

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٧). ولعل المراد بهدايته لأمر خفي هدايته لأسفار التوراة فيستخرجها، كما سيأتي عن كعب.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٧). ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٧٢)، ومن طريقه نعيم في «الفتن» (١٠٢٣).

التوراةِ فيستخرِجُها من جبالِ الشام، يدعو إليها اليهودَ، فيُسلمُ على تلك الكتبِ جماعةٌ كثيرةٌ، ثم ذكر نحواً من ثلاثينَ ألفاً(١).

وذكرَ الإمامُ أبو عمرٍو الدانيُّ قالَ [قال ابن شَوْذَبٍ]: إنما سمِّيَ المهديَّ لأنه يُهدَى إلى جبلٍ من جبالِ الشامِ يستخرِجُ منهُ أسفارَ التوراةِ، يحاجُّ بها اليهودَ فيُسلمُ على يدِه جماعةٌ منهُم(٢). واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٧). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٣٥).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٨) وما بين معكوفتين منه. ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٠٣٥).

البابُ الثالثُ

في علاماتِ ظهورِه

اعلم أنَّ لظهورِ المهديِّ علاماتٍ جاءَت بها الآثارُ والأحاديثُ والأخبارُ، فمِن علاماتِ ظهورِه على ما وردَ: كسوفُ القمرِ والشمسِ، ونجمُ الذَّنبِ، والظلمةُ، وسماعُ الصوتِ برمضانَ، وتحارُبُ القبائلِ بذي القعدةِ، وظهورُ الخسفِ والفِتن. إلى غير ذلكَ مما سيأتي.

ففي «سننِ الدارَقُطنيِّ» بسندِه عن جابرٍ عن محمدِ بن عليٍّ: إن لمهديِّنا آيتَين لم يكونا منذُ خلقَ اللهُ السماوات والأرضَ: ينكسِفُ القمرُ لأولِ ليلةٍ من رمضانَ، وتنكسِفُ الشمسُ في النصفِ منهُ[1].

وقالَ شَريكٌ كما في نُعَيمٍ[2] في «الفتنِ»: بلغَني أن القمرَ قبل خروجِه ينكسِفُ مرَّتين برمضانَ[3].

وذكرَ الكسائيُّ عن كعبِ الأحبارِ في كلامه الطويلِ الآتي: أنهُ ينكسِفُ القمرُ ثلاثَ ليالٍ متوالياتٍ ثمَّ يظهَرُ المهديُّ[4].

---

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٨). ورواه الدارقطني في «سننه» (١٧٩٥).

(٢) قوله: «كما في نعيم» كذا في النسختين، والصواب: «كما روى نعيم» أو نحو هذه العبارة.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٩). ورواه نعيم في «الفتن» (٦٤٢). وجاء في «الفتن» و«عقد الدرر»: «الشمس» مكان «القمر».

(٤) سيأتي تخريجه في أواخر الكتاب.

وعن كعبٍ: يطلُع نجمٌ بالمشرقِ وله ذَنَبٌ يضيءُ[١].

وفي بعض الرواياتِ: يطلُعُ نجمٌ بالمشرقِ يضيءُ كما يضيءُ القمرُ، ينعطِفُ حتى يلتقِي طرفاهُ أو يكادُ[٢].

وعن أبي جعفرٍ: لا يخرُج حتى ترَوا الظُّلمةَ[٣].

وفي الديلمِيِّ يرفعُه: «تكون هدَّةٌ في رمضانَ توقِظُ النائمَ، وتُفزِعُ اليقظانَ»[٤].

ومن وجهٍ آخرَ: «يكونُ صوتٌ في رمضانَ في نصفِ الشهرِ يُصعَقُ منها سبعونَ ألفاً، ويَعْمَى مثلُها، ويصَمُّ مثلُها، ويخرَسُ مثلُها، ويتفتَّقُ من الأبكارِ مثلُها، وإن ذلك من جِبريلَ»[٥].

وعن أبي أُمامةَ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يكونُ في رمضانَ صوتٌ»، قالوا: يا رسولَ اللهِ! في أولِه، أو في وسَطِه، أو في آخِره؟ قال: «لا بل في النصفِ من شهرِ رمضانَ، إذا كانت ليلةُ النصفِ ليلةَ الجمعةِ يكونُ صوتٌ من السماءِ يُصعَقُ له سبعون ألفاً، ويخرَسُ له سبعون ألفاً، ويفتقُ له سبعون ألفَ عذراءَ، قالَ: ويتبعُه

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٥)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٩). ورواه نعيم في «الفتن» (٦٤٠) دون ذكر الذنب.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٨).

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٧). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٦) بلفظ: (لا يخرج السفياني حتى ترقى الظلمة).

(٤) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٨٧٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٦٩) وقال: موضوع.

(٥) قطعة من حديث فيروز الديلمي دون قصة تفتق الأبكار. انظر التعليق الآتي.

صوتٌ آخرُ، فالصوتُ الأولُ صوتُ جبريلَ، والصوتُ الثاني صوتُ الشيطانِ»[١].

وعن محمدِ بن عليٍّ قالَ: الصوتُ في شهرِ رمضانَ في ليلةِ جمعةٍ، فاسمعُوا وأطيعُوا، وفي آخرِ النهار صوتُ الملعونِ إبليسَ يُنادي: ألا إن فلاناً قد قتِلَ مظلوماً، يشكِّكُ الناسَ ويفتِنُهم، فكم في ذلك اليومِ من شاكٍّ مُتحيرٍ، فإذا سمعتُم الصوتَ في رمضانَ ـ يعني: الأولَ ـ فلا تشكُّوا أنه صوتُ جبريلَ، وعلامةُ ذلك أنه ينادِي باسمِ المهديِّ واسم أبيهِ[٢].

وعن شهرِ بن حَوشَبٍ قال: كان يُقالُ: في شهرِ رمضانَ صوتٌ، وفي شوالَ همهَمةٌ، وفي ذي القعدَةِ تمييزُ القبائلِ، وفي ذي الحجةِ تُسفَكُ الدماءُ، وينهَبُ الحاجُّ في المحرَّم، قيَل لهُ: وما الصوتُ؟ قال: هادٍ من السماءِ يُوقِظُ النائم، ويُفزِعُ اليقظانَ، ويُخرِجُ الفتاة من خِدرِها، ويُسمِعُ الناس كلَّهم، فلا يجيءُ رجلٌ مِن أفقٍ مِن الآفاقِ إلا حدَّثَ أنه سمِعَه. أخرجَهُ الإمام أبو الحسين أحمدُ بنُ جعفرٍ ابن المُنادي في كتاب «الملاحِم»[٣].

وعن شهرِ بن حَوشبٍ أيضاً قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «سيكونُ في رمضانَ صوتٌ، وفي شوال معمعَةٌ[٤]، وفي ذي القعدَةِ تَحارَبُ القبائلِ، ويُنهَبُ الحاجُّ، وتكون ملحمَةٌ بمنًى يكثُر فيها القتلُ، وتسيل فيها الدماءُ، حتى تسيلَ دماؤهم

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٦٩)، من حديث فيروز الديلمي، وليس فيه ذكر تفتق العذارى. قال ابن الجوزي: (لا يصح). ولم أجده من حديث أبي أمامة.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٠).

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٩)، ورواه مختصراً نعيم في «الفتن» (٦٥٢).

(٤) في (أ): «مقمعة».

على الجمـرَةِ» الحديـثَ. أخرجَهُ الإمـام أبو عمـرٍو الدانيُّ في «سُـننِه» [١].

وفي أثرِ خالِد بن مَعدانَ: لا يخرُجُ المهديُّ حتى يُخسَفَ بقريةٍ بالغوطةِ تُسمَّى حرَستا[٢].

وأخرجَ نُعَيمٌ عن عمرو بن العاصِ قالَ: إذا خُسِفَ بجيشٍ في البيداءَ فهو علامةُ المهديِّ[٣].

وفـي «مسـلمٍ» عـن عبـدِ الله بـن صفـوانَ قـال: أخبرَتْنـي حفصةُ أنها سـمعتْ رسـولَ اللهِ ﷺ يقـولُ: «ليؤمَّـنَّ هذا البيـتَ جيشٌ يَغزُونَـه، حتى إذا كانـوا ببيداءَ من الأرضِ خُسـفَ بأوسـطِهم، وينـادِي أوَّلُهـم آخرَهم، ثم يُخسَـفُ بهم فـلا يبقَى إلا الشـريدُ الذي يخبِـرُ عنهم»[٤].

وفي حديث أم سلمَة: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليُخسفَنَّ بقومٍ يغزونَ هذا البيت ببيداءَ من الأرضِ»، فقالَت أمُّ سلمَة: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن كان فيهم الكارِهُ؟ قال: «يُبعَثُ كل رجلٍ على نيَّتِهِ» أخرجَهُ أبو عمرٍو الداني في «سننِه»[٥].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٨)، ورواه نعيم في «الفتن» (٦٣٠)، ورواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٦٨٩ ـ الجزء المفقود) من قول شهر.

(٢) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٠١). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢١٦ و٢١٧).

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهديِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨١). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٠) من طريق ابن لهيعة عن فلان المعافري عن أبي فراس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وابن لهيعة سيئ الحفظ، وشيخه مبهم.

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٣).

(٥) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٤)، ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣٤٤)، وهو بنحوه عند مسلم (٢٨٨٣).

وعن الحسينِ بن عليٍّ قالَ: إذا رأيتُم من السماءِ ناراً عظيمةً من قبَلِ المشرقِ تطلُع ليالِيَ فعندَها إقدامُ المهديِّ[١].

وعن محمدِ بن عليٍّ: إذا رأيتُم ناراً من المشرِقِ ثلاثةَ أيامٍ أو سبعةً، فتوقَّعُوا فرجَ آل محمدٍ إن شاء اللهُ تعالى[٢].

وعن عبدِ الله بن عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرُجَ المهديُّ من ولدِي، ولا يخرُجُ المهديُّ حتى يخرُجَ ستونَ كذَّاباً كلُّهم يقولُ: أنا نبيٌّ»[٣].

وعن أبي هُريرَةَ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يُبعَثَ دجَّالون كذَّابون قريباً مِن ثلاثين كلُّهم يزعُم أنه رسولُ اللهِ». أخرجَه مسلمٌ في «صحيحِه»، وأخرجَهُ البخاريُّ بمعناه[٤].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: لا يخرُجُ المهديُّ حتى يُقتَلَ ثلثٌ، ويموتَ ثلثٌ، ويبقَى ثلثٌ. أخرجَهُ أبو عمرٍو عُثمان بنُ سعيدٍ في «سُنَنه»، ونُعَيمُ بن حمَّادٍ[٥].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (ص٧٥ و١٠٣)، ولم أجده مسنداً.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣٤)، ورواه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧) قبل الحديث (٢٩٢٤)، وليس في الصحيحين: (عن أنس).

(٥) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣٢)، ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٩)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٥١)، من طريق كيسان الرؤاسي القصار قال: حدثني مولاي قال: سمعت عليًّا رضى الله عنه...فذكره. ومولى كيسان القصار هو يزيد بن بلال بن الحارث الفزاري، وهو ضعيف كما في «التقريب».

وفي أثرِ ابن سيرينَ: حتَّى يُقتَل من كلِّ تسعةٍ سبعةٌ[١].

وعن أبي جعفرٍ محمدِ بن عليٍّ قالَ: لا يظهَرُ المهديُّ إلا على خوفٍ شديدٍ من الناسِ، وزلزالٍ وفتنةٍ، وبلاءٍ يُصيبُ الناسَ، والطاعونُ قبلَ ذلكَ، وسيفٌ قاطعٌ بين العرَبِ، واختلافٌ شديدٌ في الناسِ، وتشتُّتٌ في دينِهم، وتغيرٌ في حالهم، حتى يتمنَّى المتمني الموتَ صباحاً ومساءً من عظيمِ ما يرى مِن كلَبِ الناسِ وأكلِ بعضِهم بعضاً، فحينئذٍ يخرُج، فيا طوبى لمن أدرَكهُ وكان من أنصارِه، والويلُ كلُّ الويلِ لمن خالفَهُ وخالَفَ أمرَهُ[٢].

وعن الحُسينِ بن عليٍّ قالَ: لا يكونُ الأمرُ الذي ينتَظِرونه ـ يعني: المهديَّ ـ حتى يبرَأ بعضُكم من بعضٍ، ويشهَد بعضُكم على بعضٍ بالكُفرِ، ويلعنَ بعضُكم بعضاً، فقيلَ: ما في ذلك الزمانِ من خيرٍ؟ فقال: بل فيهِ الخيرُ كلُّه، يخرُج المهدِيُّ فيرفَعُ ذلك كلَّهُ[٣].

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «أبشِّركُم بالمهديِّ؛ يُبعَثُ في أُمَّتي على اختلافٍ من الناسِ وزلزالٍ، فيملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلِئت جَوراً وظُلماً». أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ والإمامُ أحمدُ في «مسندِه»[٤].

---

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٧). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٨).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣١). ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٣٢٦) من طريق العلاء بن بشيرٍ، عن أبي الصِّدِّيقِ النَّاجيِّ، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه مرفوعاً. وإسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشير المزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعَلى بن زياد القُرْدوسي، ولم يُؤثر توثيقه إلا عن ابن حبان. وقد تقدم نحوه بإسناد صحيح.

وفي روايةٍ أُخرى: «يكونُ عند انقطاعِ الزمنِ وظهورِ الفِتَنِ رجلٌ يقالُ لهُ: المهديُّ، عطاؤه هنياً»[١].

وعن سعيدِ بن المسيِّبِ قالَ: تكونُ في الشامِ فتنَةٌ أولُها كلعِبِ الصِّبيانِ، كلَّما سكنَت من جانبٍ هاجَت من آخرَ، فلا تتناهى حتى يُنادِيَ منادٍ من السماءِ: ألا إن الأميرَ فلانٌ. ثم قال ابنُ المسيِّبِ: فذلكُمُ الأميرُ، فذلكُمُ الأميرُ، فذلكُمُ الأميرُ[٢]، كنَى عن اسمِه فلم يذكُرهُ، فهو المهدِيُّ. أخرجَهُ ابن المنادي في كتابِ «الملاحمِ»، ونُعَيمٌ في «الفتنِ». وذكروا أن النداءَ بالمحرَّمِ[٣].

وفي روايةٍ أُخرى له: يُنادَى: ألَا أن أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون[٤].

وفي أثرِ ابن المسيَّبِ: يطلُعُ كفٌّ من السماءِ، وينادي... إلى آخره[٥].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣١ و٢٤٢). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١١٣٢٦)، من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه مرفوعاً. وعندهم: «يكون عطاؤه حثياً» بدل «عطاؤه هنياً». وإسناده ضعيف لضعف عطية العَوْفي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٤): رواه أحمد، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف، ووثقه ابن معين، وبقية رجاله ثقات.

(٢) «فذلكم الأمير» الأخيرة من (أ).

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٠)، ورواه نعيم في «الفتن» (٩٧٣).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٠)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١)، ورواه نعيم في «الفتن» (٩٨٤). جميعهم عن الزهري وبلفظ: (ألا إن أولياء الله أَصحاب فلان. يعني المهدي).

(٥) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١)، ورواه نعيم في «الفتن» (٩٨٢).

وقالت أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ: إن أمَارة ذلك اليومِ أن كفًّا من السماءِ مُدلَّاةً ينظرُ إليها الناسُ[(١)].

وفي لفظٍ: ملَكٌ يُنادي: إن هذا المهديُّ فبايعُوه[(٢)].

وعن عليٍّ رضي اللهُ عنهُ قالَ: إذا نادى منادٍ من السماءِ: إن الحقَّ في آلِ محمدٍ ﷺ، يظهَرُ المهدِيُّ[(٣)].

وذكروا أن نداءَ المنادي يسمَعُه مَن بالمشرقِ والمغربِ حتى لا يُبقِي راقداً إلا استيقَظَ[(٤)].

وأخرَجَ أبو نُعَيمٍ عن ابن عمرَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يخرُجُ المهديُّ وعلى رأسه غمامَةٌ[(٥)] فيها منادٍ يُنادي: هذا المهديُّ خليفَةُ اللهِ فاتَّبِعُوه»[(٦)].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧٠)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١)، ورواه نعيم في «الفتن» عقب الخبر (٩٨٤).

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢٢ و١٧٠ و٢٠٦)، ورواه نعيم في «الفتن» (٩٦٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي رضى الله عنه. وهذا إسناد واه كما قال الذهبي في التلخيص عن مثله في «المستدرك» (٨٥٣٠). وأبو قبيل اسمه حيي بن هانئ المعافري.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٧١)، عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٥) قوله: «غمامة» كذا النسختين، والذي في المصادر ـ وستأتي ـ: «عمامة».

(٦) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٠٥)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٣). ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣٩٥)، وابن المقرئ في «معجمه» (٩٠)، وفي إسناده عبد الوهاب بن الضحاك، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان» وقد ذكر له هذا الحديث: كذبه أبو حاتم، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال البخاري: عنده عجائب. والحديث عندهم جميعاً عدا «العرف الوردي» من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وأخرجَ أبو نُعَيمٍ والخطيبُ عن ابن عمرَ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يخرُجُ المهديُّ وعلى رأسِه ملَكٌ يُنادي: إن هذا المهديُّ فاتَّبِعوه»[١].

وعن شَهرِ بن حوشَبٍ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «في المحرَّمِ يُنادي منادٍ من السماءِ: ألا إن صفوةَ الله فلانٌ فاسمَعُوا له وأطيعوا»[٢].

وأخرجَ نُعيمٌ عن [أبي] جعفرٍ قالَ: يقومُ المهديُّ سنةَ مئتَين[٣].

وأخرجَ أيضاً مثلَهُ عن محمدِ ابن الحنفيَّةِ[٤].

وأخرجَ أيضاً عن أبي قبيلٍ قالَ: اجتماعُ الناسِ بالمهديِّ سنةَ أربعٍ ومئتين[٥].

قالَ الحافظُ السيوطيُّ في كتابِهِ «الكشفِ»: فهذه الآثارُ تُشعِرُ بتأخُّرِ[٦] المهدي إلى بعد الألفِ بمئتين، واللهُ تعالى أعلَمُ[٧].

---

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٣). ورواه كسابقه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٣٧)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ٤١٧). وفي إسناده كسابقه عبد الوهاب بن الضحاك، وقد تقدم الكلام فيه.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٦ و٢٢٩)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١). ورواه نعيم في «الفتن» (٦٣٠) و(٩٨٠). وإسناده ضعيف لانقطاعه.

(٣) انظر: «الكشف في مجاوزةِ هذه الأُمَّةِ الألفَ» المطبوع ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١١٠). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) انظر: «الكشف في مجاوزةِ هذه الأُمَّةِ الألفَ» (٢/ ١١٠). ورواه نعيم في «الفتن» (١٩٤٦).

(٥) انظر: «الكشفُ في مجاوزةِ هذه الأُمَّةِ الألفَ» (٢/ ١١٠). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٦٢).

(٦) في (أ): «بتأخير».

(٧) انظر: «الكَشْف عن مُجاوَزةِ هذه الأُمَّةِ الأَلْفَ» (٢/ ١١٠).

الباب الرابعُ

في ذكرِ مُبايعَته بالخلافةِ

وفي أيِّ موضعٍ تكونُ بيعتُه، ومن أينَ خُروجُه

أخرَجَ نُعَيمٌ عن ابنِ سِيرينَ قالَ: على رايةِ المهديِّ مكتوبٌ: البيعَةُ للهِ تعالى[1].

وفي «التذكرةِ»: راياتُه بيضٌ وصفرٌ، فيها رقومٌ فيها اسمُ اللهِ الأعظَمُ مكتوبٌ، فلا يهزَمُ لهُ رايةٌ، يمشي النصرُ بينَ يدَيه أربعين مِيلاً[2].

وأخرجَ نُعَيمٌ عن عبدِ الله بن عمرٍو قال: يحجُّ الناسُ معاً ويغزُون معاً على غيرِ إمامٍ، فبينما هم نزولٌ بمنًى إذ أخذَهُم كالكَلَبِ، فثارتِ القبائلُ بعضُهم إلى بعضٍ، فاقتتَلُوا حتى تسيلَ العقبةُ دماً، فيذهَبُون إلى خيرِهم، فيأْتُونَهُ وهو مُلصِقٌ وجهَه إلى الكعبةِ يبكي، كأني أنظُرُ إلى دموعِه، فيقولُون: هلُمَّ إلينا فلْنبايِعْكَ، فيقولُ: ويحكُم! كم من عهدٍ نقضتُموه، وكم من دمٍ سفكتُموه، فيبايَعُ كرهاً، فإن أدركتُموه فبايعوهُ، فإنه المهديُّ في الأرضِ والمهديُّ في السماءِ[3].

وأخرج أيضاً عن الحكَمِ بن نافعٍ [عن جراحٍ عن أرطاةَ] قالَ: إذا كانَ

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٧٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٠). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٢٦)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٨٣). وعندهم عدا «العرف الوردي»: (عن نوف البكالي) لا (عن ابن سيرين).

(٢) انظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص١٢٠٦)، وعزاه لحديث ابن مسعود وغيره من الصحابة، لكن لم أجده مسنداً.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٧٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٠). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٧)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٦٠). وقال الذهبي: سنده ساقط.

النـاسُ بمنًـى وعرفـاتٍ نـادى مُنادٍ بعـدَ أن تتحـارَبَ القبائـلُ: ألا إن أميركُـم فلانٌ، [ويَتْبعـه صـوتٌ آخـرُ: ألَا إنـه قـد كـذَب]، ويتبعُه صـوتٌ آخـرُ: ألا إنه قـد صدَق، فيقتَتِلـون قتـالاً شـديداً، وعنـد[1] ذلـك يـرونَ كفـاً معلَّمـةً فـي السـماءِ، ويشـتد القتـالُ حتـى لا يبقَـى مـن أنصـارِ الحقِّ إلا عـدةُ أهلِ بـدرٍ، فيذهَبـون حتـى يبايِعُوا صاحِبَهـم[2].

وأخرجَ أيضاً عن ابن مسعودٍ قالَ: إذا انقطعَتِ التجاراتُ والطرقُ وكثُرتِ الفتنُ، خرجَ سبعةُ نفرٍ علماءُ مِن أفقٍ شتَّى على غيرِ ميعادٍ، ويبايعُ لكلِّ رجلٍ منهم ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً، حتى يجتمِعوا بمكَّةَ، فتلتَقي السبعةُ فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: ما جاءَ بكُم؟ فيقولونَ: جئنا في طلبِ هذا الرجلِ الذي ينبَغِي أن تهدأ على يديهِ هذه الفِتن، وتُفتَحَ له القسطنطينيَّةُ، قد عرَفناه باسمِهِ واسمِ أبيهِ وأُمِّهِ وجيشِه، فتتَّفِقُ السبعةُ على ذلك، فيطلبُونَه فيصيبُونَه بمكَّةَ؛ فيقُولون لهُ: أنتَ فلانٌ؟ فيقولُ: لا؛ بل أنا رجلٌ من الأنصارِ، حتى يُفلِتَ منهم، فيصِفُونَه لأهلِ الخبرِ منه والمعرفةِ به فيُقالُ: هو صاحِبُكم الذي تطلبُونَه، وقد لحِقَ بالمدينَةِ، فيطلبُونَه بالمدينةِ، فيخالِفُهم إلى مكَّةَ، فيطلبُونَه بمكَّةَ فيصيبُونَه، فيقُولونَ: أنتَ فلانٌ، وأمُّكَ فلانةُ بنتُ فلانٍ، وفيكَ آيةُ كذا وكذا، وقد أفلتَّ منا مرةً فمُدَّ يدكَ نبايِعْك. فيقولُ: لستُ بصاحِبِكم، حتَّى يفلِتَ منهُم، فيطلبُونَه بالمدينةِ فيخالِفُهم إلى مكَّةَ، فيصيبُونَه بمكَّةَ عند الركنِ، ويقولونَ لهُ: إثمُنا عليكَ ودماؤنا في عنقِكَ إن لم تمُدَّ يدَكَ نبايِعك، هذا عسكَرُ السُّفيانيِّ قد توجَّهَ في طلَبِنا، فيجلِسُ بينَ الركن والمقامِ فيمُدُّ يدَهُ فيبايَعُ لهُ، فيُلقي اللهُ

---

(١) في (أ): «وبعد».

(٢) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٨٥)، وما بين معكوفتين منه.

محبَّتَه في صدورِ[(١)] الناسِ، فيصيرُ مع قومٍ أُسدٍ بالنهارِ رُهبانٍ باللَّيلِ[(٢)].

وأخرجَ أيضاً عن ابنِ عباسٍ قالَ: يُبعَثُ المهديُّ بعد إيَاسٍ، حتى يقولَ الناسُ: لا مهدِيَّ، وأنصارُهُ من أهلِ الشامِ عددُهم ثلاثُ مئةٍ وخمسةَ عشرَ رجلاً عددَ أصحابِ بدرٍ، يسيرونَ إليه من الشامِ حتى يستخرجوهُ من بطنِ مكَّةَ من دارٍ عندَ الصفا، فيبايعوه كَرهاً، فيُصلِّي بهم ركعتَين عندَ المقامِ[(٣)].

وأخرجَ أيضاً عن أبي هُريرةَ قالَ: يُبايَعُ المهديُّ بين الركنِ والمقامِ، لا يوقِظُ نائماً ولا يُهرِيقُ دماً[(٤)].

وأخرَجَ أيضاً عَن قتادةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يخرُجُ المهديُّ من المدينةِ إلى مكةَ، فيستخرِجُه الناسُ من بينِهم فيبايعُونَه بين الركنِ والمقامِ وهو كارهٌ»[(٥)].

---

(١) في (أ): «قلوب».

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٠٠)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٦). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٠٠) عن شيخه أبي عمر، عن ابن لهيعة، عن عبد الوهاب بن حسين، عن محمد بن ثابت البناني، عن أبيه، عن الحارث الهمداني، عن ابن مسعود. وهذا إسناد واه مسلسل بالعلل، فأبو عمر شيخ نعيم هو الصفار ـ كما وقع له في غير هذا الحديث ـ واسمه: حماد بن واقد، وهو ضعيف، بل قال البخاري: منكر الحديث، وابن لهيعة ومحمد بن ثابت ضعيفان، والحارث أيضاً ضعيف وكذبه بعضهم كما في «التقريب»، وعبد الوهاب مجهول كما في «اللسان». وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٣/ ١٠٥٩).

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٩٠)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩١). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٩٠).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٢٩ و٢٨٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٢). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٩١).

(٥) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٢). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٩٤)، وهو مرسل.

وفي «ابن المنادِي» من مرفوعِ حُذيفَةَ: «يبايِعُ له الناسُ عندَ الركنِ والمقامِ، يَردُّ اللهُ به الدينَ، ويفتحُ له الفتوحَ، فلا يبقَى على وجهِ الأرضِ إلا مَن يقولُ: لا إله إلا الله، فقالَ سلمانُ: من أيِّ ولدِكَ هو؟ قالَ: من ولدِ ابني هذا» وضربَ على الحُسينِ(١).

قلتُ: قد مرَّ أنهُ من ذريةِ الحسنِ وهُنا من ولدِ الحسين، ولعلَّ الجمعَ بينهُما أن أباهُ من ذريةِ أحدِهما، وأمَّه من ذريةِ الآخرِ، فتأمل.

وأخرَجَ نُعَيمٌ عن أبي جعفرٍ قالَ: يظهرُ المهديُّ بمكَّةَ عندَ العشاءِ معهُ رايةُ رسولِ الله ﷺ وقميصُه وسيفُه، وعلاماتٌ ونورٌ وبيانٌ، فإذا صلى العِشاءَ نادى بأعلى صوتِه يقولُ: أذكِّركم اللهَ أيُّها الناسُ! ومقامَكم بين يدَي ربِّكُم، فقد أنجزَ الحُجةَ، وبعثَ الأنبياءَ، وأنزَلَ الكتابَ، وأمركم أن لا تُشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعَتِه وطاعةِ رسولِه، وأن تُحيوا ما أحيا القرآنُ، وتميتُوا ما أماتَ القرآن، وتكونوا أعواناً على الهُدى، ووزراءَ على التقوى، فإن الدُّنيا قد دنا فناؤها وزَوالها، وإني أدعوكم إلى اللهِ ورسولِه، والعملِ بكتابِه، وإماتَةِ الباطلِ، وإحياءِ السنَّةِ.

فيظهَرُ في ثلاث مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً عدةَ أهلِ بدرٍ على غير ميعادٍ، رهبانٍ بالليلِ أُسدٍ بالنهارِ، فيفتَحُ الله له أرضَ الحجازِ، ويبعَثُ بجنودِه إلى الآفاقِ(٢)، ويميتُ الجَورَ وأهلَهُ، وتستقِيمُ له البلدانُ، ويفتَحُ اللهُ على يديهِ القسطنطينيَّةَ(٣).

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٩٥).

(٢) بعدها في (أ): «ويمكث» وليست في (ب) والمصادر، ولا حاجة لها في السياق.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢١٧)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٥). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٩٩).

وعن عليٍّ رضي اللهُ عنه: أنهم لما يأتونَه للمبايعَةِ يقولُ لهم: لستُ قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثينَ خَصلةً تلزَمُكم، ولكُم عليَّ ثمانُ خصالٍ، فيقولونَ: قد فعَلنا ذلكَ، ما أنتَ ذاكرٌ يا ابنَ رسولِ اللهِ! فيَخرُجونَ معَهُ إلى الصفا، فيقولُ: أنا معكُم على أن لا تُولُّوا، ولا تسرِقوا، ولا تَزْنُوا، ولا تقتُلوا محرماً، ولا تأتوا فاحشةً، ولا تضربوا أحداً إلا بحقِّهِ، ولا تكنِزُوا ذهباً ولا فضَّةً، ولا بُرّاً ولا شَعِيراً، ولا تأكلُوا مالَ اليتيمِ، ولا تشهَدوا بغيرِ ما تعلَمون، ولا تخربوا مسجِداً، ولا تقبِّحُوا مسلِماً، ولا تشرَبوا منكراً، ولا تلبَسوا الذهبَ والحريرَ والديباجَ، ولا تتَّبِعوا هارباً، ولا تسفِكُوا دماً حراماً، ولا تَغدروا بمستأمَنٍ، ولا تبغوا على كافرٍ ولا منافقٍ، وتلبَسونَ الحسَنَ من الثيابِ، وتتوسَّدُون الترابَ، وتجاهِدُون حقَّ الجهادِ، ولا تشتُموا، وتكرَهون النجاسةَ، وتأمُرونَ بالمعروفِ، وتنهونَ عن المنكَرِ، فإذا فعلتُم ذلكَ فعليَّ أن لا أتخِذَ حاجباً، ولا ألبَسَ إلا كما تلبَسون، ولا أركبَ إلا كما تركَبُون، وأرضى بالقليلِ، وأملأَ الأرضَ عدلاً كما مُلِئت جَوراً، وأعبُدَ اللهَ حقَّ عبادَته، أُوفي لكُم وأوفوا لي.

فيقولُون: رضِينا واتَّبعناك على ذلكَ، فيصافِحُهم رجلاً رجلاً، ويفتَحُ اللهُ تعالى له خُراسانَ، ويطيعُه أهلُ اليمنِ، وتكونُ همدانُ وزُرراةُ وخَولانُ وحِميَرُ أعوانَهُ، ومصرُ قوَّادَه، ويكثِّرُ اللهُ تعالى جمعَهُ بتميمٍ، ويشدُّ ظهرَهُ بقيسٍ، ويسيرُ وراياتُه أمامَهُ، وعلى مقدِّمَته عَقيلٌ وعلى ساقَتِه الحارثُ[1].

وفي حديثِ حُذيفةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «لا تُحشَرُ أُمتي حتى يخرُجَ المهديُّ، يُمدُّهُ اللهُ بثلاثة آلافٍ من الملائكةِ، ويخرُجَ إليه الأبدالُ من الشامِ، والنجباءُ من مصرَ، وعصائبُ أهل المشرقِ، حتى يأتوا مكَّةَ، فيُبايَعُ له بينَ الركنِ والمقامِ، ثم

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٢)، وهذه قطعة من خبر طويل أورده السلمي بتمامه، ولم يذكر له مصدراً، وهو خبر لا أصل له مليء بالطامات.

يتوجَّهُ إلى الشامِ وجبريلُ على مقدِّمَته، وميكائيلُ على يسارِه، ومعه أهلُ الكهفِ أعوانٌ لهُ، فيفرَحُ به أهلُ السماءِ والأرضِ، والطيرُ والوحشُ والحيتانُ في البحرِ، وتزيدُ المياهُ في دولَتِه، وتمتدُّ النهارُ، وتُضعِفُ الأرضُ أُكُلَها.

قال: فيَقدمُ إلى الشامِ فيأخذُ السفيانيَّ، فيُذبَحُ تحت الشجرةِ التي أغصانها إلى بحيرةِ طبريَّةَ»، قالَ حذيفةُ: يا رسولَ اللهِ! كيفَ يحلُّ قِتالهم وهم يوحِّدُون؟ قالَ: «يا حذيفَةُ! هم يومئذٍ على رِدَّةٍ يزعُمون أن الخمرَ حلالٌ ولا يصلُّونَ»(١).

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزِلُ بأمتي في آخرِ الزمانِ بلاءٌ شديدٌ من سلطانهم لمْ يُسمَع ببلاءٍ أشدَّ منهُ، حتى تضيقَ عليهم(٢) الأرضُ الرحبةُ، وحتى تُملأَ الأرضُ ظلماً وجَوراً، لا يجِدُ المؤمنُ ملجأً يلتجِئُ إليه من الظلمِ، فيبعثُ اللهُ تعالى رجلاً من عترتي فيملأُ الأرض قسطاً وعَدلاً كما مُلئت ظُلماً وجَوراً، يرضى عنه ساكنُ السماءِ وساكنُ الأرضِ، لا تدَّخِرُ الأرضُ من بذرِها شيئاً إلا أخرَجته، ولا السماءُ شيئاً من قَطرِها إلا صبَّهُ اللهُ عليهم مدراراً، يعيشُ فيهم سبعَ سنين أو ثمانٍ أو تسعَ سنين يتمنَّى الأحياءُ الأمواتَ مما صنعَ اللهُ بأهل الأرضِ من خيرِه» أخرجهُ الحاكمُ في «مستدرَكِه» على البخاريِّ ومسلمٍ وقالَ: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرِّجاه(٣).

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٥١ ـ ١٥٢)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٨ ـ ٩٩). ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٩٦). وفي إسناده عبد الصمد بن محمد الهمداني، قال عنه الدارقطني كما في «لسان الميزان» (٤/ ٢٢): ليس بالقوي. وفيه من لم أجد أحداً ترجمهم. وقد تقدم بعضه في أول الكتاب.

(٢) في (أ): «بهم».

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١١٣ و٢١٣). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٣٨). وقال الذهبي: سنده مظلم.

وأخرجَ أبو نُعَيمٍ عن أبي سعيدٍ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «يخرُجُ المهديُّ في أُمتي يبعَثُه اللهُ غياثاً للناسِ، تنعمُ الأمةُ، وتعيشُ الماشيةُ، وتخرِجُ الأرضُ نباتَها، ويُعطي المالَ صِحاحاً»؛ أي: بالسويةِ(١).

وأخرجَ نُعَيمٌ عن كعبٍ قالَ: [أولُ] لواءٍ يعقِدُه المهديُّ يبعَثُه إلى التركِ، فيهزِمُهم ويأخُذُ ما معهم من السبي والأموالِ، ثم يسيرُ إلى الشامِ فيفتَحُها، ثم يعتِقُ كلَّ مملوكٍ معهُ، ويعطِي أصحابَهُ قيمَتَهم(٢)(٣).

*تنبيهٌ: قد مرَّ في عدةِ مواضِعَ أن بيعةَ المهديِّ بينَ الركنِ والمقامِ، وأما خروجُه وظهورُه فأخرَجَ الحافظُ نُعَيمُ بنُ حمَّادٍ عن أبي هُريرَةَ قال: سيخرُجُ المهديُّ كارِهاً من مكَّةَ من ولدِ فاطمةَ فيُبايَعُ(٤).

وأخرَجَ أيضاً عن عليِّ بن أبي طالبٍ قالَ: المهديُّ مولِدُه بالمدينةِ من أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ، واسمُه اسمُ نبيٍّ، ومُهاجَرُه بيتُ(٥) المقدسِ(٦).

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٢٨ و٢٤٢). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٣) وصححه، وأقره الذهبي، وابن خلدون أيضاً، فإنه في «تاريخه» (١/ ٣٩٤) نقل تصحيح الحاكم ثم عقبه بقوله: (مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة لكن ذكره ابن حبان في «الثقات»، ولم يَرد أن أحداً تكلم فيه). ووثقه ابن معين أيضاً. فالإسناد صحيح، والله أعلم. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٧١١) و(١٥٢٩).

(٢) في (أ): «قيمهم».

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٣). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٦٠)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٥). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٩٨)، كلاهما عن الزهري لا عن أبي هريرة، وفيهما أيضاً: (يُستخرج المهدي..).

(٥) في (أ): «ببيت».

(٦) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٠٣)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة =

وتقدَّمَ حديثُ قتادةَ: «يخرجُ المهديُّ من المدينةِ إلى مكَّةَ».

وحديثُ ابن عبَّاسٍ: يستخرجوه[١] من بطنِ مكَّةَ من دارٍ عند الصفا.

وحديثُ أبي جعفرٍ: يظهرُ المهديُّ بمكَّةَ عندَ العشاءِ[٢].

وأخرجَ أيضاً عن أبي قبيلٍ قال: يبعَثُ السُّفيانيُّ جيشاً إلى مكَّةَ، فيأمرُ بقتلِ كلِّ مَن كان فيها من بني هاشمٍ، فيقتَلُون ويفترِقون هاربينَ إلى البراري والجبالِ، حتى يظهرَ أمرُ المهديِّ بمكَّةَ، فإذا ظهَرَ اجتمَعَ كلُّ من شذَّ منهم إليهِ بمكَّةَ[٣].

وأخرَجَ أيضاً عن أبي جعفرٍ قالَ: تنزِلُ الراياتُ السودُ التي تخرجُ من خراسانَ بالكوفةِ، فإذا ظهَرَ المهديُّ بمكَّةَ بُعِثَ إليهِ بالبيعَةِ[٤].

وأخرَجَ أبو نُعَيمٍ وأبو بكرِ بنُ المقري في «معجَمِه» عن ابن عمرَ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ المهديُّ من قريةٍ يُقالُ لها: كَرعةٌ»[٥].

= ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٨). ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٣) من طريق الهيثم بن عبد الرحمن عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن علي. وقد تقدمت قطعة منه.

(١) في (أ): «ستخرجوه».

(٢) تقدمت هذه الأخبار قريباً قبل صفحات.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢٥)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٥). ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٣١).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٩٧)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٢). ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٢١).

(٥) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٩). ورواه ابن المقري في «معجمه» (٩٠)، ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٩٥). وفي إسناده عبد الوهاب بن الضحاك، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان» وقد ذكر له هذا الحديث: كذبه أبو حاتم، وقال =

وزعَمَ بعضُهم أن المهديَّ يخرُجُ من المغربِ، وأنه من أجلِ ذلك سمَّى بنو إدريسَ أنفُسَهم بالمهديَّةِ طمعاً أن يكُونَ منهم، وأنه يرفَعُ الجَورَ عن الأرضِ، ويبلِّغُ الإسلامَ المشارقَ والمغاربَ، ويفتَحُ القسطنطينيَّةَ.

قالَ الحافظُ السيوطيُّ: أورَدَ القُرطبيُّ في «التذكرةِ»: أن المهديَّ يخرُجُ من المغربِ الأقصى في قصةٍ طويلةٍ، ولا أصلَ لذلكَ[1]، انتهى.

وزعمَتِ الشيعَةُ أن المهديَّ هو محمدٌ ابنُ الحنفيَّةِ، وأنه لم يمُت، وسيكُون ويظهَرُ حتى يسوقَ العربَ بعصاً واحدةٍ.

قال بعضُ العلماءِ: يجوزُ كونُ المهديِّ موجوداً الآنَ، وأنه لا مانعَ من طول عمُرِه.

قالَ بعضُهم: وفيه نظر؛ إذ لم يَرِدْ بذلكَ أثر، بل الآثارُ الواردةُ بخلافِ ذلكَ.

قلتُ: وبالجملةِ فقد تكاثرَت بحديثِ المهديِّ الرواياتُ والآثارُ التي يطولُ ذكرُها، وقد ذكرَ العلماءُ أن أوَّلَ ظهورِه شابّاً من المدينة، ثمَّ يخافُ على نفسِهِ من القتلِ فيفِرُّ[2] إلى مكَّةَ مُختفِياً، ثم إلى الطائفِ، ثم يرجِعُ إلى مكَّةَ فيرونَهُ بالمطافِ عندَ الركنِ، فيقهَرُونَه على المبايعةِ بالإمامةِ.

ثم يتوجَّهُ للمدينةِ ومعَه المؤمنونَ، فيبعَثُ إليه السفيانيُّ جيشاً عظيماً فيخسِفُ اللهُ بهم الأرضَ، ثم يسيرُ إلى جهَةِ الكوفَةِ، ثم يعودُ مُنهزِماً من جيشِ

= النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال البخاري: عنده عجائب.

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٠٣). وانظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص١٢٠٦ و١٢٠٧).

(٢) في (أ): «ثم يفر».

السُّفيانيِّ، ثم يُخرِجُ اللهُ على السُّفيانيِّ من أهلِ المشرقِ وزيرَ المهديِّ فيستخلِصُ من السفيانيِّ ما أخَذَه، ثم ينهزِمُ السفيانيُّ إلى الشامِ، فيقصِدُه المهديُّ فيذبَحُه عندَ عتبَةِ بيتِ المقدسِ كما تُذبَحُ الشاةُ، ويغنَمُه ومَن معَهُ من أخوالِه الذين هُم جُندُه من بني كلبٍ، ولا أكثرَ من تلك الغنيمَةِ.

ثم يسيرُ بالمؤمنين إلى المغربِ معَ[1] ما أورثَهُ اللهُ من الغنى بعدَ شدَّةِ الضيقِ، ثم ينتَهي إلى القسطنطينيَّةِ فيفتَحُها ويُخرِجُ كنوزَها، ثم يقاتِلُ الرومَ والدجَّالَ. ثم يجتمِعُ الأمرُ بعد ذلك لنبيِّ اللهِ عيسى عليه السلامُ بعدَ نزولِه من السماءِ.

ولا يقلِّدُ المهديُّ أحداً من المجتهِدين، بل هو مجتهِدٌ، ولا يَرى بالرياء ولا بالمداهنَةِ، ويكون معَهُ أهلُ الكهفِ أعواناً له، ويقَعُ الأمنُ والبركةُ في الأرض كما سيأتي جميعُ ذلك مفصَّلاً، والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (أ): «بعد».

البابُ الخامسُ

فيما يكونُ من الفتَنِ قبلَ ظهورِه وبعدَه

اعلم أن الفتنَ تكثرُ في آخرِ الزمانِ، ويندرِسُ الإسلامُ بظهور أهلِ الطُّغيانِ، ويُعزُّ عندَهم المنافِقُ، ويُذَلُّ المؤمنُ ويُهانُ.

ففي الحافظِ ابن مَردويهِ من مرفوعِ ابن عبَّاسٍ: حجَّ رسولُ اللهِ حجةَ الوداعِ، وأخذَ بحَلْقةِ الكعبةِ فقالَ: «أيها الناسُ، ألا أخبِرُكم بأشراطِ الساعةِ؟» فقامَ إليه سلمانُ فقالَ: أخبِرنا فداكَ أبي وأُمي يا رسولَ اللهِ! فقالَ: «إن من أشراطِ الساعةِ إضاعةُ الصلاةِ، والميلُ مع الأهواءِ، وتعظيمُ ربِّ المالِ»، فقالَ: ويكونُ ذلكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «نعم والذي نفسِي بيَدِه، فعندَ ذلك يا سلمانُ تكونُ الزكاةُ مغرَماً، والغيُّ مغنماً، ويصدَّقُ الكاذبُ، ويكذَّبُ الصادقُ، ويؤتَمنُ الخائنُ، ويخوَّنُ الأمينُ، وينكِرَ الحقَّ تسعةُ أعشارِهم، ويذهَبُ الإسلامُ فلا يبقى إلا اسمُه، ويذهَبُ القرآنُ فلا يبقى إلا رسمُه، وتتحلَّى المصاحِفُ بالذهبِ، ويخطُبُ على المنابر الصبيانُ، وتكونُ المخاطبَةُ للنساءِ، والمشورَةُ للإماءِ، فعند ذلكَ تُزخرَفُ المساجدُ كما تُزخرَفُ الكنائسُ والبِيَعُ، وتطوَّلُ المنابرُ، وتكثرُ الصفوفُ مع قلوبٍ متباغضَةٍ، وسننٍ مختلفَةٍ وأهواءٍ جمةٍ».

قال: ويكونُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «نعَم والذي نفسِي بيَدِه، فعندَ ذلك يا سلمانُ يكونُ المؤمِنُ فيهم أذلَّ من شاتِه، يذوبُ قلبُه في جوفِه كما يذوبُ الملحُ في الماءِ مما يَرى من المنكَرِ فلا يستطيعُ أن يغيِّرَه، فعند ذلكَ يا سلمانُ تكونُ أمراءُ فسَقةٌ، ووزراءُ فجرَةٌ، وأمناءُ خوَنةٌ، يضيِّعونَ الصلواتِ، ويتَّبِعون الشَّهواتِ، فإن أدركتُموهم فصلُّوا صلاتَكم لوقتِها، فعندَ ذلك يا سلمانُ يجيءُ سبيٌ من المشرقِ

وسبيٌ من المغربِ، قلوبهم قلوبُ الشياطين، لا يرحمونَ صغيراً، ولا يوقِّرون كبيراً، فعندَ ذلك يا سلمانُ يحجُّ الناسُ إلى هذا البيتِ الحرامِ، تحجُّ ملوكُهم كِبراً وتنزُّهاً، وأغنياؤهم للتجارةِ، ومساكِينُهم للمسألةِ، وقراؤهم رياءً وشُهرةً».

قالَ: ويكونُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «نعم والذي نفسِي بيدِه، فعند ذلك يا سلمانُ يفشو الكذِبُ، ويظهَرُ الكوكبُ له الذنبُ، وتشارِكُ المرأة زوجَها في التجارةِ، فعندَ ذلك يا سلمانُ يبعَثُ اللهُ ريحاً فيها حيَّاتٌ صفرٌ فتلتَقِطُ رؤساء العلماءِ لِـمَا أنهم رأوا المنكَر فلم يغيِّروه»، قالَ: ويكونُ ذلك؟ قالَ: «نعم، والذي بعثَ محمداً بالحقِّ»[1]، انتهى.

إذا علِمتَ هذا؛ فقد ذكَرَ بعضُ أهلِ العلمِ بالحديثِ فقالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قالَ اللهُ تعالى: إذا هتَكَ عبادي حُرمَتي، واستحلُّوا محارِمي، وخالَفُوا أوامري، سلَّطتُ عليهِم جيشاً من المشرقِ يُقالُ لهم: التركُ، هم فرساني أنتقِمُ بهم ممن عصاني، نزعْتُ الرحمةَ من قلوبِهم، لا يرحمونَ مَن يَبكي، ولا يجيبُونَ مَن شكى، يقتلُون الآباءَ والأُمَّهاتِ، والبنينَ والبناتِ، يملكُون بلادَ العجَمِ، ويأتونَ العراقَ فيفترِقُ جيشُ العراق ثلاثَ فرقٍ، فرقةٌ يلحقُونَ بأذنابِ البقَرِ، وفرقةٌ يترُكون عِيالهم وراءَ ظهورِهم، وفرقةٌ يقاتِلُون فيُقتَلُون، أولئك هم الشهداءُ، فإذا رأيتُم ذلك فاستعِدُّوا للقيامةِ»، فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إذا أدركَنا ذلك الزمانُ أين تأمرُنا نسكُنُ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عليكُم بالغوطةِ بالشامِ إلى بلدَةٍ يُقالُ لها: دمشقُ، خيرُ بلادِ الشامِ، طوبى لمن كانَ له فيها مَسكنٌ ولو مربطَ شاةٍ، فإنَّ اللهَ تعالى تكفَّلَ بالشامِ وأهلِه»[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٤٧٤). ولم أجده مسنداً.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١١٧ ـ ١١٨) ولم يذكر له سنداً ولا عزاه لمصدر، بل قال: (ورأيت بخط بعض أهل العلم بالحديث قال: قال رسول الله ﷺ...) فذكره.

وفي حديثِ عليٍّ الطويلِ: وإن دمشقَ فسطاطُ المسلمين يومئذٍ، وهيَ خيرُ مدينةٍ على وجهِ الأرضِ في ذلك اليومِ، ألا وإن فيها آثارَ النبيينَ وبقايا الصالحين، معصومةٌ من الفتنِ منصورةٌ على أعدائها، فمَن وجدَ السبيلَ إلى أن يتخِذَ بها موضعاً ولو مربطَ شاةٍ فليفعَل[1].

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «سيكونُ بعدي فتَنٌ يكونُ فيها هرَبٌ وحربٌ، ثم بعدَها فِتنٌ أشدُّ منها، كلَّما قيلَ: انقطعَت، عادَت، حتى لا يبقى بيتٌ من العربِ إلا دخلَتهُ، ولا مسلِمٌ إلا وصلتهُ، حتى يخرُجَ رجلٌ من عترتي».

أخرجَهُ الحافظُ أبو محمدٍ الحسينُ في كتاب «المصابيحِ» هكذا[2]، وأخرجَهُ نُعَيمٌ في «الفتن» بمعناهُ[3].

ولـه شاهدٌ في «صحيحِ البخاريِّ» من حديثِ عوفِ بن مالكٍ قالَ: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو في خيمةٍ من أدمٍ، فتوضَّأ وضوءاً مكِيناً فقال: «يا عوفَ بنَ مالكٍ، اعدُد ستّاً بين يدَي الساعةِ»، قلتُ: وما هي يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «موتي، وفتحُ بيتِ المقدِس، والثالثةُ: مُوْتانٌ فيكُم كقُعاصِ الغنمِ، والرابعةُ: إفاضةُ المالِ حتى يُعطَى الرجلُ مئةَ دينارٍ فيظلُّ يسخَطُها، وفتنةٌ لا يبقى بيتٌ من

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٤)، وهذه قطعة من خبر طويل أورده السلمي بتمامه، ولم يذكر له مصدراً، وهو خبر لا أصل له مليء بالطامات، وقد تقدمت قطعة منه أخرى قريباً.

(٢) لم أجده في «مصابيح السنة» لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٥) من طريق إسماعيلَ بنِ رافعٍ، عَمَّنْ حدثه، عن أبي سعيد، وإسماعيل بن رافع قال الذهبي في «الكاشف» (١/ ٢٤٥): ضعيف واه. والراوي عن أبي سعيد مبهم.

العـربِ إلا دخلَتـهُ، وهدنـةٌ تكـونُ بينكم وبيـنَ بني الأصفـرِ، ثم يغـدرونَ فيأتونَكم تحـتَ ثمانيـن غايـةً كلِّ غايةٍ اثنا عشـرَ ألفـاً»[١].

وعن محمدِ بن الصامتِ قال: قلتُ للحُسين بن عليٍّ: أمَا من علامةٍ بينَ يدَي هذا الأمرِ؟ ـ يعني: ظهورَ المهديِّ عليهِ السلامُ ـ، قال: بلى، قلتُ: وما هي؟ قال: هلاكُ بني العباسِ، وخروجُ السُّفياني، والخسفُ بالبيداءِ، قلتُ: جعِلتُ فداكَ أخافُ أن يطولَ هذا الأمرُ، فقالَ: إنما هو كنظامِ الخرزِ يتبَعُ بعضُه بعضاً[٢].

وعـن أبـي جعفَـرٍ محمـدِ[٣] بن علـيٍّ كـرَّمَ اللهُ وجهَـه قـالَ: لا يظهَـرُ المهديُّ حتـى يشـملَ النـاسَ بالشـامِ فتنةٌ يطلُبـون المخـرجَ منها فـلا يجِدُونَه، ويكـونَ قتلٌ بيـن الكوفةِ والحيـرةِ[٤].

وعن كعبِ الأحبارِ قالَ: علامةُ خروجِ المهديِّ ألويةٌ تقبِلُ من قبَلِ المغربِ

---

(١) رواه البخاري (٣١٧٦).

وجـاء فـي هامـش (ب): «قال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية فـي كتاب «الـرد علـى النصـارى» بعد هذا الحديـث: قلـت: فتح بيـت المقدس بعـد موته في خلافـة عمر، ثم بعـد ذلك وقع الطاعـون العظيم بالشـام فـي خلافـة عمـر مـات فيه معـاذ بن جبـل وأبو عبيـدة وخلـق كثير بحيـث أخذهـم كقعاص الغنـم، ثـم اسـتفاض المال فـي خلافـة عثمان حتـى كان أحدهـم يعطى مئـة دينار فيسـخطها، فكثر المـال حتـى كانـت الفرس تشـترى بوزنها، ثـم وقعت الفتنـة العامة التي لـم يبق بيت مـن العرب إلا دخلتـه لما قتـل عثمـان، انتهى.

قلت: والهدنة وقعت بين بني عثمان وبني الأصفر من أول تولية السلطان أحمد في حدود اثني عشر وألف وهي مستمرة إلى عامنا هذا عام ثمان وعشرين وألف فنعوذ بالله من غائلتهم. مؤلف».

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٣).

(٣) في النسختين: «بن محمد»، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢١).

عليها رجلٌ من كندةَ أعرَجُ، فإذا ظهَرَ أهلُ المغربِ على مصرَ فبطنُ الأرضِ يومئذٍ خيرٌ لأهلِ الشامِ. أخرجَهُ أبو عمرٍو عثمانُ المقري في «سنَنِه» ونُعَيمُ بنُ حمَّادٍ[١].

وعن الأوزاعيِّ قالَ: إذا دخلَ أصحابُ الراياتِ الصفرِ مصرَ - يعني المغاربةَ - فليحفِر أهلُ الشامِ أسراباً تحتَ الأرضِ. أخرجَهُ أبو عمرٍو المقرئ في «سننِه»[٢].

وعن محمد ابن الحنفيةِ قال: يدخلُ أوائلُ أهلِ المغربِ مسجِدَ دمشقَ، فبينما هم كذلكَ ينظرونَ في أعاجِيبهِ إذ رجفَتِ الأرضُ فانقعَرَ غربيُّ مسجدِها، ويخسَفُ بقريةٍ يُقالُ لها: حرستا، ثمَّ يخرُجُ عند ذلك السفياني فيقتُلُهم حتى يرحِّلَهم، ثم يرجِعُ فيقاتلُ أهلَ المشرقِ حتى يرُدَّهم إلى العراقِ. أخرجَهُ نُعَيمُ بن حمَّادٍ[٣].

وعن عليٍّ رضيَ الله عنهُ قالَ: رجفَةٌ تكونُ بالشامِ يهلِكُ فيها أكثرُ من مئةِ ألفٍ يجعُلها اللهُ رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان كذلكَ فانظُروا إلى أصحابِ البراذين الشهبِ والراياتِ الصفرِ تقبلُ من المغربِ حتى تحلَّ بالشامِ، وذلكَ عند الجوعِ الأكبرِ والموتِ الأحمرِ، فإذا كان ذلكَ فانظروا خسفَ قريةٍ من قرى دمشقَ يُقالُ لها: حرستا، فإذا كانَ ذلكَ خرجَ ابنُ آكلَةِ الأكبادِ من الوادي اليابسِ حتى يستوِيَ على منبرِ دمشقَ، فإذا كان ذلكَ فانظُروا خروجَ المهديِّ[٤].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢١). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٥٢)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤٧٥).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢١). ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤٧٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١٩٩٥) من طريق أبي أسماء الرَّحبيِّ عن تُبيعٍ.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢٣). ورواه نعيم في «الفتن» (٧٧٠).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٢٣). ولم يذكر له مصدراً ولا سنداً.

وعن حُذيفةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «ويح هذه الأمةِ من ملوكٍ جبابرةٍ، كيفَ يقتُلون [ويخيفون] المطيعينَ، إلا مَن أظهَرَ طاعتَهُم، فالمؤمنُ مَن اتَّقى فصانعَهم بلسانِهِ، وفرَّ عنهم بقلبِهِ، فإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يعيدَ الإسلامَ عزيزاً قصَمَ كلَّ جبارٍ عنيدٍ، وهو القادرُ على ما يشاءُ أن يُصلِحَ أمةً بعد فسادِها، يا حُذيفَةُ، لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يملِكَ رجلٌ من أهلِ بيتي تجرِي الملاحِمُ على يديهِ ويظهرُ الإسلامُ، ولا يخلِفُ اللهُ وعدَهُ وهو سريعُ الحسابِ»، أخرجَهُ الحافظُ أبو نُعَيمٍ الأصفهانيُّ[١].

وعن علقمَةَ قال: قال ابنُ مسعودٍ: قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: «أحذِّرُكم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي، فتنةٌ تقبِلُ من المدينةِ، وفتنةٌ بمكةَ، وفتنةٌ تقبِلُ من اليمنِ، وفتنةٌ تقبِلُ من الشامِ، وفتنةٌ من المشرقِ، وفتنةٌ تقبِلُ من المغربِ، وفتنةٌ من بطنِ الشامِ، وهي فتنةُ السُّفيانيِّ»، قالَ: فقالَ ابنُ مسعودٍ: منكُم مَن يدرِكُ أوَّلها، ومن هذهِ الأمةِ من يدرِكُ آخِرَها، قالَ الوليدُ بن عياشٍ: فكانَتْ فتنةُ المدينةِ من قبَلِ طلحةَ والزبيرِ، وفتنةُ مكَّةَ من قبَلِ عبدِ اللهِ بن الزبيرِ، وفتنةُ الشامِ من قبَلِ بني أُميَّةَ، وفتنةُ المشرقِ من قبَلِ هؤلاءِ. أخرجَهُ الحاكِمُ في «مستدرَكِه» وقالَ: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرِّجاه[٢].

إذا تقررَ هذا فقد ذكرَ العلماءُ أن اسمَ السفيانيِّ عروةُ بنُ محمدٍ أبو عتبةَ، وفي «عقدِ الدرِّ»: هو من ولدِ خالدِ بن يزيدَ بن أبي سفيانَ ملعونٌ في السماءِ والأرضِ، وهو أكثَرُ خلقِ الله ظُلماً.

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٣٢)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٦)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٢). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٤٧). ورواه أيضاً نعيم في «الفتن» (٨٧). وأشار الذهبي إلى تضعيفه، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٨٧٠).

وعن عليٍّ كرمَ اللهُ وجهَهُ قالَ: السفيانيُّ من ولدِ خالدِ بن يزيدَ بن أبي سُفيانَ، رجلٌ ضخمُ الهامةِ، بوجهِه أثرُ جدريٍّ، بعينِه نُكتةُ بياضٍ، يخرُجُ من ناحيةِ [دمشق في واد يقال له: الوادي اليابس، يَخرجُ في سبعةِ نَفَرٍ، مع رجلٍ منهم لواءٌ معقودٌ يَعرفون في لوائه النصرَ، يسير بين يديه على ثلاثين ميلاً، لا يَرى ذلك العَلَم أحدٌ يريده إلا انهزم. أخرجه الحافظُ أبو عبدِ الله نُعيمُ بن حمَّادٍ في كتاب «الفتن»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخرج رجل يقال له السفيانيُّ في عُمقِ] دمشقَ، وعامَّةُ مَن يتبَعُه من كلبٍ، فيَقتُلُ حتى يبقَرَ بطونَ النساءِ، ويَقتلَ الصِّبيانَ، ويخرُجُ إليه رجلٌ من أهلِ بيتي في الحرمِ، فيبلُغُ السفيانيَّ، فيبعَثُ إليه جنداً من جندِه فيهزِمُهم، فيسيرُ إليه السفيانيُّ بمن معَهُ، حتى إذا جازَ بيداءَ من الأرضِ خُسِفَ بهم فلا ينجو إلا المخبِرُ عنهُم. أخرجَهُ الحاكِمُ في «مستدرَكِه» وقالَ: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ على شرط البخاريِّ ومسلمٍ ولم يخرِّجاهُ[2].

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٣). ورواه نعيم في «الفتن» (١٩٧٦) فقال: (وقال ابنُ عَيَّاشٍ [هو إسماعيل بن عياش]: وأخبرني بعضُ أهل العلمِ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ قال: قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ...) وإسناده كما ترى.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٤) وما بين معكوفتين منه، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٧). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٨٦) من طريق الوليد بن مسلم: ثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وتصحيح الحاكم للحديث نُظر فيه بأن في إسناده عنعنة الوليد بن مسلم، فإنه كان يدلس تدليس التسوية، وهو أن يسقط شيخ شيخه؛ أي: شيخ الأوزاعي، وبأن يحيى بن أبي كثير مدلس أيضاً عن شيوخه معروف بذلك. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٥٢٠).

وذكرَ الإمامُ أبو الحسينِ محمدُ بنُ عبيدٍ الكسائيُّ[١] عن كعبِ الأحبارِ رضي الله عنه قالَ: لا بدَّ من نزولِ عيسى بن مريمَ إلى الأرضِ، ولا بدَّ أن يظهَرَ بين يديهِ علاماتٌ وفتنٌ، فأوَّلُ مَن يخرُجُ ويغلِبُ على البلادِ الأصهَبُ، يخرُجُ من بلادِ الجزيرةِ، ثم يخرُجُ من بعدِه الجرهَميُّ من الشامِ، ويخرُجُ القحطانيُّ من بلادِ اليمنِ.

قالَ كعبٌ: فبينَما هؤلاءِ الثلاثةُ قد تغلَّبوا على مواضعِهم بالظلمِ، وإذا قد خرجَ السفيانيُّ من دمشقَ، وقيلَ: إنهُ يخرُجُ من وادٍ بأرضِ الشامِ ومعَهُ أخوالُهُ من بني كلبٍ، وهو رَبعةٌ من الرجالِ، دقيقُ الوجهِ جهوريُّ الصوتِ، طويلُ الأنفِ، يحسَبُه من يراهُ أنه أعوَرُ، ويُظهِرُ الزهدَ، فإذا اشتدَّتْ شوكتُهُ محا اللهُ الإيمانَ من قلبِهِ، ويسفِكُ الدماءَ، ويعطِّلُ الجمعةَ والجماعةَ، ويكثرُ في زمانه الكفرُ والفسوقُ في كلِّ البلادِ، حتى يفجُرَ الفسَّاقُ، ويكثُر القتلُ في الدُّنيا، فعندَ ذلك يجتمِعُ أهلُ مكَّةَ إلى السفيانيِّ يخوِّفونَه عقوبةَ اللهِ عز وجل، فيأمرُ بقتلِهم، وقتلِ العلماءِ والزهَّادِ في جميع الآفاقِ، فعندَ ذلكَ يجتمِعُون إلى رجلٍ من قريشٍ لهُ اتِّصالٌ برسولِ اللهِ ﷺ لهلاكِ السفيانيِّ، ويتَّصِلُ بمكَّةَ ويكونونَ على عددِ أهل بدرٍ ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، ثم يجتمِعُ إليه المؤمنونَ، وينكَسِفُ القمرُ ثلاثَ ليالٍ متوالِياتٍ، ثم يظهَرُ المهديُّ فيبلُغُ خبَرُه إلى السفيانيِّ، فيجيِّشُ إليهِ ثلاثين ألفاً وينزِلُون بالبيداءِ، فإذا استقرُّوا خسَفَ اللهُ بهم، وتأخُذُهم الأرضُ إلى أعناقِهم، حتى لا يفلِتُ منهم إلا رجلانِ يمرانِ ليُخبرا

---

(١) كذا نقل المؤلف اسمه عن «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، وعند غيره اسمه: أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي. انظر: «الإعلان والتوبيخ» للسخاوي (ص١٦٠)، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٧/ ١٧٢)، وذكروا له كتاب: «قصص الأنبياء»، ووهم صاحب «كشف الظنون» (٢/ ١٣٢٨) فظنه للكسائي النحوي القارئ المشهور علي بن حمزة.

السفيانيَّ، فإذا وصلا إلى عسكَرِه أصابهُما كما أصابَهُم، ثم يخسَفُ بأحدِ الرجلَينِ والآخرُ يحوِّلُ اللهُ وجهَهُ إلى قفاه، فيغنَمُ المهديُّ أموالهم، فذلكَ قولُه تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١][(١)].

وذكرَ الإمامُ أبو إسحاقَ الثعلبيُّ في «تفسيرِه» عن رسولِ اللهِ ﷺ نحوَ هذا وزادَ: «ولا يفلِتُ منهم إلا رجلانِ أحدُهما بشيرٌ والآخرُ نذيرٌ، وهما من جُهَينةَ، فلذلكَ جاء المثلُ عندَ جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ»[(٢)].

وذكر[(٣)] نحوَ هذا الإمامُ أبو جعفرٍ الطبريُّ في «تفسيرِه» عن حُذَيفةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ[(٤)].

وذكرَ الإمامُ أبو بكرٍ محمَّدُ بن الحسينِ النقَّاشُ المقرِئ في «تفسِيره» قالَ: نزلَت ـ يعني: هذه الآيةُ، وهيَ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ﴾ ـ في السفيانيِّ، وذكَرَ أنه يخرُجُ من الوادي اليابِسِ في أخوالِه بني كلبٍ، يخطبُون على منابرِ الشامِ، فإذا بلغُوا عينَ التمرِ محا اللهُ تعالى الإيمانَ من قلوبِهم، فيجوزونَ حتى ينتَهوا إلى جبلِ الذهبِ، فيقاتلون قتالاً شديداً فيَقتُلُ السفيانيُّ سبعينَ ألفَ رجلٍ عليهم السيوفُ

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٥). وهذه قطعة من حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٠)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٩٥)، عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً. وهو حديث موضوع كما ذكر ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ فقال: وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم، ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية ثم لم ينبه على ذلك، وهذا أمر عجيب غريب منه. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٥٥٢).

(٣) في (أ): «تنبيه» بدل: «وذكر».

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٦). وتقدم الكلام عليه قبل التعليق السابق.

المحلاةُ والمناطِقُ المفضَّضةُ، ثم يدخُلُ الكوفةَ فيصيرُ أهلُها ثلاثَ فرقٍ؛ فرقةٌ تلحَقُ بهم وهم شرارُ خلقِ اللهِ، وفرقةٌ يقاتلونَ وهم عندَ اللهِ شهداءُ، وفرقةٌ تلحَقُ بالأعرابِ وهم العصاةُ، ثم يغلِبُ على الكوفةِ فيفتضُّ أصحابُهُ ثلاثينَ ألفَ عذراءٍ، فإذا أصبحوا كشفوا شعورَهنَّ وأقامُوهنَّ في السوقِ يبيعُونهنَّ، فعند ذلكَ كم من لاطمَةٍ خدَّها كاشفَةٍ شعرَها بدجلةَ أو على شاطئِ الفُراتِ، فيبلُغُ الخبرُ أهلَ البصرةِ فيركبُونَ إليهم في البرِّ والبحرِ، فيستنقِذُون أولئك النساءَ من أيدِيهم، فيصيرُ أصحابُ السفيانيِّ ثلاثَ فرقٍ فرقَةٌ تسيرُ نحو الريِّ، وفرقَةٌ تبقَى في الكوفةِ، وفرقةٌ تأتي إلى المدينَةِ، وعليهم رجلٌ من بني زُهرةَ، فيحاصِرونَ أهلَ المدينةِ، فيقتُلُ في المدينةِ مقتلةً عظيمةً. انظُر تتمَّةَ كلامِه[1].

وفي حديثِ حُذيفةَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا خرجَتِ السودانُ طلبَتِ العربَ حتى يلحَقوا ببطنِ الأرضِ ـ أو قالَ: ببطنِ الأردن ـ فبينما هم كذلكَ إذ خرَجَ السفيانيُّ في ستين وثلاث مئةِ ألفِ راكبٍ حتى يأتيَ دمشقَ، فلا يأتي شهرٌ حتى يبايِعَهُ من كلبٍ ثلاثون ألفاً، فيبعَثُ جيشاً إلى العراقِ، فيقتُلُ بالزوراءِ مئةَ ألفٍ، وينجرُّون إلى الكوفةَ فينهبُونها، فعندَ ذلكَ يخرُجُ رايةٌ من المشرقِ يقودُها رجلٌ من تميمٍ يقالُ لهُ: شُعَيبُ بن صالحٍ، فيستنقذُ ما في أيديهم مِن سبيِ أهلِ الكوفَةِ ويقتُلُهم، ويخرُجُ جيشٌ آخرُ من جيوشِ السُّفيانيِّ إلى المدينةِ فينهَبُونها ثلاثةَ أيامٍ، ثم يسيرُونَ إلى مكَّةَ حتى إذا كانوا بالبيداء بعثَ اللهُ جبريلَ فيقولُ: يا جبريلُ عذِّبهم، فيضرِبُهم برجلِه ضربةً يخسِفُ اللهُ بهم، فلا يبقَى منهم إلا رجلانِ، فيقدمان على السفيانيِّ فيُخبرانِه بخسفِ الجيشِ فلا يهولُهُ، ثم إن رجالاً من قريشٍ يهرُبونَ إلى قسطنطينيَّةَ، فيبعَثُ

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٤٧). وانظر الكلام فيه بتمامه، وهو كلام مجموع من أخبار عديدة، لكن لم يثبت منها شيء.

السفيانيُّ إلى عظيمِ الرومِ أن يبعَثَ بهم في المجامعِ فيبعَثُ بهم إليه فيضرِبُ أعناقَهم على بابِ المدينَةِ بدمشقَ».

قالَ حُذَيفةُ: حتى إنه يُطافُ بالمرأةِ في مسجِدِ دمشقَ في العرَبِ على مجلسٍ مجلسٍ حتى تأتيَ فخِذَ السفيانيِّ فتجلِسَ عليهِ وهو في المحرابِ قاعدٌ، فيقومُ رجلٌ مسلمٌ من المسلمينَ فيقولُ: ويحَكُم أكفَرتم بعدَ إيمانكُم؟! إنَّ هذا لا يحِلُّ، فيقومُ فيضرِبُ عنقَهُ في مسجدِ دمشقَ، ويقتُلُ كلَّ من يتابِعُه على ذلكَ..، الحديثَ، أخرجَهُ الإمامُ أبو عمرٍو في «سننِه»[1].

وأخرَجَ نُعَيمُ بن حمَّادٍ عن أبي جعفرٍ قالَ: يخرُجُ شابٌّ من بني هاشمٍ بكفِّهِ اليُمنى خالٌ من خُراسانَ براياتٍ سودٍ بين يديهِ شُعَيبُ بن صالحٍ يُقاتِلُ أصحابَ السُّفيانيِّ فيهزِمُهم[2].

وأخرَجَ أيضاً عن كعبٍ قالَ: إذا ملَكَ رجلٌ الشامَ وآخرُ مصرَ، فاقتتَلَ الشاميُّ والمصريُّ وسبى أهلُ الشامِ قبائلَ مِن مصرَ، وأقبلَ رجلٌ من المشرقِ براياتٍ سودٍ صغارٍ فقتَلَ صاحبَ الشامِ، فهوَ الذي يؤدِّي الطاعةَ إلى المهدي[3].

وأخرَجَ أيضاً عن الحسنِ قالَ: يخرُجُ بالريِّ رجلٌ ربعَةٌ أسمَرُ من بني مخزومٍ،

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٥١ ـ ١٥٢)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٨ ـ ٩٩). وهذه قطعة من حديث طويل رواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٩٦) بإسناد ضعيف، وقد تقدم بعضه في موضعين سابقين.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٩٥)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٢). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٠١).

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٢). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٠٣).

يقالُ لهُ: شعيبُ بنُ صالحٍ، في أربعَةِ آلافٍ ثيابهم بيضٌ وراياتهم سودٌ، يكونُ على مقدِّمةِ المهديِّ لا يلقاه أحدٌ إلا قتلَهُ[١].

وفي أثرِ عمارٍ: أنَّ السفيانيَّ يبلُغُ الكوفةَ ويقتُلُ أعوانَ آلِ محمدٍ، فيخرُجُ المهديُّ وعلى لوائهِ شعيبُ بن صالحٍ[٢].

وأخرجَ نُعَيمٌ عن كعبِ بنِ علقمَةَ [عن سفيان الكلبي] قالَ: يخرُجُ على لواءِ المهديِّ غلامٌ حدَثُ السنِّ خفيفُ اللحيةِ، لو قاتلَ الجبالَ لهدَّها حتى ينزِلَ إيلياءَ[٣].

وأخرَجَ أيضاً عن محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ قالَ: تخرُجُ راياتٌ سودٌ لبني العباسِ، ثم يخرُجُ من خراسانَ آخَرُ قلانِسُهم سودٌ وثيابُهم بيضٌ، على مقدِّمَتهم رجلٌ يقالُ لهُ: شُعَيبُ بن صالحٍ، من تميمٍ، يهزِمونَ أصحابَ السُّفيانيِّ حتى ينزِلَ بيتَ المقدسِ، يوطِّئُ للمهديِّ سُلطانَهُ، ويمدُّ إليهِ ثلاثَ مئةٍ من الشامِ، يكونُ بينَ خروجِهِ وبينَ أن يسلِّمَ الأمرُ للمهديِّ اثنانِ وسبعون شهراً[٤].

وأخرَجَ أيضاً عن ضمرةَ بن حبيبٍ ومشايخَ قالوا: يبعَثُ السُّفيانيُّ خيلَهُ وجُنودَه فيبلُغُ عامَّةَ المشرِقِ من أرضِ خُراسانَ وأرضِ فارس، فيثورُ بهم أهلُ المشرقِ

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٩٨)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨١). ورواه نعيم في «الفتن» (٨٩٧). ولفظ نعيم والسيوطي في نهايته: (إلا فلَّه).

(٢) رواه نعيم في «الفتن» (٨٨٢).

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٢). ورواه نعيم في «الفتن» (٩٠٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨١). ورواه نعيم في «الفتن» (٨٩٤).

فيقاتِلُونهم، وتكونُ بينهُم وقعاتٌ في غيرِ موضعٍ، فإذا طالَ عليهم أذاهُ بايعوا رجلاً من بني [هاشمٍ، وهُم يَومَئذٍ في آخِرِ المَشْرِق، فيَخرُجُ بأهلِ خُرَاسانَ، على مُقدِّمَتِه رجلٌ من بني] تميمٍ مولًى لهم[١] يُقالُ لهُ: شُعيبُ بن صالحٍ، أصفَرُ قليلُ اللحيةِ، يخرُجُ له في خمسةِ آلافٍ، فإذا بلغَهُ خروجُهُ بايعَهُ فيصيِّرُه على مقدِّمةٍ لواءٍ لو استقبَلَ بهم الجبالَ الرواسي لهدَمها، فيلتقِي هو وخيلُ السفيانيِّ فيهزِمُهم فيقتُلُ منهم مقتلَةً عظيمةً، ثم تكونُ المغالبَةُ للسفيانيِّ ويهربُ الهاشميُّ، ويخرُجُ شعيبُ بن صالحٍ مختفِياً إلى بيتِ المقدسِ يوطِّئُ للمهديِّ منزلَهُ إذا بلغَهُ خروجُهُ للشامِ[٢].

وأخرَجَ أيضاً عن أبي جعفرٍ قالَ: يبعَثُ السُّفيانيُّ جنودَهُ في الآفاقِ بعد دخولِ الكوفةِ وبغدادَ، فيتبَعُه فزعةٌ من وراءِ النهرِ من أرضِ خراسانَ عليهم رجلٌ من بني أُميةَ، فتكونُ لهم وقعةٌ بطُوسٍ[٣]، ووقعةٌ بدولابِ الرِّيِّ[٤]، ووقعةٌ بتخُومِ زَرَنْجَ[٥]، فعندَ ذلكَ تُقبِلُ الراياتُ السودُ من خُراسانَ على جميعِ الناسِ شابٌّ من بني هاشمٍ

---

(١) في النسختين: «وولي لهم رجل»، والمثبت من المصادر.

(٢) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٩٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٤). ورواه نعيم في «الفتن» (٩١٥). وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٣) قوله: «بطوس» كذا في النسختين و«العرف الوردي»، وفي «الفتن» «بقومس» وقومس بضم القاف وسكون الواو وكسر الميم، وسين مهملة، وهو تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتُها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤١٤).

(٤) (دولاب): من قرى الري، ينسب إليها قاسم الرازي من قدماء مشايخ الري. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٨٥).

(٥) (زرنج) بفتح أوّله وثانيه، ونون ساكنة، وجيم: مدينة هي قصبة سجستان، وسجستان اسم الكورة كلّها. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٣٨).

بكفِّهِ اليُمنى خالٌ، سهَّلَ اللهُ أمرَهُ وطريقَهُ، ثم تكونُ له وقعَةٌ بتخومِ خُراسانَ، ويسيرُ الهاشميُّ في طريقِ الريِّ فيسرحُ رجلٌ من بني تميمٍ من الموالي يُقالُ لهُ: شُعيبٌ، فيلتَقِي هو والمهديُّ والهاشميُّ ببيضاءِ إصطَخْرَ، فيكونُ هُناك ملحمَةٌ عظيمةٌ حتى تطأ الخيلُ الدماءَ إلى أرسافِها، ثم تأتي جنودٌ عظيمةٌ من سجِستانَ عليهِم رجلٌ من بني عديٍّ، فيُظهِرُ اللهُ تعالى أنصارَهُ وجنودَهُ، ثم تكونُ وقعَةٌ بالمدائنِ بعد وقعَةِ الريِّ، وفي عاقرقَوْفا[1] وقعةٌ يخبِرُ عنها كلُّ ناجٍ، ثم يكونُ بعدَها ذبحٌ عظيمٌ ببابِلَ، ووقعَةٌ في أرضٍ من أرضِ نصيبينَ[2].

قلتُ: والأخبارُ والآثارُ في هذا البابِ مما يطولُ ذِكرُها، وهذا أحسَنُ ما يوجَدُ في هذا البابِ، فلا حاجَةَ للتطويلِ، ويَجمَعُ غالبَ هذِه الآثارِ وغيرِها ما ورَدَ عن أميرِ المؤمنينِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ أنهُ قالَ: تختلِفُ ثلاثُ راياتٍ: رايةٌ بالمغربِ، ويلٌ لمصرَ مما يحلُّ بها، ورايةٌ بالجزيرةِ، ورايةٌ بالشامِ، تدومُ الفتنةُ بينهُنَّ سنةً، ثم يخرُجُ رجلٌ من ولدِ العبَّاسِ بالشامِ حتى يكونَ منهم مسيرةَ ليلتَينِ، فيقولُ أهل المغربِ: قد جاءَكم قومٌ حفاةٌ أصحابُ أهواءٍ مختلِفَةٍ، فيضطرِبُ الشامُ وفلسطينُ، فيجتَمِعُ رؤساءُ الشامِ وفلسطين، فيقولونَ: اطلبوا الملِكَ الأولَ، فيوافونَهُ بغوطةِ دمشقَ بموضعٍ يُقالُ لهُ: حرستا، فإذا أحسَّ بهم هرَبَ إلى أخوالِه كلبٍ، وذلكَ دهاءٌ منهُ،

---

(١) (عاقِرْقَوْفا): مركَّب من عاقر وقوفا، فأما الأول فهو الرملة العظيمة المتراكمة، وقيل: الرملة التي لا تنبت شيئاً، والقَوف: الاتِّباع، يقال: قاف أثره قوفاً، قال ياقوت: وأنا أحسب أن هذا الموضع هو عقرقوف الذي من قرى السيلحين ببغداد، وهو تلّ عظيم يرى من مسافة يوم، والله أعلم، وقد جاء ذكره في الأخبار. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٦٨).

(٢) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٣). ورواه نعيم في «الفتن» (٩١٣).

ويكونُ بالوادِي اليابسِ عدَّةٌ عديدَةٌ، فيقولون لهُ: ما يَحلُّ لكَ أن تضيِّعَ الإسلامَ، أما ترَى ما الناسُ فيهِ من الهوانِ؟ فاتَّقِ اللهَ وانصُر دينَكَ، فيقولُ: لستُ بصاحبِكُم، فيقولُون: ألستَ من قريشٍ ومن أهلِ الملكِ القديمِ، أما تغضَبُ لأهلِ بيتِكَ وما نزَلَ بهم؟ فيخرُجُ راغباً في الأموالِ والعيشِ الرغِدِ، فيخرُجُ في يومِ الجمعةِ، فيصعَدُ منبرَ دمشقَ فيخطُبُ، ويأمرُهم بالجهادِ ويُبايعُهم على أنهم لا يخالفُونَ لهُ أمراً رضُوه أم كرهُوه، ثم يخرُجُ إلى الغوطةِ فما يبرَحُ حتى يجتَمِعَ الناسُ إليهِ، ويتلاحَق بهم أهلُ الصفائنِ، فيكونُ في خمسين ألفاً، ثم يبعَثُ إلى كلبٍ فيأتيهِ منهم مثلُ السيلِ، ويكونُ في ذلكَ الوقتِ رجالُ اليزيدِ[1] فيقاتلُونَ رجالَ الملِكِ من ولدِ العبَّاسِ، فيُفاجئهم [السفيانيُّ] في عصائبِ أهلِ الشامِ، فتختلِفُ الثلاثُ راياتٍ: رجالُ ولدِ العباسِ ـ وهم التُّركُ والعجَمُ ـ وراياتهم سوداءُ، ورايةُ اليزيدِ[2] صفراءُ، ورايةُ السُّفيانيِّ حمراءُ، فيقتَتِلون ببطنِ الأردنِّ، فيقتَلُ فيما بينَهم ستونَ ألفاً، فيغلِبُ السفيانيُّ، وإنهُ ليعدِلُ فيهم حتى يقولَ القائلُ: واللهِ ما كانَ يقالُ فيهِ إلا الكذِبُ، فلا يزالُ يعدِلُ حتى يسيرَ ويعبُرَ الفراتَ، فينزِعُ اللهُ من قلبِه الرحمةَ، ثم يسيرُ إلى قرقيسيا فيكونُ لهُ بها وقعَةٌ عظيمَةٌ، ولا يبقَى بلدٌ إلا بلغَها خبرُهُ، فيداخِلُهم من ذلكَ الجزعُ، ثم يرحَلُ إلى دمشقَ وقد دانَ له الخَلقُ، فيجيِّشُ جيشَينِ: جيشاً إلى المدينةِ، وجيشاً إلى المشرقِ.

فجيشُ المشرقِ يَقتُلونَ بالزوراءِ سبعين ألفاً، ويَبقرُونَ بطنَ ثلاث مئةِ امرأةٍ، ويخرُجُ الجيشُ إلى الكوفةِ فيقتُلُ بها خلقاً كثيراً.

وجيشُ المدينةِ إذا توسَّطوا البيداءَ صاحَ بهم جبريلُ، فلا يبقَى منهم أحدٌ إلا خسَفَ اللهُ بهِ.

---

(١) قوله: «رجال اليزيد» كذا في النسختين. والذي في «عقد الدرر»: «رجال البربر».

(٢) قوله: «وراية اليزيد» كذا في النسختين. والذي في «عقد الدرر»: «وراية البربر».

ويخرُجُ قومٌ من آلِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى بلادِ الرومِ، فيبعَثُ السُّفيانيُّ إلى ملكِ الرومِ: رُدَّ إليَّ عبيدي، فيردُّهم إليهِ، فيضرِبُ أعناقَهم بدمشقَ، فلا ينكَرُ ذلكَ عليهِ.

ثم يسيرُ في سبعينَ ألفاً نحوَ العراقِ والكوفةِ والبصرةِ، ويدورُ الأمصارَ والأقطارَ، ويحلُّ عُرى الإسلامِ، ويقتُلُ العلماءَ، ويحرِقُ المصاحِفَ، ويخربُ المساجِدَ، ويستبيحُ الحرامَ، ويأمرُ بضربِ الملاهي، ويُحلُّ لهم الفواحِشَ، ويحرِّمُ عليهم كلَّ ما افترضَهُ اللهُ، ولا يرتدِعُ عن الظلمِ والفجورِ، ويقتُلُ مَن كانَ اسمُهُ محمداً وأحمدَ وعليًّا وجعفراً وحمزةَ وحسَناً وحسيناً وفاطمَةَ وزينَبَ وأمَّ كلثومٍ وخديجةَ وعاتكةَ؛ بغضاً لآلِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ.

ثـم يبعَـثُ فيجمَـعُ الأطفـالَ، ويغلـي الزيـتَ لهـم فيقولـونَ: إن كانَ آباؤنـا عصَـوكَ فمـا ذنبُنـا؟ فيأخُـذُ منهم ابنَين اسـمُهما حسـنٌ وحسـينٌ، فتغلـي دماؤهما [كمـا] غلـى[1] دمُ يحيـى بنِ زكريـا عليهما السـلامُ، فـإذا رأى ذلكَ أيقَـنَ بالهلاكِ، فيخـرُجُ هاربـاً إلـى الشـامِ، فـإذا دخَـلَ دمشـقَ اعتكَـفَ علـى شـربِ الخمـرِ والمعاصـي، ويأمُـرُ أصحابَـهُ بذلـكَ.

ويخرُجُ السفيانيُّ وبيدِه حربةٌ، فيأخُذُ امرأةً حاملاً فيأمُرُ بعضَ أصحابِه أن يَفجرَ بها في وسطِ الطريقِ ويَبْقَرَ بطنَها، فيسقطُ الجنينَ فلا يقدِرُ أحدٌ أن يغيرَ ذلكَ، فتضطرِبُ الملائكةُ في السماءِ، فيأمرُ اللهُ تعالى جبريلَ فيصيحُ على سورِ دمشقَ: ألا قد جاءَكُم الغوثُ يا أمةَ محمدٍ! قد جاءكمُ الفرَجُ، وهو المهديُّ عليهِ السلامُ خارجٌ من مكةَ، فأجيبوهُ.

ثم قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: فيجمَعُ الله تعالى لهُ أصحابَهُ على عددِ أهل بدرٍ

---

(١) في النسختين: «على» والمثبت من «عقد الدرر».

وأصحابِ طالوتَ: ثلاث مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، كأنهم ليوثٌ خرجُوا من غابةٍ، قلوبهم مثلُ زبرِ الحديدِ، لو همُّوا بإزالةِ الجبالِ لأزالُوها.

ثم قالَ: إني لأعرِفُهم وأعرِفُ أسماءَهم، يجمعُهم اللهُ من مطلَعِ الشمسِ إلى مغرِبها في أقلَّ من نصفِ ليلَةٍ، فيأتون مكَّةَ فيشرِفُ عليهم أهلُها فيقولونَ: جاءَنا أصحابُ السفيانيِّ، فإذا رأوهم رأوهم طائعينَ مُصلِّينَ، فينكِرُونهم، فعندَ ذلك يقيِّضُ اللهُ لهم مَن يعرِّفُهم بالمهديِّ وهو مختَفٍ، فيقولونَ: أنتَ المهديُّ، فيتغيَّبُ عنهم ويلحَقُ بالمدينةِ، فيُدَلُّونَ عليهِ فيأتونَهُ، فيرجِعُ إلى مكةَ مختَفِياً فيأتونَهُ، ولا يزالونَ بهِ إلى أن يجيبَهم للمبايعَةِ بعدَ أن يشرُطَ عليهم شروطاً، ويلتزِمَ لهم بشروطٍ قد ذكرناها سابقاً، ثم يبايِعُهم ويصافِحُهم رجلاً رجلاً.

ويفتَحُ اللهُ له خراسانَ والحجازَ واليمنَ[1]، وتقبِلُ معهُ الجيوشُ، وتقَعُ الضجةُ بالشامِ: ألا إنَّ أعرابَ الحجازِ قد خرجُوا إليكُم، فيجتَمِعون إلى السفيانيِّ، فيقولُ لهم: ما تقولونَ في هؤلاءِ القومِ؟ فيقولونَ: هم أصحابُ إبلٍ، ونحنُ أصحابُ العُدَّةِ والسلاحِ، اخرُج بنا إليهم، فيرَونَهُ قد جبُنَ وهو عالمٌ بما يُرادُ منهُ، فلا يزالونَ بهِ حتى يخرِجُوه، فيخرُجُ بخيلِهِ وجيشِهِ في مئتي ألفٍ وستين ألفاً، حتى ينزلون بحيرةَ طبريَّةَ.

فيسيرُ المهديُّ بمن معَهُ لا يُحدِثُ في بلدٍ حادثةً إلا الأمنَ والإيمانَ والبُشرى، وعن يمينِه جبريلُ وعن شِمالِهِ ميكائيلُ، والناسُ يلحقُونَهُ من الآفاقِ، حتى يلحقُوا السفيانيَّ على بحيرةِ[2] طبريَّةَ.

---

(١) «واليمن» ليس في (أ). وفي المصدر: (وتطيعه أهل اليمن).

(٢) في (أ): «ببحيرة».

ويغضَبُ اللهُ على السفيانيِّ وجيشِهِ، ويغضبُ سائرُ خلقِهِ عليهم حتى الطيرُ في السماءِ فترمِيهم بأجنِحَتها، وإن الجبالَ لترمِيهم.

فتكونُ وقعَةٌ عظيمةٌ يُهلِكُ اللهُ فيها جيشَ السفيانيِّ، ويمضي هارِباً فيأخذُهُ رجلٌ من جماعةِ المهديِّ فيأتي بهِ إليهِ وهو يصلِّي العشاءَ فيخفِّفُها، وقد جُعِلَت عمامةُ السفيانيِّ في عنُقِه وسُحِبَ، فيوقِفُه بين يدَي المهديِّ، فيَسألُهُ أن يمُنَّ عليهِ، فيقولُ لأصحابِه: خلُّوهُ، فيقولونَ: كيفَ تمنُّ عليهِ وقد قتلَ أصحابَ[1] رسولِ اللهِ؟ فيقولُ: شأنكُم وإيَّاهُ، فيُذبَحُ عندَ السدرَةِ ويُؤتى برأسهِ للمهديِّ، فيأمُرُ بدفنِهِ، ثمَّ يسيرُ في عساكرِهِ فينزِلُ دمشقَ، وقد كانَ أصحابُ الأندلُسِ أحرقُوا مسجِدَها، فيأمرُ بعمارَتِه، ثم إن المهديَّ يبعَثُ بجيشٍ إلى أحياءِ[2] كلبٍ والخائبُ من خابَ من سبي كلبٍ[3].

وفي تخريجِ نُعَيمٍ عن أرطاةَ: فتصفُّ كلبٌ خيلَها ورَجِلَها وإبِلَها وغنَمها، فإذا تشامَّتِ الخيلانِ ولَّتْ كلبٌ أدبارَها، وأُخِذَ الصخريُّ ـ يعني: السُّفيانيَّ ـ فيُذبَحُ على الصفاةِ المعترضَةِ على وجهِ الأرضِ عندَ الكنيسةِ التي في بطنِ الوادي على طرفِ دَرَجِ طُورِ زيتا المقنطرَةِ التي على يمينِ الوادِي، يُذبَحُ كما تُذبَحُ الشاةُ، فالخائبُ من خابَ يومَ كلبٍ، حتى تباعَ العذراءُ بثمانيةِ دراهِمَ[4].

---

(١) قوله: «أصحاب» كذا في النسختين. والذي في «عقد الدرر»: «أولاد» وهو الصواب، فأين الأصحاب في ذاك الزمان؟!

(٢) في (أ): «أصحاب».

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٦٢)، ولم يذكر له مصدراً، وهو خبر لا أصل له مليء بالطامات. وقد تقدم بعضه.

(٤) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٨٩). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٢٠).

وعَن أبي هريرَةَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «المحرومُ من حُرِمَ غنيمَةَ كلبٍ ولو عِقالاً، والذي نفسِي بيَدِه لتباعَنَّ نساؤهم على درجِ دمشقَ حتى تُردَّ المرأةُ من كسرٍ يوجَدُ بساقِها» أخرجَهُ الحاكمُ في «مستدركَهِ» وقالَ: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرِّجاهُ[1].

وأخـرَجَ أبـو نُعَيـمٍ عـن كعبٍ قالَ: قـادةُ[2] المهـديِّ خيـرُ الناسِ، أهـلُ نُصرتِهِ وبيعَتِـهِ مـن أهلِ كوفـانَ واليمـنِ وأبدالِ الشـامِ، مقدِّمتُهُ جبريـلُ، وسـاقتُهُ ميكائيلُ، محبـوبٌ فـي الخلائقِ، يطفـي اللهُ به الفتنةَ العميـاءَ، وتأمنُ الأرضُ، حتـى إن المرأةَ لتحُـجُّ في خمسِ نسـوةٍ مـا معهُنَّ رجلٌ لا تتَّقِي شـيئاً إلا اللهَ، تعطـي الأرضُ زكاتها والسـماءُ بركتَها[3].

وبالجملةِ فالآثارُ في مثلِ هذا كثيرةٌ، وقد مرَّ بعضُها فراجِعهُ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص١٥٣). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٢٩) وصححه، وفي تصحيحه نظر؛ ففي إسناده كثير بن زيد، وقد اختلفت فيه أقوال المجرحين والمعدلين، وخلاصة القول فيه أنه حسن الحديث في المتابعات والشواهد، ضعيف في التفرد، خاصة إذا أتى بما يُنكر. ورواه من طريق آخر الإمام أحمد في «المسند» (٨٦٦٩)، ونعيم في «الفتن» (١٠١٤)، بالاقتصار على لفظ: «المحرومُ من حُرِمَ غنيمَةَ كلبٍ». وإسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة، وجهالة أبي الحَلْبس الراوي عن أبي هريرة.

(٢) في النسختين: «قال قتادة»، ومثله في «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ»، والمثبت من «الفتن»، وهو الصواب.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٢٢٤)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٢). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٣٠).

البابُ السادسُ

في اجتماعِهِ بعيسى عليهِ السلامُ

ذكرَ الإمامُ القرطبيُّ في «تذكرتِهِ»: أن المهدِيَّ ومَن معهُ مِن المسلمينَ يأتونَ أنطاكيةَ ـ وهي مدينةٌ عظيمةٌ على البحرِ ـ فيكبِّرُون عليها ثلاثَ تكبيراتٍ فيقَعُ سورُها، فيقتُلونَ الرجالَ، ويسبُونَ النساءَ والأطفالَ، ثم يسيرُ إلى روميَّةَ والقسطنطينيَّةَ وكنيسَةِ الذهبِ، فيفتحونَ القسطنطينيَّةَ وروميَّة ويقتلُونَ بها أربعَ مئة ألفِ مقاتلٍ، ويفتَضُّونَ بها سبعينَ ألفَ بكرٍ، ويفتحونَ المدائنَ والحصونَ، ويأخُذُ ما في كنيسةِ الذهبِ من الأموالِ، ويفتَحُ سبعينَ مدينةً من مدائن الرومِ[1].

وذكرَ أنهم يفتَحونَ قسطنطينيَّةَ، فبينَما هم يقتسِمُونَ الغنائمَ وقد علَّقوا سيوفَهم بالزيتونِ إذ صاحَ فيهم الشيطانُ: إنَّ المسيحَ قد خلَفكُم في أهلِكُم، فيخرجُونَ، وذلكَ باطلٌ، فإذا جاؤوا الشامَ خرجَ، فبينَما هم يُعِدُّونَ للقتالِ يسوُّونَ الصفوفَ إذ أقيمَتِ الصلاةُ فينزِلُ عيسى بنُ مريمَ، انتَهى. وقد ذكَرَ مسلمٌ في «صحيحِهِ» هذا[2].

أخرَجَ ابنُ ماجَه والرُّويانيُّ وابنُ خُزيمَةَ وأبو عَوانةَ والحاكِمُ وأبو نُعَيمٍ ـ واللفظُ لهُ ـ عن أبي أُمامَةَ قالَ: خطبَنا رسولُ اللهِ ﷺ وذكَرَ الدجَّالَ، وفيهِ: قالتْ أُمُّ شريكٍ: فأينَ العرَبُ يا رسولَ اللهِ يومئذٍ؟ قالَ: «هم يومئذٍ قليلٌ، وجلُّهم ببيتِ المقدِسِ، وإمامُهم المهديُّ رجلٌ صالحٌ، فبينَما إمامُهم قد تقدَّمَ يصلِّي بهم الصبحَ، إذ نزَلَ

---

(١) انظر: «التذكرة» (ص١٢٠٩) وعزاه لحديث حذيفة، لكن لم أجده مسنداً، ولا أراه يصح، وليس من الصواب أن ينسب لجيش من الفاتحين سبي النساء والأطفال وافتضاض عشرات الآلاف من الأبكار!

(٢) انظر: «التذكرة» (ص١٢٠٩) ورواه مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليهم عيسى بنُ مريمَ، فرجَعَ ذلكَ الإمامُ يمشِي القهقَرى، فيضَعُ عيسى يديهِ بينَ كتِفَيهِ، ثم يقولُ لهُ: تقدَّم فصلِّ فإنها لكَ أُقِيمَتْ، فيُصلِّي بهم إمامُهم»[١].

وروَى أحمدُ في «مسنَدِه» والحاكمُ في «المستدرَكِ» ـ وصححَّهُ ـ عن عثمانَ ابن أبي العاصِ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: فذكَرَ الحديثَ وفيهِ: «فينزِلُ عيسى عندَ صلاةِ الفجرِ، فيقولُ لهُ أميرُ الناسِ: تقدَّم يا روحَ اللهِ فصلِّ بنا، فيقولُ: إنَّكُم معشَرَ هذه الأمةِ أمراءُ بعضُكم على بعضٍ، تقدَّم أنتَ فصَلِّ بنا، فيتقَدَّمُ فيصلي بهم، فإذا انصرَفَ أخذ عيسَى حربَتَهُ نحو الدجَّال»[٢].

وفي «الصحيحَينِ» عن أبي هُريرَةَ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كيفَ أنتُم إذا نزَلَ فيكُم ابن مريمَ وإمامُكم منكُم»[٣].

وأخرجَ أبو عمرٍو الداني في «سننِهِ» عن حذيفةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يلتفِتُ المهديُّ وقد نزَلَ عيسى بن مريمَ كأنما يقطُرُ من شعرِهِ الماءُ، فيقولُ المهديُّ: تقدَّم فصلِّ بالناسِ، فيقولُ عيسى: إنما أُقيمَتِ الصلاةُ لكَ، فيصلِّي خلفَ رجلٍ من ولدِي» الحديثَ[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) واللفظ له، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٧٣).

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥/ ٢٤٤).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٧٣)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٧). ورواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٥٩٦). وفي إسناده عبد الصمد بن محمد الهمداني، قال عنه الدارقطني كما في «لسان الميزان» (٤/ ٢٢): ليس بالقوي. وفيه من لم أجد أحداً ترجمهم. وقد تقدمت قطع منه في مواضع من الكتاب.

قالَ الحافظُ السيوطيُّ: إن صلاة عيسَى خلفَ المهديِّ ثابتةٌ في عدَّةِ أحاديثَ، وأنكَرَ بعضُهم ذلكَ، وقالَ: إنَّ النبيَّ أجلُّ مقاماً من أن يُصلِّي خلفَ غيرِ نبيٍّ.

وجوابُهُ: أن نبيَّنا ﷺ أجلُّهم مقاماً، وقد صلَّى خلفَ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ مرةً، وخلفَ أبي بكرٍ أُخرى، وقالَ: إنهُ لم يمُت نبيٌّ حتى يصلِّيَ خلفَ رجلٍ من أُمتِهِ، ثبَتَ ذلكَ في أحاديثَ صحيحةٍ[1].

وذكَرُوا أن المهديَّ يسلِّمُ الأمرَ لروحِ اللهِ عيسَى عليهِ السلامِ بعدَ اقتدائهِ بهِ في صلاةِ الصبحِ، ولا يُصلِّي عيسَى وراءَ المهديِّ غيرَ تلكَ الصلاةِ، ثم يستمِرُّ المهديُّ على الصلاةِ وراءَ عيسَى بعدَ تسليمِهِ الأمرَ إليهِ، ويكونُ معهُ حتى يقتُلَ عيسى الدجَّالَ ببابِ لدٍّ الشرقيِّ، ويهزِمُ اللهُ اليهودَ عسكرَ الدجالِ، ويتوجَّهُ معَ عيسى لبيتِ المقدِسِ.

* * *

(١) انظر: «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام» المطبوع ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٠٣).

الباب السابع

في وفاتِهِ وقدْرِ مدَّتهِ

ذكَرَ العلماءُ أن المهديَّ يستمِرُّ معَ عيسى عليهِ السلامُ إلى بيتِ المقدِسِ، فيموتُ بها ويصلِّي عليهِ هو ومن معهُ من المسلِمينَ ويدفِنُهُ هناكَ[١].

وأما عمُرُه ففيهِ رواياتٌ.

أخرجَ الحافظُ الترمذيُّ وحسَّنَه عن أبي سعيدٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «في أُمتي المهديُّ يخرُجُ، يعيشُ خمساً أو سبعاً أو تسعاً، فيجيءُ[٢] إليهِ الرجلُ فيقولُ: يا مهديُّ أعطني، فيَحثي لهُ في ثوبِهِ ما استطاعَ أن يحمِلَهُ»[٣].

وأخرَجَ نُعَيمُ بنُ حمَّادٍ وابنُ ماجه عن أبي سعيدٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «يكونُ في أُمتي المهديُّ إن قَصُرَ فسبعٌ وإلا فتسعٌ، فتَنْعَمُ أُمتي فيهِ نعمةً لم يَنْعَموا مثلَها قطُّ»[٤].

وأخرجَ الطبرانيُّ في «الأوسَطِ» وأبو نُعيمٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «يخرُجُ رجلٌ من أهلِ بيتي يقولُ بسنَّتي، يُنزِلُ اللهُ لهُ القطرَ من

---

(١) «ويدفنه هناك» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «فيخرج».

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٣٠٣)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٧٢). ورواه الترمذي (٢٢٣٢) وقال: حديث حسن. قلت: وفي إسناده زيد العَمِّي ـ وهو ابن الحواري ـ ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائي وابن سعد وعلي ابن المديني، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه ومن يروي عنهم ضعفاء، هم وهو. انظر: «الكامل» (٣/ ٢٠١).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وفي إسناده زيد العَمِّي وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

السماءِ، وتُخرِجُ الأرضُ من بركَتِها، يملأُ الأرضَ منه قسطاً وعدلاً كما مُلئَتْ جَوراً وظُلماً، يعمَلُ على هذه السنَّةِ سبعَ سنينَ وينزِلُ بيتَ المقدِسِ»[1].

وأخرَجَ الدارقُطنيُّ والطبرانيُّ عن أبي هُرَيرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يكونُ في أُمَّتي المهديُّ، إن قصَّرَ عن سبعِ سنينَ وإلا فثمان، وإلا فتسع سنينَ، تَنْعَمُ أُمَّتي فيها نعمةً لم يَنعَموا مثلَها، البرُّ منهم والفاجِرُ» الحديثَ[2].

وفي روايةِ أحمدَ عن أبي سعيدٍ مرفوعاً: «يملِكُ سبعَ سنين»[3].

وفي روايةِ ابن حبَّانَ في «صحيحِهِ» عن أُمِّ سلمةَ مرفوعاً: «يمكُثُ سبعَ سنين»[4].

وفي روايةِ أبي داودَ والبيهَقيِّ عن ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «يملِكُ سبعَ سنين»[5].

وأخرَجَ نُعَيمٌ عن الزُّهريِّ قالَ: يعيشُ المهديُّ أربعَ عشرةَ سنةً ثمَّ يموتُ موتاً[6].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٠٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٢٢٣)، وأبو داود (٤٢٨٥) واللفظ له. وجود إسناده ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٤٤). وقال ابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٨٦١) عن إسناده: لا بأس به.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٥٧).

(٥) أبو داود (٤٢٨٥) لكن من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقد تقدم قريباً.

(٦) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٣٢).

وأخرَجَ أيضاً عن سليمانَ بن عيسى: بلغَني أن المهديَّ يمكُثُ أربعَ عشرةَ سنةً ببيتِ المقدسِ ثم يموتُ(١).

وأخرَجَ أيضاً عن بقيَّةَ بنِ الوليدِ قالَ: حياةُ المهديِّ ثلاثونَ سنةً(٢).

وأخرَجَ أيضاً عن دينارِ بنِ دينارٍ قالَ: بقاءُ المهديِّ أربعونَ سنةً(٣).

وفي حديثِ حذيفةَ المتقدِّمِ: «يملِكُ عشرينَ سنةً» أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ والطبرانيُّ(٤).

وأخرَجَ نُعَيمٌ أيضاً عن عليٍّ قالَ: يلي المهديُّ أمرَ الناسِ ثلاثينَ أو أربعين سنةً(٥).

وأخرَجَ أيضاً عن أرطاةَ قالَ: يبقَى المهديُّ أربعين عاماً(٦).

---

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٦). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٨١).

(٢) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٢٩)، وفيه: حدثنا بقية بن الوليد وعبد القدوس عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، فذكره. فالقائل هو ضمرة بن حبيب لا بقية بن الوليد كما يوهم كلام السيوطي.

(٣) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٣٠٥ و٣٠٧)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٣١).

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٣٠٥)، ورواه من حديث حذيفة ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل كما قال ابن الجوزي، وقد تقدم في أول الكتاب. ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٦٠٠)، و«المعجم الكبير» (٧٤٩٥)، وهو باطل مثل سابقه وقد تقدم أيضاً.

(٥) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٣٠٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٣٣) من طريق الهيثم بن عبد الرحمن عمن حدثه عن علي، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن علي.

(٦) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص٣٠٦٥)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن =

وأخرَجَ أيضاً عن صباحٍ قالَ: يمكُثُ المهديُّ فيهم تسعاً وثلاثينَ سنةً، يقولُ الصغيرُ: يا ليتَني كبرتُ، ويقولُ الكبيرُ: يا ليتَني كنتُ صغيراً(١).

قلتُ: كذا وردَت هذه الرواياتُ، وهي مُتعارضَةٌ، ولعلَّ الجوابَ أن يُقالَ: إن ملكه التامَّ لجميعِ الأرضِ [سبعُ](٢) سنينَ، والرواياتُ الأُخَرُ باعتبارِ مجموعِ عددِ سنينِ ملكِهِ بعضَ الأرضِ دون بعضٍ.

أو يقالُ: إن الأربعينَ مجموعُ عمرِه لا عددُ سنين ملكِهِ.

أو يقالُ: إن ذلكَ باعتبارِ تعدُّدِ المهديِّ؛ لِـمَا ورَدَ عن ابنِ عمرَ أنهُ إذا كان الرجُلُ صالحاً قيلَ لهُ المهديُّ(٣).

أخرَجَ نُعَيمٌ عن الوليدِ بن مسلمٍ قالَ: سمعتُ رجُلاً يحدِّثُ قوماً فقالَ: المهديُّونَ ثلاثةٌ: مهديُّ الخيرِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ومهديُّ الدمِ وهو الذي تسكنُ على يديهِ الدماء، ومهديُّ الدِّينِ عيسى بن مريمَ(٤).

= «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٢٠).

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١١٢٨).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، مستفادة مما تقدم من أحاديث.

(٣) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٤). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٩٧) من طريق الأعمش، عمن حدثه، عن ابن عمر أنه قال لابن الحنفية: ما المهدي الذي تقولون؟ قال: كما يقول الرجل الصالح إذا كان الرجل صالحاً قيل: المهدي. فقال ابن عمر: قبح الله الحماقة! كأنه أنكر قوله. فالقائل هو ابن الحنفية ـ إن صح الخبر ـ وابن عمر أنكره، وكلام السيوطي والمؤلف يوهم أن القائل هو ابن عمر.

(٤) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٣). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٤٣).

وأخرَجَ أيضاً عن كعبٍ قالَ: مهديُّ الخيرِ بعدَ السُّفياني[١].

وأخرَجَ أيضاً عن أرطاةَ قالَ: بلغَني أن المهديَّ يعيشُ أربعين عاماً، ثم يموتُ على فراشِهِ، ثم يخرُجُ رجلٌ من قحطانَ مثقوبُ الأُذنَين على سيرةِ المهديِّ بقاؤه عشرونَ سنةً، ثم يموتُ قتلاً بالسلاحِ، ثم يخرُجُ رجلٌ من أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ مهديٌّ حسَنُ السيرَةِ يغزو مدينةَ قيصرَ، وهو آخرُ أميرٍ من أمةِ محمدٍ ﷺ يخرُجُ في زمانه الدجَّالُ، وينزِلُ عيسَى بن مريمَ[٢].

فثبتَ بهذا تعدُّدُ المهديِّ[٣]، ولذلك قالَ القُرطبيُّ: يحتمِلُ أن يكونَ قولُه عليهِ السلامُ: «ولا مهديَّ إلا عيسى»[٤]؛ أي: لا مهديَّ كاملاً معصُوماً إلا عيسى[٥].

قالَ ابن كثيرٍ: إنَّ المهديَّ حقّاً هو عيسَى، ولا ينفي ذلكَ أن يكونَ غيرُه مهديّاً[٦].

وقالَ أبو الحسنِ محمدُ بن الحسينِ[٧]: قد تواترَتِ الأخبارُ واستفاضَتْ بكثرةِ

---

(١) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٣). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠٤٤).

(٢) انظر: «العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٩٦). ورواه نعيم في «الفتن» (١٠١٤).

(٣) كيف يثبت هذا ولم يذكر في ذلك خبر يصلح للاحتجاج به؟

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٦٣)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٧) وقال: قال أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: هذا حديث منكر.

(٥) انظر: «التذكرة» (ص١٢٠٦)، و«العرف الوَرْدِيّ في أخبارِ المهدِيِّ» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٠٣).

(٦) انظر: «النهاية في الملاحم والفتن» لابن كثير (١/ ٢٧).

(٧) هو محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ إبراهيمَ بنِ عاصمٍ السِّجزي الآبُري ـ بالمد ثم الضم ـ مصنف كتاب «مناقب الإمام الشافعي»، منسوب إلى قرية آبر من عمل سجستان، ارتحل وسمع إمام الأئمة ابن خزيمة وغيره، توفي سنة (٣٦٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٠٠).

رواتها عن المصطفى بمجيءِ المهديِّ، وأنهُ من أهلِ بيتِهِ، وأنه يملِكُ سبعَ سنينَ، وأنهُ يملأُ الأرضَ عدلاً، وأنهُ يخرُجُ معَ عيسى فيساعِدُه على قتلِ الدجَّالِ ببابِ لدٍّ بأرضِ فلسطينَ، وأنه يؤمُّ هذهِ الأمةَ وعيسَى يصلِّي خلفَهُ[1]. انتَهى.

وأما عيسَى عليهِ السلامُ فإنه يمكُثُ في الأرضِ أربعينَ سنةً، يحكُمُ بشريعةِ المصطفى، ويقتُلُ الخنزيرَ، ويكسِرُ الصليبَ، ويحجُّ في سبعينَ ألفاً فيهم أصحابُ الكهفِ، ويتزوَّجُ امرأةَ من يزدٍ، وتذهبُ البغضاءُ والتحاسُدُ، وتعودُ الأرضُ إلى هيئتِها على عهدِ آدمَ، حتى تُترُكَ القلاصُ ترعى فلا يسعَى عليها أحدٌ، وترعى الغنمُ معَ الذئبِ، والأُسودُ مع البقرِ، ويلعبَ الصبيان بالحياتِ لا تضرُّهم، كما ورَدَ ذلك كلُّهُ في الأحاديثِ الصحيحةِ، فيمكُثُ أربعين سنةً على الأصحِّ، ثم يُتوفى ويصلِّي عليهِ المسلمونَ ويدفِنُونَهُ[2].

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» (٢٥/ ١٤٩)، و«المنار المنيف» (ص١٤٢).

(٢) هذا الذي ذكره المؤلف في شأن عيسى عليه السلام ذكره كله المطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ١٩٠) على أنه حديث للنبي ﷺ، لكنه لم يورد له راويا ولا سنداً، وإن كان أكثره قد ورد في أحاديث صحيحة.

فقد روى البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥/ ٢٤٢)، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «والذي نَفْسي بيدِه، لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنزِلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فيَكسِرَ الصليب، ويقْتُلَ الخنزير، ويَضَعَ الجزيةَ، ويَفيضَ المالُ حتى لا يَقْبلَه أحدٌ».

وفي رواية لمسلم (١٥٥/ ٢٤٣): «والله، لَيَنزِلَنَّ ابنُ مريمَ حَكَمًا عادلًا، فلَيَكْسِرَنَّ الصَّليبَ، ولَيَقْتُلَنَّ الخنزيرَ، ولَيَضَعَنَّ الجزيةَ، ولَتُتْرَكَنَّ القِلَاصُ فلا يُسْعَى عليها، ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتَّباغُضُ والتحاسُدُ، ولَيَدْعُوَنَّ إلى المالِ فلا يَقْبلُه أحدٌ».

فهذا ما ورد في الصحيحين منه، وأما في غيرهما فجاء في رواية عند الإمام أحمد في «المسند» (٦٩٣٢) عن أبي هريرة: «فيَكسِرُ الصَّليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجِزيةَ، وَيُعطِّلُ المللَ، حتى تَهْلِكَ في زمانه المِلَلُ كلُّها غيرَ الإسلام، وَيُهلِكُ اللهُ في زمانِه المسيحَ الدَّجَّالَ الكذَّابَ، وتقعُ الأَمَنَةُ =

وفي «تاريخِ البخاريِّ» كالطبرانيِّ [عن عبدِ الله بنِ سلَامٍ قال]: يُدفَنُ ابنُ مريمَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ وصاحِبَيه، فيكونُ قبرُهُ رابعاً[1].

= في الأرضِ حتى تَرْتعَ الإبلُ مع الأُسْدِ جميعًا، والنُّمورُ مع البقرِ، والذِّئابُ مع الغَنَمِ، ويَلعبَ الصِّبيانُ والغلمانُ بالحيَّاتِ لا يَضُرُّ بعضُهم بعضًا، فيمكُثُ ما شاء اللهُ أنْ يَمكُثَ، ثم يُتوفَّى فيُصلِّي عليه المُسْلِمون ويَدفِنونَه».

وهو حديث صحيح أيضاً.

وأما مكوثه في الأرض أربعين سنة فرواه أبو داود (٤٣٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٤٦٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده جيد. لكن تُشكل مدة مكثه هذه مع ما ورد في حديث عبد الله بن عَمرو عند مسلم (٢٩٤٠): أن الناس يمكثون سبع سنين بعد قتل الدَّجَّال، ثم يرسل الله ريحاً باردة تقبض كل مؤمن، قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٩٣): هذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم.

وأما أنه يحجُّ في سبعينَ ألفاً فيهم أصحابُ الكهفِ، فهذا شيء رواه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» من طريق الليث بن سعد، عن عطاء بن خالد، قال: يحج عيسى إذا نزل في سبعين ألفاً، فيهم أصحاب الكهف، فإنهم لم يموتوا ولم يحجوا.

وأما زواجه بامرأة من يزد، فورد عند المطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» كما تقدم، وذكر العيني في «عمدة القاري» (١٦/ ٤٠) عن يزيد بن أبي حبيب: يتزوج امرأة من الأزد ليعلم الناس أنه ليس بإله.

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٧٤٣)، وما بين معكوفتين منه، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ١٥٨) (٣٨٤) واللفظ له، ورواه أيضاً الترمذي (٣٦١٧) وقال: فقال أبو مَوْدُودٍ [أحدُ رُواته]: وقد بَقِيَ في البيتِ مَوْضِعُ قَبْرٍ. قال الترمذي: حسن غريب. كذا قال، وخالفه شيخه البخاري فقال عقبه: هذا لا يصح عندي.

قلت: ولم يرد في هذا خبر يثبت، وقد أيده المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٦٢) بما روي عن عائشة: أنها استأذنت النبي ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه، فقال لها: «وأنَّى لكِ بذلك =

ولذلكَ وردَ: طُوبى لأبي بكرٍ وعمرَ يُحشَران بينَ نبيينِ.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَمُ، وعلى رسولِهِ صلى وسلَّمَ.

ومن أرادَ الوقوفَ على ذكر تتمةِ[1] الكلامِ على نزولِ عيسَى عليه السلامُ، وعلى ذكرِ بقيَّةِ أشراطِ الساعةِ والنفخِ في الصورِ والموقفِ والحسابِ والميزانِ وغير ذلكَ، فعليهِ بكتابنا: «بهجةُ الناظرينَ وآياتُ المستَدِلِّينَ» والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قالَ المؤلفُ العبدُ الفقيرُ الحقيرُ مرعيُّ بن يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ: فرغتُ من وضعِ هذه الرسالةِ من الأربعاءِ في أواخرِ ربيعٍ الآخرِ بالجامعِ الأزهرِ سنةَ (١٠٣٣) واللهُ حسبي ونعمَ الوكيلُ[2].

= وليس في ذلك الموضعِ إلا قبري وقبرُ أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم»، لكنه نقل عن الحافظ ابن حجر قوله: لا يثبت.

قال: وفي «أخبار المدينة» من وجه ضعيف عن سعيد بن المسيب قال: إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة، وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى عليه السلام.

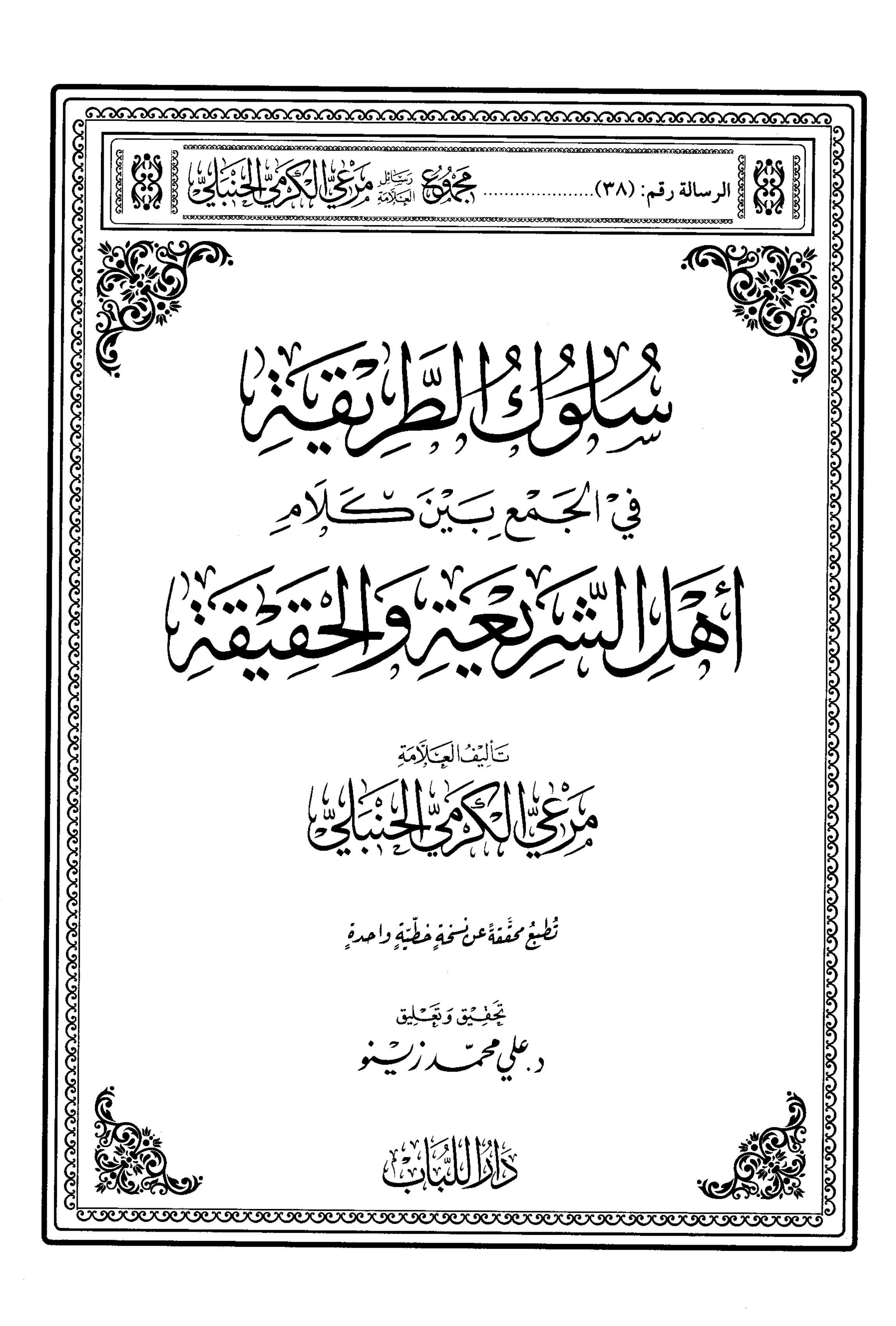
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٩٩): وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية، ولكن لا يصح إسناده.

وروى ابن الجوزي في «العلل» (١٥٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد ويمكث خمساً وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر». وعقبه ابن الجوزي بقوله: هذا حديث لا يصح.

(١) في (أ): «على تتمة».

(٢) بعدها في (أ): «على يدِ الحقيرِ المعروفِ بالعجزِ والتقصيرِ إبراهيمَ ابنِ الشيخِ يونُسَ الشافعيِّ الأزهريِّ غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ ولمشايخهِ، وللمسلمينَ والمسلماتِ، والمؤمنينَ والمؤمناتِ، الأحياءِ منهُم والأمواتِ، إنهُ على ما يشاءُ قديرٌ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، تمَّ».





سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة

تأليف العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي

تُطبع محققة عن نسخة خطية واحدة

تحقيق وتعليق
د. علي محمد زينو

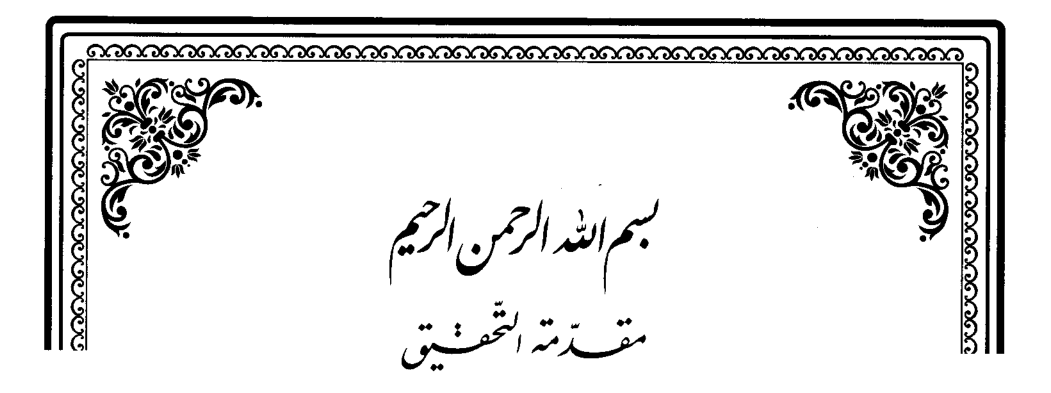
دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي الحمد لله الذي
بيده أزمة التوفيق المتفضل على من شاء بما شاء من العرفان والتحقيق والصلاة
والسلام على سيد أهل الكشف والتصديق وعلى آله وأصحابه أولي التحقيق والتدقيق
وبعد فإن العارف من نارت بصيرته في مشكاة ضياء سبحاته وحارت فكرته
في خطير مطالب هوياته وسيّر زكيات النفوس في أسنى معارج درجاته
واعترف بالعجز عن السلوك في ماهية ذاته وحقيقة أسمائه وصفاته
وإن مما كثر فيه الجدال والخوض وبهيهات من يصل إلى الصافي من الحوض
هو ما وقع في كلام الصوفية من الألفاظ الموهمة للتكفير والكلمات التي عجب
من بادر إليها بالنكير وهل العلماء المعترضون عليهم في ذلك مصيبون
أو مخطئون وقد أحببت بيان ذلك والجواب عما هنالك لأنه بعبارات رشيقة
وإشارات دقيقة وعذري في التقصير واضح والعارف بالحال متغفر
مسامح وها أنا أذكر أسئلة يتفرع عليها الجواب ومن الله تعالى أرجو
التوفيق للصواب إنه عزيز وهاب السؤال الأول هذه الألفاظ
التي تصدر عن الصوفية وتوهم الكفر هل لها محامل وتأويلات بحيث ترجع
للحق وتوافق الشرع كقول أبي يزيد البسطامي قدس سره ويروى عن
الشبلي أيضاً ما في الجبة إلا الله وقول أبي يزيد أيضاً خضت بحراً وقف الأنبياء
بساحله وقوله طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك وقوله حين سمع قارياً
يقرأ إن بطش ربك لشديد بطشي أشد من بطش الله وقوله سبحاني سبحاني
وقول بعضهم حقيقة التقوى ترك التقوى وقوله حقيقة التوبة التوبة
من التوبة وقول الشيخ محيي الدين بن عربي حدثني ربي وقوله
مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي
فيوهم أن النبي أفضل من الرسول وأن الولي أفضل منهما وذلك باطل

هو قوله إن الحق تعالى ذات كل شيء والموجودات أسماؤه وقول سيدي عمر
ابن الفارض: تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا * وخل سبيل الناسكين وإن جلوا
فكيف يأمر بالتمسك بأذيال الهوى والله تعالى يقول ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ويأمر بخلع الحيا والحيا من الإيمان ويأمر بترك سبيل الناسكين
وكل ذلك غي وضلال إلى غير ذلك من كلامهم الموهم للكفر والزندقة
السؤال الثاني هل معتقد معاني ظواهر تلك الألفاظ كافر كما يقع لكثير
من متصوفة أهل هذا الزمان وهل يعذر الجاهل السؤال الثالث هل يليق
للشخص أن يرتكب في عباراته مثل هذه الألفاظ الرابع هل يأثم العلماء
الذين ينكرون عليهم مثل ذلك ويكفرونهم به أو هم مصيبون في
الإنكار الخامس كثيراً ما نسمع الجهلة يقولون يخشى على المنكر المقت والعالم
الفلاني لما أنكر مقت وحصلت له مصيبة كذا فهل هو قول صحيح
أو سوء أدب صريح وماذا قاله الأئمة الأكابر في حق من خرج من الصوفية
عن الظاهر وليصير المرء على بصيرة في دينه ويحذر من زخرف القول وزينه
أوضحوا الجواب بقصد الأجر والثواب ليزول اللبس والارتياب
الجواب الحمد لله اللهم إنا نعوذ بك من الزلل في الأقوال كما
نستعيذك من سوء العمل في الأفعال ونتبرأ إليك من أن ننقصه كما
نستعصمك من أن نفتضح ونستمنحك بصيرة تشغلنا بالمهمات
عن الترهات وتنزهنا عن التعلق بالمباهاة والمماراة فنحن لك اللهم
أن تجعلنا ممن إذا رأى حسنة نشرها وإن عثر على سيئة واراها أما بعد
لا ريب في صدور مثل تلك الألفاظ عنهم ووقوعها منهم ولكن
لها محامل وتأويلات وتدقيقات عند أرباب التحقيق وفي ذلك جوابان
أحدهما ما يبعد أن تكون تلك الألفاظ صدرت منهم في حالة
الشطح والسكر الروحاني الذي هو سكر المحبة وهذا السكر منزلة

مكتبة راغب باشا (الأصل)



الحمدُ لله ربِّ العالمين ملك المُلوك، الذي أنزَلَ إلى عبادِه نوراً يُخرجِهم من دياجير الحُلوك، وأوجَب عليهمُ السَّيرَ إليه والسُّلوك، والصلاةُ والسلامُ على عبدِه ونبيِّه سيدنا محمّدٍ في الشُّروق والدُّلوك، الذي أنقَذَ بهُداهُ الخلقَ من الهُلوك، وعلى آله وصحبِه الذين هم في بحارِ الضّلالةِ الفُلوكُ.

وبعد:

فهذا كتابٌ عزيز، وجوهرٌ إبريز، سطرَه قلمُ الإمام الكبير، والعلّامة النِّحرير، مَرْعيِّ بن يوسفَ الكَرْميّ المَقدِسيّ الحَنْبَليّ، رحمه الله تعالى وأعلى مُقامَه، وأنزله المنزلة العليا في دار المُقامة.

تطرّق فيه ـ رحمه الله ـ إلى موضوعٍ هو في الأهمّيّة غاية، وفي الخُطورة نهاية؛ حيث دخَل فيه ـ من جانبٍ ـ على الأمة خلَلٌ عَظيم، وحُرِمت فيه ـ من جانبٍ آخر ـ من خيرٍ جَسيم، واختلَفَت فيه الآراء، وتلاطَمَت بشأنه أمواجُ الأهواء، فصار يُدّعى في الشيءِ الواحد والشخص المعيَّن نَقيضانِ من الدَّعاوى، ويُقال ويُفتى ما لا يُمكن جمعُه من الأقوال والفَتاوى.

ذلك أن «التصوف» منهجٌ سلكَهُ جمٌّ غفير من سلف الأمة وخلفها، بدأ بالاتجاه إلى الإعراض عن الدنيا والزُّهد في حُطامِها، والإقبالِ على الآخرة والحرصِ على

اغتنامها، وتطوَّر إلى ظهور أئمّةٍ ومدارسَ في تطهير النفوس من الأدران، والسلوك بها في سبيل الإحسان، والعمل على سموّ القلوب بالتصفية والتنقية، والترقّي بها في مقامات التزكية، ثم طرأ عليه دخولُ أفكارٍ فلسفية، وعرف ظهورَ قناعاتٍ نفسانية، وشهد معرفةَ سلوكياتٍ رهبانية؛ كانت بمجموعها أكداراً كدّرَت صفاءَه، وشوائبَ شابَت نقاءَه، وفتَحتِ البابَ لأهل الانحراف كي يفتُّوا في عضُد المسلمين، ويشوِّهوا إيمانَ المؤمنين، ويحاربوا فيهم الشِّرعة، ويبثّوا بينهم البِدعة.

فتصدّى لذلك كلِّه علماءُ الأمة جيلاً بعد جيلٍ، وقرناً بعد قرن، وعملوا على تنقية هذا المنهج السامي مما علق به بتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولا زال الفقهاءُ والعلماء، بل ورجالاتُ التصوّف الكُبَراء، وأئمّتُه النُّجباء؛ يبيِّنون الصواب من الخطأ، والسدادَ من الزلل، والمحكَم من المتشابه، والمتّبع من المبتدع، والمستَقيم من المنحرف، ويُجَلُّون ما غمُض مدخلُه، وخفِيَ وجهُه، ودقَّ علمُه، من أقوال المتصوّفة الأكابر وأفعالِهم، ويكشفون النِّقابَ عن سَنيِّ مَعاني شؤونهم وأحوالِهم؛ لئلا يغترَّ بها جاهِل، أو يزلّ بسبَبِها واهِل، أو يحمِلهَا على غير مُرادِها حامِل، أو يُؤوِّلها بظنِّه الفاسد متَحامِل.

وممن ضرَب في هذا الميدان بسَهمِه، وألقى في بئره الغزير بدَلوِه؛ صاحبُ هذا المصنَّف اللَّطيف، والمؤلَّف الشَّريف؛ حيث أجابَ فيه على جملةٍ من الأسئلة الوجيهة، التي تخطُر ببال أصحاب العقول النَّبيهة، وتكلَّم في أجوَبته بكلامٍ يمتاز بمَزايا عالية، ويتَّصف بصفاتٍ غالية؛ من عُمق العلم، وسَعَة الأفق، والأهمّ من ذلك حُسن الظنّ بالمسلمين، وسلامة الصدر تجاه أهل القبلة الموحِّدين.

حيث انطلق ـ رحمه الله ـ من هذه المعاني الراقية، والقيم العالية؛ ليُقرِّرَ

أحكاماً مهمةً لا يَبقى معها لبسٌ بين الإيمان الصافي، والانحراف الخافي، وليحدِّد معالم واضحةً للعقيدة السليمة ببيان حدود الكفر والزندقة والضلالة في المقالات والمقولات؛ دون أن يقعَ في مغبّة تكفير أصحابها المعيَّنين، وقائليها المحدّدَين؛ خصوصاً من عُرف عنهم غلبةُ وَجْد، وسُلطانُ أحوال، أو شُهرةٌ بصَلاح، أو ذُيوعٌ بولاية، أو عُلِم أنه كُذِب عليهم، أو دُسّ في أقوالهم.

لقد سلك العلامة مرعي الكرميُّ في هذا مسلَكَ أئمة أهل العلم، وأساطين أرباب الفقه في كل عصر ومصر على اختلاف مذاهبهم، وهو مسلكٌ لم ينحَرِف عنه إلا الغلاةُ والمتطرِّفون الذين يَسوؤهم أن لا يُحكَم على «زَيدٍ» من الناس يشنَؤونه بأنّه من أهل الدَّرَكات السُّفلى من الحَجيم، ويتوهمون أن عدم الحكم على المعيَّن بالتكفير يلزم منه تصحيحُ قولِه الفاسد، هذا إذا كان القول فاسداً حقّاً، ولم يكن الفساد في الفهم المتسرع، والنظر الظاهري القاصر.

وهذا الوهمُ المغالي هو ما أوضَحَ العلامةُ مَرعي الكرميّ دَحْضَه، وأحكَمَ نَقْضَه؛ حيث قرّر ـ بكلّ وضوحٍ ـ أنه لا مجالَ للخَلط والتهاون في القضايا المتعلقة بالعقيدة، وأنه ينبغي بيانُها والمحافَظة عليها صافيةً أتمَّ الصفاء، وفي سبيل ذلك ميَّز بين المتَشابهات، وردَّها إلى المحكَمات، وسلَّط الضوءَ على المشتَبهات، ففَصل بين المحتَملات والفاسدات، وأكّد على أنّ من كان من أهل الشهادَتين لا ينبغي إخراجه من دائرتهم ما أمكن، وأنه يلزم التماسُ المَخرَج لكلامه الملتبس الذي يخرُج به من أن يُحكم عليه بأخطر أحكام القضاء الشرعي على الإطلاق؛ ألا وهو الكفر الذي هو الحكمُ الجازم بخلود المعيَّن في نار جهنم، إضافةً إلى ما يلحق بالتكفير من أحكام دنيوية خطيرة أخرى.

ومع هذا الورع من الكرميّ والتزامِه الأسلمَ في حقّ أهل القبلة، ومع تكلُّف تأويل أقوالهم، والتماس محاملَ مقبولة، ومعانيَ حسنةٍ لها ما وجد إلى ذلك سبيلاً؛ فإنه ـ في المقابل ـ التمس العذرَ الشرعيّ لِـما ورد من تكفير عديد من أئمة الإسلامِ لعدَد من رجالات التصوف؛ بسبب كلِمات لهم مشكلةٍ، ظاهرها مع عقيدة الإسلام متعارض، ومع التوحيد متناقض، بل إنه ـ رحمه الله ـ استخفَّ بمن توهَّم وقوع أولئكم الفقهاء في الذمّ، ولم يقبل أن يلحقهم أيُّ نوعٍ من القدح؛ لأنهم يصونون حمى الاعتقاد، ويذبُّون عن حياض الشريعة، وينهون عن أفظع المنكرات؛ وهو ـ بلا ريب ـ يُوافقهم في مقاصدهم من الصيانة والذبّ والإنكار؛ مع تجنُّبه ـ أكثر منهم ـ الحكمَ بتكفير أحد من المعيَّنين والقولِ بخلودهم في النار.

وليس في ما نحا الكرمي إليه أيُّ تناقُض؛ لأن تكفير ظاهر القول لا يلزم منه تكفيرُ قائله ـ إن صحّ عنه ـ ما دام القول محتملاً صرْفَهُ إلى معنى صحيح، ولو بأدنى احتمال مع التكلُّف في هذا الصرف؛ لأن أهل الفقه متّفقون على أنّ الحدود تُدرأ بالشبهات، وأن الشبهة تُعتَبر مهما كانت واهية.

ولأجل ذلك رأينا الكرمي يُكثر من التأصيل مستنداً إلى نقول عديدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ابن عربي وغيره ممن يذمهم ابن تيمية من الصوفية، ولكنه ـ مع ذلك ـ لا يوافِقه في الحكم على ابن العربي وابن الفارض بالكفر!

وهو ـ مع ذلك ـ لا يُخطِّئ ابنَ تيمية ومن رأى رأيَه، ويلتمس لهم العذر؛ خصوصاً وأن ابن تيميةَ نفْسَه سبقَ الكرميّ فأوغل في تأويل كثير من كلام عديد من أئمة التصوف كأبي يزيد البسطامي، وتكلّفَ الاعتذارَ لهم في أقوالٍ مشابِهةٍ إلى حدٍّ بعيدٍ لما نُقل عن ابن عربي وابن الفارض؛ مما تورَّط بسبَب العُكوفِ على ظواهرها

بعضُ العصريّين فعمّموا أحكام التكفير حتى على البسطامي والجنيد البغدادي وغيرِهم ممّن أثبَتَ لهُم ابنُ تيميةَ ـ بما لا شكَّ فيه ـ المكانةَ الرفيعة، وأنزلهم المنزلةَ العالية من الصّلاح والتقوى والولاية!

إننا في هذا الزمان الذي تضطرم فيه نيران الغلوّ، وتَصلى فيه الأمةُ بلهيب التطرُّف؛ في أمسّ الحاجة إلى إشاعةِ هذه الرؤية الهادئة الدقيقة المتبصّرة التي يؤصِّل لها هذا العلامةُ الحنبليُّ الكبير؛ بما يحولُ بين الفِتية الأغرار، والجهَلة الأغمار، وبين تبنّي فئةٍ مذهبَ اعتقاد، ومنهجَ حياة؛ يُؤدّي بهم إلى نتائجَ وخيمة، وعواقبَ أليمة؛ يبلُغون فيها أحطّ درَكات الفساد، من سفكٍ لدماء العباد، وتخريب للأوطان والبلاد، وما ذلك إلا لأنَّ من كفّر أحداً هانَ عليه أن يستَبيح دمَه ومالَه وعِرضَه، وفي هذا من الشّرِّ في الدنيا والآخرة ما لا يحتاج شرحاً، ولا يُعوز استدلالاً.

* * *

بعد ذلك كلِّه....

هذا الذي بين يديكَ ـ أيها القارئ الكريمُ ـ هو كتاب «سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشَّريعة والحقيقة» للعلّامة مَرْعي بن يوسف الكَرْميّ المَقدِسيّ الحَنْبَليّ (١٠٣٣هـ) عليه رَحَماتُ الله، اعتمدتُ في تحقيقهِ على نسخةٍ خطِّية وحيدةٍ لم نعثُر على غيرها، وهي نسخةُ مكتبةِ راغبِ باشا الموجودة في المكتبة السُّليمانية باسطنبول، والإشارة إليها بـ(الأصل).

أضعُهُ تحتَ نظرِ الراغِب، وبين يدَي الطالِب، ومن أجلِ تقديمِه مخدوماً الخدمةَ اللائقة، شمّرتُ عن ساعد الجِدّ، وبذلتُ وافرَ الجهد، فأسهرتُ لذلك

الليالي، وأضنيتُ فِكري وبالي؛ فإن أصَبتُ وأحسَنتُ؛ فالفضلُ لله ـ سُبْحانَه وتعالى ـ مُبتَدَأً ومُختَتَماً، ومنه التوفيق، وبيدِه التمام والتحقيق.

وإن كان غير ذلك؛ فمِن قُصوري ونَقصي، ومما جنتْهُ يداي، وأسأل اللهَ على ذلك أن يجودَ بالغَفْر، ويحبوَني بالصَّفح، وأرجو ممن يطّلِعُ على زلّةٍ أو خَطأة أن يتفضَّل بالعُذْر، ويتكرَّم بالنُّصح.

وأمّا عمَلي في كتابي هذا، فيصحُّ فيه وفي غيره ما كتبه القاضي عبد الرحيم البيسانيّ، إلى العماد الأصبهانيّ، مُعتذراً عن كلامٍ استدرَكَهُ عليه: «إني رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لَكان أحسَن، ولو زِيْدَ هذا لَكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لَكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لَكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر»[١].

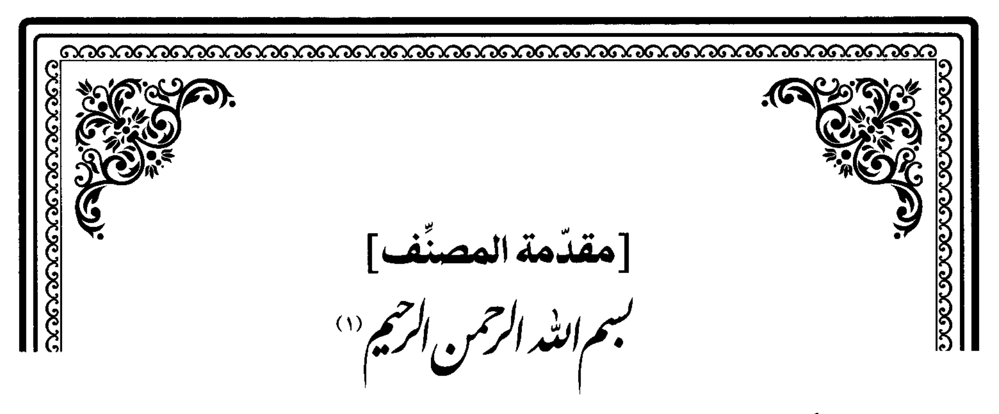
والله أعلَم، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ وسلَّم

المحقق

* * *

---

(١) يُنظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٨)، و«أبجد العلوم» لصدّيق حسن خان القنوجي (١/ ٧١).



[مقدّمة المصنِّف]

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

قال العبدُ الفقيرُ إلى الله تَعالى مَرْعي بن يوسُف الحَنْبَليّ المَقدِسيّ:

الحمدُ لله الذي بيدِه أزمّة التّوفيق، المتفضِّل على مَن شاء بما شاء من العِرفان والتّحقيق، والصلاةُ والسَّلامُ على سيّد أهل الكشفِ والتّصديق، وعلى آله وأصحابه أُولي التّحقيق والتّدقيق.

وبعد: فإن العارفَ من نارَت بَصيرتُه في مِشكاة ضياءِ سُبحاتِه، وحارَت فِكرتُه في ذخائرِ مطالِب هُويّاته، وسيَّرَ زكيّات النفوس في أسنى مَعارج

---

(١) جاء على غلاف النسخة الخطية: «من نظم مُؤلِّفه ـ سامحه الله ـ:

اِشْتَغِلْ بالعُلُومِ وَابْحَثْ مَلِيّاً ... قائماً قاعِداً مَعَ الأَخْيارِ
وَاطْلُبِ الحَقَّ أيْنَ كانَ وَصابِرْ ... مُخْلِصاً سائلاً أُولِي الأَبْصارِ
وَإذا لَم تَرَ الهِلالَ فَسَلِّمْ ... لِأُناسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْصارِ

غيرُه:

فَسادٌ كَبيرٌ عالِمٌ مُتَهَتِّكُ ... وَأَفْسَدُ مِنْهُ جاهِلٌ مُتَنَسِّكُ
هُما فِتْنَةٌ في العالَمِينَ عَظِيمَةٌ ... لِمَنْ بِهِما في دِيْنِهِ يَتَمَسَّكُ

غيره:

كانَ ابنُ تَيْمِيَّةٍ في النّاسِ جَوْهَرَةً ... نَفِيسَةً صاغَها الرَّحْمنُ مِن شَرَفِ
عَزَّتْ فَلَم تَعْرِفِ الأَيّامُ قِيْمَتَها ... فَرَدَّها غَيْرَةً مِنْهُ إلى الصَّدَفِ».

دَرَجاتِـه، واعتـرَفَ بالعجز عن السُّـلوك فـي ماهيّة ذاتِـه، وحقيقةِ أسـمائه وصِفاتِه.

وإن ممـا كثُـر فيـه الجـدالُ والخَـوض، وهيهـاتَ مَن يصِـلُ إلـى الصّافي من الحَـوض، هو مـا وقَع في كلام الصُّوفيّة مـن الألفاظ المُوهِمـةِ للتّكفير، والكلمات التـي يجـبُ أن يُبـادَرَ إليهـا بالنَّكيـر، وهـل العُلَمـاء المعتَرِضـون عليهـم فـي ذلك مُصيبـون أو مُخطئون؟

وقد أحببتُ بيانَ ذلِك، والجوابَ عما هنالِك، بعباراتٍ رشيقة، وإشاراتٍ دقيقة، وعُذري في التّقصير واضِح، والعارفُ بالحال مغتفِرٌ مُسامِح.

وها أنا أذكُر أسئلةً يتفرّع عليها الجواب، ومن الله تَعالى أرجو التّوفيقَ للصَّواب، إنه عزيزٌ وَهّاب.

***

السؤال الأول:

هذه الألفاظ التي تصدُرُ عن الصُّوفيّة وتُوهم الكُفر؛ هل لها مَحامِلُ وتأويلاتٌ؛ بحيثُ ترجِعُ للحَقِّ وتوافق الشَّرع؟

كقـول أبـي يزيـدَ البَسْـطاميِّ ـ قُـدِّسَ سِرُّهُ، ويُـروى عن الشِّـبليِّ أيضـاً ـ: «ما فـي الجُبّـة إلا الله»، وقـولِ أبي يزيدَ أيضـاً: «خُضتُ بحـراً وقفَ الأنبياءُ بسـاحِله»، وقولِـه: «طاعتُـك لـي ـ يـا ربِّ ـ أعظَـمُ من طاعتـي لك»، وقولِـه حين سـمع قارئاً يقـرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البـروج: ١٢]: «بطشـي أشـدُّ مـن بطـش الله»، وقولِـه: «سُبْحاني، سُـبْحاني».

وقـولِ بعضِهـم: «حقيقـةُ التّقوى تركُ التّقـوى»، وقولِـه: «حقيقةُ التّوبـةِ التّوبةُ مـن التّوبة».

وقولِ الشيخ محُيي الدين ابن عَرَبيّ: «حدَّثني ربي»، وقولِه:

مقـامُ النُّبـوّة فـي بَـرزَخٍ فُوَيقَ الرَّسُـولِ ودُونَ الوَلِـيْ

فيُوهم أنَّ النَّبيَّ أفضل من الرَّسول، وأن الوَليَّ أفضَل منهُما، وذلك باطل!

وقولِه: «إن الحقَّ تَعالى ذاتُ كُلِّ شيء، والمُحدَثاتُ أسماؤه».

وقول سيدي عُمَرَ ابنِ الفارض:

تَـمَسَّكْ بأذيـالِ الهَـوىٰ وَاخْلَـعِ الحَيَا وَخَـلِّ سَبِـيْلَ النّاسِكينَ وَإنْ جَلُّـوا

فكيف يأمرُ بالتّمسُّـك بأذيـال الهوى والله تَعالى يقـول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ويأمـر بخَلـع الحَيـاءِ والحَيـاءُ مـن الإيمـان، ويأمـرُ بتَـركِ سـبيل الناسـكين، وكُلُّ ذلـك غَـيٌّ وضـلال؟ إلـى غيـر ذلك مـن كلامهـم المُوهِم للكُفـر والزَّندَقة[1].

السؤال الثاني:

هل مُعتَقِد معاني ظواهر تلك الألفاظ كافر؛ كما يقع لكثير من مُتصوِّفة أهل هذا الزمان؟ وهل يُعذَر الجاهل؟

الثالث:

هل يليقُ للشخص أن يرتَكِبَ في عباراتِه مثل هذه الألفاظ؟

الرابع:

هـل يأثـم العُلَمـاء الذيـن يُنكِرون عليهِـم مثـلَ ذلـك، ويُكفِّرُونَهم بـه، أو هم مُصيبـون فـي الإنكار؟

---

(١) مما سأعزوه في مواضعِ إيرادِه قبل جواب المؤلف عليه؛ إن شاء الله تعالى، وبه التوفيق.

الخامس:

كثيراً ما تسمَعُ الجهَلة يقولون: يُخشى على المُنكِر المَقْت، والعالِمُ الفلانيُّ لـمّا أنكَرَ مُقِتَ وحَصَلت له مُصيبةُ كذا، فهل هو قولٌ صحيح، أو سوءُ أدَبٍ صريح؟ وماذا قاله الأئمّة الأكابرُ في حقِّ من خرَج من الصُّوفيّة عن الظاهر؟

ليصيرَ المرءُ على بَصيرةٍ في دِينِه، ويحذَرَ من زُخرُفِ القول وَزَينِه؟

أوضِحوا الجَواب، بقصدِ الأجر والثَّواب، ليزولُ اللَّبسُ والِارتياب.

الجواب:

الحمدُ لله، اللهم إنا نعوذُ بك من الزَّلَل في الأقوال، كما نستَعيذُك من سوءِ العمَل في الأفعال، ونبرَأُ إليك من أن نَفضَح، كما نستَعصِمُكَ من أن نُفضَح، ونستَمنِحُكَ بصيرةً تشغَلُنا بالمُهمّات عن التُّرّهات، وتُنزِّهنا عن التّعلُّم للمُباهاة والمُماراة، ونسألُكُ ـ اللَّهُمَّ ـ أن تجعَلَنا ممّن إذا رأى حسنةً رَواها، وإن عثَرَ على سيِّئةٍ واراها، آمين.

[جوابُ السؤالِ الأول]

لا ريبَ في صُدورِ مثلِ تلك الألفاظِ عنهُم، ووُقوعِها منهُم، ولكنْ لها مَحاملُ وتأويلاتٌ وتدقيق، عندَ أرباب التّحقيق، وفي ذلك جَوابان:

أحَدُهما: لا يبعُدُ أن تكون تلك الألفاظُ صدَرت منهم في حال الشَّطْح والسُّكْر الرُّوحانيّ الذي هو سُكر المَحَبّة، وهذا السُّكر بمنزلة شُرب الخمر، بل أعظَم!

وسبَبُ هذا السُّكر اللّذّةُ القاهرةُ للعقل، وسبَبُ اللّذّة إدراكُ المحبوب وتصوُّرُه،

فإن كانت المَحَبّةُ قويةً وإدراكُ المحبوب قوياً كانت اللَّذّةُ تابعةً لقوّة هذَين الأمرَين؛ فإن كان العقلُ ثابتاً لم يتغيَّرْ لذلك، وإن كان ضعيفاً حدَث السُّكر.

وقد حدُّوا السُّكر بأنه: سُقوط التّمالُك في الطَّرَب، وهو عدَم التّمييز بحيثُ لا يَعِيْ ما يقول، بل يختَلِطُ كلامُه، وتتغيّر أفعالُه؛ بحيثُ يزولُ عقلُه، ويُعَربِدُ أعظَمَ مِن شارب الخمر، وربّما قتَلَهُ سُكْر الفرَح بسبَبٍ طَبيعيّ، وهو انبِساطُ دَم القلب وَهْلةً واحدةً انبِساطاً غيرَ مُعتاد.

والدَّمُ هو الحاملُ الحارُّ الغَريزيّ، فيبرُدُ القلبُ بسبَبِ انبِساط الدَّم، فيحدُثُ الموت، وهذا أمرٌ معلومٌ مُشاهَد، فقد وقع ذلك لكثيرٍ من المحبِّين وقد أفردتُ هذا بمُؤلَّف لطيف سميته «مُنية المحبين وبغية العاشقين»، فراجِعه[1].

وحيثُ كان كذلك؛ فألفاظ السَّكران بسبَبٍ غير مُحَرَّمٍ مما يجبُ أن تُطوىٰ ولا تُروىٰ؛ لعدَمِ ترتُّب الأحكام الشَّرعيّة عليها حينَئذٍ.

قالوا: ولأنه أيضاً يصدُر عن العارِف بالله ـ إذا استغرَقَ في بحر التّوحيد والعِرفان؛ بحيثُ تضمَحلُّ ذاتُه في ذاتِه، وصِفاتُه في صِفاتِه، ويغيبُ عن كُلِّ ما سِواه ـ عِباراتٌ تُشعِرُ بالحُلُول والاتِّحاد؛ لقُصور العِبارةِ عن بيانِ حالِه الذي تَرقّى إليه.

وحيث كان كذلك، وأمكَن الحملُ على مثل ذلك؛ فلا إنكار.

الثاني ـ وهو الجوابُ السديدُ الجاري على نهج التّحقيق ـ: هو المصيرُ إلى

---

(١) تطرّق إلى هذا في الباب السادس من «منية المحبين»: في علامات المُحِبّ والعاشق، وأفرد لمشاهر موتى العشاق مؤلَّفاً ثانياً هو «تسكين الأشواق بأخبار العشاق»، وتجدهما في هذا المجموع المبارَك بتحقيقِ العبد الفقير، ولله الحمد.

تأويل كلامِهم بما يُوافِق الشَّرع؛ وهذا أليَقُ لِاطِّرادِه؛ لأنّ مَن وضَعَ منهُم كلامَه في التّصنيف والتّأليف ونظمِ الأشعار لم يَضَعْهُ في تلكَ الحالة عن سُكر، بل عن صَحْو؛ لأنّ السَّكرانَ لا يَقدِرُ حالَ سُكره على التّصنيف ونظمِ الشِّعر، وأما مُجرَّد الألفاظ فتصدُر عن السَّكران كالصّاحي؛ كما هو مُشاهَد.

وغايةُ الأمر وتلخيصُ الجواب:

أن هذه الألفاظَ والعباراتِ الصادرةَ عنهم في كلامِهم جاريةٌ على اصطِلاحهم؛ كسائر الصُّوفيّة، وهو حقيقةٌ عندَهم في مُرادِهم، وإن افتَقَرَ ـ عندَ غيرِهم ممّن لوِ اعتَقَدَ ظاهرَه عندَه كفَر ـ إلى تأويلٍ؛ لإشعارِه عنده بالاتّحاد وغيرِه؛ إذ اللفظُ المصطَلَحُ عليه حقيقةٌ في معناهُ الاصطِلاحيّ، مَجازٌ في غيرِه.

فالمُعتَقِدُ منهم لمعناهُ مُعتَقِدٌ لمعنى صحيح. قاله شيخُ الإسلام زَكريّا في «شرح الروض» في الفقه عند قول العلامة ابن المُقْرئ: إنّ منَ الرِّدّةِ مَن شكَّ في تكفير اليهود والنَّصارى، أو في طائفة ابن عَرَبيّ[1].

وأما «الشَّطْحُ»، فقال العلّامة الطُّوفيُّ وغيرُه:

ما زال أهلُ المَعرِفة يَعيبون الشَّطحَ الذي دخَل فيه طائفةٌ من الصُّوفيّة، وهو قِسمان:

شطحٌ هو ظُلمٌ وعُدوان، من جنسِ ظُلم الكُفّار.

---

(١) يُنظر: «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٤/ ١١٩).

ويُنظر أيضاً: «روض الطالب ونهاية مطلب الراغب» (٢/ ٦٠٨) لإسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله ابن المقرئ ـ بالهمز والتسهيل ـ الشَّغْدَريّ، الشَّرْجيّ ـ نسبة إلى شَرْجَةَ موضعٍ بمكّة أو نواحيها ـ اليَمَنيّ، الشّافعي، (ت ٨٣٧هـ)، المترجم في «الضوء اللامع» للسخاوي (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥).

وشطحٌ هو جهلٌ وهَذَيان، والإنسانُ ظَلومٌ وجَهول[(١)].

وقال الإمام الغَزاليُّ في كتاب «الإحياء»:

وأما الشَّطْحُ فنَعني به صِنفَين من الكَلامِ أَخَذَ به بعضُ المُتصوِّفة:

أحَدُهما: الدَّعاوى الطَّويلة في العِشق مع الله، والوِصالِ المُغني عن الأعمال الظاهِرة، حتى ينتهي قومٌ إلى دعوى الاتِّحاد وارتِفاع الحِجاب، والمشاهَدة بالرُّؤية والمُشافَهة بالخِطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبَّهون بالحُسين الحَلّاج الذي صُلِبَ لأجلِ إطلاقِهِ كلماتٍ من هذا الجِنس.

ويستَشهِدون بقَوله: «أنا الحَقّ»، وبما يَحكون عن أبي يزيدَ البَسْطاميِّ أنه قال: «سُبْحاني، سُبْحاني».

قال: والصِّنفُ الثاني من الشَّطح، هو أن يأتيَ بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ، لها ظواهرُ رائعة، وفيها عباراتٌ هائلة، وليس وراءَها طائل، وهي إما أن تكونَ غيرَ مفهومةٍ عند قائلِها، بل يُصدِرُها عن خَبطٍ في عقلِه، وتشوُّش في خيالِه؛ لقِلّة إحاطَتِه بمَعنى كلامٍ قَرَعَ سمْعَه، وهذا هو الأكثر.

وإما أن تكونَ مفهومة، ولكنّه لا يقدِرُ على تفهيمِه وإيرادِه بعِباراتٍ تدُلُّ على ضَميرِه؛ لقِلّة مُمارَسَتِه للعِلم وعدَمِ تعلُّمه طريقَ التّعيينِ عن المعاني بالألفاظِ الرَّشيقة.

---

(١) ذكره ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ١١٩) ينقله عن أبي حامد الغزالي، وهو ملخَّصُ ما في «الإحياء» (١/ ٣٦)، ولم أهتد إليه فيما عدت إليه من مطبوع كتب الطوفي، وهو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطوفي، الصرصري، ثم البغدادي، الحنبلي، الفقيه، الأصولي، المتفنِّن، نجم الدين، أبو الربيع، (ت ٧١٦هـ)، المترجم في «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٢١)، وذكر في ترجمته أنه كان فيه تشيُّع وانحراف في الاعتقاد عن السنة.

قال: ولا فائدةَ لهذا الجنس؛ فإنه يُشوِّشُ القلب، ويُدهِشُ العُقول، ويُحيِّرُ الأذهان، ويحمِلُ على أن يُفهَمَ منهُ مَعانٍ ما أُريدَت، ويكونُ فهمُ كُلِّ واحدٍ على مُقتَضى هَواهُ وطَبعِه[1].

وقال الحافظُ الذَّهَبيّ: ذكَر لي شيخُنا قاضي القُضاة تقيُّ الدِّين ابنُ دَقيق العيدِ قال: جلَستُ معَ ابنِ سَبْعينَ مِن ضَحوةٍ إلى قَريب الظُّهر، وهو يسرُدُ كلاماً تُعقَل مُفرَداتُه، ولا تُفهَمُ مُركَّباتُه[2].

وأما «التّأويل»، فقال الإمام الغَزاليُّ في «الإحياء»:

قال الجُنَيد: أهل الأُنس يقولون في كلَفِهم ومُناجاتهم في خلَواتِهم أشياءَ هي كفرٌ عند العامّة، وقال مرّة: لو سمِعَها العمومُ لَكفَّروهم، وهم يَجِدونَ المزيدَ في أحوالهم [بذلك]، وذلك يُحتَمَلُ منهم، ويَليق بهم[3].

وقال الغَزاليُّ في «الإحياء» في موضِعٍ آخَرَ:

للتَّوحيد أربعُ مَراتِب، وهو مُنقَسِمٌ إلى لُبٍّ، ولُبِّ اللُّبّ، وإلى قِشْر، وقِشْر القِشْر.

فالمرتبةُ الأولى: أن يقولَ الإنسانُ باللسان: «لا إله إلا الله»، وقلبُه غافلٌ عنه أو مُنكِرٌ له؛ كتوحيد المُنافِق.

---

(١) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٦).

(٢) يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ١٦٩) في أثناء ترجمة الذهبي لعبد الحقّ بن إبراهيم بن محمد ابن سبعين، القُرَشيّ، المخزوميّ، الشّيخ قُطب الدّين، أبي محمد، المُرْسيّ، الرُّقُوطيّ، الصُّوفيّ، (ت ٦٦٩هـ).

وسينقل المصنِّفُ بعضاً من هذه الترجمة في أواخر هذا الكتاب.

(٣) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٤١)، والاستدراك منه.

والثانية: أن يُصدِّقَ بمَعنى اللفظ قلبُه؛ كما صدَّق به عُمومُ المُسلِمين.

الثالثة: أن يُشاهِد ذلك بطَريقِ الكَشف بواسِطة نُور الحقِّ، وهو مَقامُ المُقرَّبين، وذلك بأن يَرى أشياءَ كثيرة، ولكنَّهُ يَراها ـ على كثرَتها ـ صادرةً من الواحدِ القَهّار.

الرابعة: أن لا يَرى في الوُجُود إلا واحداً، وهو مُشاهَدة الصِّدِّيقين، ويُسمِّيه الصُّوفيّة «الفناء» في التّوحيد؛ لأنّه مِن حيث لا يَرى إلا واحداً فلا يَرى نفْسَهُ أيضاً، وإذا لم يَرَ نفْسَه؛ لكَونِه مُستَغرِقاً، فالواجدُ كان فانِياً عن نفْسِه في توحيده؛ بمَعنى أنه فَنِيَ عن رُؤية نفْسِه[1].

قال الغَزاليُّ: فإن قلتَ: كيف يُتَصَوَّرُ أن لا يُشاهِدَ إلا واحداً وهو يُشاهِدُ السَّماء والأرض وسائرَ الأجسام المحسوسةِ وهي كثيرة، فكيف يكونُ الكثير واحداً؟

فاعلم أن هذا غاية علوم المُكاشَفات، وأسرارُ هذا العلم لا يجوزُ أن تُسطَر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاءُ سرِّ الرُّبوبيّة كُفر[2].

ثم قال بعدَ كلامٍ طويل: فإن قلتَ: كيف الجمعُ بين التّوحيد والشَّرع؛ ومعنى

(١) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٤٥).

(٢) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٤٦).

وقد ذكر الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢/ ٦٧) ما خلاصتُه: أن هذا القول يُخرَّج على وجهين:

أحدُهما: أن يراد به: كفرٌ دون كفرٌ، سُمّيّ بذلك؛ تغليظاً لِما أتى به المُفشي وتعظيماً لِما ارتكبَه.

والوجه الثاني: أن يكون مَعناه كُفراً للسامع دونَ المُخبِر، فمَن حدّث أحداً بما لم يصِلْ إليه عقلُه ربما سارَعَ إلى التكذيب، قال: وهذا وجهٌ واضحٌ قريب، ولا يُلتَفَتُ إلى ما مال إليه بعضُ من لا يعرفُ وجوهَ التأويل ولا يعقِلُ كلامَ أولي الحِكَم والراسخين في العلم؛ حتى ظن أنّ قائل ذلك إن أراد به الكفر ـ الذي هو نقيضُ الإيمان والإسلام ـ يتعلّق بمُخبِره ويلحَقُ قائلَه.

التّوحيد: أنْ لا فاعلَ إلا الله، ومعنى الشَّرع: إثباتُ أفعال العباد، فإن كان العبدُ فاعلاً فكيف يكونُ الله فاعلاً؟ وإن كانَ الله فاعلاً فكيف يكون العبد فاعلاً؟ ومفعول بين فاعِلَين[1] غيرُ مفهوم!

قلت: نعم غيرُ مفهوم إذا كان للفاعلِ مَعنىً واحد، وأما إن كان له مَعنَيان فلا، كما يُقال: «قتَلَ الأميرُ فلاناً»، ويُقال: «قتَلَهُ الجَلّاد»، وصحَّ ذلك؛ لأن الأميرَ قاتلٌ بمَعنى، والجلادُ قاتلٌ بمَعنىً آخر، فكذلك العبدُ فاعلٌ بمَعنى، والله فاعلٌ بمَعنىً آخر.

فمَعنى كونِ الله فاعلاً: أنه تَعالى هو المُختَرِعُ المُوجِد، ومَعنى كون العبد فاعلاً: أنه المحلُّ الذي خُلقَت فيه القُدرة؛ كما يُسَمّى الجَلّادُ: قاتلاً، والأميرُ: قاتلاً؛ لأن القتلَ ارتبَطَ بقُدرَتِهما، لكنْ على وجهَين مختلفَين، ولأجلِ توافُق ذلك وتطابُقِه نسَبَ اللهُ تَعالى الأفعالَ في القُرآن مرّةً إلى الملائكة، ومرّةً إلى العِباد، ومرّةً إلى نفْسِه؛ كقوله تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤]، [أضافَ إلينا، ثم قال تَعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا﴾ [عبس: ٢٥ ـ ٢٨]]، وقولِه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢][2].

قلتُ: ومِن هنا يُعلَم كيف يُتَصوَّرُ أن لا يُشاهِدَ العارفُ إلا واحداً وهو يُشاهِدُ السَّماء والأرض وغيرَهما؛ لأن الله تَعالى هو أظهَر الأمور، وبه ظهَرت الأشياءُ كلُّها، ولو كان بعضُها موجوداً به وبعضُها موجوداً بغيرِه؛ لأدركتَ التّفرِقةَ بين

(١) في الأصل: «مفعولين»، والتصويب من مصدره.

(٢) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٥٦)، والاستدراك منه.

الشيئَين في الدّلالة، ولكن دلالتَه عامّة في الأشياء على نسَق واحد، ووُجُوده دائمٌ في الأحوال يستَحيلُ خِلافُه، فمَن قَوِيَت بَصيرتُه فإنّهُ ـ في حالِ اعتِدال أمرِه ـ لا يَرى إلا الله ولا يعرِفُ غيرَه، ويعلَمُ أنّه ليس في الوُجُود إلا الله، وأفعاله أثرٌ من آثار قُدرته، فهي تابعةٌ له، فلا وُجُودَ لها بالحقيقة دونَه، وإنما الوُجُود للواحِدِ الحقِّ الذي به وُجُودُ الأفعال كلِّها.

ومَن هذا حالُه فلا ينظُرُ في شيءٍ من الأفعال إلا ويَرى فيها الفاعلَ ويذهَلُ عن الفِعل؛ من حيثُ إنه أرضٌ وسَماء وحيَوانٌ وشجَر.... فلا يكونُ ناظراً إلا في الله، ولا عارفاً إلا بالله، ولا محبّاً إلا لله، وكان هو المُوحِّدَ الحَقَّ الذي لا يَرى إلا الله، بل لا ينظُر إلى نفْسِه من حيث نفْسُه، بل من حيثُ إنه عبدُ الله، فهذا هو الذي يُقال فيه: إنه فَنِيَ في التّوحيد، وإنّه فَنِيَ عن نفْسِه.

وقال بعضُهم: إن الفَناءَ ثلاثةُ أقسام:

فَناء في الأفعال؛ كقولهم: لا فاعلَ إلا الله.

وفَناء في الصفات؛ كقولهم: لا حيَّ إلا الله.

وفَناء في الذات؛ كقولهم: لا موجودَ إلا الله[١].

وهذه الثلاثةُ مرادةٌ بقَول بعضِ العارفين: من شَهِدَ الخلق لا أفعالَ لهم فقد فاز، ومن شَهِدَهم لا حياة لهم فقد جاز، ومن شَهِدَهم عين العدَم، فهو الواصلُ[٢] الراسخُ القدَم؛ لأنه وقَفَ على الحقيقة وترَكَ المَجاز.

---

(١) يُنظر: «شرح الشفا» لملا علي القاري (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٢) نسبه ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» (ص١١٩) إلى الشيخ محيي الدين ابن عربي بنحوه.

واعلم ـ أيّدَكَ الله ـ أن أظهَرَ الموجودات وأجلاها هو الله؛ إذ جميعُ ما في العالم شواهدُ ناطقة، وأدلةٌ شاهدةٌ بوُجُود خالقِها سُبْحانه، لكن لمّا زاد ظُهُورُه انبَهَرَتِ العُقول ودُهِشَت عن إدراكِه؛ كما أن الخُفّاشَ يُبصِر باللّيل ولا يُبصِر بالنَّهار، لا لِخَفاء النَّهار، بل لشدّة ظُهُوره؛ فإنّ بصَرَ الخُفّاش ضعيفٌ يبهرُهُ نورُ الشَّمس فلا يرى شيئاً إلا إذا امتَزَجَ الضوءُ بالظلام، فكذلك عقولُنا ضعيفة، وجمالُ الحَضرة الإلهيّة في نهاية الإشراق والاِستِنارة، فصارَ ظُهورُه سببَ خَفائه، فسُبْحانَ مَن احتَجَبَ بإشراقِ نُوره، واختَفى عن البَصائر والأبصار بمَزيدِ ظُهوره[١].

* * *

[أجوبةٌ على مسائلَ مُشكِلةِ الظَّواهر]

إذا تقرَّر هذا ـ الذي هو عُمدةُ الجَواب عما يُوهِمُ مِن كلامِهم الاتِّحادَ ـ فلنذكُرْ بعضَ مسائلَ مما ذُكر في السُّؤالِ وغيرِه؛ ظاهرُها مُشكِل، وعندَ التّأويل تجِدُها حَقّاً موافقةً للشَّرع أَيَّدَهُ الله.

فمن ذلك: قول أبي يزيدَ ـ أو الشِّبْليِّ[٢] ـ:..........................

(١) قاله الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(٢) أما البِسطامِي، فهو طيفورُ بن عيسى بن شَرْوَسَان، أبو يزيد، الصوفي، (ت ٢٦١هـ)، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧) ووصفه بالزاهد، العارف، مِن كبار مشايخ القوم، وقال في أثناء ترجمته: وقد نقلوا عنه أشياءَ من متشابه القول، الشأنُ في صحّتها عنه، ولا تصحُّ عن مسلمٍ، فضلاً عن مثلِ أبي يزيد، منها: «سبحاني»، ومنها: «ما النار، لأستندنَّ إليها غداً، وأقول: اجعَلْني لأهلها فداءً، أو لأبلُغَنّها»، «ما الجنةُ! لعبةُ صبيان ومرادُ أهل الدنيا»، «ما المحدَّثون! إن خاطَبَهم رجُل عن رجل، فقد خاطبنا القلبُ عن الرّبّ»، وقال في يهود: «هَبْهُم لي، ما هؤلاء حتى تعذبهم؟!» وهذا الشطح ـ إن صح عنه ـ فقد يكون قاله في حالة سكره، وكذلك قولُه عن نفسه: «ما في الجبة =

«ما في الجُبّة» ـ بالجيم والباء الموحَّدة، أو الثاء المثلَّثة ـ «إلا الله».

وجوابه: أنّ المرادّ: «ما في جسَدي إلا حُبُّ الله»، أو «ما في الجُبّةِ إلا سِرُّ الله»، الذي هو الرُّوحُ المحرِّكُ للأجساد.

وكم في الكتابِ والسُّنّة من كلامٍ يجبُ فيه التّقدير؛ كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، أيْ: حُبَّ العِجل[١].

أو إنه قالَ ذلك في حالِ الفَناءِ والاستِغراقِ في التّوحيد[٢].

أو إنّه من الكلِمات التي تَجري على اللّسان، ولا يريدُ قائلُها حقيقةَ مَعناها؛ كقولِ القائل: «لا إلهَ إلا الله، ما في الكَونِ غيرُ الله»، أو «لا موجودَ إلا الله»، ومعلومٌ أن اللهَ ليسَ في الكَون، وأنّ غيرَ الله تَعالى موجود.

= إلا الله»، وحاشى مسلم فاسق من قول هذا أو اعتقاده، يا حيُّ يا قيُّوم، ثبِّتْنا بالقول الثابت، وبعض العلماء يقول: هذا الكلام مقتضاهُ ضلالُه، ولكن له تفسيرٌ وتأويل يخالفُ ظاهرَه، فالله أعلَم. ا.هـ.
وأما الشِّبْليُّ فهو دُلَف بن جعفرِ بن يونس، أبو بكر، (ت ٣٣٤هـ)، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٨٧ ـ ٦٨٩) ووصفه بالصوفي المشهور، صاحب الأحوال، وذكر أنه صحب الجنيدَ ومَن في عصره، وصار أوحدَ الوقت حالاً وقالاً في حال صحوِه لا في حال غيبته، قال: وكان فقيهاً، مالكيَّ المذهب، وسمع الحديث، وقال: له كلامٌ مشهور، وفي الكتب مسطور. ا.هـ. والله أعلم.

(١) وهذا مجاز لغويٌّ يُسمّى مجاز الاختصار، أو مجاز الحذف، ونحوها ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلَ القرية.

(٢) وقد نسب ابنُ تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٥٧) هذه العبارة إلى أبي يزيد البسطاميّ، ورأى أنها صدَرت منه في حال زوال العقل من الفناء، والله تعالى أعلم.
ورأى في «تقريب التدمرية» (ص١٢٥) أن الفناء يصل بصاحبه إلى حال تشبه حال المجانين والسكارى، حتى إنه ليصدُر عنه من الشطحات القولية والفعلية المخالفة للشرع ما يعلمُ هو وغيره غلَطه فيها كقول بعضهم... وذكر أقوالاً.

ومن ذلك قول أبي يزيدَ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: «خُضتُ بَحراً وقفَ الأنبياءُ بساحِلِه».

وجوابه: أنه يشكو ضعفَهُ وعجزَه عن اللُّحوق بالأنبياء، وذلك لأنهم خاضوا بحرَ التّوحيد والعِرفان، ووقَفوا من الجانب الآخَر يدْعونَ الخلقَ إلى الخَوض.

أو أنه أراد: بحرَ العَجز والتّقصير والغَفلة المنزَّهِ عن أن يخوضَ فيه الأنبياء.

أو أراد: بحرَ النَّجاة، بمعنى: أنه نَجا بنفسه ولم يلتَفِت إلى غيرِه؛ حيث فاز هو لقُصوره، بخلاف الأنبياء عليهم السَّلام؛ فإنَّهم وقفوا بساحلِه لإنقاذ الغَرْقى، وإرشاد الحَيارى، والدِّعاية إلى طريق دار السَّلام.

ومن ذلك قوله: «طاعتُك لي ـ يا ربّ ـ أعظَمُ مِن طاعتي لك».

وجوابه: أنه أراد بالطاعةِ إجابةَ دعائه، أيْ: إجابتُك ـ يا ربّ ـ دعائي أعظَمُ من إجابتي أنا امتِثالَ أمرِك، أيْ: تُطيعني فيما سألتُك إيّاه، ولا أُطيعك فيما سألتَنيه، بل في البعضِ دونَ البعض.

ومن ذلك قوله: «بَطْشي أشَدُّ مِن بطْشِ الله»؛ حين سمع: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

وجوابُه: إنه أرادَ أنَّ بطش الله بعبدِه لا يكونُ إلا مخلوطاً بالرحمة؛ لأن رحمتَهُ سبقَت غَضَبَه، ولا هكذا بطشُ أبي يزيد؛ فإنّه محضُ انتِقامٍ لا يَشوبُه رَحمةٌ؛ لضِيقه، فكانَ بطشُهُ بأخيه أشَدَّ مِن بطشِ الله بعبدِه[1].

أو إنه أراد بالشِّدّة من حيثُ الِاستِعجالُ وعدَم الأناة في العُقوبة، بخلاف الله

---

(١) يُنظر: «لطائف المنن» للشعراني (ص٢٣٦ ـ ٢٣٧).

تَعالى في العقوبة؛ فإنه حليمٌ لا يعجَل، وفي الحديث الصحيحِ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «ما أَحَدٌ أصبرُ على أذىً سَمِعَهُ منَ الله» الحديثَ(١).

وأما قوله: «سُبْحاني سُبْحاني».

فقال الغَزاليُّ: إن أبا يزيدَ البَسْطاميَّ لا يصحُّ عنه ذلك، وبتقدير صحّتِه فقال: لعلّه كان يحكيهِ عن الله تَعالى في كلامٍ يردِّدُه في نفسِه؛ كما لو سَمِعَ وهو يقولُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾(٢) [طه: ١٤]، ما كان ينبَغي أن يُفهَمَ منه ذلك إلا على سبيلِ الحِكاية. انتَهى كلامُ الغَزاليّ (٣).

وأيضاً فالإنسان إذا قال: «سُبْحاني» بقصدِ تنزيهِ نفْسه عن شيءٍ مذمومٍ خطَرَ ببالِه، فالظاهرُ أنه لا إثمَ عليه في ذلك؛ لأن «سُبْحان» لفظٌ يُرادُ به التّنزيه، فلْيُتأمَّلْ.

ومن ذلك قولُ بعضِهم: «حقيقةُ التّقوى ترك التّقوى».

وجوابه: أيْ: تركُ الاعتِماد على التّقوى، أو عدَمُ رُؤية التّقوى والعُجب بها؛ فإن العبدَ لا يعتَمد إلا على ربِّه، وفي الحديث الصحيح عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لن

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عنه.

(٢) في الأصل: «إني»، وصوّبت.

(٣) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٦).

وقد رأى ابنُ تيميةَ في «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٥٧) وغيره من كتبه أن هذه العبارة أيضاً صدَرت من أبي يزيد البسطاميّ في حال زوال العقل من الفناء، فوافق في ذلك قولَ محييِّ الدين ابن عربي في «الفتوحات المكية» (١/ ٢٧٦): وتقول في غلبة ذلك الحال عليها: «أنا الله» و«سبحاني»؛ كما قال ذلك بعض العارفين، وذلك لغلبة الحال عليه، ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبي ولا ولي كامل في علمه وحضوره ولزومه باب المقام الذي له وأدبه ومراعاة المادة التي هو فيها وبها ظهر. ا.هـ. والله تعالى أعلم.

يدخُلَ الجنةَ أحدٌ بعمَله»[١]، أو المراد: عدَمُ تزكية النفس، فلا تزَكُّوا أنفُسكم، ولا ترَوا لكُم عمَلاً.

وكذلك قولُه: «حقيقةُ التّوبةِ التّوبةُ من التّوبة».

إن المراد: عدَمُ الاعتِماد على التّوبة، والتّوبةُ من ذلك؛ كقول رابعةَ رَضِيَ اللهُ عنها: إنّ استِغفارَنا هذا يحتاجُ إلى استِغفار[٢].

ومن ذلك قولُ الشيخ مُحيي الدين بنِ عَرَبيّ: «حدَّثَني ربّي».

وجوابه: إن المرادَ: تحديثُ إلهام، وهذا ليس بمُستَبعَد؛ قال تَعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وكان يقول مِراراً: إنه ليسَ مراده: أنّ الله كلَّمَه كما كلَّم الأنبِياء، وإنما مرادُه: أن الله يُكلِّمُه على لِسان ملَكِ الإلهام[٣].

ومن ذلك قولُه أيضاً:

مَقَـامُ النُّبُـوَّةِ فـي بَـرزَخٍ ... فُوَيقَ الرَّسُـولِ ودُونَ الوَلـيّ

وجوابه: إن هذا باعتِبار المراتبِ الثلاث التي حازَها الرّسول، وهي: النُّبوّة، والرِّسالة، والوِلاية، لا باعتبار ولايةٍ اتَّصف بها غيرُه، وأعلاها في حقِّه الولاية؛ لأنها

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه بنحوه.

(٢) نسبه إلى رابعة ـ رحمها الله ـ الغزاليُّ في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١٣). ونسبه القرطبي في «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١/ ٢١٤) إلى الحسن البصري.

(٣) جاء في «الفتوحات المكية» لابن عربي (١/ ٥٧) فشتان بين مؤلف يقول: «حدثني فلان رحمه الله، عن فلان رحمه الله»، وبين من يقول: «حدثني قلبي عن ربي»، وإن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول: «حدثني ربي عن ربي»، أي: حدثني ربي عن نفسه.... وهذا هو العلمُ الذي يحصل للقلب من المشاهَدة الذاتية التي منها يفيض على السرِّ والروح والنفس.

حالتُه مع الله، ودونَها النُّبوّة؛ لأنها حالتُه مع الملَك، ودونها الرِّسالة؛ لأنها حالتُه مع الخَلق[١]، وقد أفرَدتُ هذا البيتَ بمُؤلَّف فراجِعْه[٢].

ومن ذلك قولُه أيضاً: «إن الحقَّ تَعالى ذاتُ كُلِّ شيء، والمُحدَثات أسماؤه».

وجوابه: أن المرادَ: أصلُ وُجُود كُلِّ شيء، أو قيُّومُ ذاتِ كُلِّ شيء، فهو قيُّومُ السموات والأرض، وبه قامت ذاتُ كُلِّ شيء.

أو أنه لما كانت الذاتُ العليّةُ هي المقوِّمةُ المحقِّقةُ للمُحدَثات ـ وهو قيُّومها الذي لا قيامَ لها بدُونه ـ أطلَقوا عليه ذاتَها إطلاقاً اصطِلاحيّاً.

وإلا فالمُعتَقِد: أنه تَعالى ذات كُلِّ شيء حقيقةً، وأنه هو هي بحَسِب ما يتَبادرُ للأذهان، فهو كافرٌ باتِّفاق المسلمين؛ فإن كُلَّ عاقلٍ يُميِّز بين الخالق والمخلوق، بل هذه المقالةُ لم يقُل بها أحَدٌ من لدُنْ آدَم ـ عليه السَّلام ـ إلى يومنا هذا ـ فيما أعلم ـ سِوى ما يُنقَلُ عن بعضِ زنادقةٍ من المُتصوِّفة! غايتُه: أن القائلين بالاتِّحاد والحُلُول خَصُّوه بمُعيَّنٍ كعيسى ابن مريمَ وعليِّ بن أبي طالبٍ وحُسينٍ الحَلّاج؛ لأمورٍ صدَرت منهم أوهَمَت ضِعافَ العُقول الضّالّين ذلك.

---

(١) أما هذا البيتُ فأكثرَ ابنُ تيمية من نسبته لابن عربيٍّ والتشنيعِ عليه بسببه، ولم أهتدِ إليه في كتبه، والله أعلم.

إلا أنّ لابن عربيّ أبياتاً ستةً في «الفتوحات المكية» (٢/ ٢٥٢) مطلعُها:

بيـن الولايـة والرسـالة بـرزخٌ   فيـه النبـوّةُ حكمُها لا يُجهَلُ

ويشهد للتأويل الذي ساقه الكرميُّ قول ابن عربيٍّ في «الفتوحات المكية» (١/ ٥٧): أصلُ الطريق أنّ نهايات الأولياء بداياتُ الأنبياء. والله أعلم.

(٢) يُريد رسالته: «تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي: الولاية أو النبوة أو الرسالة».

وأما الحُلُول العامُّ المنسوبُ للشيخ مُحيي الدين وأضرابِه؛ أخذاً من كلامِه المتقدِّم، فأنت قد عرفتَ جَوابَه ومُرادَه؛ تَعالى اللهُ عما يقولُ الظالمون الجاهلون عُلوّاً كبيراً.

وأما كونُ المُحدَثات أسماءَه، فقيل: لأنّها دالّةٌ عليه دلالةً لازمةً ذاتيّةً كدلالة المفعولِ على فاعله، والاِسمُ: ما دلَّ بذاتِه على ما وُضِعَ له، فمِن ثَمَّ سَمُّوا المُحدَثات «أسماءً» لِقَيُّومِها الذي أوجدَها.

ومن ذلك ما نُسب للشيخ مُحيي الدين من قَوله بصحّة إيمانِ فرعونَ وإسلامِه.

وجوابُه: إن هذا لا يصِحُّ عنه، بل هو مدسوسٌ عليه؛ كما قاله الشيخُ الشَّعراويُّ وغيرُه[1].

وبتقدير صحّته عنه، فهناك شبهةٌ تدفَعُ عن القائل بذلك الإثم؛ حيث كان مُجتَهِداً، وهو قولُه تَعالى حكايةً عنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

---

(١) يُنظر: «اليواقيت والجواهر في بينا عقائد الأكابر» للشيخ عبد الوهاب الشعراني (١/ ٣٣)، وتابعه الشيخ مصطفى البكري الصدّيقي في «العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية» (ص٢٠٢).

وقد استشهد الشعراني ـ رحمه الله ـ بأنّ ابن عربيٍّ صرّح بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين، قال: و«الفتوحات» من أواخر مؤلفاته؛ فإنه فرغ منه قبل موته بنحو ثلاث سنين.

قلتُ: قولُ ابن عربي المقصودُ في «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٢٠)، ويعضُده قوله فيها (١/ ٣٥٧): وقد نأخذ فرعونَ وأمثاله من المتكبِّرين دليلاً على وجود الصانع؛ لأنه صنعة، وقوله (١/ ٦٤٧): وأما الذين جعلوه شريكاً لله فلا يخلو ذلك المجعول أن يرضى بهذا المحال، أو لا يرضى، فإن رضي كان بمَثابتهم كفرعون وغيره. ا.هـ. والله أعلم.

قال الإمام ابنُ حزم: اتفق العُلَماء على أن مَن كَرَبَت[(١)] نفْسُه من الزُّهوق، فماتَ له ميِّت أنه يرِثُه، وإن قدرَ الكافرُ على النُّطق فأسلَم؛ فإنّه يرِثُه المُسلِمونَ من أهلِه، وأنه متى شَخَصَ ولم يَبقَ بينه وبين الموت إلا نفَسٌ واحِد، فماتَ مَن أوصى له بوصيّة؛ فإنه قد استحَقّها، ومَن قتَلَه في تلك الحالة أُقيدَ به[(٢)].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تَيميّة: قال أبو العالِية: سألتُ أصحابَ مُحمّدٍ ﷺ عن قولِه تَعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧]، فقالوا: كُلُّ مَن عصى الله فهو جاهل، وكلُّ مَن تاب قبلَ الموت فقد تابَ من قَريب[(٣)].

فعَلى هذا؛ فلا يسَعُنا شَرعاً إلا الحكمُ بإسلام مَن أقَرَّ بالتّوحيد عندَ موته، وإن لم ينفَعْهُ باطناً إن كان عندَ مُعايَنة الملَك ونُزول العذاب والبأس به؛ لقولِه تَعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥]، ولحديثِ ابنِ أبي الدُّنيا عن عليٍّ ـ كرم الله وجهه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يزال العبدُ في مُهلةٍ من التّوبةِ ما لم يأتِه ملَكُ الموت يقبضُ رُوحَه، فإذا نزَلَ ملَكُ الموت فلا توبةَ حينَئذ»[(٤)]، ولولا

---

(١) يُقال: كَرَبَ الأمرُ يَكرُبُ كُروباً: دَنا، وفي مطبوع مصدره: «قرُبت».

(٢) يُنظر: «المحلى بالآثار» لابن حزم (١١/ ١٧٩).

(٣) وذكر ابن تيمية هذا القول في غير موضع من كتبه؛ منها «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٣)، وذكره ابن رجب الحنبلي في «تفسيره» (٢/ ١٢١) أيضاً، ولم أهتدِ إليه مسنداً بهذه السياقة، وروى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٧) عن أبي العالية قال: كل ذنب أصابه عبدٌ فهو بجهالة. والله تعالى أعلم.
وأما أبو العالية فهو رُفَيع بن مِهْرانَ الرِّياحيّ البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسّر، أحدُ أعلام التابعين، قرأ القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرات، (ت ٩٣هـ)؛ ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ١٢٠٢ ـ ١٢٠٤).

(٤) نسبه إليه ابن رجب الحنبلي في «تفسيره» (١/ ٣٠١)، ولم أدر في أيّ كتب ابن أبي الدنيا هو، والله أعلم.

ظاهـرُ القُـرآن أنّ إيمانَ فرعـونَ كان حين ذلك لحكَمنا نحنُ أيضاً بإسـلامِه، فتأمل[١].

ومن ذلك قولُ سيدي عُمَرَ بنِ الفارض ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ:

تَـمَسَّكْ بأذيـالِ الهَوىٰ وَاخْلَـعِ الحَيَا   وَخَـلِّ سَـبِيْلَ النّاسِـكينَ وَإنْ جَلُّوا[٢]

وجوابـه: إن «الهـوى» ـ فـي الأصلِ ـ: مـا تهـواهُ النَّفْس من معصيـةٍ أو طاعة، وإن غلَبَ اسـتعمالُه فـي المعصية، فأَطلَق «الهـوى» وأراد به هَوى الطاعـة، ومَحَبّةَ ما ينفَـعُ حُبُّه.

والحياءُ قسمان: حياءٌ طَبْعيّ، وحياءٌ شَرْعيّ، فأمر بتَرك الحياء الطَّبْعيّ؛ فإنه يَستَقبحُ[٣] فِعلُ مَن يضَعُ رأسَهُ على الأرض مُطأطئاً، وفِعلُ مَن يطوفُ حَولَ بناء، بل يعُدُّه جُنوناً! فالحياء الطَّبْعيُّ مذمومٌ عند العارفين؛ لأنه عندَهم من جُملة الكِبر، بل الواجبُ على المرءِ أن يتَّبعَ ما أمر به الشَّرع.

ومرادُه بـ«الناسكين»: العُبّاد الذين يُراعونَ الخَلق، ويقِفونَ مع أعمالهم، ويعتَمِدون عليها، ومعنى «وإن جَلُّوا» أيْ: وإن عظُموا في أعيُن العَوامّ.

ومن ذلك قولُه أيضاً:

---

(١) وقيل: إن ابن عربي قصد التوريةَ عن نفسِه الأمارة بالسوء؛ كما ذكر لسان الدين ابن الخطيب في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٢/ ١٦٩): ومما نسبه إليه رحمه الله تعالى غيرُ واحد قولُه [دوبيت]:

قلبـي قطبـي وقالبـي أجـفـانـي   سرّي خَضِـري وعينُـه عِرفانـي
رُوحـي هـارون وكليمي موسى   نفسـي فرعونُ والهـوى هاماني

ويُنظر: «العرائس القدسية» للبكري الصدّيقي (ص٢٠٣).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص١٦٣).

(٣) أي: الحياءُ الطبعيُّ.

وقُلتُ لزُهْدِي والتَّنَسُّكِ والتُّقى: تَخَلَّوا وَما بَيْني وَبَيْن الهَوى خَلُّوا[1]

وجوابُه: إن مُرادَهُ بذلك: عدَمُ الوقوف مع الأعمال والاعتِمادِ عليها دونَ الله تَعالى، خُصوصاً والأعمالُ في الغالب مَشُوبةٌ غير مُتمحِّضةٍ للإخلاصِ لله سُبْحانه، فلم يَبقَ ينفَعُ العبدَ إلا هواهُ وحُبُّهُ لله ورَسُولِه ومَن ينفَعُ حُبُّه.

ومن ذلك ـ وهو مما أشكَلَ عليَّ جوابُه مُدّةً طويلةً ولا أراه مسطوراً، وهو من أشكَلِ ما يكونُ من كلام سيِّدي عُمَرَ بنِ الفارِض ـ قولُه:

وإنْ عَبَدَ النّارَ المَجُوسُ وَما انْطَفَتْ كَما جاءَ في الأخبارِ في ألفِ حِجّةِ

فما عبَدُوا غَيْري وَإنْ كانَ قَصْدُهُمْ سِوَايَ، وإن لم يُظهِرُوا عَقْدَ نِيَّتي[2]

وجهُ إشكاله: أنهم حيثُ لم يعبُدوا غيرَ الله، فكيف كفَرَ مَن لم يعبُدْ غيرَ الله؟ ومِن أين جاءه الذَّمُّ واستَحقَّ الخُلودَ في النار؟

وجوابه: أنّ «العبادة» معناها: الطاعة، ومعنى «الطاعة»: الانقِياد والاستِسلام؛ كما قالَه أهل اللغة[3]، فأراد بـ«العبادة» ـ هنا ـ: الانقياد.

والمجوسُ وغيرُهم مُنقادون لله، داخِلون تحتَ حُكمِه ومَشيئته؛ قال تَعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وقال تَعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ويدلُّ لذلك قولُه في البيت قبلَه:

وألسِنَةُ الأكوانِ إن كنتَ واعِياً شُهُودٌ بتَوحِيْدي بِحالٍ فَصِيْحةِ[4]

---

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص١٦٨).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص٨١).

(٣) يُنظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٥٥).

(٤) «ديوان ابن الفارض» (ص٧٩).

أرادَ بقوله: «شهود بتوحيدي»: التّوحيدَ الحاليَّ المُدخِلَ للمُؤمنِ والكافرِ في حكم العِبادةِ بالحال.

وصرَّح بذلكَ في قولِه: «بحالٍ فصيحة»؛ ليخرج بذلك التّوحيد القاليّ؛ فإنه لم يتَعرَّضْ له، ولا لأهلِه؛ لأنه مخصوصٌ بالمُؤمنين دونَ الكافرين.

أو المرادُ بـ«العبادة» ـ هنا ـ: المعرفةُ الفِطريةُ التي يقرُّ بها المؤمنُ والكافر، قال ابن عباس في قوله تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أيْ: ليعرفون[١]، والمقصود: أن جميعَ الجنِّ والإنس قد وُجد منهم ما خُلقوا له من العِبادة التي هي مُجرَّدُ الإقرارِ الفِطريِّ بالأُلوهيّة.

ومن ذلك قولُه أيضاً:

ولَوْ خَطَرَت لِـيْ فـيْ سِـواكِ إرادةٌ   عَلى خاطِريْ سَـهْواً قَضَيْـتُ بِرِدَّتي[٢]

وجوابُه: أن مرادَه: الرِّدّةَ النِّسبيّة لا الدِّينيّة؛ لأن الرُّجوعَ والنُّزول من مَقامِ المُقرَّبين إلى حَسنَاتِ الأبرار رِدّة، و«الرِّدّةً» لغةً معناها: الرُّجوع.

ومن ذلك قولُه أيضاً:

وَحُزْنِـيَ ما يَعْقُوبُ بَـثَّ أَقَـلَّـهُ   وَكُـلُّ بَلا أَيُّوبَ بَعْـضُ بَلِيَّتي[٣]

وجوابُه: أنَّ هذا مِن باب المُبالَغة، وذلك جائز؛ كما هو مُبَيَّنٌ في عِلمِ البَديع[٤]،

(١) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنه بل عن مجاهدٍ؛ يُنظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن» للبغوي (٤/ ٢٨٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٩/ ٥٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ٥٠٦ـ٥٠٨).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص٣١).

(٣) «ديوان ابن الفارض» (ص٢٧).

(٤) و«المبالغة» نوعان: مقبولةٌ وغير مقبولة، والمقبولة: ما جرَت مجرى الاعتدال الذي لا يستنكره =

والجوابُ بغير ذلك تكلُّفٌ لا حاجةَ إليه، وهو نظيرُ قولِه في البيت الآخَر:

فَطُوْفانُ نُوْحٍ عِندَ نَوْحِي كأَدْمُعِي ... وَإيْقادُ نِيْرانِ الخَلِيْلِ كَلَوْعَتِي[١]

وقوله:

خَفِيْتُ ضَنًى حَتّى لَقَدْ ضَلَّ عائدي ... وَكَيْفَ تَرى العُذّالُ مَن لا لَهُ ظِلُّ[٢]

وقول القائل:

ولو أَنَّني عُلِّقْتُ في رِجْلِ[٣] نَمْلةٍ ... لَسَارَتْ ولم تَدْرِيْ بأَنّي تَعَلَّقْتُ[٤]

فكلُّ ذلك سائغٌ عند البُلَغاء، لا يُعَدُّ شيءٌ منه كَذِباً.

ومن ذلك قولُهُ أيضاً:

قَلْبي يُحَدِّثُني بأَنَّكَ مُتلِفي ... رُوْحِي فِداكَ عَرَفْتَ أمْ لم تَعْرِفِ[٥]

= الناسُ ولا يستهجنونه، وغير المقبولة ضدَّها، والمقبولة ثلاثة أنواع: «التبليغ»، وهي المبالغة الممكنة عقلاً وعادة، و«الإغراق» وهي المبالغة الممكنة عقلاً لا عادة، و«الغلوّ» وهي المبالغة غير الممكنة لا في العادة ولا في العقل. يُنظر: «مختصر المعاني» للتفتازاني (ص٢٠١).

على أنّه مما لا ينبغي نسيانه أن التشبيهَ لا يقتضي المماثلةَ بين المشبَّه والمشبه به، لا في وجه الشبه ولا في غيره، بل هو مجرَّدُ ظهور وجه الشبه فيهما كلَيهما، فليُتفطَّنْ.

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص٢٧).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص١٦٦)، ولفظه: «وكيفَ تَرى العُوّادُ»، وهو أليَق.

(٣) في الأصل: «رجلة»، وهو خطأ.

(٤) ذكره المرادي في «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» (٢/ ٣٢٣) غير منسوبٍ وذكر له ثانياً:

ولو نمتُ في عينِ البُعوض معارِضاً ... لَما عَلِمَت في أيِّ زاويةٍ بِتُّ

(٥) «ديوان ابن الفارض» (ص١٤٢).

فكيف يقولُ في خِطابه مع الله: «عرَفتَ أم لم تعرِف»؟ فإن كان الخِطابُ الأخيرُ للقلبِ فكيف يقولُ في الأوَّل لله تَعالى: «رُوحي فِداكَ»؟

وجوابُه: أن الخطابَ تارةً يكون على لِسان الحقّ، وتارةً على لسانِ نبيِّه، وتارةً على لسانِ نفسِه، وتارةً يُخاطِبُهما، وتارةً يخاطِبُ غيرَهما[1]، وهذا ليسَ مِن باب الخِطابِ مع الله، بل مِن بابِ الخِطابِ مع غيرِه، ولا مانعَ من ذلك.

أو أنه مجرَّدُ تغزُّل من غيرِ قصدِ أحَد؛ لإظهارِ الفَصاحة والبَلاغة والتّفنُّن في الكَلام؛ كما هو الواقعُ في «مقامات الحَريريّ»[2]، وهذا ليس بمُستنكَر ولا مُستقبَح، وابنُ الفارضِ كان يحبُّ الإتيانَ بألفاظٍ فَصيحة، بمَعانٍ فَسيحة.

وأما جوابُ مَن قال: إنّ هذا من باب المَثَل، والأمثالُ لا تُغيَّر كما في قولهم: «الصيفَ ضَيَّعتِ اللَّبَنَ»، فتُكسَرُ التّاءُ وإن خُوطبُ به مذكَّر[3]، فهو خِلافُ المُتَبادِر، وعُدولٌ عن الظاهِر من غيرِ داعٍ، لا سيّما مع ما فيهِ مِن إيهام إساءةِ الأدَب على الله تَعالى، لا سيّما مع قولِه: «رُوحي فِداك»، وكلُّ ذلك لا يُقال لله، بل الجاهلُ يجتَنبُ مثلَ ذلك في خِطابِه مع الله، فَضلاً عن العارِف.

---

(١) وهو ما يُسمى بالالتفات؛ يُنظر: «مختصر المعاني» (ص٥٣ ـ ٥٤).

(٢) أبو محمد القاسم بن علي البصريُّ الحريري، أحد أئمة عصره في الأدب والنَّظْم والنَّثر والبلاغة والفصاحة، (ت ٥١٦هـ)، المترجم في «تاريخ الإسلام» للذهبي (١١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٣)، و«مقاماته» مطبوعة متداولة.

(٣) يُنظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٥٧٥)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل الميداني (٢/ ٦٨).

ومن ذلك ـ وهو من المُشكِلِ المُوهِمِ لِلاتِّحاد ـ قولُه أيضاً:

وَمـا زِلْـتُ إيّاهـا وإيّـايَ لَـم تَـزَلْ ... وَلا فَـرْقَ بَـلْ ذَاتِـيْ لِذَاتِـيْ أَحَبَّـتِ[1]

وجوابه: أن هذا من باب الاتِّحادِ الواقعِ بين المُحبّين من فَرْط المَحَبّة وشِدّة الوَجد، وهو مثلُ قولِ القائل:

أنا مَن أهْوىٰ ومَن أهْوىٰ أنا[2]

ويسميه الصُّوفيّة: «الفناءَ في التّوحيد»، فعبَّر بذلك؛ لقُصور العِبارة عن بيانِ حالِه الذي ترقَّى إليه.

أو أنه أراد: «وما زِلْتُ إيّاها» من حيثُ وَصْفي بأوصافِها مِن بعضِ الوُجوه؛ كالقُدرة والسَّمْع والبَصَرِ والكَلامِ والحياةِ والإرادة، وإن كانَ هناكَ فرقٌ ما بينَ الوَصفَين، كما أنَّ أزواجَ نبيِّنا ﷺ هُنَّ أُمَّهاتُنا لا بمَعنى ولادَتهنَّ وإرضاعِهنّ إيّانا، بل من حيثُ وُجوبُ احتِرامِهنَّ وطاعَتِهنّ وتَحريمِ عُقُوقِهنّ.

أو أنه من بابِ التّجريد، فكأنه جرَّدَ مِن نفْسِه نَفْساً يُخاطِبُها يقول:

وَمـا زِلْـتُ إيّاهـا وإيّـايَ لَـم تَـزَلْ

وذلك سائغٌ مشهورٌ في اللُّغة.

ويُفهَمُ منهُ جَوابُ قولِه بعدَه:

---

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص٤٦).

(٢) يُنسبُ للحلاجِ في «ديوانه» في «الأعمال الكاملة» (ص٣٣٠).

وأوّل ابن تيمية هذا الشعر في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٧٧) بأنه إنما أراد به هذا الشاعر الاتحاد الوضعي كاتحاد أحد المتحابين بالآخر الذي يحب أحدهما ما يحب الآخر ويبغض ما يبغض ويقول مثل ما يقول ويفعل مثل ما يفعل وهو تشابه وتماثل، لا اتحاد العين بالعين. ا.هـ.

فـإنْ دُعِيـتْ كُنْـتُ المُجِيـبَ وَإنْ أكُنْ مُنـادىً، أَجَابَـتْ مَـن دَعانِـيْ وَلَبَّتِ[١]

أو أنّ هذا من بابِ الكلامِ على لِسان الحقّ؛ فإنَّ ذاتَهُ المُقدَّسة إذا دُعِيَت أجابَت ولَبَّت مَن يُناديها، وهذا ظاهِرٌ جِدّاً.

ويُفهَمُ منهُ أيضاً جَوابُ قَولِه بعدَه:

وقَـد رُفِعَـت تـاءُ المُـخاطَبِ بَيْنَـنا وَفي رَفْعِها عَـنْ فُرْقَةِ الفَـرْقِ رِفْعَتِي[٢]

وأما قولُه:

فَكُلُّ الجِهَاتِ السِّـتِّ نَحْوِيْ تَوَجَّهَتْ بِـمـا تَـمَّ مِنْ نُسْـكٍ وَحَـجٍّ وَعُمْرَةِ[٣]

فجَوابُه: أنّه لا شَكَّ أنّ الجِهاتِ السِّتَّ مُتَوجِّهةٌ له، بل ولكُلِّ جِسم! فإنَّ الجِهاتِ السِّتَّ تَحُفُّ كُلَّ جِسمٍ من سائر جَوانِبه.

وأما قولُه:

لهـا صَلَواتـي بالمَقـامِ أُقِيْمُـها وَأشْهَدُ فِيْهـا أنَّهـا لِـيَ صَلَّـتِ[٤]

فجُوابه: أن الضمير في «لها» يصلُح للذّات المُقدَّسة، ويصلُحُ لِذاتِ المُتكلِّم، والضمير [في] «فيها و«أنها لي صلت» يرجعُ للمتكلِّم؛ فإن صلاتَه لَه لا لغَيرِه؛ من باب قوله تَعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

ويُفهَمُ منه قولُه بعدُ:

---

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص٤٢).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص٤٢).

(٣) «ديوان ابن الفارض» (ص٣٧).

(٤) «ديوان ابن الفارض» (ص٣٧).

وما كانَ لـيْ صَلّـى سِـوايَ ولَـم تَكُنْ صَـلاتـي لِغَـيْـرٍ فـي أدا كُلِّ رَكْعَةِ[١]

وأما قوله:

إلَـيَّ رَسُـولاً كُنْـت مِنِّـيَ مُرْسِـلاً وَذَاتِيْ بِـآيـاتِيْ عَلَـيَّ اسْـتَدَلَّتِ[٢]

فجوابه: أنه إن قُرئ بفتح تاء «كنتَ» فلا إشكال؛ لأنه تَعالى أرسَلَ الرُّسلَ منّا إلينا؛ كما قال ـ سُبْحانه ـ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال ـ سُبْحانه ـ: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وإن قُرئ بضم التّاء، فالمراد: أنه أرسَلَ من نفْسِه لنَفْسِه نَذيراً بتَفكُّرِه في المبدأ والمَعاد والمآل وغيرِ ذلك.

وقوله: «وذاتي بآياتي...» إلى آخرِه؛ هو[٣] من باب قولِه تَعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١]، فالمرءُ العارفُ يستَدلُّ على نفْسِه بما فيهِ من الآيات التي يطولُ تقريرُها.

وأما قوله:

كِلَانـا مُصَـلٍّ واحِـدٌ ساجِـدٌ إلَـىٰ حَقِيْقَتِهِ بِالْجَمْـعِ فـي كُلِّ سَـجْدَةِ[٤]

فجَوابُه مشكِل؛ لأنه وإن كان الله يصلي على عبده؛ كما أن العبد يصلي لربه، وهو جواب حسن، لكن ما معنى:

كِلَانـا [مُصَـلٍّ] واحِـدٌ سـاجِدٌ إلَـىٰ... حَقِيْقَتِـهِ...؟

(١) «ديوان ابن الفارض» (ص٣٧).

(٢) «ديوان ابن الفارض» (ص٦٠).

(٣) في الأصل: «وهو»، وما أثبتُّ أقوم.

(٤) «ديوان ابن الفارض» (ص٣٧).

وكيف الباري ـ سُبْحانه ـ يُوصَف بالسُّجود؟

وقد فتَحَ اللهُ علَيَّ بالأجوِبةِ السّابقة، ولم يفتَحْ عَلَيَّ بجَوابِ هذا، فلْيُحَرِّرْهُ على وَفقِ الشَّرع مَن يقِفُ، أو يتَوقَّف[١].

واعلم ـ وفقك الله تَعالى ـ أن هذه الأجوبةَ إنما تنفَع في حقِّ المعترِف لله بالرُّبوبيّة، ولنفسِه [بالعبوديّة]، لا أنه هو هو، أو ما ثَمَّ غيرُه؛ كما يزعُمُهُ الزَّنادقةُ من المُتصوِّفة؛ إذ من يعتقدُ ذلك من ظواهرِ كلام الصُّوفيّة فهو كافرٌ مارقٌ زنديقٌ مُلحِدٌ واجبٌ قتلُه إن لم يتُب.

ومن ذلك قول سيِّدي عبد الرَّحيم القَناويِّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ[٢] ـ لمن جاء يُشاوِرُه في أمر: أمهِلْني حتى أشاورَ لك فيه جِبريل، فيُمهله ساعةً، ثم يقولُ له: افعَلْ، أو لا تفعَلْ.

وجوابه: إن مرادَه بجِبريل: واردُ الإلهام، ولا بِدعَ في هذه التّسميةِ اصطِلاحاً.

ومن ذلك: أنه قيل لأبي يزيدَ البَسْطاميّ: ما التّوكُّل؟ فقال للسائل: ما تقولُ أنت؟ فقال: إن أصحابَنا يقولون: لو أن السِّباعَ والأفاعيَ عن يمينِك ويسارِك ما تحرَّك لذلك سرُّك، فقال أبو يزيدَ البَسْطاميّ: نعَم هذا قريب، لكن لو أنَّ أهل الجنة

---

(١) يُنظر شرحُ هذا البيت في «شرح تائية ابن الفارض» للفرغاني (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، ولن يعود الناظر بطائل!

(٢) عبد الرحيم بن أحمد بن حجون، أبو محمد، الحسيني، النزعي المولد، ونزغا من أعمال سبتة، المالكيّ، الإمامُ شيخ الإسلام، ذو الكرامات، وصل من المغرب، فأقام بمكة سبع سنين، ثم قدم قَنا، وأقام بها إلى حين وفاته، (٥٥٢هـ). ترجمته في «طبقات الأولياء» للحافظ ابن الملقن (ص٤٤٣ ـ ٤٤٤).

في الجنة يتنعَّمون وأهل النار في النار يعذَّبون، ثم وقع لك تمييز بينهما خرجتَ من جملة التّوكُّل.

وجوابُه: إنّ ما ذكَرَهُ السائلُ خبرٌ عن أعلى أحوال التّوكُّل، وما ذكَرَهُ أبو يزيدَ عبارةٌ عن أعزِّ أنواع العلم الذي هو من أصول التّوكُّل، وهو العلمُ بالحكمة، وأن ما فعَلَهُ الله تَعالى فعَلَهُ بالواجب، فلا تمييزَ بينَ أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصلِ العدل والحِكمة، وهذا أغمَضُ أنواع العلوم، ووراءَهُ سِرُّ القدَر[1].

ومن ذلك قول سيدي علي وَفا ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: الكاملُ من يهضِمُ نفْسَهُ حتى يُزكِّيَهُ ربُّه[2].

وجوابه: أنه إذا تواضَعَ وعمل صالحاً دخَل في عموم من زكّاهُم الله تَعالى بقولِه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ونحوِ ذلك من الآيات.

أو أنّ معنى «يزكّيه ربُّه»، أيْ: يُنزل تَعالى في قلوبِ عِبادِه تعظيمَه، ويُطلق ألسِنَتَهُم بمَحامِدِه.

ومن ذلك قول عليّ وفا وقول سيدي علي الخواص: أن عليَّ بن أبي طالبٍ رُفع كما رُفع عيسى ـ عليه السَّلامُ ـ وسيَنزل كما ينزِل، قال الخواص: إن نُوحاً عليه

---

(١) ذكر هذا القول وتوجيهَه الإمام الغزاليُّ في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٦٤).

(٢) علي بن محمّد بن محمّد بن وفا، أبو الحسن، الشاذلي الصوفي، كان يقظاً حاد الذهن، اشتغل بالأدب والوعظ، وحصل له أتباع، وكان له نظم كثير، واقتدار على جلب الخلق، مع خفة ظاهرة، وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد (ت ٨٠١هـ). ترجمه الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩)، والشعرانيُّ ترجمةً حافلةً في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٥ ـ ١٣٢)، وقد حكى في (٢/ ٨٧) قولَه هذا.

السَّلامُ ـ أبقى من السَّفينة لَوحاً على اسمِ عليٍّ بن أبي طالبٍ يُرفَع عليه إلى السَّماء، ولم يزَل محفوظاً حتى رُفع علَيه[١].

وجوابُه: إن القومَ يغلبُ عليهم سلامةُ الصدر والتّغفُّل عن وضعِ الوَضّاعين وكذِبِ الكذّابين؛ لسلامة صدورهم، وإنما هذه أقاويلُ الغالية من الرّافضة المبالِغين في تعظيم عليٍّ بن أبي طالب، والصُّوفيّةُ يُوجَد فيهم المُصيب والمخطئ، كما يُوجَد في غيرِهم، وليسوا في ذلك بأجلَّ من الصحابة والتّابعين، وقد وُجد منهم الخطأ والصواب.

وقد قال يحيى بنُ سعيدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه وهو إمامُ أئمّة الحديث ـ: ما رأيْنا الصالحين في شيءٍ أكذَبَ منهُم في الحديث. يعني: على سبيلِ الخطَأ.

وقال أيُّوبُ السَّخْتِيَانيُّ ـ رحمه الله ـ: إنّ مِن جيراني مَن أرجو بركةَ دُعائهم في الأسحار، ولو شَهِدَ أحدُهم عندي في جَرزة بقلٍ ما قبلتُ شهادَته.

وقال الإمامُ مالك: أدركتُ في هذا المسجِدِ ثمانينَ رجُلاً لهم خيرٌ وفضلٌ وصلاحٌ، كُلٌّ واحد يقول: حدَّثني أبي، عن جدّي، عن النَّبيِّ ﷺ، ولم نأخذ عن أحد منهم شيئاً. يعني: في الحديث الشريف؛ لتغفُّلهم.

قال: وكان ابن شهاب يأتينا وهو شابٌّ فنزدَحم على بابه؛ لأنه كان يعرف هذا الشأن[٢].

---

(١) ذكر هذا الشعرانيُّ في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٧).

وقد ترجم للشيخ علي الخواص البرلسي (ت ٩٤٩هـ) تلميذُه عبد الوهاب الشعرانيُّ في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٩٩)، ووصفه بأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ويتكلم على القرآن والسنة كلاماً نفيساً.

(٢) ينقل الكرمي هذا السياقَ كله عن ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢). =

واعلَم أنه هنا أصلٌ عظيم يجب اعتماده، وهو أنّ الله ـ سُبْحانه ـ عَصَمَ هذه الأُمّة أن تجتَمِعَ على ضَلالة، ولم يعصِمْ آحادَها من الخطأ، لا صِدّيقاً ولا غيرَ صِدّيق، لكن إذا وقَعَ بعضُها في خطأٍ فلا بُدَّ أن يُقيمَ اللهُ فيها مَن يكونُ على الصَّواب في ذلك الخطأ، وليس كُلُّ أحدٍ معصوماً في كُلِّ ما يقولُه غير الأنبِياء عليهم السَّلام، وهذا ينفَعُكَ في كثيرٍ من كلام الصُّوفيّة غيرِ مقبولٍ لا يُحتاجُ لتكلُّف الجواب عنه.

فمِن ذلك: ما تقدَّم ذكرُه عن سيّدي عليّ وَفا وسيّدي عليٍّ الخوّاص.

ومن ذلك أيضاً: ما ذُكر عن الشِّبْليّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: أنه سئل: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أرَ له ذاكراً. يعني: لله تَعالى[1].

والتّأويل بأن المراد: «إذا لم أرَ له ذاكراً»، أيْ: يذكُرُهُ بالغَفلة وعدَم الحُضور بعيدٌ جِدّاً، لا سيّما وهم يعُدُّون ذلك من الغَيرة على الحقِّ في المَحبّة؛ كما قال

= وقد روى قولَ يحيى بنِ سعيد القطان الإمام مسلمٌ في «مقدمة صحيحه» (١/ ١٨) ثم قال مسلمٌ: يقول: يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمّدون الكذب. ورواه الحافظُ ابنُ عديٍّ في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٢٤٦)، وفسّرته زيادةُ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥٨): يكتبون عن كلِّ أحد.

ولم أجد قول أيوب السختياني هكذا، وروى مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ٢١) عنه قوله: «إن لي جارا، ثم ذكر من فضله، ولو شهد عندي على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة.

وذكر الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٤٣) عن ابن أبي يونس: سمعت مالكاً يقول: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان: قال رسول الله، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال، لكان به أميناً، فما أخذت منهم شيئاً؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدُم علينا الزهريُّ وهو شابٌّ، فنزدحم على بابه. ا.هـ. ولم أجده بالسياقة المنقولة، والله أعلم.

(١) ذكر ذلك القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤١٢).

الشيخُ أبو عبد الرَّحمن السُّلَميُّ: المَحَبَّةُ: أن تغارَ على المحبوب أن يُحبَّه مثلُك[١].

وجوابُه: أن ذكر هذا في الغَيرة ـ التي هي طَريقُ أولِياء الله ـ من أعظَم المُنكَرات، أيغارُ المؤمن أن يُذكَر الله، أو أن يُحبَّهُ مؤمنٌ آخَر، ويُقاسُ الحَقُّ بالخلق؟ فقائلُ هذا القول مخطئ قطعاً؛ لأنه ليس بمَعصوم؛ كما مرّ.

أو أنه قالَه وهو مسلوبُ العقل لغَلَبَةِ الوجد؛ فقد كان الشِّبْليُّ ـ رحمه الله ـ يغلبُ عليه الوجدُ أحياناً حتى يزولَ عقلُه، ويحلقَ لحيتَه، ويذهَبوا به إلى المارستان، ويسقُط عنه التّمييزُ بين الحقِّ والباطل[٢].

وكذلك أبو الحسين النُّوريُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ سمعَ رجلاً يؤذِّنُ فقال: طعنةٌ وسم الموت[٣]، وسمع كلباً ينبَحُ فقال: لبَّيكَ وسَعدَيك، فسُئل عن ذلك، فقال: أما المؤذِّن فيذكُرُه على رأس الغَفلة، وأما الكلبُ؛ فإن الله تَعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهو استدلالٌ فاسد، ومثلُ هذه الكلماتِ لا يصلُح أن تُذكَر لِلاقتِداء والسُّلوك، وإن كان فاعلُها في الأصل معذوراً؛ لقُصورٍ في اجتهاده، أو غيبةٍ في عقلِه، فليسَ من اتَّبعه بمعذورٍ مع وضوح الحقِّ والنُّوريُّ كان يغلبُ عليه الوجدُ حتى يزول عقلُه، وقد مات بأَجَمة قصَبٍ لما غلَبَهُ الوجد.

والصوابُ ـ عند المحقِّقين من عُلَماء الظاهر والباطن ـ: أن ما صدَرَ عن الصُّوفيّة مما يخالف الشَّرعَ لا يجوزُ اتّباعُهم فيه، ولا تصويبُهم في كُلِّ ما يقولونه؛

---

(١) روى هذا القولَ القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٨) قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبليَّ، وذكره.

(٢) ينظر: «الاستقامة» ابن تيمية (١/ ١١٦).

(٣) في الأصل: «الميت»، والتصويب وفاقاً لمصدره.

كما يتوهَّمُه كثيرٌ من الناس الجهَلة؛ لعدَم عِصمَتِهم ـ كما مرَّ قريباً ـ وإن كان لهم من الصَّلاحِ والصِّدق والمقامات المحمودة ما هو من أعظَم الأمور[١].

*تنبيه:

كثيراً ما ينقُلُ الناسُ الكذِبَ عن الصالحين:

قال الإمام أحمدُ بن حَنبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: ما أكثر كذب الناس على الصالحين[٢]، فغالبُ ما يُنقَل عنهم من الحكايات والألفاظ المُوهِمة للفِسق أو الكُفر لا تصحُّ عنهم، كقولِ أبي يزيد: باع آدمُ حضرةَ ربِّه بلُقمة[٣].

وقال العلّامة الطُّوفيّ: وقد رأيتُ أشياءَ كثيرةً منسوبةً إلى الحَلّاج من مصنَّفاتٍ وكلماتٍ ورسائلَ كلُّها كذبٌ عليه، وصار كُلُّ من يأتي بنَوعٍ من الشَّطح والطّامّات يعزوهُ إلى الحَلّاج؛ لكونِ مَحلِّه أقبَلَ. انتهى[٤].

قلتُ: وكذلك ما يُعزى من الأشعار التي فيها الدَّعاوى الطّويلة للشيخ

---

(١) ينظر: «الاستقامة» ابن تيمية (٢/ ١٤ ـ ١٦). وحكى قصةَ النوريِّ القشيريُّ في «الرسالة» (٢/ ٤١٤). وأبو الحسين النوري هو أحمد بن محمد الخراساني، البغوي، ترجمه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٧٠ ـ ٧٧)، ووصفه بالزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، قال: وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية؛ نسأل الله العفو، صحب السَّري السقطي، وغيره، قال: وكان الجنيد يعظمه، لكنه في الآخر رقَّ له وعذَرَهُ لمّا فسد دماغه! (ت ٢٩٥هـ).

(٢) لم أهتد إلى هذا القول عن الإمام رضي الله عنه.

(٣) ذكر قول أبي يزيدَ الشعرانيُّ في «لطائف المنن» (ص٢٤٠) ونفاه.

(٤) ذكر نحو ذلك ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ١١٧)، ولم أهتد إليه فيما عدت إليه من مطبوع كتب الطوفي.

عبد القادر الجِيْليّ[١]، وإبراهيمَ الدّسُوقيّ[٢]، وأحمدَ البَدَويّ[٣]، كُلُّ ذلك كذبٌ عليهم، لا سيّما وغالبُ ما يُنقَلُ عنهم إنما هو بِرُواةٍ مجاهيلِ الحال، ومِن غير إسناد.

وما أحسَنَ قولَ عبد الله بنِ المُبارَك: الإسنادُ من الدين، ولولا الإسنادُ لقالَ من شاء ما شاء[٤]، وقول سُفيانَ الثّوريّ: الإسنادُ سلاحُ المؤمن، فإذا لم يكُن له سلاحٌ فَبِأيِّ شيءٍ يُقاتل! [٥].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً» ـ وفي لفظ: «إثماً» ـ «أن يحدِّثَ بكل ما سمع»، قال ابن حِبّان: في هذا الخبرِ زَجرٌ للمَرء أن يحدِّث بكُلِّ ما سمِعَ حتى يعلَمَ ـ على اليقين ـ صِحّتَه[٦].

---

(١) عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست، وزاد بعضُ الناس في نسبه إلى أن وصله بالحسن بن علي رضي الله عنه، الشيخ أبو محمد، الجيلي، الحنبلي، الزاهد، صاحب الكرامات والمقامات، وشيخ الحنابلة، وكان إمام زمانه، وقطب عصره، وشيخ شيوخ الوقت بلا مدافعة، (ت ٥٦١هـ). يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٢/ ٢٥٣).

(٢) الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز أبو المجد، الدسوقي، نسبة إلى مدينة دسوق في مصر، إليه تنسب الطريقة الدسوقية. (ت ٦٩٦هـ). ترجمه الشعرانيُّ في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٤ ـ ٣٢١)، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٧/ ٦١١ ـ ٦١٢)

(٣) الشيخ أحمد بن علي بن يحيى، البدوي؛ لأنه كان يغطي وجهه باللثام كأهل البادية، إليه تنسب الطريقة البدوية (ت ٦٧٥هـ). ترجمه الشعرانيُّ في «الكبرى» (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٩)، وابن العماد في «الشذرات» (٧/ ٦٠٢ ـ ٦٠٦).

(٤) رواه الإمامُ مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٥).

(٥) رواه الحاكمُ في «المدخل إلى كتاب الإكليل» (ص٢٩).

(٦) لم أجد قول ابن حبان، وأخرج الحديث في «صحيحه» (٣٠) بلفظ «إثماً»، وبوب عليه: ذكر خبر ثان يدل على صحة ما ذهبنا إليه. وأخرجه بلفظ «كذباً» الإمام مسلمٌ في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٠).

وقد وقفتُ على «رسالةٍ» تُنسَبُ لابنِ كمالِ باشا تتعلَّق بردِّ إيمانِ فِرعون، قال فيها: إن كتابَ «الفصوص» ليس بتصنيف مُحيي الدين ابن عَرَبيّ، وإنما صنَّفَهُ رجُلٌ يَهوديٌّ بقَصدِ إخلال عقائدِ المسلمين، وعَزاهُ للشَّيخ مُحيي الدين بقَصدِ التّرويج[١].

فإن صحَّ ما قالَه ابنُ كمال باشا، فقد أراحَ الله جنابَ الشيخ، واستَراح الناسُ من تكلُّف الأجوِبة عنه، أو أنَّ ما فيه من الطّامّات والعَظائم، مؤوَّلٌ أو مدسوسٌ عليه، والله تَعالى أعلَم بحَقيقةِ الحال.

***فائدة:**

باب التّأويل واسع، ومَن تبحَّرَ فيه لا ينبَغي له أن يقولَ بتكفير مُسلِم تلفَّظَ بما يُوهِمُ الكُفر إلا بعدَ أن يُصرِّحَ قائلُه: أنَّ مدلولَ ظاهِرِ ذلك اللَّفظِ هو مُعتَقَدُه.

قال الإمام تاجُ الدين ابن السُّبْكيّ: والواجبُ تسليمُ حال القوم إليهم؛ فإنّا لا نُؤاخِذ أحداً إلا بجريمةٍ ظاهرة، ومتى أمكنَنا تأويلُ كلامِهم وحملُه على محمَلٍ حسَن؛ فإنّا لا نعدِلُ عن ذلك، لا سيّما مَن عرَفناه بالخير ولُزُومِ الطريقة، ثم ندَرَت منه لفظةٌ عن غَلطة أو سَقطة؛ فإنّها لا تهدمُ عندنا ما مضى، انتهى[٢].

وقد سُئل شيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكيُّ عن حُكم تكفير غُلاة المبتَدِعة وأهل الأهواء والمتفوِّهين بالكَلام على الذات المقدَّسة، فقال:

اعلَمْ ـ أيُّها السائلُ ـ أن كُلَّ مَن خاف من الله استعظم القول بالتّكفير لمن يقول: «لا إلهَ إلا الله، مُحمّد رَسُولُ الله»؛ إذ التّكفيرُ أمرٌ هائلٌ عظيمُ الخطَر؛ لأن

---

(١) لابن كمال باشا رحمه الله فتوى في الشيخ ابن عربي، وهي مطبوعة ضمن «مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا» المنشورة في دار اللباب (٥/ ٤٦٩)، وفي هذه الرسالة ذكر العلامةُ ابنُ كمال أن للشيخ ابن عربي تصانيف كثيرة منها: «الفصوص»، و«الفتوحات».

(٢) يُنظر: «معيد النعم ومبيد النقم» للتاج ابن السبكي (ص٨٨).

مَن كفَّر شخصاً فكأنّه أخبَرَ أنه سيخلدُ في النار أبَدَ الآبِدين، وأنه مباحُ الدم والمال، لا يُمكَّنُ من نكاحِ مُسلِمة، ولا تجري عليه أحكامُ المسلمين، لا في حياتِه، ولا بعدَ مَماتِه، والخطأ في تَرْكِ ألفِ كافرٍ أهوَنُ من الخطأ في سَفْكِ مَحجَمةٍ من دَمِ امرئٍ مُسلِم.

ثم إن تلك المسائلَ التي يُفتى فيها بتكفير هؤلاءِ القوم في غاية الدِّقّة والغُموض؛ لكثرةِ شُعَبها، واختِلافِ قَرائنها، والاستقصاءُ في معرفة الخطأ من سائرِ صُنوف وُجوهِه، والاطّلاعُ على حقائقِ التّأويل وشرائطِه، ومعرفةُ الألفاظ المحتملة، وذلك يستَدعي معرفةَ جميع طُرق أهل اللِّسان من سائر قبائلِ العرَب في حَقائقِها ومَجازاتِها واستِعاراتِها، ومعرفةَ دقائقِ التّوحيد وغوامضِه؛ إلى غيرِ ذلك مما هو متعذِّرٌ جداً على أكابر عُلَماء عصرنا، فضلاً عن غيرِهم.

وإذا كان الإنسانُ يعجِزُ عن تحرير مُعتَقَدِه في عبارة، فكيف يُحرِّرُ اعتِقادَ غيرِه من عبارته؟! فما بقي الحكمُ بالتّكفير إلا لمن صرَّح بالكُفر، واختارَهُ ديناً، وجَحَدَ الشَّهادتَين، وخرَجَ عن دين الإسلام جُملة، وهذا نادرٌ وقوعُه، فالأدبُ الوقوفُ عن تكفير أهل الأهواء والبِدَع، والتّسليمُ للقوم في كُلِّ شيء قالوه مما لا يُخالف صريحَ النُّصوص. انتهى كلام السُّبكيُّ[١].

---

(١) نقله المؤلف بواسطة «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ٢٧ـ٢٨)، ولم أهتدِ إليه فيما عدتُ له من كتب التقيّ السبكي، والله أعلم.

قلتُ: رأيتُ للإمام الذهبيّ كلمةً أعجَبتني، وهي ثابتة في «سيره»، قال: رأيتُ للأشعَريِّ كلمةً أعجَبتني، وهي ثابتة، رواها البيهقيُّ [«السنن الكبرى» (١٠/ ٣٤٩)]: سمعتُ أبا حازمٍ العَبْدَويَّ، سمعت زاهرَ بنَ أحمدَ السَّرَخْسِيَّ يقول: لما قرُبَ حضورُ أجَلِ أبي الحسَن الأشعَريِّ في داري ببغدادَ دَعاني فأتيتُه، فقال: اشهَدْ عليَّ أني لا أُكفر أحداً من أهل القِبلة؛ لأن الكُلَّ يُشيرون إلى معبودٍ =

واعلَم - أيَّدَكَ الله - أن غالبَ هذه الألفاظِ الغُلُقة[1] الدَّقيقة تتَّضحُ بأدنى شيء، بمَنزِلة المُغطّى بأدنى شيء يكون؛ كقول القائل:

إنَّ فِرعـونَ وهـامان معـاً والنَّبيِّينَ جميعـاً فـي سَـقَرْ[2]

فهو لفظٌ هائلٌ موهمٌ للكفر، وإذا جُعلت الواوُ للقَسَمِ اندَفَعَ الإشكال!

= واحد، وإنما هذا كلُّه اختلافُ العبارات.

قلتُ: وبنحوِ هذا أدين، وكذا كان شيخُنا ابنُ تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أُكفر أحداً من الأمّة، ويقول:

قال النبي ﷺ: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» [رواه أحمدُ وابن ماجَه]، فمَن لازَمَ الصلواتِ بوُضوءٍ فهو مسلم. ا.هـ. يُنظر: في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٨).

وجاء في «رد المحتار على الدر المختار» للعلامة ابن عابدين الدمشقي الحنفي (٤/ ٢٢٤): لا يُخرج الرجلَ من الإيمان إلا جحودُ ما أدخله فيه، ثم ما تُيُقِّنَ أنه ردّةٌ يُحكَم بها، وما يُشَكُّ أنه ردّة لا يُحكَم بها؛ إذ الإسلامُ الثابت لا يزول بالشك، مع أن الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رُفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام، مع أنه يقضي بصحة إسلام المكره. وفي «الفتاوى الصغرى»: الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدتُ روايةً أنه لا يكفُر ا.هـ. وفي «الخلاصة» وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنعُه فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير؛ تحسيناً للظن بالمسلم، زاد في «البزازية» إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر، فلا ينفعه التأويل. ح. وفي «التتارخانية»: لا يكفر بالمحتَمل؛ لأن الكفر نهايةٌ في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمالِ لا نهاية. ا.هـ. والذي تحرّر أنه لا يُفتى بكُفر مسلم أمكَنَ حملُ كلامِه على محمَلٍ حسَن، أو كان في كُفره اختلافٌ، ولو رواية ضعيفة، فعَلى هذا فأكثَرُ ألفاظ التكفير المذكورة لا يُفتى بالتكفير فيها، ولقد ألزمتُ نفسي أن لا أُفتي بشيء منها. ا.هـ. كلامُ «البحر» باختصار.

(١) كذا الكلمةُ في الأصل بما يُوجب ضبطَها بضمَّتَين؛ يُقال: «بابٌ غُلُق»: مُغلَقٌ.

(٢) لم أهتدِ إليه.

وكقـول القائـل: «أنـا ربُّ كُم، أرفَـعُ كُـم، وأضَعُ كـم»، إذا أريدَ كُـمُّ القميص ورَفعُـه ووضعُه[1].

وكمن قال: «هو كافِر»، وقال: أردتُ بالطاغوتُ، أو أراد: مَعنى السَّتر.

أو قال: «تهوَّدت»، وأراد: معناهُ اللُّغَويُّ، أيْ: تزهَّدت.

وكقولِ الإمام أبي حَنيفة: لا يدخُلُ النارَ إلا مُؤمن، قيل له: وأين الكافر؟ قال يؤمنونَ يومئذٍ، لكن لا ينفعُهم إيمانهم، قال تَعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥][2].

وكقول الآخر: «أُحِبُّ الفِتنة، وأكرَهُ الحقَّ، وأشهَدُ بما لم أرَه، ولا أخافُ من الله ورَسُولِه، وأهرُبُ من رَحمة الله، وأستَحلُّ الميتةَ وقتْلَ الناس»؛ على إرادَة المالِ، والولَد، والموتِ، والشهادةِ بالبعثِ والحِساب، وخوفِ الظُّلم، والهروب من المطَر، واستِحلال ميتةَ السمكِ والجرادِ، وقتلِ الكافِرِ الحَرْبيّ[3].

وكقَول الإمام الشافعي: أنا مخالفٌ لابن عُلَيَّةَ في كُلِّ شيءٍ حتى في قولِ: «لا إله إلا الله»؛ لأني أقولُ: «لا إله إلا الله الذي كلّم موسى من وراء الحِجاب»، وهو يقولُ: «لا إله إلا الله الذي خلَقَ في الهواء كلاماً يسمَعُهُ موسى»[4].

---

(١) وكذا لو حُمل «الرَّبُّ» على معنى «السيد».

(٢) نقل هذا القول الطوفي في «شرح مختصر الروضة» (٢/ ٦٧٦) عن بعض الحنفية.

(٣) ذكَرَ نحو هذا الكلام الكلواذانيُّ في «الهداية» (ص٤٤٨) قولًا لمن لا يلزمه الطلاقُ إن قاله.
ونَسَبَ بعضَ هذا الكلام لحذيفةَ بن اليمان قاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ابنُ عطيةَ في «تفسيره» (٥/ ٣٢٠)، ولم أهتَدِ إليه مسنداً، وذكر ابنُ نُجَيم في «الأشباه والنظائر» (ص٣٦٦) أن الإمامَ أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ سُئل عمن يقول نحو هذا فأوَّله.

(٤) رواه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٠٩). والمقصود في كلام الإمامِ الشافعيِّ هو إبراهيمُ بنُ =

واعلَمْ أن هذه التّأويلات إنما تُقبَل بشرطِ أن لا يكونَ هناك قرائنُ دالّةٌ على أن المتكلِّم إنما أراد ظاهرَها؛ كقول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فلا يُمكن أن يُقال: أرادَ: أنا سيِّدُكم الأعلى؛ فإن السّاداتِ من قومِه كثير، وهو كان أعلاهم؛ لِقيام القَرائنِ على أنه إنما أراد حقيقةَ الألوهيّة.

وكذلك ما لا يحتملُ التّأويلَ من الألفاظ كقوله: «أنا اللهُ واخترتُ دينَ كذا»، ما لم يدَّعِ أنه مُكرَه، وتدُلّ له قَرائن، أو أنه سبَقَ على لسانِه، فيُقبَل منه، والله ـ سُبْحانه ـ أعلَم.

***

[جوابُ السؤال الثاني]

وأما السؤال الثاني، وهو:

هل مُعتَقِدُ معاني ظواهرِ تلك الألفاظ الموهِمة كافر؟ وهل يُعذَر الجاهل؟

فالجواب: نعَم، لا ريبَ في كُفره، بل لا ريبَ في كُفر من يتَوقَّف في كُفره؛ إذ هو أقبَحُ ممن يتوقف في كفر اليهود والنَّصارى، ولهذا قال العلامة ابن المُقرئ في كتاب «الرَّوض» في باب الرِّدّة:

من الرِّدة عن الإسلام: الشَّكُّ في تكفير اليهود والنَّصارى، أو طائفةِ ابن عَرَبيّ[1]، ومرادُه بذلك: من يعتقدُ منهم ظواهرَ تلك الألفاظ؛ لأن ظواهرَ مَعانيها يُشعِر بالحُلُول والاتِّحاد ـ تَعالى الله عن ذلك ـ ومنها ما يُشعِر بتَصويب

= إسماعيلَ ابنِ عُليّة لا أبوه إسماعيلُ شيخُ الشافعي وأحمدَ وطبقَتِهما.

(١) يُنظر: «روض الطالب ونهاية مطلب الراغب» لابن المقرئ (٢/ ٦٠٨)، وشرحه «أسنى المطالب» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٤/ ١١٩).

الكُفّار، وأنهم ما عبَدُوا إلا الله، ومنها ما يُوهِم الإخلالَ بمَقام الأنبِياء وتفضيل الأولياء؛ كما في قول محيي الدين:

مقامُ النُّبوّة في بَرزَخٍ فُوَيقَ الرَّسول ودُونَ الوَلِيْ

فيُوهِمُ أن الوَليَّ أفضلُ من النَّبيّ، وأن النَّبيَّ أفضلُ من الرَّسول، وإن كان عند التّأويل حقّاً[1].

ومُعتَقِد ما تقدَّم ـ بعدَ قِيام الحُجّة عليه ـ مارقٌ من الدين، خارجٌ عن طريق المسلمين، من كِبار الفُسّاق والمُلحِدين، غيرُ واقفٍ عند أحكام الشَّريعة، كما هو شأنُ كثيرٍ من مُتصوِّفةِ أهل هذا الزمان، والعِياذُ بالله تَعالى.

قال العلامة الطُّوفيُّ: ليس أحدٌ من مشايخ الطريق ـ لا أولهم ولا آخرهم ـ يُصوِّبُ حُسَيناً[2] الحَلّاجَ في جميع مَقاله، بل اتَّفَقَتِ الأمّةُ على أنه: إما مُخطِئ، وإما عاصٍ، وإما فاسق، وإما كافر، قال: ومَن قال: إنه مصيبٌ في جميع هذه الأقوال المأثورة عنه فهو ضالّ، بل كافرٌ بإجماع المسلمين، وقد قُتل الحلاج على الزَّندقة بإفتاء عُلَماء عصرِه، وأحسَنُ ما يقوله المناصِرُ له القائلُ بأنه مخطئ في بعض ألفاظه: إنه كان رجُلاً صالحاً، صحيحَ السلوك، لكن غلَبَ عليه الوجدُ والحال، حتى عثَرَ في المقال، ولم يَدْرِ ما قال، وكلامُ السَّكران يُطوى ولا يُروى، فالمقتولُ شهيد، والقاتلُ مجاهدٌ في سبيل الله؛ لقيامه بنَصر الشَّرع[3].

---

(١) كما تقدّم من تأويل المصنف رحمه الله.

(٢) في الأصل: «رجلة»، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: «بناصر الشرع»، وصوّبت.

وهذا الكلام في «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١١٦ ـ ١١٧)، ولم أهتد إليه فيما عدتُ إليه من مطبوع كتب الطوفي.

وهذا لا يعارضُ الحكمَ بتكفير مُعتَقِد مَعاني ظواهرِ تلك الألفاظ؛ لأنَّ هذا صدرَت منه الألفاظُ عن غَلَبة وجدٍ، أو خطأ منه، فهو معذورٌ لغَلَبة وجدِه أو خطئه، ومَن استَفرَغَ من المؤمنين وُسعَهُ في طلَب الحَقِّ وأخطأ؛ فإنّ الله يغفرُ له خطَأه، وإن حصَلَ منه نوعُ تقصير، فهو ذنبٌ لا يجِبُ أن يبلُغَ به الكفر.

فقد ثبت في «الصِّحاح» عن النَّبيِّ ﷺ في الرجُل الذي قال: «إذا أنا متُّ فأحرِقوني، ثم اسحَقوني، ثم ذَرُّوني في اليَمّ، فوالله لَئِنْ قدرَ الله عليَّ ليُعذِّبَنّي عَذاباً لا يُعذِّبُهُ أحَداً من العالَمين! فبعَثَهُ الله، فقال اللهُ له: ما حَمَلَكَ على ما فعَلتَ؟ قال: خَشيَتُك، فغَفَرَ له»[1].

فهذا الرجلُ اعتَقَدَ ـ أو شَكَّ ـ أن الله لا يقدِرُ على جمعِه إذا فُعِلَ ذلك، وأنه لا يبعَثُه، وكلٌّ مِن هذَين الاعتقادَين كفرٌ يكفُر به مَن قامت عليه الحُجّة، لكنّه كان يجهَلُ ذلك، ولم يبلُغهُ العِلم بما يرُدُّهُ عن جهله، وكانَ عندَه إيمانٌ بالله، وبأمره ونهيِه، ووعدِه ووَعيدِه، فخافَ مِن عقابه، فغفر اللهُ له بخَشيَتِه.

فمَن أخطأ في بعضِ مسائل الاعتِقاد مِن أهل الإيمان بالله ورَسُولِه ونطَقَ بالشَّهادَتَين؛ فليس بأسوَأِ حالٍ من هذا الرجُل، وقد غفَر الله له خطَأه، وإن كان يُعذِّبُه إن حصل منه تفريطٌ في اتّباعِ الحَقِّ على قدْرِ ذَنْبِه[2].

ولهذا قال الفُقَهاء: ومَن جحَدَ وُجوبَ الصلاةِ عالِماً كفَر[3]، وكذا في بقيّة الأحكام، فقَيدُ العِلم مُخرِجٌ للجاهل؛ فإنه لا يكفُرُ إلا إن عَلِمَ وأصَرّ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٨١)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٣) يُنظر: «حاشية ابن عابدين» (١/ ٨١)، «منح الجليل شرح مختصر خليل» (١/ ١٩٦)، «عمدة السالك وعدة الناسك» (ص٣٥)، «شرح منتهى الإرادات» (١/ ١٢٨).

قلت: وهذا أصل عظيمٌ ينفَعُ في عدَمِ تكفير كثيرٍ مِن فِرَقِ الإسلام؛ فإنّ تكفيرَ شخص عُلم إيمانُه بمُجرَّد الغلَط في ذلك عظيمٌ عندَ الله تَعالى؛ كما مرَّت الإشارةُ إليه في كلامِ السُّبْكي.

وفي الحديث الصحيح: «لعن المؤمن كقتلِه، ومَن رمى مؤمناً بالكُفر فهو كقتلِه»[(١)]، فإذا كان تكفيرُ المعيَّن ـ على سبيل الشتمِ ـ كقَتلِه، وفي قتلِه من الوَعيد ما لا يَخفى، فكيف يكونُ تكفيرُه على سبيلِ الاعتقاد، فلا ريبَ أنه أعظَمُ من قتلِه! [(٢)].

ولهذا قال السادة الشّافعيّة: من كفَّر مسلماً بغير حقٍّ كفَر[(٣)]، بخِلافِ مَن قتل مسلماً؛ فإنه لا يكفُر، فصار تكفيرُ المسلمِ أعظَمَ من قتلِه؛ إذ كُلُّ كافرٍ بالرِّدّة يُباحُ قتلُه، وليس كُلُّ من أُبيحَ قتلُه يكون كافراً، فقد يُقتَلُ الداعي إلى بِدعةٍ لإضلالِه الناسَ وإفساده، مع إمكان أنَّ اللهَ يغفرُ له في الآخرة؛ لِما معَه من الإيمان، فقد تواتَرتِ النُّصوصُ عن النَّبيِّ ﷺ بأنه «يخرُجُ مِن النار مَن في قلبه مثقالُ ذرّة من إيمان»[(٤)].

ولهذا كان الحقّ ـ عند جُمهور المحقِّقين ـ تحريمَ القول بكُفر يزيدَ والحَجّاجِ

---

(١) كما روى البخاري (٦١٠٥) من حديث ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٣) يُنظر: «روض الطالب» لابن المقرئ (٢/ ٦٠٧)، وفيه: «بغير تأويل»، وليس «بغير حق».
وفي شرحه «أسنى المطالب» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٤/ ١١٨): بلا تأويل للكفر بكفر النعمة أو نحوه.

(٤) كما روى البخاري (٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ولا زال المصنف ينقل عن «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١٦٦).

وأمثالِهما[١]، وتحريم اللَّعن؛ لأنه هو الأسلَم للمَرء المُسلِم، جعَلنا اللهُ ممّن ارتَكَبَ الطّريقَ الأسلَم، آمين.

***

[جوابُ السؤال الثالث]

وأما السؤال الثالث، وهو:

هل يليقُ للشخص أن يرتكبَ في عباراتِه مثلَ هذه الألفاظ الموهِمة للإضلال؟

فالجواب: لا ـ والله ـ لا يليقُ ارتكابُ ألفاظٍ تُوهِم الغيَّ والضلال، وتُسيء الظنَّ بالكُمَّل من الرِّجال، بل ذلك مما يجبُ أن يُجتَنَبَ إلا لغَرَضٍ صحيح، وعُذرٍ صريح.

فقد نقل البَيضاويُّ وغيرُه من المفسِّرين في قولِه تَعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]: أن السبَب في هذه الضّلالة أنّ أربابَ الشرائع المتقدِّمة يُطلقون «الأب» على الله سُبْحانه؛ باعتبار أنه السبَبُ الأول؛ حتى قالوا: «إن الأبَ هو الرّبُّ الأصغَر، والله تَعالى هو الرّب الأكبر»، ثم ظنَّت الجهلَةُ منهم أنّ المرادَ به معنى الوِلادة، فاعتَقَدوا ذلك تقليداً، ولذلك كُفِّر قائلُه، ومُنع منه مُطلَقاً؛ حَسماً لمادّة الفَساد. انتهى[٢].

---

(١) مع أن لبعض أهل العلم خلافاً في المسألة؛ كما لابن الجوزيّ في يزيد، إلا أنّ الجادّة الأسلم والتحقيقَ ما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٢) يُنظر: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي (١/ ١٠٣).

وقولهم لدى غيره: «وإن الله تعالى هو الأب الأكبر»، وهو أشبه؛ كما في «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٣٠١)، و«فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» للطيبي على «الكشاف» (٣/ ٦٠)، والله تعالى أعلم.

قلتُ: ومثلُ هذا بعينِه ما اصطَلَحَ عليه مُحققو الصُّوفيّة من الألفاظ التي أوهَمَتْ كثيراً من جَهَلَتِهم القولَ بالاتِّحاد أو غيرِ ذلك، فالواجبُ الآنَ المنعُ من مثل ذلك؛ حسماً لمادّة الفساد.

قال شيخُ الإسلام ابن تَيميّة: وقد جاءَ في الإنجيل ـ الذي بأيدي النَّصارى ـ كلماتٌ مجمَلةٌ؛ إن صحّ أن المَسيح قالها، مثل قوله: «أنا وأبي واحِد»، و«مَن رآني فقَد رأى أبي»، ونحوِ ذلك، وبها ضلَّتِ النَّصارى؛ حيثُ اتَّبَعُوا المتشابِهَ ـ كما ذكَر الله تَعالى ـ لـمّا قَدِمَ وفد نجران وناظروا النَّبيَّ ـ عليه السَّلامُ ـ في المَسيح، وإنما ذلك كقوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠][1].

ولهذا قيل: إن الشيخَ عزَّ الدين بنَ عبد السَّلامِ وجَّه القدحَ إلى كلامِ ابن العَرَبيّ، ثم مدَحَهُ هُوَ غايةَ المدح، فسُئلَ عن وَجه الجمع؟ فقال: حتى أصُونَ ظاهرَ الشَّرع[2].

وسُئل شيخ الإسلام السِّراجُ البُلْقينيُّ عنِ ابن الفارِضِ فقال: ما أحِبُّ أن أتكلَّمَ فيه، وسُئل عن الأبياتِ التي أُنكِرَت عليه، فأنكَرَها؛ خوفاً من أن يُعتَقَدَ ظاهِرُها، وهذا هو الواجب[3].

---

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).
ويُنظر خبر وفد نجران على النبي ﷺ في «تفسير الطبري» (٥/ ٢٠٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٢) ذكر ذلك اليافعيُّ في «الإرشاد والتطريز» (ص١٥٨)، والقوصيُّ في «الوحيد» والمجد الشيرازي الفيروزآبادي من رواية الحافظ العلائيّ كما ذكر السخاويُّ في «القول المنبي» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧) وردّها، وذكرَها عن الأوّلَين السيوطيُّ في «تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي» (مخطوط) (٩/ أ)، وأقرّها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ١٢٤): وقد كنتُ سألتُ شيخَنا الإمامَ سراجَ الدين البُلقينيَّ عنِ ابن العربي؟ فبادر الجواب بأنه كافر، فسألتُه عنِ ابن الفارض، فقال: لا أحبُّ أن أتكلّم فيه، قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدتُه من التائية، فقطع عليَّ =

فإن قلتَ: إن الذين قالوا هذه الألفاظ الموهِمة مِن خيار الصُّوفيّة، ولهم قدَمُ صدق في الطريق، فكيف تُنكَر ألفاظُهم ولهم من دَرَجَةِ الصّلاح ما هو معلوم؟

قلتُ: لا ريبَ أن الأحكام تختلفُ بحَسَبِ اختِلاف الأزمِنة والأمكِنة، والحِكَمُ والمَصالح تختلفُ باختلاف الأحوال، وتتبدّل حسبَ تبدُّل الأشخاص والأعصار.

فرُبَّ حُكم تقتَضيه الحِكمة في حال، وفي أُخرى تقتَضي نقيضَه، فكذلك هنا؛ فإن هذه الألفاظَ قد ضلّ بها طَوائف، وفهِموا منها غيرَ مُراد قائليها، وإن كان الأليَقَ بهم أيضاً تركُها، لكن الخطأ يصدُر من قلبِ الصواب.

أو أنهم قالوا ذلك متأوِّلين، فيكونُ ذلك من قَبيل الخطأ في مواقِع الاجتهاد، وهذا سبيلُ كُلِّ صالِحي هذه الأمة في خطئهم، وذلك كالمتأوِّلين حِلَّ يَسير المُسكِر من صالحي أهل الكوفة ومَنِ اتَّبعهم على ذلك، وكذلك المتأوِّلون للمُتعة والصَّرْف من أهل مكّة متَّبِعين لِـما كان يقولُه ابنُ عباس، وإن كان قد رجَع عن ذلك، أو زادوا عليه، وكذلك المتأوِّلون إتيانَ النساءِ في أدبارهنَّ من أهل المدينة، وإن كان لا يشُكُّ في تحريم جميعِ ذلك مَن اطلع على نُصوص النَّبيِّ ﷺ، وكذلك مَن دخل مِن السابقين والتّابِعين في القِتال في الفتنةِ والبَغي بالتّأويل.

فما تأوَّل فيه قومٌ من ذوي العِلم والدين من مطعومٍ أو مشروبٍ أو منكوح[1]، أو مملوك أو ملفوظ، أو ما عُلم أن اللهَ قد حرَّمَه ورَسُولُه لم يجُزِ اتِّباعُهم فيه، وإن كانوا مِن خِيار المسلمين[2].

= بعدَ إنشاد عدّة أبياتٍ بقوله: هذا كفر، هذا كفر.

(١) في الأصل: «ومشروب ومنكوح»، وصوّبتُ وفاقاً لمصدره.

(٢) يُنظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩).

وأما رجوعُ ابن عباس عن قوله في الصرف ففيما روى مسلم في «صحيحه» (١٥٩٤) عن أبي نضرةَ =

وعندَ التّنازع فالواجبُ الـمَرَدُّ[1] إلى كتابِ الله وسُنّة رَسُولِه، قال ـ سُبْحانه ـ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

فما أحدَثَهُ الصُّوفيّةُ من الإتيان بالألفاظ الموهِمة، وحَلقِ اللِّحى، وقَلعِ الأسنان، والضَّرْب بالطّار، وسماعِ النّاي والشَّبّابة، والتّصفيقِ وقتَ السَّماع، وغيرِ ذلك مما هو معلومٌ من الابتِداع بينَهم، كُلُّ ذلك مذمومٌ شرعاً لم تَرِدِ الشَّريعةُ به.

وأما الرقص، فالجمهورُ على أنه مُباح، لا على مَعنى أنّه عبادة[2]، وأنّ الله يُعبَد

= قال: سألتُ ابنَ عمر وابن عباس عن الصرف، فلم يرَيا به بأساً، فإني لقاعدٌ عند أبي سعيد الخدري، فسألتُه عن الصرف، فقال: ما زادَ فهو ربا، فأنكرتُ ذلك لقولهما، فقال: لا أحدِّثك إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ: جاءه صاحبُ نخلِهِ بصاعٍ من تمر طيّب، وكان تمر النبيِّ ﷺ هذا اللون، فقال له النبي ﷺ: «أنى لك هذا؟» قال: انطلقتُ بصاعَين فاشتريتُ به هذا الصاع، فإن سعر هذا في السوق كذا، وسعر هذا كذا، فقال رسول الله ﷺ: «ويلَك، أربَيتَ، إذا أردتُ ذلك، فبعْ تمْرَك بسِلعة، ثم اشترِ بسلعتك أي تمر شئت».

قال أبو سعيد: فالتمر بالتمر أحقُّ أن يكون ربا، أم الفضة بالفضة؟

قال [أبو نضرة]: فأتيتُ ابن عمر بعدُ فنَهاني، ولم آتِ ابنَ عباس، قال: فحدَّثني أبو الصَّهباء: أنه سألَ ابنَ عباسٍ عنه بمكة، فكرهه.

(١) كذا في الأصل مضبوطةً.

(٢) أما اتخاذ الرقص عبادة فشدّد في تحريمه وإنكاره بعض الفقهاء حتى أوصلوا مستحلّه إلى الكفر، وقد ذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة إلى كراهة الرقص لا تعبُّداً باعتباره دناءةً وسفهاً ولهواً، وعدُّوه من مسقطات المروءة، وأباحه الشافعية بقيد أن لا يكون فيه تكسُّر وتثنٍّ كفعل المخنَّثين وإلا حرم.

يُنظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٥٩)، و«حاشية الصاوي على الشرح الصغير» (٤/ ٢٤٢)، و«روضة الطالبين» (١١/ ٢٢٩)، و«شرح منتهى الإرادات» (٢/ ٢٧٧).

وقد قال الصاوي في «حاشيته» (٢/ ٥٠٣): وأما الرقص فاختلف فيه الفقهاء، فذهبت طائفة إلى =

به، ويُتَقَرَّب إليه بذلك، فإن ذلك لم يقُل به أحدٌ من أهل العلم، فاتخاذُ ذلك ونحوِه عبادةً يكونُ تشريعاً في الدين، وذلك مذمومٌ، قال ـ سُبْحانه ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

ولكن مَن ذهَب إلى الإباحة عملاً بالقول المرجوح ـ الصادرِ في الأصلِ عن كبير من العُلَماء الذين يُقتَدى بهم في الدين ـ فذلك ينفَعُه؛ لدُخولِه في عُذر المتأوِّلين؛ فإنَّ عامّةَ ما حرَّمَه الله؛ مثل قتلِ النفس بغَير حَقّ، ومثَل الزِّنا والخمر والمَيسِر والأموال والأعراض قد استَحَلَّ بعضَ أنواعه طوائفُ من الأمّة بالتّأويل، وفي المستَحلِّين قومٌ من صالحي الأمة وأهل العلم والإيمان، لكن المستَحلَّ لذلك لا يعتَقدُ أنه من المُحَرَّمات، ولا أنه داخلٌ فيما ذمَّه الله ورَسُولُه، فالمقاتل في الفتنة متأوِّلاً لا يعتَقدُ أنه قتل مؤمِناً بغير حقّ؛ كقتالِ عليٍّ ومعاويةَ رَضِيَ اللهُ عنهما، والمُبيحُ للمُتعةِ وإتيانِ النساءِ في أدبارِهنّ ونكاحِ المُحلِّل لا يعتَقدُ أنه أباح زناً، والمبيحُ للنَّبيذِ المتأوِّل فيه، ولبعضِ أنواع المعاملات الرِّبَويّة وعُقودِ المُخاطَرات لا يعتَقدُ أنه أباحَ الخمرَ والزنا والمَيسِر، ولكن وقوع مثل هذا التّأويل من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صارَ من أسباب المِحَن والفتنة؛ فإنّ الذين يُعظِّمونَهم يقتَدون بهم في ذلك، وقد لا يَقِفون عند الحدِّ الذي انتَهى أولئك إليه، بل يزيدون زياداتٍ لم تصدُر من أولئك الأئمّة السادة[1].

ومنهُم مَن صار له نصيبٌ من قوله تَعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ

= الكراهة، وطائفة إلى الإباحة، وطائفة إلى التفريق بين أرباب الأحوال وغيرهم فيجوز لأرباب الأحوال، ويكره لغيرهم، وهذا القول هو المرتضى، وعليه أكثر الفقهاء المسوِّغين لسماع الغناء، وهو مذهب السادة الصوفية.

(١) يُنظر: «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٣٠١).

إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾، فـ«المكاء» هو الصَّفير ونحوُه من الغناء، و«التّصدية»: هي التّصفيق بالأيدي[1].

ومن فعَل مثل ذلك من المشايخ ـ خُصوصاً المعروفين بالوَجد وغلَبة الحال ـ فإنّه لا يجوزُ تقليدُ أحَدِهم فيما فعلَه ولا ما قالَه.

ولهذا العُلَماءُ الراسخون من أهل هذه الطائفةِ وغيرِهم لا يُجيزونَ مُطالَعة كُتبِ القوم؛ خوفَ الفِتنة بها، والفتنةُ الآن بها موجودة، فالواجبُ الإعراضُ عنها، والإقبالُ على مُطالَعة كُتبِ الفِقه والحديث، والدُّخول في سِلك طريقةِ الفُقَهاء التي هي الطريقةُ الناجيةُ الجاريةُ على نهجِ الكتاب والسُّنّة ظاهراً وباطناً، ويُريحُ المرءُ العاقلُ نفسَه من ارتكاب فُضول الكَلام وما فيه المُخاطَرة؛ خوفَ الخُروج عن الإسلام، لا سيّما وقد قال عليه الصلاةُ والسَّلام: «ما حدَّث أحدُكم قوماً بحَديثٍ لا يفهَمونَه إلا كان فتنةً عليهم»، وقال عليه السَّلام: «كلِّموا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورَسُوله»، وهذا فيما يفهمه صاحبُه ولكن لا يبلُغُه عقلُ المُستَمِع، فكيفَ فيما لا يفهَمُه قائلُه[2]؛ كما هو دأبُ غالبِ مَن يشطَحُ من الصُّوفيّة.

---

(١) يُنظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٦٠ ـ ١٦٦) يرويه عن جماعة، وسياقُ المصنف ـ رحمه الله ـ من «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٣١٠).

(٢) يُنظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٦).

وقد روى الحديثَ الأول العقيليُّ في «الضعفاء» (٣/ ٢٠١) بنحوه مرفوعاً من حديث ابن عباس رضي الله عنه بإسناد ضعيف، وروى مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١) نحوه موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى الحديث الثانيَ البخاريُّ في «صحيحه» (١٢٧) عن عليٍّ رضي الله عنه موقوفاً، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: ورفعه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من طريق أبي نعيم.

ويُحتاجُ في ذلك - كما قال الغَزاليُّ - إلى صرفِ ألفاظ الشَّرع عن ظواهِرِها المفهومة إلى أمور باطنةٍ لا يسبقُ منها إلى الأفهام فائدة؛ كدأبِ الباطنيّة في التّأويلات، وهذا أيضاً حَرام، وضَرَرُهُ عظيم؛ فإن الألفاظَ إذا صُرفت عن مُقتَضى ظواهِرِها بغَيرِ اعتصامٍ فيه بنقلٍ[1] عن صاحبِ الشَّرع ومِن غيرِ ضرورةٍ تدعو إليه مِن دليل العَقل؛ اقتَضى ذلك بُطلان الثِّقة بالألفاظ، وتسقُطُ منفَعةُ كَلامِ الله وكَلامِ رَسُوله؛ فإن ما سبَقَ إلى الفهم لا يُوثَق به، والباطنُ لا ضبْطَ له، بل تتَعارضُ فيه الخواطر، ويُمكِنُ تنزيلُه على وُجوهٍ شتّى، وهذا من أقبح البِدَع الشائعةِ العظيمِ مضَرَّتُها، وإنما قصَدَ أصحابُها بها الإغرابَ؛ فإن النفوسَ مائلةٌ إلى الغريب ومُستَلِذّة له.

وبهذا الطَّريقِ توصّل الباطنيةُ إلى هدم جميع الشَّريعة بتأويل ظواهِرِها وتنزيلِها على آرائهم؛ كما حكاهُ الإمام الغَزاليُّ عن مذهَبِهم في الكتاب «المستَظهريّ» المصنَّف في الرّدِّ على الباطنيّة؛ كما يقولُ بعضُهم في قوله تَعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]: إنّه أشار إلى قلبِه، وقال: هو المرادُ بـ«فِرعون»، وهو الطاغي على كُلِّ إنسان، وفي قوله تَعالى: ﴿أَلۡقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٧] أيْ: كُلّ ما تتوكّأ عليه وتعتمدُه مما سوى الله تَعالى، فينبغي أن تُلقِيَه.

وفي قوله - عليه السَّلام -: «تسحَّروا؛ فإن في السُّحورِ برَكة»[2]، أراد به: الاستِغفار في الأسحار، وأمثال ذلك؛ حتى أنهم يحرِّفون القُرآن - من أوّلِه إلى آخِره - عن ظاهِرِه، وعن تفسيرِه المنقول عن ابنِ عبّاسٍ وسائر العُلَماء، وذلك كفرٌ وزندقةٌ؛ كتَنزيل فِرعونَ على القلب.

---

(١) في الأصل: «ينقل»، وصوّبتُ وفاقاً لمصدره.

(٢) «صحيح البخاري» (١٩٢٣)، و«صحيح مسلم» (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فإن فِرعونَ شخصٌ مخصوص، تواتَرَ إلينا وُجُوده ودعوةُ موسى إيّاه؛ كأبي لهَبٍ وأبي جهلٍ وغيرِهما من الكُفّار، فصرفُ الألفاظ عن ظواهِرِها، والإتيانُ بألفاظٍ تُضِلُّ الناس حرامٌ وضلالةٌ وإفسادٌ للدين على الخلق.

هذا ولم يُنقَل شيءٌ من ذلك عن الصحابة والتّابعين؛ كالحسَن البصريِّ مع إكثارِه من دعوةِ الخلق ووَعظِهم[١]، وعلُوِّ مرتَبَتِه في التَّصوُّف، وكذلك الفضيلُ بن عِيَاض، وإبراهيمُ بنُ أدهَم، وبشرٌ الحافي، وسَرِيُّ السَّقْطيُّ، والجُنَيد، وأضرابُهم.

أولَئكَ آبائي فَجِئْني بِمِثلِهم ... إذا جَمَعَتْنا ـ يا جَريرُ ـ المَجامِعُ[٢]

لَقَدْ أسمَعتَ لو[٣] نادَيتَ حَيّاً ... وَلكِنْ لا حَياةَ لِمَن تُنادي

قال الإمام الغَزاليُّ ـ رحمه الله ـ: ومَن يستَجيز من أهل الطامّات مثلَ هذه التّأويلات مع علمِه بأنها غيرُ مرادةٍ بالألفاظ[٤]، ويزعُم أنه يقصدُ بها دعوةَ الخلق إلى الحقّ؛ يُضاهي مَن يستَجيز الاختراعَ والوضعَ على النَّبيِّ ﷺ بما هو في نفسِه حَقّ، ولكن لم ينطِقْ به الشَّرع؛ كمَن يضَع في كُلِّ مسألة يراها حقّاً حديثاً عن النَّبيِّ ﷺ، وفي ذلك ظلمٌ وضلالٌ لا يخفى[٥]، وجَراءةٌ على الله تَعالى ورَسُوله ﷺ، نسألُ اللهَ ـ سُبْحانَه ـ العافيةَ آمين.

---

(١) يُنظر: «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (١/ ٣٦ ـ ٣٧)، ويُنظر: «فضائح الباطنية» (المستظهري) له (ص٣٧ ـ ٦٦) وما بعدها.

(٢) هو للفرزدق في «ديوانه» (٢/ ٧٢).

(٣) في الأصل: «مذ»، وصوّبتُ وفاقاً لرواية البيت الشهير، وهو لعمرو بن معدي كربٍ رضي الله عنه، وهو في «شعره» (ص١١٣).

(٤) في الأصل: «بألفاظ»، وصوّبتُ وفاقاً لمصدره.

(٥) يُنظر: «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (١/ ٣٨).

[جوابُ السؤال الرابع]

وأما السؤال الرابع، وهو:

هل يأثَمُ العُلَماءُ الذين يُنكِرون عليهم مثلَ ذلك ويُكفِّرُونَهم به؟ أو هم مُصيبون في الإنكار؟

فالجوابُ: لا ـ والله ـ لا إثمَ على العُلَماء المنكِرين عليهم في ذلك، وهم مُصيبون في الإنكار، بل ذلك واجبٌ عليهم، والإقرار على ذلك من أعظَم المُنكَرات، وأقبَح المُحَرَّمات؛ لِما في ذلك من إفساد عقائدِ عوامِّ المسلمين، وإضلالِ ضِعافِ السّالكين، وكيف يجوزُ الإقرارُ على ما هو ـ في ظاهِرِ الشَّرع ـ مُنكَر؟ كما لا يخفى ذلك على من استَبصَر.

واعلَمْ أن الحقَّ الذي يجبُ الرُّجوع إليه، ويُعوَّلُ عند التّنازُع عليه، وهو القولُ الشاملُ، والحقُّ الفاصلُ: أنه يجبُ على كُلِّ مؤمنٍ عاقلٍ أن يُنكِر ما أنكَرَهُ ظاهرُ الشَّريعة وإن كان في الباطن حقّاً، ويُسلِّمَ ما سلّمَهُ ظاهرُ الشَّريعة وإن كان في الباطِن فِسقاً؛ لأنّا ـ كما قال الإمام الشافِعيُّ ـ مأمورون باتِّباع الظواهر، والله تَعالى يتَولّى السَّرائر(١).

فيَجِبُ على الحاكم أن يعمَلَ بما شَهِدَت به البيِّنة، أو أقرَّ به المُكلَّف؛ نظَراً لظاهر الأمر، وإن كان الحقُّ خلافَ ذلك في باطن الأمر، ونحكُم ظاهراً بكُفر مَن

---

(١) قال السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص٥٤): هذا من كلام الشافعي في «الرسالة». ا.هـ.

قلتُ: لم أجده فيها، ويُنسَب حديثاً، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص١٦٢): اشتهر بين الأصوليين والفقهاء، ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة، وجزم العراقيُّ بأنه لا أصلَ له، وكذا أنكره المزيُّ وغيره.

رأيناهُ سجَدَ للصَّنَمِ أو للشَّمْس، وإن كان في الباطنِ إنما نَوى السُّجودَ لله وحدَه؛ فإنِ ادَّعى ذلك قُبِلَ منهُ مع قَرائنَ تُصدِّقُه من نحوِ خَوف، أو رَغبةٍ في شيء.

وكذلك من تكلَّم بكلامٍ ظاهرُه الكُفر، ويحتَمل باطنُه خلافَ ذلك؛ إذا قال: «لم أُرِدْ ظاهِرَه»، فيُقبَل منه؛ لأنه محلُّ شُبهة، والحدودُ تُدرأ بالشُّبُهات[1]، وهذا من حيثُ الحَدّ، وأما من حيثُ بَينونة الزَّوجات، فيَحتَمِلُ ويحتَمل.

وروى البُخاريُّ عن عُمرَ بن الخَطّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: أنه قال: أيُّها الناس، إن الوحيُ قد انقَطَع، وإنما نأخُذُكم الآن بما ظهَرَ لنا من أعمالكم، فمَن أظهَرَ لنا خيراً أمَّناهُ وقرَّبناه، وليسَ لنا من سَريرته شيءٌ اللهُ يُحاسِبُه في سَريرته، ومَن أظهر لنا سوءاً لم نأمَنْهُ ولم نُصدِّقْه، وإن قال: إن سَريرتُه حسَنة[2].

قال القُرطُبيُّ في «تفسيره» في سورة النُّور: وأجمَع العُلَماء أنَّ أحكامَ الدنيا على الظاهر، وأن السرائرَ إلى الله عزَّ وجلّ[3].

وقال مجاهد: نحبُّ الناسَ على ما نَرى مِن صَلاحِهم، ونُبغِضُ الناسَ على ما نَرى من فَسادِهم، والحسابُ على الرَّبِّ عزّ وجلّ[4].

---

(١) ورد درءُ الحدود بالشبهات في حديثٍ أخرجه الترمذيُّ في «سننه» (١٤٢٤) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرجٌ فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»، وقال الترمذي عقبه: ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث.

وقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٥٤٥) بلفظ «ادفعوا الحدود ما وجدتُم له مدفعاً».

(٢) «صحيح البخاري» (٢٦٤١).

(٣) يُنظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٧٣).

(٤) ذكره أبو طاهر المقدسي في «صفوة التصوف» (ص١٦٠).

إذا عرَفتَ هذا الأصلَ الذي عليه إجماعُ فقَهاء الأمصار، في سائرِ الأعصار، سلِمتَ من السُّلوكِ في بُنَيّاتِ[1] الطريق، وساغَ لك سلوكُ طريق التّحقيق، وإنما ضلَّ من ضلَّ بتعلُّق آمالِه بمَعرفةِ أسرار الحقيقة، قبلَ مَعرفة أحكامِ الشَّريعة.

ولهذا قيل: «من تحقَّق قبل أن يتفقَّه فقَد تزَندَق»[2]؛ لأن الخُروجَ عن ظواهر الشَّريعة كفرٌ وزندَقة، وفلسفَة محقَّقة، وقلَّ مَن يكون مُصيباً للحَقِّ ـ في نفس الأمر ـ إلا مَن أطلَعَهُ الله تَعالى على أسرار الغُيوب، فوافَقَ الحقَّ المطلوب؛ كالخَضِرِ مع مُوسى عليهما السَّلامُ.

على أنه لو جِيْءَ لنا بمَن هو كالخَضِرِ عِلماً وعَمَلاً ـ وهذا لا يُوجَد ـ ثُمّ رأيناهُ خرَجَ عن ظاهر الشَّريعة في أقوالِه وأفعالِه لَوَجَبَ علينا الإنكارُ عليه، والمُبادَرةُ بذلك إليه؛ كما فعلَ مُوسى ـ عليه السَّلامُ ـ وناهيكَ به ﷺ قُدوةً في ذلك؛ حيث قال لـمّا رأى من الخَضِرِ ما يُنكَر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]؛ أي: أتيتَ أمراً عظيماً: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]؛ أي: مُنكَراً؛ لأن القتلَ أقبَح.

وهذا حُجّةٌ قويّة للفُقَهاء؛ حيث إن موسى ـ عليه السَّلامُ ـ بادَرَ بالإنكار على الخَضِرِ معَ إعلام الله تَعالى له بعِلم الخَضِر ومَعرِفَته، واتِّباع موسى ليُعلِّمه مِن عِلمِه،

---

(١) في الأصل: «ثنيات»، والصوابُ ما أثبتُّ؛ قال الجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٢٨٧): بُنَيّاتُ الطريق: هي الطُّرُقُ الصِّغار تتشعَّبُ من الجادّةِ.

(٢) يُنسب إلى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه، وتمامه: من تصوَّف ولم يتفقَّه فقد تزندق، ومن تفقَّه ولم يتصوف فقد تفسَّق، ومن جمع بينهما فقد تحقَّق. ا.هـ. نسبه إليه ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم شرح متن الحكم» (ص١٨)، والملا علي القاري في «شرح عين العلم وزين الحلم» (١/ ٣٣).

ومعَ ذلك لما رأى موسى منه ما هو مُنكَرٌ في ظاهر الشَّريعة لم يَسَعْهُ السُّكُوتُ عنه، بل بادَرَ بالإنكار عليه.

هذا والخَضِرُ ـ عليه السَّلامُ ـ يعذُرُهُ في كُلِّ ذلك؛ لعلمِهِ أنه متَمسِّكٌ بظاهِرِ الشَّريعة؛ لوُجوب اتِّباعها.

فالفقيهُ مُقتَدٍ بموسى ـ عليه السَّلامُ ـ في المبادَرة بالإنكار، والصُّوفيُّ مُقتَدٍ بالخَضِرِ في عدَم المؤاخَذة للفَقيه؛ لعلمِهِ بأنه معذورٌ لعدَم جَواز الإقرار.

ومَن واخَذَ الفقيهَ بإنكارِهِ ما خالَفَ ظاهرَ الشَّرع فليسَ بصُوفيّ، بل مُتصوِّف، فافهَمْ ما قلتُهُ لك!

واعرِفْ على أنّا نقول للمُعترِضِ على الفُقَهاءِ في إنكارهم على الصُّوفيّة: هل الفُقَهاء الذين أنكَروا أَمَروا باتِّباع الكتاب والسُّنّة والتَّقيُّد بظاهِرِهما، أو أمروا باتِّباع الهوى وما تَهوى الأنفُس؛ لحُظوظ أنفُسِهم؟

فلا يسَعُه إلا أن يقول: أمَروا باتِّباع الكتاب والسُّنّة والحثِّ على التّمسُّك بهما، وإلا لكذَّبَه الحِسُّ والنَّقل.

فإن كلامَ الفُقَهاء المنكِرين مشحونٌ بذلك؛ كالشيخ عزِّ الدين بنِ عبد السَّلام، والتّقي ابن تَيميّة، والتّقيِّ السُّبكي، والحافظ الذَّهَبيّ، وأبي حيّان النَّحْوي، وابن هِشامٍ، وابنِ النَّقّاش[1]، وابن المُقرئ، والحافظ ابن حجَر، وابن

---

(١) محمد بن علي بن عبد الواحد، الدكالي، ثم المصري، أبو أمامة ابن النقاش، (ت ٧٦٣هـ)، ترجمه الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٨) وذكر أن له كتاباً في التفسير مطولاً جداً، وأنه التزم أن لا ينقل فيه حرفاً عن كتاب من تفسير أحد ممن تقدمه، وأنه كانت طريقته في التفسير غريبة ما رأيتُ له في ذلك نظيراً، ونقل عن الزركشي تسميته «السابق واللاحق». قلتُ: وأما «تفسيره» فهو غير مطبوعٍ ولا متداول.

الصَّـلاح، وابـن الحاجِب، والبِقاعـيِّ، وغيرِهم من أئمّـة المُسـلِمين، المُقتَدى بهم فـي الدين.

فنقول: حيثُ اعترفتَ بهذا، وأنَّهم إنما أمَروا باتِّباع الكتاب والسُّنّة، فكيف تُنكِرُ على قومٍ تقيَّدوا بظاهرِ الكتابِ والسُّنّة، وأمَروا باتّباعِهما؛ معَ أن هذه طريقةُ كُلِّ مَن يُؤمِنُ بالله ورَسُوله، خُصوصاً السادة الصُّوفيّة؛ فإنهم أشدُّ حِرصاً على اقتِفاءِ آثار رَسُولِ الله ﷺ، واتِّباع الكتاب والسُّنّة.

ولهذا قال بعضُ المشايخ لتلامِذَته: عليكم بالاستِقامة على الطريق، وقدِّموا فرْضَ الشَّريعة على الحقيقة، ولا تُفرِّقوا بينهما؛ فإنَّهما من الأسماء المُترادِفة.

وقال الجُنَيد ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: الطُّرق كلُّها مسدودةٌ على الخلقِ إلا مَن اقتَفى أثرَ الرَّسول ﷺ.

وقال أيضاً: من لم يحفَظِ القُرآنَ ولم يكتُبِ الحديثَ لا يُقتَدى به في هذا الأمر؛ لأن عِلمَنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسُّنّة[1].

وقال أبو حَفْصٍ النَّيسابُوريُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: مَن لم يزِنْ أفعالَه وأقوالَه كُلَّ وقتٍ بالكتاب والسُّنّة ولم يتَّهِمْ خَواطِرَه، فلا تَعُدُّوه في ديوان الرِّجال[2].

---

(١) ذكرَ قولَي الجنيدِ: ابنُ تيميةَ في «الاستقامة» (١/ ٩٧)، ومن قبله القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ٧٩).
وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي، القواريري، شيخ العارفين، وقُدْوة السّائرين، وعَلَم الأولياء في زمانه، اختصّ بصُحبة السري السقطي، والحارث المحاسبي، وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثمّ أقبل على شأنه، واشتغل بما خُلِق له، وكان ممّن برز في العِلم والعمل، (ت ٢٩٨هـ)؛ كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٩٢٤).

(٢) ذكرَ قـولَ أبـي حفصٍ: ابـنُ تيميةَ فـي «الاسـتقامة» (١/ ٩٦)، ورواه عنه القشـيريُّ في «الرسـالة» (١/ ٦٩).
=

وقال أبو حمزةَ البَغداديُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: ما نعلَمُ الطريقَ إلى الله إلا مُتابعةَ الرَّسول في أحوالِه وأقوالِه وأفعالِه[1].

وقال أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: ربما تقَع النُّكتةُ في قلبي من نُكَت القوم أياماً، فلا أقبَلُ منه إلا بشاهدَين عدلَين من الكتاب والسُّنّة[2].

وقال أبو الحُسَين النُّوريُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: مَن رأيتَه يدَّعي مع الله حالةً تُخرِجُه عن حدِّ العلم الشَّرعيِّ فلا تقرَبَنَّ منه[3].

وقال أبو يزيدَ البَسْطاميُّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: لو رأيتُم الرجُلَ يطيرُ في الهواء، ويَمشي على الماء، فلا تغترُّوا به حتى تنظُروا وُقوفَه مع الأمر والنَّهي[4].

= وذكر أن اسمه عمر بن مسلمة الحداد، أحد الأئمة والسادة، مات سنة نيف وستين ومئتين.

(١) ذكرَ قولَه باختلاف يسيرٍ ابنُ تيميةَ في «الاستقامة» (١/ ٩٧ ـ ٩٨)، ومن قبله القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ١٠٧)، وفيها: أنه صحب السريَّ، وكان من أقران الجنيد ومات قبله سنة (٢٩٨هـ)، وكان الإمام أحمد يقول له في المسائل: ما تقول فيها يا صوفي؟ وفي «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٤٦٢): اسمه محمد بن إبراهيم. تُوُفي سنة تسع وستين، قاله أبو سعيد ابن الأعرابي.

(٢) ذكرَ قولَه ابنُ تيميةَ في «الاستقامة» (١/ ٩٥ ـ ٩٦)، ورواه عنه القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ٦١).
واسمه في «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ٣٦٩): عبد الرحمن بن أحمد، وذكر أقوالاً، قال: السيّد القُدْوة، أبو سليمان الدّارانيّ العَنْسيّ، قيل: أصله واسطيّ، (ت ٢١٥هـ)، وقيل: (٢٠٥هـ).

(٣) ذكرَ قولَ أبي الحسين: ابنُ تيميةَ في «الاستقامة» (١/ ٩٨)، ورواه عنه القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ٨٣).
واسمه أحمد بن محمد، شيخ الصُّوفية، كان من أعلم العراقيين بلَطَائف القوم صحب السري وابن أبي الحواري، وهو من أقران الجنيد، مات (٢٩٥هـ). يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٨٩١).

(٤) ذكرَ قولَ أبي يزيد: ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٦٦)، ورواه عنه القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ٥٨).
وهو طَيْفُور بن عيسى، أبو يزيد البَسطامي، الزاهد العارف، مِن كبار مشايخ القوم، وهو بكُنيته =

وقال الإمام الليثُ بنُ سعدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: لو رأيتَ صاحبَ هوىً يطيرُ في الهواء فلا تغترَّ به[١].

وقال شيخُ الإسلام تقيُّ الدين ابنُ تَيميّة ـ رحمه الله ـ: اتفق أولياء الله تَعالى على أن الرجل لو طار في الهواء، ومشى على الماء؛ لم يغتر به حتى تنظر متابعته لرَسُول الله ﷺ، وموافقته لأمره ونهيه[٢].

ومثل هذا كثيرٌ في كلام أئمّةِ المشايخ[٣]، قال العلّامة الطُّوفيُّ: وهم إنما وصَّوا بذلك لِما يعلَمونَه من حالِ كثيرٍ من السّالكين: أنّه يجري مع ذَوقِه ووَجدِه، وما يَراهُ ويَهواه[٤].

ولهذا كثيراً ما يُوجَدُ في كلام المشايخِ الأمرُ بمُتابعة العِلم ـ يعنون بذلك: الشَّريعة ـ فإن مُتابَعتَها من أشقِّ ما يكونُ على النفس؛ كقول أبي يزيدَ البَسْطاميِّ

= أعرف، (ت ٢٦١هـ). يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/ ٣٤٥). وقد تقدمت ترجمته.

(١) ذكرَ ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) عن يونس بن عبد الأعلى: أنه قال للشافعي: أتدري ما قال صاحبنا ـ يعني: الليثَ بنَ سعد ـ؟ قال: لو رأيتَ صاحبَ هوىً يمشي على الماء فلا تغترَّ به. فقال الشافعي: لقد قصّر الليث! لو رأيتَ صاحبَ هوىً يطيرُ في الهواء فلا تغترَّ به. وفي «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ٧١٠): الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، مولاهم، المصري، أبو الحارث، أحد الأعلام، كان كبير الديار المصرية ورئيسها، ومحتشمها وعالمها، وأميرَ من بها في عصره، بحيث إن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته، وكان الشافعي يتأسف على فوات لقيه، روى له الجماعة، (ت ١٧٥هـ).

(٢) قاله في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٧٨ ـ ٧٩).

(٣) زيد في الأصل هنا: «القوم»، وهي زيادة ركيكة ليست في سياق ما لعله مصدره.

(٤) ذكره ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٢٥٠) دون نسبة، ولم أهتد إليه فيما عدت إليه من مطبوع كتب الطوفي.

ـ رحمه الله ـ: عملتُ في المجاهَدة ثلاثينَ سنة فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من العِلم ومُتابَعَتِه، ولولا اختلافُ العُلَماء لَتفَتَّتُّ، واختلافُ العُلَماء رحمةٌ إلا في تجريدِ التّوحيد(١).

فكُلُّ حُبٍّ وذَوقٍ ووَجدٍ لا تشهَدُ له هذه الشَّريعةُ فهو ـ في الحقيقة ـ غَيٌّ وضَلال؛ قال تَعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨](٢).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيميّة: وأنت تجدُ كثيراً من المتفقِّهة إذا رأى كثيراً من المُتصوِّفة والمتعبِّدة لا يَراهم شيئاً، ولا يعدُّهم إلا جُهّالاً ضُلّالاً، ولا يعتقدُ في طَريقهم من العلم والهُدى شيئاً، وترى كثيراً من المُتصوِّفة والمتفقِّرة لا ترى الشَّريعة ولا العلم شيئاً، بل يَرى أن المتمسِّكَ بها منقطعٌ عن الله تَعالى، وأنه ليس عندَ أهلها مما ينفَع عند الله شيئاً،

قال: وإنما الصوابُ أن ما جاء به الكتابُ والسُّنّة من هذا وهذا حَقّ، وما خالف الكتاب والسُّنّة من هذا وهذا باطل(٣) وضلالٌ واتّباعُ هوى.

ولهذا كان السَّلَفُ يعُدُّون كُلَّ مَن خرَجَ عن الشَّريعة في شيءٍ من الدين من أهل الأهواء، ويجعَلون أهلَ البِدَع هم أهل الأهواء، ويذُمُّونَهم بذلك، ويأمُرون بأن لا يُغترَّ بهم، ولو أظهَروا ما أظهَروه من العِلم والكَلام والحِجَاج، أو العِبادةِ

---

(١) يُنظر: «الاستقامة» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، وذكرَ قولَ أبي يزيدَ، ورواه عنه القشيريُّ في «الرسالة» (١/ ٥٧)، وهو فيه بلفظ: «لبقيت».

(٢) يُنظر: «الاستقامة» (١/ ٢٥٣).

(٣) يُنظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية (١/ ٩١).

والأحوال، مثل المُكاشَفات، وخرقِ العادات؛ كما مرت الإشارة إليه في كلام أبي يزيدَ البَسْطاميِّ والإمام الليثِ بن سعد[١].

قال الحافظ الذَّهَبيّ: المُكاشَفة لِما في ضمائر الصدور قدْرٌ مشتَرَكٌ بين أولياء الله وبين الكُهَّان والمجانين[٢].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تَيميّة: إنهم يستَعمِلون أنواعاً من الخلوات بطعام معين، وحالٍ معين، وهذا مما يفتَح لأصحابها اتّصالاتٍ بالجنِّ والشياطين، فيظُنُّون ذلك من كراماتِ الأولياء، وإنما هي من الأحوالِ الشيطانية.

قال: وأعرِفُ مِن هؤلاء عدَداً، ومنهُم مَن كان يُحمَلُ في الهواء إلى مكان، ومنهُم مَن كان يُؤتى له بمالٍ مسروقٍ تسرقُهُ الشياطينُ وتأتيه به، ومنهُم مَن كانت تدُلُّه على السَّرِقات[٣].

إلى أن قال: وتجد كثيراً مِن هؤلاء عُمدَتُهم في اعتقادِ كونِه وليّاً أنه قد صدَر عنه مُكاشَفاتٌ في بعض الأمور، أو بعض التَّصرُّفات الخارقةِ للعادة؛ مثل أن يُشيرَ إلى شخص فيموت، أو أن يطيرَ في الهواء إلى مكّةَ أو غيرها، أو أن يمشيَ على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً من الهواء، أو يُنفقَ بعضَ الأوقات من الغَيب، أو يختَفي أحياناً عن أعيُن الناس، أو أنّ بعضَ الناس استَغاثَ به ـ وهو غائبٌ أو ميّت ـ فرآهُ قد جاءه، فقَضى حاجته، أو يُخبِر الناس بما سُرق لهم، أو بحالِ غائبٍ لهم، أو مريض، أو نحوِ ذلك من الأمور، وليس في شيءٍ من هذه الأمور

---

(١) يُنظر: «الاستقامة» (١/ ٢٥٤).

(٢) قاله في «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٥٢٥).

(٣) يُنظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ١١٠ ـ ١١١).

مـا يـدل علـى أن صاحبهـا ولي لله تَعالـى، بل اتّفـق أوليـاءُ الله تَعالى علـى أن الرجلَ لـو طـار فـي الهواء ـ أو مشى على المـاء ـ لم يُغتَـرَّ به حتى تُنظَـرَ متابَعَتُه لرَسُـول الله ﷺ، وموافَقَتُـه لأمـرِه ونهيـه، وكراماتُ أوليـاء الله تَعالى أعظَم من هـذه الأمور، وإن كان قـد يكـون صاحبُهـا وليّاً لله فقد يكـونُ عدُواً لله؛ فـإنَّ هذه الخوارقَ تكـونُ لكثيرٍ من الكُفّـار والفُسّـاق. انتهى كلام ابـن تَيميّة[1].

ويؤيّده قصةُ الخوارجِ المارقين بإجماع الصَّحابة، وقد قال النَّبيُّ ﷺ في صِفَتِهم: «يحقِرُ أحدُكم صَلاتَه مع صَلاتِهم، وصِيامَه مع صِيامِهم، وقِراءتَه مع قِراءتِهم، يقرَؤون القُرآنَ لا يُجاوز حَناجِرَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُقُ السَّهم من الرَّميّة».

وقال: «لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قتْلَ عاد»، وقال: «أينَما لقِيتُموهم فاقتُلوهم؛ فإنّ في قتلِهم أجراً عندَ الله لِـمَن قتَلَهُم يومَ القيامة».

وفي «الصحيح» عن عليٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: لو يعلَمُ الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لِسانِ مُحمّدٍ لنكَلوا عن العمَل.

ولا ريبَ أن الخوارجَ كان فيهم منَ الاجتِهاد في العِبادة والورَع ما لم يكُن في الصحابة رَضِيَ اللهُ عنهم؛ كما ذكره النَّبيُّ ﷺ، لكن لـمّا كان على غيرِ الوجه المشروع أفضى بهم إلى المُروق من الدين[2]، والخُروج عن طريق المسلمين.

---

(١) يُنظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٢) يُنظر: «الاستقامة» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

وأخرج حديثَ «يحقِرُ أحدُكم»: البخاريُّ (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. =

فلا يغترّ العاقل بعبادةِ كثيرٍ من المُتصوِّفة ووَرَعِهم وكراماتِهم؛ حيثُ لم يَجْروا على سَنَن الشَّريعة، فمَن خرَج منهم عنها فهو فاسقٌ مُلحِد، ومُكاشَفاتُه تعَدُّ تلبيساً، وخَوارقُه استِدراجاً، ومَن جَرى منهم على سَنَنها، فذلك كرامة؛ فإن كراماتِ الأولياء حَقٌّ بلا ريب، رضِيَ الله تَعالى عنهم، ونفَعَنا بهم، وأمَدَّنا بمَدَدِهم. آمين.

* * *

[جواب السؤال الخامس]

وأما السؤال الخامس، وهو:

كثيراً ما تَسمَع الجَهَلةَ يقولون: يُخشى على المُنكِرَ المَقْتُ، والعالِمُ الفُلانيُّ لمّا أنكَرَ مُقِت، وحَصَلَت له مُصيبةُ كذا، فهل هذا قولٌ صَحيح، أو سوءُ أدَبٍ صَريح؟

فالجواب: لا ـ والله ـ لا يُخشى على المُنكِرِ المُتمَسِّكِ بظاهرِ الشَّرعِ المَقْتُ، ولا إثم عليه، بل ذلك مما يجب عليه؛ قياماً بظاهرِ الشَّريعة المطهرة، فأهلُ الشَّرع العاملون به هم أولياءُ الرَسُول وحِزبُه، ومَن خرَج عن سُنَّته فهُم أعداؤه وحَربُه، لا يأخُذُهم في نُصرة سُنَّته مَلامةُ اللُّوّام، وغَوغاء العَوامّ، والسُّنّةُ أجَلُّ في صُدورهم من أن يُقدِّموا عليها رأياً فقهيّاً، أو بحثاً جَدَليّاً، أو خيالاً صوفيّاً، أو تناقضاً كلاميّاً، أو

= وأخرج الوعيدَ بقتلِهم قتْلَ عادٍ: البخاريُّ (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) (١٤٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه أيضاً.

وقولُه ﷺ: «أينَما لقِيتُموهم فاقتُلوهم»: أخرجه البخاريُّ (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦) (١٤٨) عن عليٍّ رضي الله عنه. وقولُه ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ في «صحيح مسلم» في أثناء الحديث (١٠٦٦) (١٥٦) بلفظ: «لاتَّكلوا عن العمل»، وهو في «سنن أبي داود» (٤٧٦٨) باللفظ المذكور.

قياساً فلسفيّاً، أو حُكماً سياسيّاً، فمَن قدّم عليها شيئاً مِن ذلك فبابُ الصوابِ عليه مسدود، وهو عن طريق الرّشاد مصدود.

ومَن تمسَّك بها، وقامَ بنَصرِها[١] فلا مقتَ عليه ولا لَوم، بإنكارِه ما خالَفَ الشَّريعةَ التي هي عينُ طَريقة القَوم، وإنما المطرودُ والمَلُوم، والكَنُود المذموم، والمُبعَدُ[٢] المحروم، والمَمقوتُ المأثوم، هو المُعرِض عنها، الرامي لها خلفَ ظَهرِه، الذي لا يتمسَّكُ بظواهرها، ولا يقومُ بناصِرها، وهو مِن أموات الأحياء.

فقد قيلَ لابن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: من ميِّت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرفُ معروفاً، ولا يُنكِر منكَراً.

وسُئل حُذيفةُ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ عن ميِّت الأحياء؟ فقال: هو الذي لا يُنكِر المُنكَر بيَده، ولا بِلِسانه، ولا بقَلبِه.

وفي الحديث الصحيح: أنه ﷺ قال: «مَن رأى منكم مُنكَراً فليُغيِّره بيده، فإن لم يستَطعْ فبِلِسانِه، فإن لم يستَطعْ فبقَلبِه، وذلك أضعَفُ الإيمان»[٣].

والمنكَر ما أنكَرَته الشَّريعة، سواءٌ أكان فاعلُه من الصُّوفيّة، أم غيرِهم.

---

(١) كذا في الأصل، وسيتكرّر بعد قليل في سجع؛ بما يدفع التحريف، يريد: «ينهض بمعاونة من ينصرها»، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «والمبعود»، والصوابُ ما أثبتُّ.

(٣) يُنظر: «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢١٢).

وحديث «مَن رأى منكم مُنكَراً» أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٥٧٧) قول حذيفة رضي الله عنه، ولم أهتد إلى قول ابن مسعود رضي الله عنه مسنداً، والله أعلم.

وإنكارُه بالقلبِ واجبٌ على كُلِّ حال؛ إذ لا ضررَ فيه، ومن لم يفعَلهُ فيكادُ أن يكونَ ليس بمُؤمن؛ لقوله عليه السَّلامُ ـ: «وذلك أضعَفُ الإيمان»[١].

وما أسوأ أدَب من يعتَرض على العَوامّ ـ فَضْلاً عن العُلَماء ـ إذا أنكَروا المُنكَر، أو بدَّعوا مُرتَكِبَه، ويكفي هذا المعترِضَ على العُلَماء الآمرين باتِّباع الكتاب والسُّنّة من المقتِ وَقيعتُه في حقِّهم، وحِرمانُه برَكةَ اتِّباع الشَّريعة.

وقد قال الحافظ ابنُ عساكر: لحوم العُلَماء سُم، مَن شمَّها مرِض، ومَن ذاقها مات[٢].

وقال أيضاً: لحومُ العُلَماء مسمومة، وهتكُ أستارِ مُنتَقِصهم معلومة[٣].

ودعوى المُعتَرِض: أن العالِمَ الفُلانيّ مُقِت، أو حصَلَت له مصيبةُ كذا بسبَبِ إنكارِه كَذِبٌ صَريح، وكلامٌ غيرُ صَحيح، أفلا تُنكَر المُنكَرات، ويزجر عن المُحَرَّمات؟!

---

(١) يُنظر: «الاستقامة» (٢/ ٢١٢).

(٢) لم أجده لابن عساكر، ويغلب على ظني وهم المؤلف ـ رحمه الله ـ في نسبة هذا القول لابن عساكر، وقد ذكره العلامة طاش كبري زاده في «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» (ص٣٩) في ترجمة المولى يعقوب الأصغر القراماني قال: ووُجد في بعض المجاميع لبعض الثقات مكتوباً بخطه: أنه سمعت من بعض المدرِّسين، وهو يروي عن والده وكان صالحاً، وهو يروي عن العالم العامل الصالح الشهير بصاري يعقوب الكراماني: أنه قال: رأيتُ في رُؤيايَ في حضرة الرسالة ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، نُقل عنك أنك قُلت: لحوم العلماء مسمومة فمن شمها مرض ومن أكلها مات، أهكذا قلتَ يا رسول الله؟ قال: يا يعقوب، قل: لحوم العلماء سموم. ا.هـ

(٣) قاله في «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» (ص٢٩) بلفظ: «وَعادة الله في هتكِ أستار مُنتَقِصيهم مَعلُومة».

ويُقال لهذا المُعترِض على الفُقَهاء: هذا الحُسَين ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ لما قُطِع رأسُه وطِيْفَ به هل ذلك قادحٌ في عُلوّ مرتبَتِه، وشَريفِ مَنصِبه؟ وكذلك زَكريّا ـ عليه السَّلامُ ـ لما نُشر بالمِنشار، وولَدُه يحيى ـ عليه السَّلامُ ـ لما قُطِع رأسه، وبقيّةُ الأنبِياء والسَّلَف الصالح ممن قُتل، أو أُهين، أو حُبس، أو ضُرب، أو نُفي؛ كالأئمّة الأربعة وغيرِهم، ولم تزَلِ العُلَماءُ الأعلام يُنكِرون على المُتصوِّفةِ الخارجين عن سَنَن الشَّريعة، لا سيّما مَن يصدُق عليه منهم قولُ الله تَعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وقد قال الحافظُ السُّيوطيُّ لصوفيّة الخانقاه بالقاهرة: يحرُم عليكُم الأكلُ من معلومِها[١]؛ لأنكم لستم بصُوفية؛ إذ الصوفيُّ من تخلّق بأخلاق الصُّوفيّة المذكورين في «رسالة القُشَيري» و«الحِلية» لأبي نُعَيم، ومن يأكُل منَ المعلوم من غير تخلُّق بأخلاقِهم أكل حَراماً[٢].

وما قال ذلك إلا لِما رأه منهُم مِنَ الخُروج عن الشَّرع، فَضلاً عن طريقة الصُّوفيّة المرضية.

وقال الإمام الغَزاليُّ ـ رحمه الله ـ في كتاب «الإحياء»: المُتصوِّفةُ وما أغلَبَ الغُرور عليهم! والمغترُّون منهم فرقٌ كثيرة:

فِرقةٌ منهُم ادَّعَت علمَ المَعرِفة، ومُشاهَدةَ الحقّ، ومُجاوَزةَ المقامات والأحوال، والمُلازَمةَ في عين الشهود، والوُصولَ إلى القُرب، ولا تعرفُ هذه الأمورَ إلا بالأسامي والألفاظ، إلا أنها تلقَّفت مِن ألفاظ الطّامّات كلمات، فتَجِدُ أحَدَهُم يُردِّدُها

---

(١) المعلوم: هو أقرب ما يكون إلى ما يُسمّى في زماننا: «الراتب الشهري».

(٢) نقله عنه الشعراني في «الطبقات الصغرى» (ص١٩).

ويظُنُّ أن ذلك أعلى مِن علم الأوَّلين والآخِرين! فهو ينظُر إلى الفُقَهاء والمُفسِّرين والمُحدِّثين وأصنافِ العُلَماء بعين الإزدِراء، فضلاً عن العوام، حتى إنّ الفلّاحَ ليترُكُ فِلاحَتَه، والحائك حِياكَتَه، ويُلازِمُهم أياماً، ويتلقَّفُ منهم تلك الكلمات المُريعة[1]، فهو يُردِّدها كأنه يتكلّم عن الوحي، ويُخبِرُ عن سرِّ الأسرار، ويستَحقِرُ بذلك جميع العُبّادِ والعُلَماء، فيقول في العُبّاد: إنهم الأُجَراء المُتعَبون، ويقول في العُلَماء: إنهم بالحديثِ عن الله تَعالى محجوبون، ويدّعي لنفسِه أنه هو الواصل إلى الحقّ، وأنه من المقرَّبين، وهو عندَ الله من الفُجّار والمنافِقين، وعندَ أرباب القلوب من الحَمقى الجاهِلين، لم يُحكِم أحدُهم قطُّ علماً، [ولم يهذب خُلقاً] ولم يُرتِّب[2] عمَلاً، ولم يُراقِب قلباً سِوى اتّباع الهوى، وتلقُّف الهَذَيان وحِفظِه.

قال: وفِرقةٌ أخرى وقَعت في الإباحة، فطَوَوا بِساط الشَّرع، ورفَعوا قَواعدَ الأحكام، وسَوَّوا بين الحلال والحرام، فبعضهم يزعُم أن الله مُستَغنٍ عن العمل فلِم أُتعِبُ نَفْسي؟!.

وبعضهم يقول: قد كُلِّف الناسُ تطهيرَ القلب عن الشَّهَوات وعن حب الدنيا [وذلك مُحال، فقد كُلِّفوا ما لا يُمكن، وإنما يغترُّ به مَن لم يُجرِّب، وأما نحن فقد جرَّبنا وأدركنا أن ذلك مُحال]، ولا يعلَم الأحمقُ أن الناسَ لم يُكلَّفوا قَلْعَ الشَّهوة والغضب من أصلِهما، بل تهذيبها[3]؛ بحيث ينقادُ كُلُّ واحد منهما بحُكم العقل والشَّرع.

---

(١) في مصدره: «المزيفة».

(٢) في الأصل: «يرث»، والتصويب والاستدراك من مصدره.

(٣) أي: الشهوة، والأصوب: «تهذيبهما».

وبعضُهم يقول: الأعمالُ بالجوارح لا وزنَ لها، وإنما النَّظَر إلى القلوب، وقلوبنا والهةٌ بحبِّ الله تَعالى، وواصلةٌ إلى مغفرة الله، وإنما نخوضُ في الدنيا بأبدانِنا وقلوبُنا عاكفةٌ في حضرة الربوبية، فنحن مع الشَّهَوات بالظاهر لا بالقلوب! ويزعُمون أنهم قد ترَقَّوا عن رُتبة العوامّ، واستَغنَوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدَنيّة، وأنّ الشَّهَوات لا تصُدُّهم عن طريق الله تَعالى؛ لقوَّتِهم فيها، ويرفعون درَجةَ أنفُسهم عن درَجة الأنبياء؛ إذ كان يصُدُّهم عن طريق الله تَعالى صورةُ خطيئة واحدة؛ حتى كانوا يبكونَ عليها وينُوحونَ سِنينَ متوالية.

وأصنافُ غُرور أهل الإباحة من المُتشبِّهين بالصُّوفيّة لا تُحصى، وكلُّ ذلك بناءً على أغاليطَ ووساوسَ خدَعَهُمُ الشيطانُ بها؛ لاشتِغالهم بالمُجاهَدة قبل إحكام العلم، من غير اقتِداءٍ بشيخٍ مُتقِنٍ في الدين والعلم، صالحٍ للاقتِداء، وإحصاءُ أصنافهم يطول.

قال: وفِرقةٌ أخرى رُبما تميلُ إلى القَناعة والتّوكُّل، فيخوضُ أحَدُهم البواديَ من غير زادٍ؛ ليُصحِّح دعوى التّوكُّل، وليس يدري أن ذلك بِدعةٌ لم يُنقَل عن السَّلَف والصحابة، وكانوا أعرَفَ بالتّوكُّل منهم، فما فهموا أن التّوكُّل بالمُخاطَرة بالروح وتركِ الزاد، بل كانوا يأخُذون الزادَ وهم متوكِّلون على الله لا على الزاد، وهذا ربما يترُكُ الزادَ وهو متوكِّلٌ على سبَب من الأسباب، واثقٌ به.

وما من مقامٍ من المقامات المُنجِيات إلا وفيه غُرور، وقد اغترَّ به قوم.

قال: وقد ذكَرنا مداخلَ الآفات في رُبع المُنجِيات مِن الكتاب.

قال: وفِرقةٌ أخرى ضيَّقت على نفسِها في القُوت، حتى طلَبَت منه الحلالَ الخالصَ، وأهمَلوا تفقُّدَ القلبِ والجوارح.

ومنهُم مَن أهمَلَ الحلالَ في مَطعَمِه ومَلبَسِه ومَسكَنِه، وأخذ يتعمّق في غير ذلك، وليس يدري المسكينُ أن الله تَعالى لم يرضَ من عبدِه بطلَبِ الحلالِ فقط، بل لا يُرضيه إلا تفقُّد جميعِ الطاعات والمعاصي، فمن ظنَّ أن بعضَ هذه الأمور تكفيه وتُنجيه فهو مغرور.

قال: وفِرقةٌ أخرى ابتَدؤوا سُلوكَ الطريق، وانفتَحت لهم طريقُ المعرفة، فكلما شَمُّوا من مبادئ المعرفة رائحةً تعجّبوا منها، وفرِحوا بها، وأعجَبَتهم، فتقيَّدَت قلوبُهم بالاِلتِفات إليها، والتفكُّر فيها، وفي كيفيّة انفِتاح بابها عليهم، وانسِدادِه عن غيرهم، وكلُّ ذلك غُرور؛ إذ عجائبُ طريقِ الله ليسَ لها نهاية!

فمَن وقَف مع كُلِّ أعجوبةٍ وتقيَّد بها قصر حَظُّه[1]، وحُرم من الوصول إلى المقصد، وكان مِثالُه مِثالَ من قصَد ملكاً فرأى على باب ميدانِه روضةً فيها أزهارٌ وأنوار لم يكُن رأى قبل ذلك مثلَها، فوقَف ينظُر إليها حتى فاته الوقتُ الذي يُمكنُ فيه لقاءُ الملك.

قال: وفِرقةٌ أخرى جاوزوا هؤلاء، ولم يلتَفِتوا إلى ما يفيضُ عليهم من الأنوار في الطريق، وإلى ما تيسَّر لهم من العَطايا الجَزيلة، ولم يُعرِّجوا على الفرَح بها، والالتِفاتِ إليها، جادّين في السير؛ حتى قارَبوا فوَصلوا إلى حدِّ القُربة إلى الله تَعالى، وظنُّوا أنهم وصَلوا إلى الله، فوَقَفوا وغَلِطوا؛ فإنَّ لله تَعالى سَبْعينَ حجاباً من نُور[2]،

---

(١) في مصدره: «خطاه».

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (بهامشه) (١/ ١٠١): حديث «إن لله سبعين حجاباً من نور، لو كشَفها لأحرقت سُبُحات وجهه ما أدرَكه بصره». أخرجه أبو الشيخ ابنُ حيان في كتاب «العظمة» [(٢٩٨)] من حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور»، وإسناده ضعيف، وفيه أيضاً [(٢٦٤)] من حديث أنس قال: قال رسول الله =

ولا يصلُ السّالك إلى حجابٍ من تلك الحُجب إلا ويظُنُّ أنه قد وصَل.

وسالكُ هذه الطريق قد يغتَرُّ بالوقوف على بعض هذه الحُجب، وقد يغتر بالحِجاب الأول، وأول الحُجب بينَ الله وبين العبد هو نفسُه؛ فإنها أيضاً أمرٌ ربّانيّ، وهو من أنوار الله تَعالى؛ أعني: سرَّ القلب الذي يتجلّى فيه حقيقةُ الحق، فإذا تجلّى نورُه، وانكشَفَ جمالُ القلب بعدَ إشراق نُور الله تَعالى عليه، فربما التفَت صاحبُ القلب إلى القلب، فيَرى من جمالِه الفائق ما يُدهِشُه، فربما سبَقَ لسانُه في هذه الدَّهشة، فيقول: «أنا الحق»! فإن لم يتَّضِح له ما وراءَ ذلك اغترَّ به، ووقَف عليه وهلَك، وهذا مَحَلُّ الالتِباس؛ إذ المُتَجَلّي يلتَبِسُ بالمُتَجَلّى فيه؛ كما يلتَبِسُ لونُ ما يتَراءى في المِرآة، فيظنُّ أنه لونُ المِرآة، وكما يلتبِسُ ما في الزُّجاج بالزُّجاج؛ كما قيل:

رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ فَتَشابَها فَتَشاكَلَ الأَمْرُ
فكَأَنّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ وَكَأَنّما قَدَحٌ وَلا خَمْرُ

وكمَن يَرى كوكباً في مِرآة أو في ماء، فيظنُّ الكوكبَ في المرآة أو في الماء، فيمُدُّ يدَهُ إليه ليأخُذَه، وهو مغرور!

قال: وأنواع الغُرور في طريق السُّلوك إلى الله تَعالى لا تُحصى في مجلَّدات، ولا تُستَقصى إلا بعدَ شرح علوم المُكاشَفة، وذلك مما لا رُخصةَ في ذِكرِه. انتهى كلامُ الإمام الغَزاليِّ رَحِمَهُ الله تَعالى[1].

= ﷺ لجبريل: «هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور»، وفي «الأكبر» للطبراني [(٥٨٠٢)] من حديث سهل بن سعد: «دون الله تعالى ألفُ حجابٍ من نُور وظلمة»، ولمسلم [(١٧٩)] من حديث أبي موسى: «حجابُه النور، لو كشَفه لأحرقَت سُبُحات وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه»، ولابن ماجه [(١٩٦)]: «كل شيء أدركه بصرُه».

(١) يُنظر: «إحياء علوم الدين (٣/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧). والبيتان الرائيان للصاحب بن عباد في «يتيمة الدهر =

وهذا كلامُه في مُتصوِّفةٍ مضَوا من نحوِ خمسِ مئةِ سنة، فكيف لو رأى مُتصوِّفةَ هذا الزمان؟ خُصوصاً بمَحروسةِ مصرَ الآن، وما ارتكَبوه من الفِسق والعُدوان، مِن إباحة المُحَرَّمات، والكلامِ على الذّات والصِّفات، بما الله تَعالى مُنَزَّهٌ منه، ومُتَعالٍ عنه، تَعالى الله وتقدَّس.

* * *

خاتمة

[في فوائدَ من مُعتَقَدات كثير من المُتصوِّفة التي أنكرها أهل الشَّرع]

قد أحبَبتُ أن أذكُرَ هنا بعضَ فوائدَ من مُعتَقَدات كثير من المُتصوِّفة التي أنكرها أهل الشَّرع، وهي ـ والعِياذُ بالله تَعالى ـ محض غيٍّ وضلالٍ وكفرٍ وزندقة.

قال العلامة المُفْتَنُّ ذو الوِزارتَين أبو عبدِ الله مُحمّدُ بنُ الخَطيبِ وزيرُ سُلطانِ الأندَلُس وكاتبُ سرِّه:

الفَنَنُ[1] الخامِس: في رأي أهل الوَحْدةِ المُطلَقة المتوغِّلين:

وقد ارتكبَت هذه الطائفةُ مُرتَكَباً غريباً من القول بالوَحْدة المُطلَقة، وهاموا به وموَّهوا ورمَزوه، واحتَقَروا الناسَ من أجله! وتقريرُه على سبيل الإطالة[2] لا فائدةَ فيه.

وحاصله: أن الباريَ ـ جَلَّ وعَلا ـ هو عندَهم مجموعُ ما ظهَر وما بطَن، وأنه

= في محاسن أهل العصر» لأبي منصور الثعالبي (٣/ ٣٠٤)، وهما في «ديوانه» (ص١٧٦).

(١) في الأصل: «الفرع»، والتصويب من مصدره: «روضة التعريف بالحب الشريف» للسان الدين ابن الخطيب، وهو الفَنَنُ الخامس من الغصن الثالث من شجرة السِّرِّ المَصون.

(٢) في الأصل: «الإحاطة»، والتصويب من مصدره.

لا شيءَ خلاف ذلك، وأن تعدُّد هذه الحقيقة المُطلَقةِ والإنِّيّةِ الجامعة التي هي عينُ كُلِّ إنِّية، والهُويّةُ التي هي عينُ كُلِّ هُويّة[١]، إنما وقَع بالأوهام؛ من الزمان والمكان، والخِلاف، والغَيبة والحُضور، والبُطون والظُّهُور، والألم واللَّذّة، والوُجُود والعدَم.

قالوا: وهذه إذا حُقِّقت إنما هي أوهامٌ راجعة إلى إخبار الضمير، وليس في الخارج منها شيء، فإذا أُسقطت الأوهامُ صار مجموعُ العالم بأسرِه وما فيه واحداً، وذلك الواحد هو الحقّ، وإنما العبد مُؤلَّف من طرَفَي حقّ وباطل، فإذا سقط الباطلُ ـ وهو اللازمُ بالأوهام ـ لم يبق إلا الحقّ.

قال: وصرّحت ذلك أقوالُ شيوخهم، فمنه قولُ[٢] ابنِ أَحْلىٰ: «حقٌّ أقام باطلاً[٣] ببعضِ صفاته»، وقول الآخَر: «فسُبْحانَ من هو الكلُّ ولا شيءَ سواه، الواحدُ في نفسه، المتعدِّد بنفسه».

---

(١) «الإنِّية» و«الهُويّة» من مصطلحات الصوفية، و«الإنِّية»: نسبةٌ إلى «إنَّ» التوكيدية، وقد عرّفها ابنُ عَرَبيّ في «الفتوحات المكية» (٢/ ١٣٠) بالحقيقة بطريق الإضافة، وقال أيضاً (٤/ ٤١): اعلم أن إنِّية الشيء: حقيقتُه في اصطلاح القوم.
وهي في تعريف الشريف الجرجانيُّ في «التعريفات» (ص٣٨): تحقُّق الوجود العينيّ من حيثُ مرتبتُه الذاتية.
و«الهُويّة»: نسبةٌ إلى «هو»، وقد عرّفها ابنُ عَرَبيّ في «الفتوحات المكية» (٢/ ١٣٠) بالحقيقية الغيبية.
وفي «التعريفات» للشريف (ص٢٥٧): «الهوية»: هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.

(٢) زيد في الأصل هنا: «قولي»، وأحسبه سبق قلم.

(٣) في الأصل: «باطل»، والتصويب من مصدره.
وابن أحلىٰ هو محمدُ بن عليّ بن أحلَى الأنصاريُّ، اللُّوْرْقيُّ، أبو عبد الله، (ت ٦٤٥هـ)؛ تُنظر ترجمته في «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» للمراكشي (٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨١).

وقول ابنِ أحلىٰ:

فكيفَ هذا ولم يَثبُتْ تَفَرُّقُنا ... إلّا بِلَيْسَ وأنتَ السِّرُّ والعَلَنُ

وقال ابنُ سَبْعينَ:

كم ذا تُمَوِّهُ بالشِّعْبَينِ والعَلَمِ ... والأَمْرُ أوضَحُ مِن نارٍ على عَلَمِ

أصبَحتَ تَسأَلُ عَن نَجْدٍ وساكِنِها ... وعَن تِهامَةَ، هذا فِعْلُ مُتَّهِمِ

في الحَيِّ حَيٌّ سِوى لَيْلى، فتَسأَلَهُ ... عَنْهُ[1]، سُؤالُكَ أَيْناً جَرَّ لِلعَدَمِ

وقال الشُّشْتَرِيُّ:

أيُّ سِرٍّ ما بَدا إلّا لِمَنْ ... قَد طَوى العَقْلَ مَعَ الكَوْنَيْنِ طَيْ

وَرَأى الأشْياءَ شَيْئاً واحِداً ... وَرَأى الواحِدَ فَرْداً دُوْنَ شَيْ[2]

وقال الآخَر:

أُعايِنُ في كُلِّ الوُجُودِ جَمالَكُمْ ... وَأَسْمَعُ مِن كُلِّ الجِهاتِ نِداكُمُ

وَأَلْتَذُّ إنْ مَرَّتْ عَلى جَسِدي يَدِي ... لِأَنِّيَ في التَّحقيقِ لَسْتُ سِواكُمُ[3]

---

(١) في مصدره: «وتسألها عنها».

(٢) يُنظر: «روضة التعريف بالحب الشريف» للسان الدين ابن الخطيب (ص٦٠٢ ـ ٦٠٤)، ونسب البيتين الأخيرين إلى تلميذ ابن سبعين، وبيّنه الكرميّ، وهو أبو الحسن عليُّ بن عبد الله النّميري الشُّشْتَرِيُّ، (ت ٦٦٨هـ)، وقد ترجمه لسان الدين ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٤/ ١٧٢ ـ ١٨٣) ترجمةً حافلةً صدّرها بوصفه بعروس الفقراء، وأمير المتجرّدين، وبركة الأندلس، لابس العباءة الخرقة، ونقل عن أشياخه من أوصاف الشُّشتَري الحسنة كثيراً، والله أعلم.

(٣) أقحم الكرميُّ هذين البيتين على نقلِه من «روضة التعريف» للسان الدين ابن الخطيب، وهما منسوبان في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢/ ٨٠ ـ ٨١) لابن إسرائيل، وهو محمد بن سَوّار بن =

قال: ويُمثِّلون صدورَ ذلك كلِّه عن الذّات المقدَّسة بحَديث الرّاهبِ الذي استَلقى في بيته ولَهُ جَرّةُ سَمْنٍ مُعلَّقة، فقال: أبيعُها بكذا، وأشتَري من ذلك ضَيعةً تُغِلُّ كذا وكذا، فأشتَري كذا وكذا؛ إلى أن ملأ الأماكِنَ مالاً وطَعاماً وماشيةً وعبيداً وأثاثاً، ثم قال: وأتزوّجُ امرأةً تَلِدُ لي غُلاماً أُعلِّمُه الحِكمة، وأُجبِرُهُ على تحصيل العلومِ الإلهيّة، وأُكلِّفُه كذا وكذا، فإنْ تمانَعَ أو قَصّرَ أضرِبُهُ بالعَصا هكذا، وأهوى بِعَصاه، فأصابَ الجَرّةَ فأعدمها[1]، ولم يصحَّ من كُلِّ شيءٍ إلا وُجُود الرّاهب.

قالوا: وإليه الإشارة بقوله تَعالى: ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩].

وهم مع ذلك يتحدَّثون في الصَّنائع والعلوم، ويستَدلُّون على صحّة دَعواهم، ولهم في الأمور[2] الشَّرعيّة مُرتكباتٌ غَريبة.

قال: و«التّحقيقُ» يُطلِقونه على هذا العِلم، وإن العُلَماء بالله ومَن فوقَهم من

= إسرائيل، (ت ٦٧٧هـ) ترجمه الذهبي ترجمته في «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٣٤٧ ـ ٣٥٢)، وصدّر ترجمته بوصفه بالفقير المشهور، الشاعر الأديب، البارع، نجم الدين، الشيباني، الدمشقيّ، وقال فيه: ولا ريب في كثرة التصريح بالاتحاد في شعر هذا المرء على مقتضى ظاهر الكلام، فإن عنى بقوله ما يظهَرُ من نظمه فلا ريبَ في كُفره، وإن عَنى به غير ما يُفهَم منه وتكلّف له أنواع التأويلات البعيدةَ فقد أساء الأدَب وأطلَق في جانب الربوبية ما لا يجوز إطلاقه، وتجَهرَمَ على الله تعالى؛ إذ جعل ذلك ديدنه.

قلتُ: وخلص الذهبيُّ في بقية كلامه إلى أن ابن سوّار من الاتحادية فعلاً، والله أعلَم بحقيقة أمرِه، وحسابنا وحسابه على ربه. وقلتُ أيضاً: ولم أجد البيتين في «ديوان ابن سَوّار» المطبوع، والله تعالى أعلم.

(١) هي من قصص «كليلة ودمنة» لابن المقفَّع (ص٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٢) في مصدره: «العلوم».

أنبياءِ الله ورُسُلِه وأوليائه عَلِموه وخَصُّوا بِه من رأَوهُ أهلاً له، ودَعَوُا الخَلقَ إلى الله مِن بابِ التَّلبيسِ والحَجْب؛ لِقِصَرِ عُقُولهم عن ذلك واختِلالِ السياسة التي تَحوطُهم وتَجمَعُهم.

ويحمِلون القُرآنَ والحديث على بواطنَ تدُلُّ على صحّة رأيِهم؛ حتى قال الشيخُ عبدُ الحَقِّ بنُ سَبْعينَ في بعض كُتُبه: وهذا الذي نُريد أن نُنبِّهَ عليه هو ممّا لم يُسمَعْ في عَصر، ولا قيل: إنه ظهَر في دَهْر، ولا مما دُوِّنَ أو عُلِم في فَلاةٍ ولا مِصْر، وهو مأخوذٌ مِن كَلامِ الله تَعالى ورَسُوله.

والدَّرَجاتُ عندَهم: أولها: الصُّوفيُّ؛ للتَّجريد، ثم المحقِّق؛ لمعرِفة الوَحْدة، ثم المقرَّب، وهو الذي اجتَزَأ بالعَينِ ـ عن غير غيبةٍ ـ عن الأثَر[1].

وقال الإمامُ ابنُ النَّقّاش في «تفسيره» في أثناءِ كلام:

ومن ذلك تدرَّجوا إلى وَحْدة الوُجُود، وهو مذهب الملحدين ممن يجعل وُجُودَ الخالق هو وُجُودَ المخلوقات، وقد لا يَرضى هؤلاء بلفظِ «الاتِّحاد»، بل يقولون بـ«الوَحْدة»؛ لأن الاتِّحاد يكون «افْتِعالاً» من شيئَين، وهم يقولون: الوُجُود واحدٌ لا تعدُّدَ فيه.

قال: وأنقَصُ المراتب عندَ هؤلاء مرتبةُ أهل الشَّريعة، وهُم الفُقَهاء الواقِفون مع الحَلال والحَرام، وأعلى منهم مرتبةُ المتكلِّم على طريقة الجَهميّة

(١) يُنظر: «روضة التعريف» (ص٦٠٥ ـ ٦٠٦)، وفيه في ختام النقل: «اجتَزَأ بالعَين من عين عينه عن الأثر»، وأجد ما هو هنا أصوَب، والله أعلم.

ثم أفرد لسان الدين ابن الخطيب الفنَّ السادس من الغصن الثالث من شجرة السر المصون في الصوفية المستقيمين المتشرّعين في «روضة التعريف» (ص٦١٣) وما بعدَها.

والمعتزلة، ثم مرتبةُ الفيلسوف، ثم مرتبةُ المحقِّق، و«المحقِّق» ـ في عُرفهم ـ: هو القائل بوَحْدة الوُجُود.

ويُسمُّون العقل: «العِلم»، ويُسمُّون النَّفْس الفلَكية: «اللَّوح»، ويدَّعون أن ذلك هو «اللَّوحُ المحفوظ» في كلام الله ورَسُوله، ولهذا يدّعي أحدُهم أنه مطَّلِعٌ على اللوح المحفوظ، وهم متألّهون للخَيال، معظِّمون له، لا سيّما ابنُ عَرَبيّ، ويُسمّيه «أرض الحقيقة»، ولهذا يقولون بجَواز الجَمع بينَ النقيضَين، وهو من الخيال الباطل.

قال: وقد علم المُعتَنون بحالهم من عُلَماء الإسلام كالشيخِ عِزِّ الدِّين بنِ عبدِ السَّلام وابنِ الحاجِبِ وغيرِهما أنَّ الجِنَّ والشياطين تمثَّلَت لهم وألقَت إليهم كلاماً يسمَعونَه، وأنواراً يَرَونَها، وإنما هي أحوالٌ شَيطانية.

قال: ولقد حكى أبو سعيدٍ الفَرْغانيُّ في «شرح قصيدةِ ابن الفارض»: أن رجُلاً نزل دِجلةَ ليغتَسلَ لصلاة الجُمُعة، فخرج من النِّيل، فأقام بمصرَ عدَّة سنين وتزوَّج ووُلد له بها، ثم نزل النِّيل ليغتَسلَ لصلاةِ الجُمُعة، فخرج من دجلة، فرأى غُلامَه ودابَّتَه والناسَ لم يُصلُّوا بعدُ صلاة الجُمُعة! ومن المعلوم لكلِّ ذي عقل: أن يوم الجُمُعة ببغدادَ ليس بينَه وبين الجُمُعة بمصرَ يومٌ واحد، فضلاً عن أُسبوع، فَضلاً عن شهر، ولا الشمسُ توقفُ عدّةَ أعوام في السَّماء ببغدادَ دونَ مصر، وإنما هو الخيالُ، فيَظُنُّونه بجَهلِهم في الخارج. انتهى[1].

---

(١) «تفسير ابن النقاش» غير مطبوعٍ ولا متداول كما أسلفتُ.

وأما الفَرغانيُّ فترجمه العينيُّ في «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» (العصر سلاطين المماليك) (٤/ ١٠٩) في وفيات سنة (٦٩٩هـ) قال: الشيخ العارف سعد الدين محمد بن أحمد الكاشاني الفرغاني، شيخ خانقاة الطاحون، كان شيخاً فاضلاً عارفاً بكلام الشيخ محيي الدين ابن العربي، =

قلتُ: وليس العجَبُ ممّن يحكي مثلَ هذه الحِكاية، وإنما العجَب ممّن يُصدِّق بها أو بمِثلِها، ويُخيِّلُ له عقلُه أن أهل مصر يصومون رمضانَ ورمضانَين وأهلُ بغدادَ لم يَمضِ عليهم مقدارُ يومٍ أو يومين! أو أن أهل مصرَ حَجُّوا ووَقَفُوا بعَرَفاتٍ سبعَ سنينَ وأهلُ بغدادَ لم يمضِ عليهم مقدارُ يومَين. اللَّهُمَّ احفَظْ علَينا عُقولَنا. آمين.

وقال الحافظ الذَّهَبيُّ في كتابه «تاريخ الإسلام» حيث قال:

عبدُ الحقِّ ابنُ سَبْعينَ، كان صوفيّاً على قاعدةِ زُهدِ الفلاسفة وتصَوُّفهم، وله كلامٌ في العِرفان على طريقة الاتِّحادية والزَّندَقة، نسأل الله تَعالى السَّلامةَ في الدين، يا حسرةً على العبادِ، كيف لا يغضَبون لله تَعالى، ولا يقومون في الذَّبِّ عن معبودِهم، تبارَكَ اسمُه، وتقدَّس في نفسِه عن أن يمتَزِجَ بخَلقِه، أو يحُلَّ فيهم؟ وتَعالى اللهُ عن أن يكونَ هو عينَ السماوات والأرض وما بينَهما؛ فإن هذا الكلامَ شرٌّ مِن مَقالة مَن قال بقِدَم العالم، ومن عرَفَ هذه الكلمة عَذَرني، أو هو زنديقٌ مبطنٌ الِاتِّحادَ يذُبُّ عن الاتِّحادية والحُلُولية، ومن لم يعرِفْ فاللهُ يُثيبه عن حُسن قصدِه، مع أنّا لا نشهَدُ على أعيانِ هؤلاءِ بإيمانٍ ولا كُفر؛ لجَواز توبَتِهم قبل الموت، وأمرُهم مُشكِل، وحِسابُهم على الله تَعالى، وأما مَقالاتُهم فلا ريبَ أنها شرٌّ من الكفر.

فيا أخي، ويا حبيبي، أَعْطِ القَوسَ بارِيَها، ودَعْني ومَعرِفَتي بذلك؛ فإني أخاف الله يُعذِّبَني على سُكوتي كما [أخافُ أن] يُعذِّبَني على الكلام في أوليائه[1].

= وشرَحَ قصيدة ابن الفارض.

قلتُ: و«شرحه» على تائية ابن الفارض مطبوع في مجلدين كبيرين لم أُضع وقتي في البحثِ فيهما عن هذه الخرافة!

(١) يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩)، وتتمة قوله ـ رحمه الله ـ:

وأنا لو قلت لرجلٍ مسلم: «يا كافر»، لقد بُؤتُ بالكفر، فكيف لو قلتُه لرجلٍ صالح أو وليٍّ لله تعالى؟

قال: واشتهرَ عنه أنه قال: لقد تحجَّرَ ابنُ آمنة واسعاً بقَوله: «لا نبيَّ بعدي»[١]، فإن كان ابنُ سَبْعينَ قال هذا فقَد خرَج من الإسلام، مع أنّ هذا الكلامَ أخَفُّ وأهوَنُ من قولِه في ربِّ العالمين: إنه حقيقةُ الموجودات تَعالى اللهُ عن ذلك.

قال: وحدَّثني فقيرٌ صالح: أنه صحِبَ فُقَراءَ من السَّبْعينيّة، فكانوا يُهوِّنون له ترْكَ الصّلاة وغيرَ ذلك.

ثم قال الذَّهَبيّ: اللَّهمَّ ربَّنا وربَّ كُلِّ شيء، إن كان هذا الشخصُ وأضرابُه يعتَقدونَ أنّك عينُ مخلوقاتك، وأن ذاتّكَ المقدَّسة البائنة من الخلق هي حقيقةُ ما أبدَعتَ وأوجَدتَ من العدَم، فلا ترحَمْهُم، ولا تَرضَ عنهم، وإن كانوا يُؤمِنون بأنّك ربُّ العالَمين خالقُ كُلِّ شيء، وأنَّ مخلوقاتِكَ غيرُكَ بكُلِّ حال، وعلى كُلِّ تقدير، فاغفِرْ لهم وارحَمْهُم؛ فإنّ هؤلاءِ يقولون: ما ثَمَّ غَيرٌ، وما في الكونِ إلا الله، ويُنشدون:

ومـا أنـتَ غَيـرُ الكَـونِ بَـلْ أنـتَ عَيْنُهُ ... ويَـفْـهَـمُ هـذا السِّـرَّ مَـن هُـوَ ذائـقُ

تَعالَيتَ ـ يا إلهَنا ـ عن ذلك، بل:

ومـا أنـتَ عَيْنُ الكَـونِ بَـلْ أنـتَ غَيْرُهُ ... ويَـفـهَـمُ هـذا القَـولَ مَن هُوَ مُسـلِمُ

ويقولون: إنَّ الله تَعالى هو روحُ الأشياء، وإنه في الموجودات سارٍ كالحياةِ في

---

(١) أما «لا نبي بعدي» ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه في «صحيح البخاري» (٣٤٥٥)، و«صحيح مسلم» (١٨٤٢).

وأما عبارة «ابن آمنة» فيقشعرُّ الجلد منها ويقف الشعر؛ ففيها رائحة التنقُّص من قدر سيدنا رسول الله ﷺ، فإن كان ابنُ سبعين قصد ذلك حقّاً، فانتقَم الله منه، وإن كُذِبَ عليه فانتقَم الله من المفترين، والله أعلم.

الجسم، بل يقولون: إن الموجودات مَظاهِرُ له، وإنه يظهَر فيها كما قال مُحيي الدّين ابنُ العَرَبيّ ـ والصَّحيحُ أنّها ليسَت لغَيرِه ـ[1]:

مَظاهِـرُ الحَـقِّ لا تُعَدُّ وَالـحَقُّ فِيْهـا لا يُحَـدُّ

فَباطِـنٌ لا يَـكادُ يَخْفىٰ وَظـاهِرٌ لا يَـكادُ يَبْـدُو

إنْ بَطَـنَ العَبـدُ فَهْـوَ رَبٌّ أو ظَهَـرَ الـرَّبُّ فَهْـوَ عَبْـدُ

قـال: وإن فتَحنـا بـابَ الاعتِـذار عـن المقـالات، وسـلَكنا طريقـةَ التّأويلات المستَحيلات؛ لـم يَبقَ فـي العالَم كُفـرٌ ولا ضَـلال، وبطَلَتْ كُتُـبُ المِلَـلِ والنِّحَلِ واختِـلاف الفِرَق.

قـال: وقـد ذكَـر الغَزالـيُّ ـ رحمـه الله ـ فـي كتابـه «مشـكاة الأنـوار» فَصـلاً فـي حـال الحَـلّاج، فأخَـذَ يعتَـذِرُ عمـا صـدَرَ منـه مثـل قولِـه: «أنـا الحـقّ»، و«مـا فـي الجُبّـةِ إلا الله»، ومثـل هـذه الإطلاقـات التـي ظاهرُهـا كفـر، وحمَلَهـا علـى مَحامِـلَ سـائغةٍ وأوَّلَهـا، وقـال: هـذا مِـن فَـرْط المَحَبّـة وشـدّة الوَجـد، وإنّ ذلـك مثـلُ قـولُ القائـل:

أنـا مَـن أهْـوىٰ ومَـن أهْـوىٰ أنـا

وهـذا إنمـا هـو بتقديـرِ صحّـة العقيـدة، وإنما الـكلامُ في مَـن يقـول: «العالَمُ

---

(١) في «تاريخ الإسلام» (١٥/ ١٧٠): كما قال رمضان التوزي المعثر، عرف بالجُوبان القواس.
وقد ترجمه الذهبي في «تاريخه» في المتوفين في الفترة (٦٧١ ـ ٦٨٠هـ): (١٥/ ٤١٠ ـ ٤١٢) قال: جُوبَانُ بنُ مسعود بن سعد الله، الأديب البارع، أمين الدين، الدُّنَيْسَريّ، القَوّاس، التَّوزيّ، الشاعر، كان من أذكياء بني آدم، وله نظم في الذروة، وختم ترجمته بقوله: قد ذكرتُ في ترجمة ابن سبعين أبياتاً من شِعره في الاتحاد، نسأل الله السلامة.

هـو الله»، ومَـن طالَـعَ كُتُـبَ هـؤلاء عَلِـمَ عِلمـاً ضَروريّـاً أنّهـمُ اتِّحاديـةٌ مارقـةٌ من الديـن. انتهـى كلامُ الذَّهَبيّ[1].

وقال شيخُ الإسلام تقيُّ الدِّين ابنُ تَيميّة: ومن قال من ضُلّال المسلمين: إن الرَّبَّ تَعالى يتَّحد في الأنبِياء والأولياء، وإن هذا من السِّرِّ الذي لا يُباح به، فقولُه من جنسِ قول النَّصارى في المَسيح، وهذا كثيرٌ في قول المشايخ والمدَّعين للمَعرفة والتّوحيد، فيَجعَلون توحيدَ العارفِ أن يصيرَ الموحِّد هو الموحَّد.

ومنهُم مَن يقول: إن الله تَعالى يحُلُّ في قلب العارفِ ويتكلَّمُ بِلِسانه؛ كما يتكلَّمُ الجِنّيُّ على لسان المصروع.

ومنهُم مَن يقول: هذا السِّرُّ الذي باحَ به الحَلّاجُ وغيرُه، وهذا عندَهُم من الأسرار التي يكتمُها العارفون، ولا يُبيحون بها إلا لخَواصِّهم.

ومنهُم مَن يقول: إنما قتل الحَلّاجُ؛ لأنه باح بالسِّرّ، ويُنشدُ:

مَـن بـاحَ بالسِّـرِّ كان القتـلُ شِيْمَـتَهُ ... بـينَ الرِّجـالِ ولـم يُؤخَـذْ لـهُ ثـارُ

---

(١) يُنظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ١٦٩ ـ ١٧١).

ويُنظر: «مشكاة الأنوار» للإمام الغزالي (ص١٣٩ ـ ١٤١)؛ حيث أوّل أمثال هذه العبارات دون أن يُسمّي الحلاجَ بالاسم، والله أعلم.

وللحلاجِ يُنسبُ قول: «أنا الحق»، ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٦)، وشطرُ: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا» في «ديوانه» في «الأعمال الكاملة» (ص٣٣٠).

وأوّل ابن تيمية هذا الشعر في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٧٧) بأنه إنما أراد به هذا الشاعر الاتحاد الوضعيَّ؛ كاتحاد أحد المتحابين بالآخر الذي يحب أحدهما ما يحب الآخر، ويبغض ما يبغض، ويقول مثل ما يقول، ويفعل مثل ما يفعل، وهو تشابُه وتماثُل، لا اتحاد العين بالعين. ا.هـ.

وأما عبارة «ما في الجبة إلا الله»، ففي «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٥/ ٣٥٧) أنها مما يُذكر عن أبي يزيد البسطامي، وذكر أنها صدرت منه في حال زوال العقل من الفناء، والله تعالى أعلم.

وأمثال ذلك[١].

ومنهُم مَن يجعل الصُّورَ الجَميلةَ مَظاهرَ الجَمال الإلهيّ.

قال: فمَن نظر إلى المُردان ظانّاً أنه ينظر إلى مَظاهِرِ الجَمال الإلهيّ وجعَلَ هذا طريقاً إلى الله كما يفعَلُهُ طَوائفُ من المدَّعين للمعرفة؛ فقولُه هذا أعظَمُ كفراً من قول عُبّاد الأصنام؛ فإن عُبّاد الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهؤلاء يجعَلون الله تَعالى موجوداً في نفسِ الأجسام وَحالّاً فيها، ولا يُريدون بظُهُوره وتجلّيِهِ في المخلوقات أنّها دالَّةٌ عليه وآياتٌ له، بل يُريدون أنه تَعالى ظهَر فيها وتجلّى فيها، ويُشَبِّهون ذلك بظُهُور الماء في الصرمة[٢]، والزُّبْدِ في اللبن، والزَّيتِ في الزَّيتون، والدُّهن في السِّمْسِم، ونحوِ ذلك؛ مما يقتضي حُلُولَ نفسِ ذاتِه في مخلوقاتِه أو اتِّحادَه فيها، فيقولون في جميع المخلوقات نظيرَ ما قالته النَّصارى في المَسيح خاصّة، بل أبلغ؛ فإن النَّصارى يقولون بتجدُّد الحُلُول، وهؤلاء يقولون أنه تَعالى لم يزَلْ حالّاً فيها ومتَّحِداً بها.

وقد يقولون: الوُجُود واحد، ثم يجعلون المردان مظاهر الجمال، فيجعلون هذا الشرك الأعظم طريقاً إلى الوصول إلى استحلال الفواحش، بل إلى استحلال كُلِّ مُحَرَّم؛ كما قيل لأفضَلِهم العَفيف التِّلْمِساني: إذا كان قولُكم بأنّ الوُجُود واحدٌ هو الحق، فما الفرقُ بين أُمّي وأُختي وبِنْتي حتى يكون هذا حلالٌ وهذا حَرام؟ فقال:

---

(١) يُنظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (٤/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧).

(٢) كذا، والصِّرْمَةُ: القِطعةُ من السَّحاب.

والنص الذي ينقل المؤلف لابن تيمية مكرر في موضعين من «مجموع الفتاوى» المطبوع (١٥/ ٤٢٣)، و(٢١/ ٢٥٥)، وهو في الموضع الأول: «بظهور الماء في الصوفة»، وفي الثاني: «في الزجاجة»، والله تعالى أعلم.

الجميعُ عندنا سَواء، ولكنْ هؤلاء المحجوبون قالوا: حَرام، فقلنا: حَرام عليكم.

قال: ومِن هؤلاء الحُلُوليّة والاتِّحاديّة مَن يخُصُّ الحُلُولَ والاتِّحادَ ببعض الأشخاص، إما ببَعض الأنبياء كالمَسيح، أو ببَعض الصحابة كقول الغاليةِ في عليٍّ، أو ببَعض الشيوخ كالحَلّاجيّة ونحوِهم، أو ببَعض الملوك كالحاكم بأمرِ الله صاحبِ مِصر، أو ببَعض الصُّوَر كالمُرْدان، ويقول أحَدُهم: إنما أنظُرُ إلى صِفات خالِقي وأشهَدُها في هذه الصورة.

قال: والكفرُ في هذا القول أبيَن مِن أن يَخفى على مَن يُؤمن بالله ورَسُوله، ولو قال أحدٌ مثلَ هذا الكلام في نبيٍّ كريمٍ لكان كافِراً، فكيف إذا قاله في صبيٍّ أمرَد؟ فقبَّح اللهُ طائفةً يكون معبودُها من جنسِ موطوئها[1].

قال: وهؤلاء لدَعواهم الاتِّحادَ لغير المَسيح شرٌّ من النَّصارى؛ فإن المَسيحَ أفضلُ مِن كُلِّ مَن ليس بنَبيٍّ، بل أفضل مِن جماهير الأنبياء والمُرسَلين، فإذا كان مَنِ ادَّعى أن اللّاهوت اتَّحدَ به كافراً، فكيف بمَنِ ادَّعى ذلك في مَن هو دُونَه؟ [2].

قال: وهذا الاتِّحاد والحُلُول الخاص قد وقع فيه كُبَراءُ العُبّاد والصُّوفيّة وأهل الأحوال؛ فإنّه قد يفجَؤُهم ما يعجِزون عن مَعرِفَتِه، وتضعُفُ عقولُهم عن تمييزه، فيَظُنُّونَه ذاتَ الحقّ، وكثيرٌ منهم يظنُّ أنه رأى اللهَ بعينِه، وفيهم مَن يحكي مُخاطَباته له تَعالى ومُعايَناته، وذاك كلُّه إنما هو ما وقَع في قُلوبِهم من المِثال العِلميَّ بحَسَب إيمانِهم به.

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) و(٢١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) يُنظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (٤/ ٤٩٧).

ومما يُشبِه المِثالَ العِلميَّ رُؤيةُ الرب تَعالى في المَنام؛ فإنّه ـ سُبْحانه ـ يُرى بصُوَرٍ مختَلِفة، يراه العبدُ على حسَبِ إيمانِه.

ولما كان النَّبيُّ ﷺ أعظَمَ إيماناً مِن غيرِه رآهُ في أحسَن صُورة، وهي رؤيةُ مَنامٍ بالمدينة؛ كما نطَقت بذلك الأحاديث (١).

قال: والمقصودُ هنا: أن كثيراً مِن السّالكين يرِدُ عليه مِن الأحوال ما يَصطَلِمُهُ(٢) حتى يظُنَّ أنه هو الحَقّ، وأن الحَقَّ فيه، وأن الحقَّ يتكلَّم على لِسانه، وأنه يَرى الحقّ، ونحو ذلك.

وإنما يكون الذي يَشهَدونَه ويُخاطِبونه هو الشَّيطان، وفيهم مَن يَرى عَرشاً عليه

---

(١) يُنظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

ومن الأحاديث التي عناها في رؤية النبي ﷺ ربّه عز وجل في أحسَن صورة ما رواه الترمذي في «سننه» (٣٢٣٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة» ـ قال أحسبه: «في المنام» ـ «فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟...» الحديث، ورواه (٣٢٣٤) عنه، ثم عن معاذ بن جبلٍ رَضِيَ اللهُ عنه (٣٢٣٥).

قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٩/ ٥٤٩): الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقةِ الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا، أي: هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا، أي: صفته، فيكون المراد بها بما جاء في الحديث: أنه أتاه في أحسن صفة، ويجوز أن يعودَ المعنى إلى النبي ﷺ، أي: أتاني ربي وأنا في أحسن صورة، ويجري في معاني الصورة كلِّها عليه إن شئتَ ظاهرُ الصورة والهيئة والحقيقة أو الصفة، فأما إطلاقُ ظاهرِ الصورة على الله، فلا، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

(٢) عرّف الشيخ محيي الدين ابن عربي «الاصطلامَ» بقوله في «الفتوحات المكية» (٢/ ٦٦٠): نارٌ ترِدُ على قلوب المحبّين تُحرق كل شيءٍ تجِدُه ما سِوى المحبوب، وقد تذهب في أوقاتٍ بصُورة المحبوب من نفس المحبّ.

نورٌ، ويَرى الملائكةَ حول العَرْش، ويكونُ ذلك إنما هو الشَّيطان، وتلكَ شياطين حَولَه، وقد جَرى هذا لغيرِ واحدٍ من السّالكين[١].

قال: وهذا الاتِّحادُ الخاصُّ غير الاتِّحادِ والحُلُول العام؛ كقول الذين يقولون: «إنّه حالٌّ بذاتِه في كُلِّ مكان»، أو «يتَّحدُ بكُلِّ شيء»، وغُلاةُ هؤلاء ومُحقِّقوهم يقولون: «إنّه عين الوُجُود والوُجُود واحد»، فيجعَلون وُجُودَ الخالق القديم الواجبِ هو عينَ وُجُودِ المخلوق المُحدَث المُمكِن، وهؤلاء يقولون: إن النَّصارى إنما كفروا؛ لأنَّهم خَصُّوا ذلك بالمَسيح[٢].

قال: وهؤلاء الاتِّحادية موهوا على السّالكين التّوحيد الذي أنزل الله به الكتب وبعث به الرسل بالاتِّحاد الذي سموهم توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع ووُجُود الخالق[٣].

قال: وحقيقةُ أمرِهم أنّهم يرَونَ عينَ وُجُود الحقِّ هو عين وُجُود الخلق، وأن وُجُودَ ذاتِ الله عزَّ وجلَّ خالقِ السماوات والأرض هي نفسُ وُجُود المخلوقات، فلا يُتَصَوَّرُ عندَهم أن يكونَ الله خلَقَ غيرَه، ولا أنّه رَبُّ العالَمين، ولا أنّه غنيٌّ وما سواهُ فقير، لكنْ تفرَّقوا على ثلاثِ طُرُق[٤]، وأكثر مَن ينظُر في كلامِهم لا يفهَمُ حَقيقةَ أمرِهم؛ لأنه أمرٌ مُشتَبِه.

ويقولون تارةً: إن الذَّواتِ بأسرِها كانت ثابتةً في العدَم، وإنها أبديّةٌ أزَليّة، حتى ذَواتُ الحيَوان والنَّبات والمَعادن والحَرَكات والسَّكَنات، وإن وُجُودَ الحقِّ فاضَ

---

(١) يُنظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

(٢) يُنظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (٤/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٣) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٤٦٤)، وعبارته: «وجحود الخالق».

(٤) في مصدره: «ثلاثة طرق»، والطريق يُذكر ويؤنث.

على تلك الذَّوات، فوُجُودها من وُجُود الحقّ، وذواتُها ليسَت ذاتَ الحقّ، ويُفرِّقون بين الوُجُود والثُّبوت، فما كنتَ به في ثُبوتِك ظهَرتَ به في وُجُودِك[1].

ثم قال ابنُ تَيميّةَ في أثناءِ كلامٍ طويلٍ ـ نقلتُه في غيرِ هذا الموضع ـ: وهذا المذهَبُ مركَّبٌ من أصلين:

أحدُهما: أن المعدومَ شيءٌ ثابتٌ في العدَم؛ كما يقولُه كثيرٌ من المعتزلة والرَّوافض، وهو مذهبٌ باطلٌ بالعقل الموافِق للكتاب والسُّنّة، وهذا القولُ ابتُدِع في الإسلام من نحوِ أربعِ مئةِ سنة.

ثانيهما: أنّ وُجُودَ المُحدَثات المخلوقات هو عينُ وُجُود الخالقِ القديم ليسَ غيرُه ولا سواه، وهذا القولُ هو الذي ابتَدَعَهُ المتأخِّرون من هؤلاء الصُّوفيّة وانفرَدوا به عن جميعِ مَن تقدَّمَهم منَ المَشايخ والعُلَماء[2].

وقول القائل منهم: «لا موجودَ إلا الله» أو «ما ثَمَّ إلا الله» إن أراد به نفْيَ المُحدَث بالكُلّيّة، وأنّ العبدَ هو القديم، ونحو ذلك؛ فهو شرٌّ من قول النَّصارى.

وإن أرادَ به أن المحدَث عدَم، وأن ما هناكَ إلا الله، فهذا مُكابَرةٌ في المحسوس.

وإن أراد به إسقاطَ المحدَث من قلبِ العبد، وأنه لم يَبقَ في قلبِه إلا القديم؛ فهذا إن أُريد به ذاتُ القَديم سُبْحانه، فهو كقَول النُّسطُوريّة من النَّصارى؛ حيثُ قالوا بحُلُول اللّاهوت في الناسوت.

وإن أريدَ به معرفَتُه والإيمانُ به وتوحيدُه، أو المِثْل العِلميُّ، أو نورُه، أو نحو ذلك، فهذا المعنى صَحيح؛ فإنّ قلوبَ أهل التّوحيد مملوءةٌ بهذا، لكن ليس ما قامَ

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٤٦٦).

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠).

بقلوبهم هو ذاتُ الرَّبِّ وصِفاتُه القائمةُ به[١]؛ تَعالى عن ذلك، بل هو العلمُ به ومحبَّتُه وتوحيده، وقد يُسَمّى ذلك «المثَل الأعلى»، ويُفسَّرُ به قوله تَعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] [الروم: ٢٧]، ويُقال له: «المِثال العِلميّ» و«الحُبّيّ».

وقد يُخيَّلُ لناقصِ العقل إذا أَحَبَّ شخصاً مَحَبّة تامةً بحيثُ فَنِيَ في حُبِّه حتى لا يشهَدَ في قلبِه غيرَه أنّ نفسَ المحبوب صارَ في قلبِه، وهذا غلَطٌ في ذلك، بل المحبوبُ في مَوضِعٍ آخَر، إما في المَسجِد، أو في بيتِه ونحوِه، والذي في قلبِه إنما هو مِثالُه.

وكثيراً ما يقولُ القائل: «أنت في قلبي» و«أنت في فؤادي»، والمراد: المثال؛ كما يُقال: «أنت بين عيني» و«أنت على لساني»؛ كما قال الشاعر:

مِثالُكَ في عَيْني وذِكْرُكَ في فَمي ... ومَثْواكَ في قَلْبي فَكيفَ تَغِيبُ

ومن هذا قولُ القائل: «القلبُ بيتُ الرَّبّ»، وما يَذكُرونَه في الإسرائيليّات من قولِه: «ما وَسِعَني أرضي ولا سَمائي، ولكنْ وَسِعَني قلبُ عَبْدي المُؤمِن»[٣].

قال: وأعرفُ ناساً لهم اشتِغالٌ في الفلسفة والكَلام، وقد تألَّهوا على طريق الاتِّحادية، فإذا أخذوا يَصِفُونَ الرَّبَّ بالكلام قالوا: ليسَ بِكذا ليسَ بِكذا، ووَصَفُوه بأنه ليس هو [ربَّ] المخلوقات؛ كما يقوله المسلِمون، وإذا صار لأحَدِهم ذَوقٌ ووَجدٌ وتألُّه سلَكَ على طريق الاتِّحادية وقال: إنّه هو الموجودات كلُّها، فإن قيل له:

---

(١) يُنظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٢) في الأصل: «ولله». وفي سورة النحل: ٦٠: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.
ويُنسبُ البيت البائيُّ للحلاجِ وهو في «ديوانه» في «الأعمال الكاملة» (ص٢٩٣).

(٣) يُنظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٥/ ٣٧٦ ـ ٣٧٨).
وقد ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥)، وقال العراقي في «تخريجه»: لم أر له أصلاً. ولا يكاد يخلو كتابٌ من كتب الموضوعات عن ذِكرِه.

أين ذلك النفيُ من هذا الإثبات؟ قال: ذاك عَقْدي، وهذا ذَوْقي، فيُقال لهذا الضّالّ: كُلُّ ذوقٍ ووَجدٍ لا يُطابِقُ الاعتِقاد فأحَدُهما - أو كِلاهُما - باطِل، وإنما الأذواقُ والمواجيدُ نتائجُ المعارف والاعتقادات.

قال: ولو سلَكَ هؤلاء طريقَ الأنبياء والمُرسَلين، واتَّبعوا طريقَ السابِقين الأوَّلين، لوَجَدوا بَرْدَ اليقين، وقُرَّةَ العين[1].

اللَّهُمَّ اجعَلْنا ممَّنِ اتَّبَعَ طريقةَ الأنبياء والمُرسَلين، والصَّحابة والتّابعين، واعصِمْنا من زَيغ الزائغين، وتحريف المُبطِلين، وشَكِّ المُرتابين، وعافِنا مِنَ الاِبتِداع في الدِّين، آمينَ آمين.

قال مُؤلِّفه - سامَحَهُ الله -: فرَغتُ من جَمعِه، وتهذيبِ وَضعِه، بعدَ العِشاء الآخِرة بنَحوِ أربعين درَجة، بمِصرَ المحروسة، خامسَ ليلةٍ من ذي الحجّة خِتامَ سنةِ إحدى وثلاثينَ وألف[2].

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٤٧٨).

(٢) جاء في خاتمة الأصل المعتمد في التحقيق: «ووافقَ الفَراغُ من كتابة هذه النُّسخة المباركة يومَ الإثنين المبارَكِ بعدَ صلاة العصر بالجامع الأزهَر؛ الموافِق لتاسعِ عَشري ذي القَعدة الحَرام من شُهور سنةِ ثلاثٍ وأربَعين ومئةٍ وألف.

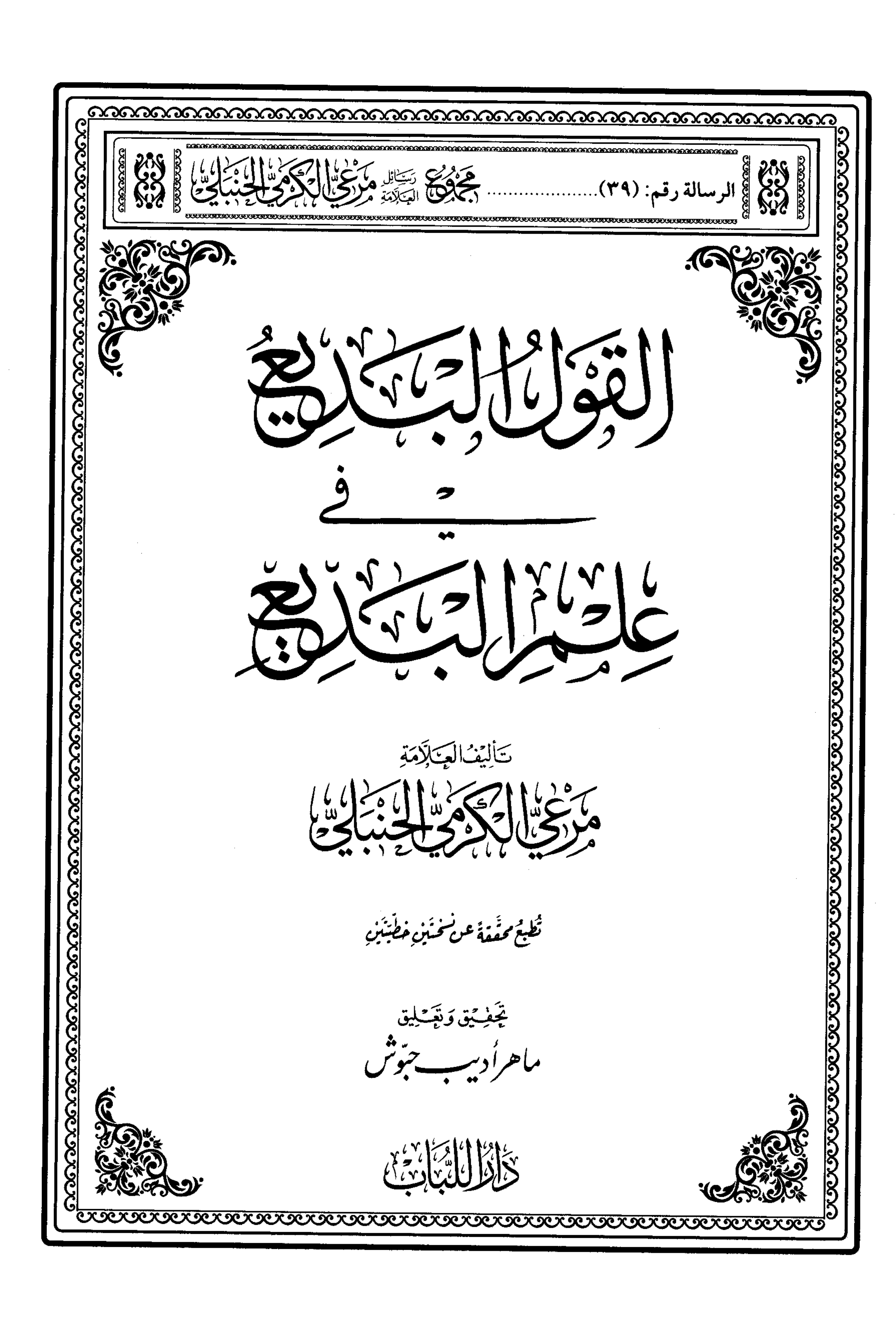
بقَلَم أفقَر الوَرى، وأحوَجِهم إلى ربِّ الثرى، مَن في رِعاية ربِّه العليّ، مُحمّد يعقوبَ المقدِسيِّ الحَنبَليّ، ابنِ المرحوم الشَّيخ مُحمّدٍ، ابنِ المرحوم الشَّيخ يحيى، ابن المرحوم الشيخ يوسُفَ والدِ المُؤلِّف لهذا الكِتاب، جعَلَنا اللهُ وإيّاهُ من الآمِنين يومَ الحِساب، وأدخَلَنا وإيّاهُ الجنّة بمَنِّهِ وكرَمِه مع الأحباب، بجاهِ سيدِنا مُحمّدٍ وآله والأصحاب، آمين آمين.

شعر:

تَـمَّ الكِتـابُ بِعَـوْنِ اللهِ ذي الـجُوْدِ ... رَبِّ البَرِيَّـةِ مُجْري الماءِ فـي العُوْدِ

يـا قـارِئَ الخَـطِّ قُـلْ باللـهِ مُجتَهِداً ... اِغْـفِـرْ لِكـاتِبِهِ يـا خَيْـرَ مَعْبُـودِ».





الرسالة رقم: (٣٩) .... مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي

القول البديع في علم البديع

تأليف العلامة

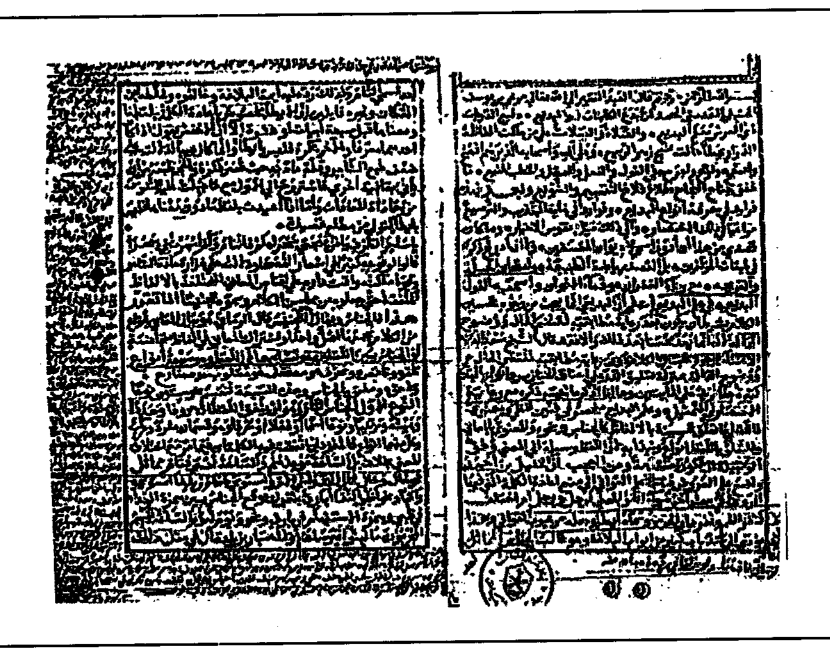
مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

دار اللباب

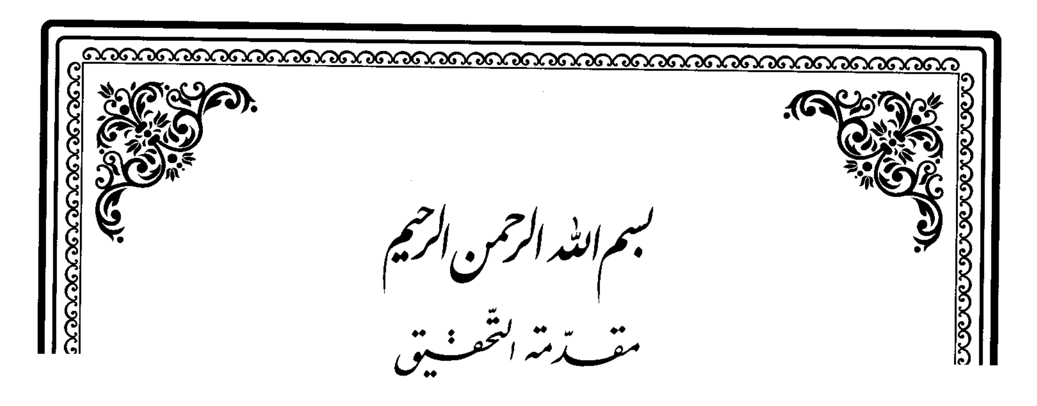


مكتبة جامعة الملك سعود (س)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا العلامه المحقق الفهامه محيي ما اندرس من
العلوم بابدع احيا. محيي ما انطمس عن الافهام من العلوم
مسندا قال العبد المفتقر الى الله تعالى مرعي ابن يوسف
الحنبلي المقدسي الحمد لمن ابدع الكائنات فهو البديع رفيع
الدرجات ذي العرش معلم البديع والصلاة والسلام على
من حاكت الفاظه الدراري لما حاكت نسج زهر الربيع وعلى
اله واصحابه الذين هم افصح وافهم وارجح واصح في القول
والفصل والعقل والخطب المنيع ما خفق جناح النجاح فلاح
فلاح التقسيم والتنويع وبعد فهذه فرايد في معرفة
انواع البديع وفوايد في غاية التهذيب والترصيع مراعيا
في ذلك الاختصار رداي ذلك ميل نفوس الاخيار وما
كان قصدي من هذا ان ادون اسمي في ديوان المصنفين
ولا ان ادرج ذكري في طبقات المؤلفين بل القصد رياضة
الطبيعه وامتحان الجبله والقريحه مع رجاء الغفران
ودعاء الاخوان وسميته القول البديع في علم البديع
اعلم ان البديع انما يبحث فيه عن وجوه تحسين الكلام
بشرط ان يكون بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال
ووضوح الدلالة لانه انما يعد محسنا بعد ذلك والا
فقد نقد قال الشيخ سعد الدين الاعتنا بوجوه تحسين
الكلام دون رعاية مطابقته لمقتضى الحال ووضوح
الدلالة

الدلالة بمنزلة تعليق الدرر على اعناق الخنازير واخفي
بهيج تشبيه لما تزيد على الماشين وهكذا اذكر
ما تيسر ذكره مع رعاية الاختصار في التمثيل وما
بديع منحصر في نوعين لفظي ومعنوي فاللفظي ما كان
تحسينه بالالفاظ كالجناس ونحوه والمعنوي بالمعاني
والمتعلق بالالفاظ انواع ونبدا به لان اللفظ وسيلة
الى المعنى وحق الوسيلة ان تكون متقدمة ومن
العجب ان الخليل ابن احمد واضع علم العروض ذهب في
علم القوافي الى منع اعادة الكلمة التي فيها الروية في
بيت احترسوا لتفق المعنى كرجل ورجل ام اختلف
كنقل العلم ونقل الحجر به وسماه ايطاء وجعله من عيوب
القوافي وهذا يؤدي الى سد باب كبير من ابواب
البلاغة وهو غالب الجناس المماثل احد قسمي التام
ولذلك رد عليه ائمة البلاغة وخالفوه وخطاه
ابن القطان وغيره قائلين بان الايطاء مخصوص
باعادة الكلمة بلفظها ومعناها قبل سبعة ابيات
او عشرة وانما كان عيبا لدلالته على ضعف طبع الشاعر
وقلة مادته حيث قصر فكره وعجز طبعه عن ان ياتي
بقافية اخرى فاستروح الى الاول مع ما جبلت
عليه النفوس من معاداة المعادات واما اذا اعيدت
بلفظها دون معناها فليس بايطاء كقول ابي من مطلع



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمدُ للهِ الذي حيَّرَ الأفهامَ بصنعهِ البديع، وألْهمَ الأقلامَ بالكلامِ البليغِ البَدِيع، والصلاةُ والسَّلام على خيرِ شَفيع، وعلى آلهِ وصحبهِ ذَوِي الشَّرفِ والقَدْرِ الرَّفيع.

وبعدُ:

فإنَّ علمَ البديعِ هو أحدُ أقسامِ البلاغةِ العربيَّةِ التي تتألَّفُ من علومٍ ثلاثةٍ، هي: المعاني، والبيانُ، والبديعُ، وميدانُها البحثُ في نَظْمِ الكلامِ وتأليفِه وتَلَمُّسِ مواطِنِ الجمالِ فيه.

فما يُحترَزُ به عن الخطأ في تأديَةِ المعنَى المرادِ هو علمُ المعاني، وما يُحترَزُ به عن التَّعقيدِ المعنويِّ هو علمُ البيانِ، وما يُعْرَفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ بعد رعايةِ تطبيقهِ على مقتضَى الحالِ وفصاحتِه، هو علمُ البديع. هكذا عرَّفها الخطيبُ القزوينيُّ[1].

وقيل: علمُ المعاني: هو عِلْمٌ يُعرَفُ به أحوالُ اللَّفظِ العربيِّ الذي يُطابِقُ مُقتضَى الحال، وعِلْمُ البيانِ: عِلْمٌ يُعرَفُ به إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدِّلالةِ عليه، وعلمُ البديعِ: هو علمٌ يُعرفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ

---

(١) انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» للقزويني (١/ ٤٩).

بعد رعايةِ مطابقةِ الكلامِ لمقتضَى الحالِ، ورعايةِ وضوحِ الدِّلالةِ؛ أي: الخلوِّ عن التَّعقيدِ المعنويِّ[1].

وقال ابنُ حجَّةَ ملخِّصاً علومَ العربيةِ أبدعَ تلخيصٍ، ومبيِّناً موقعَ البديعِ منها: البديعُ أحدُ علومِ الأدبِ الستَّةِ، وذلك أنَّكَ إذا نَظَرْتَ في الكلامِ العربيِّ: إمَّا أنْ تبحثَ عن المعنى الذي وُضع له اللفظُ وهو علمُ اللُّغةِ، وإمَّا أنْ تبحثَ عن ذاتِ اللفظِ بحسَبِ ما يَعْتريهِ وهو علمُ التَّصريفِ، وإمَّا أنْ تبحَثَ عن المعنَى الذي يُفْهمُ من الكلامِ المركَّبِ بحسَبِ اختلافِ أواخرِ الكَلِم وهو علمُ العربيَّةِ، وإمَّا أنْ تبحَثَ عن مطابَقةِ الكلامِ لمقتضَى الحالِ بحسَبِ الوضعِ اللُّغويِّ وهو علمُ المعاني، وإمَّا أنْ تبحَثَ عن طرقِ دِلالةِ الكلامِ إيضاحًا وخَفاءً بحسَبِ الدِّلالةِ العقليَّةِ وهو علمُ البيان، وإمَّا أنْ تبحَثَ عن وجوهِ تحسينِ الكلامِ وهو علمُ البَديعِ[2].

قلتُ: وبهذا يتَّضِحُ تماماً البحثُ الذي نحنُ بصَدَدِه، وموقعُه بينَ علومِ العربيَّة.

لكنْ قبلَ الدخولِ في الكلامِ عن الكتابِ يجبُ بيانُ مسألةٍ مهمةٍ، وهي: أنَّ إنشاءَ الكلامِ وتأليفَه له شروطٌ يجبُ تحقُّقُها، فقد قالَ ابنُ أبي الإصْبعِ في «تحرير التحبير»: يجبُ على كلِّ مَن كان له ميلٌ إلى عملِ الشِّعرِ وإنشاءِ النَّثرِ أنْ يتعهَّدَ أوَّلاً نفسَه ويمتحِنَها بالنَّظرِ في المعاني، وتدقيقِ الفِكْرِ في استنباطِ المخترَعاتِ؛ فإذا وَجَدَ لها فطرةً سليمةً، وجِبِلَّةً مَوزونةً، وذكاءً وقَّاداً، وخاطراً سَمْحاً، وفِكْراً ثاقباً، وفَهْماً سريعاً، وبَصيرةً مُبْصِرةً، وأَلْمَعيَّةً مهذَّبةً، وقوَّةً حافظةً، وقُدرةً حاكِيَةً، وهمَّةً عاليةً، ولهجةً فصيحةً، وفطنةً صحيحةً، أَخذَ حينئذٍ في العملِ، وإنْ كان بعضُ ذلك

---

(١) انظر: «التعريفات» للجرجاني (ص١٥٦).

(٢) انظر: «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٣).

غيرَ لازمٍ لربِّ الإنشاءِ، ولا يُضطرُّ إليه أكثرُ الشُّعراءِ، ولكنْ إذا كَمَلتْ هذه الصِّفاتُ في الكاتبِ والشَّاعرِ كان موصوفاً في هذه الصِّناعةِ بكمالِ الأوصافِ النَّفيسة(١).

والمؤلِّفُ لهذا الكتابِ العلَّامةُ مَرْعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبليُّ المقدِسيُّ رحمه اللهُ قد أُوْتيَ مِن هذِه الشُّروطِ النَّصيبَ الوافِرَ، ومَن يَنظُرْ إلى أسلوبِهِ في مَنظومِهِ ومنثورِه يَعْلَمْ ذلك، فأرادَ رحمهُ اللهُ أنْ يكونَ له نَصيبٌ من التَّأليفِ في هذا العِلمِ الصَّعْب والدَّقيق.

وقد عرَّف في مقدِّمتِه بعنوانِ كتابِهِ هذا ومضمونِهِ، والغايةِ من تأليفِه، مع بيانِ ميلِه فيه للاختِصار، فقال: فهذه فرائدُ في معرفةِ أنوعِ البَديع، وفوائدُ في غايةِ التَّهذيبِ والتَّرصِيع، مُراعِياً في ذلك الاخْتَصارَ، وإلى ذلك مَيلُ النُّفوسِ الأَخْيار، وما كانَ قَصْدي مِن هذا أنْ أدوِّنَ اسْمي في ديوانِ المصنِّفين، ولا أنْ أُدْرِجَ ذِكْري في طبقاتِ المؤلِّفين، بل القَصْدُ رياضةُ الطَّبيعة، وامتِحانُ الجِبلَّةِ والقَرِيحة، مع رجاءِ الغُفران، ودعاءِ الإخوان، وأَسْميْتُه:

«القولَ البَدِيع في عِلْمِ البَدِيع»

فقسَّمَ الكتابَ إلى أبوابٍ على حَسَبِ أنواعِ البَدِيعِ التي استَنْبَطَها جهابِذةُ هذا الفنِّ، وهي كما قال: تَزيدُ على المئتينِ.

وقد استفادَ من عددٍ من المؤلَّفاتِ ذاتِ الشَّأْنِ في هذا الفنِّ، وأهمُّها كتابان هما:

١ ـ «زَهْرُ الرَّبيعِ في شواهِدِ البَدِيعِ» لناصِرِ الدِّينِ محمَّدِ بنِ قُرْقْماس بن عبد الله الأَقْتَمُريِّ القاهريِّ الحنفيِّ، المتوفَّى سنةَ (٨٨٢هـ)، وقد نَقَل عنه كثيراً

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٠٦).

سواءٌ في الشَّرح أو في النَّظْم، وهذا الكتابُ من أجلِّ كتبِ هذا الفنِّ ويكفيهِ شهادةُ الحافظِ ابنِ حجرٍ حيث قال: سبحانَ البديعِ الرَّفيعِ، وَقفَ الفقيرُ أحمدُ بنُ عليٍّ العَسْقلانيُّ على هذا الجَمْعِ البَديع، ونَشَقَ ريًّا زهرِ الرَّبيع، وافتَنَّ بفنونِ هذه الغصونِ الشَّوارِد، وحَكَم بُرُجْحانِ ميزانِ هذا النَّاظِم؛ لِصِدْقِ شهادةِ هذه الشَّواهِدِ، واستَدلَّ على أنَّ الآخِرَ قد يَفوقُ الأوَّلَ، بما ثَبَتَ مُسنَدًا بالطُّرقِ القطعيَّةِ عن النبيِّ المصطَفى المُرْسَل، فإنَّه مع تأخُّرِ زمانِه، فاقَ مَن تَقدَّمه في كِبَرِ السِّنِّ فضلًا عن أَقْرانِه...، إلى آخر كلامه[1].

٢ ـ **«تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر»** لعبدِ العَظِيم بن عبد الوَاحِد بن ظافرِ بنِ عبدِ الله بن مُحمَّدٍ، القيروانيِّ ثمَّ المِصريِّ أَبي مُحَمَّدٍ الشَّاعِرِ المَعْرُوف بابْن أبي الإصبع، المتوفى سنة (٦٥٤هـ) ويُعدُّ كتابُه مِن أَوْعَبِ ما أُلِّفَ في هذا الفنِّ، ومِن أَحسنِه؛ لأنَّه لا يتَّكِلُ على النَّقلِ دونَ النَّقدِ، بل كانَ كثيرَ النَّظرِ والتَّعليقِ لكلِّ ما جَمَعه في كتابِهِ من ألوانِ البديعِ، وقد أحصَى فيه مِن المحسِّناتِ البَديعيَّةِ مئةً وعشرينَ نوعاً، بدأها بمحسِّناتِ ابنِ المُعتزِّ وقُدامَةَ، وثنَّى بما جَمَعه مِن كتبِ البلاغيِّينَ بعدَهُما، فبَلَغ ذلك كلُّه اثنينِ وتسعينَ محسِّناً، ثم أضافَ إلى هذا العددِ ثلاثينَ مُحسِّناً جديداً، منها عشرونَ من زياداتِهِ هو[2].

فهذانِ أهمُّ مصنَّفينِ نَقَل المؤلِّفُ عنهما، ويُضافُ إليهما كتابٌ ثالثٌ، وهو: **«الشفاء في بديع الاكتفاء»** لمُحَمَّدِ بنِ حسنِ بنِ عليِّ بن عُثْمَان النُّواجي (نُواج بِضَم النُّون) شمسِ الدِّين المصريِّ الأديبِ الشَّافِعِي المتوفى بِمصْر (٨٥٩هـ) فقد نَقَلَ عنه في بعضِ المواضِعِ، وخصوصاً في بابِ الاكتفاءِ.

---

(١) انظر: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٢/ ٧٤١).

(٢) انظر: «علم البديع» لعبد العزيز عتيق (ص٥٢).

ولـه نقلٌ قليـلٌ عن بعـض المصـادر الأخـرى كـ«مفتـاح العلوم» للسـكَّاكي، ومنـه مـا جـاء في بـاب التوجيـه أو الإبهـام، كما أنه استَشْـهَدَ فـي بعـضِ المواضِعِ بشـعرِهِ هـو، وفـي مواضـعَ أخـرى بشِـعرِ السـيوطيِّ فـي بَديعيَّتـهِ المسـمَّاةِ: «نظمُ البَديـعِ فـي مَـدْحِ خيـرِ شـفيعٍ»، كما نَقَـل عن بعـضِ الأئمَّـةِ الآخريـنَ، ويَظْهَـرُ أنَّ نَقْلَه عنهـم كانَ بالواسِـطَة.

ويُلاحَظُ أنَّه في البِدايةِ كان يَجْتزِئُ من شعرِ ابنِ قُرْقْماس الكلمتَين أو الثلاثِ مكانَ الشَّاهدِ فقط، ثم صارَ يأخُذُ الأبياتَ كاملةً.

لكنَّ الملاحظةَ الأهمَّ والجديرةَ بالتأمُّلِ والمتابَعةِ هي أنَّه لم يتعرَّضْ لذكرِ ابنِ قُرْقْماس ولو مرَّةً واحدةً، رَغْمَ كثرةِ ما نَقَله عنه، وأهمِّيتهِ من حيث كونُه شواهِدَ للأبوابِ قد لا يكونُ تَوَفَّر للمؤلِّفِ غيرُها وإلَّا لذَكَره.

ومما يزيدُه غرابةً أنَّه في بابِ الاستطرادِ، وأثناءَ كلامه عن: (الاستطرادِ غيرِ المقصودِ وفيه تقويةٌ لِمَا قَبْلَه)، قال في تقديمِه للشَّاهِد: كقولِ بعضِهم يمدحُ ابنَ حَجر العَسْقلانيَّ. والبعضُ المذكورُ هو ابنُ قُرْقْماس، فما الدَّافعُ له إلى إهمالِ ذِكْرِه لهذه الدَّرجةِ؟

وفي بابِ التَّوريةِ ذكَر بيتينِ قدَّم لهما بقوله: (كقولِهِ في كتابٍ) فذَكَر الضميرَ هكذا مبهماً دونَ أنْ يُسبق بما يبيِّنه، والمرادُ به ابنُ قُرْقماس الذي قدَّم للبيتينِ بقوله: (فمِن ذلك ما قُلْتُه في كتابٍ).

لكنْ والحقُّ يُقالُ: إنَ المؤلِّفَ ورَغْمَ ما ذكرناهُ من الاستفادةِ من المصادِرِ المذكورةِ وغيرِها، كان محافِظاً على استقلالِيَّتهِ المعهودةِ، فأَبْدَعَ وزادَ، وأَغْنَى

الأبوابَ بالشَّوَاهِدِ التي لم يَسْبِقه أحدٌ إلى الاستِشْهادِ بها، أو ذُكرت عند غيرِه شواهدَ على أبوابٍ أُخَرَ، مما يُعطِي هذا الكتابَ مكانتَه بين كتبِ هذا الفنِّ، ومِن الأمثلةِ على ذلك أنَّه في بحثِ التوريةِ استفادَ من تقسيمِ ابنِ قُرقْماس لها، واستشهد عليها بشعره، لكنه في قسم التورية المبيَّنة لم يكتفِ بشعرِ ابن قُرْقماس بل زادَ عليه شواهِدَ لم تَرِدْ عند غيرِه في ذلك النوعِ، ومنها بيتَي عمرَ بنِ أبي ربيعةَ:

أيُّهـا المنكِـحُ الثُّرَيَّـا سُهيلاً ... عَـمْرَكَ اللهُ كيـفَ يجتمِعَـانِ

هـي شـاميَّةٌ إذا مـا استقلَّتْ ... وسهيـلٌ إذا اسـتَقَلَّ يَمَانـي

ومِن الملاحظاتِ التي قد تكونُ من سَهْوِ المؤلِّفِ: ما جاء في باب التوجيهِ وهو: أنْ يأتيَ الكلامُ محتمِلاً لوجهَيْنِ مختلِفَينِ، فاستَشهَدَ له ببيت شعرٍ هو:

ويرغبُ أنْ يبني المعاليَ خالداً ... ويرغبُ أنْ يُرضِي صنيعَ الأَلَائِمِ

ثم قال في بيانِ الشاهد: فإنْ جَعَلْتَ الرَّغبةَ الأولى مقدَّرةً بـ(في) كان مدحاً، وبـ(عن) كان ذمّاً، وإنْ جَعَلْتَ الثانيةَ مقدَّرةً بـ(عن) كان ذمّاً، وبـ(في) كان مدحاً.

وفي هذا الكلامِ نظرٌ من وجهينِ:

الأولُ: أنَّ الصَّوابَ في الشطرِ الثاني هو عكسُ ما ذكَره، يعني: تقديرُ (في) ذمٌّ، وتقديرُ (عن) مدحٌ.

والثانيةُ: فَصْلُه في التَّقديرِ بينَ الشَّطرينِ، والصَّوابُ هو اجتماعُ التقديرِ فيهما.

ويوضِّح ما قُلْناه كلامُ البَطَلْيوسيِّ وابنِ هشامٍ، حيث قالَ الأولُ: إنْ جُعِلتِ الرغبةُ الأُولى مقدَّرةً بـ(في) والثانيةُ مقدرةً بـ(عن) كان مَدْحاً، وإنْ جُعِلت الرغبةُ الأُولى مقدَّرةً بـ(عن) والثانيةُ مقدَّرةً بـ(في) كان ذمًّا.

وتابعَه ابنُ هشامٍ مختصِراً كلامَه مع زيادةِ فائدةٍ تزيدُ في توضيحِ ما قُلْنا، فقال: إنْ قدِّر (في) أولاً و(عن) ثانياً فمدحٌ، وإنْ عُكِسَ فذمٌّ، ولا يجوزُ أن يقدَّر فيهما معاً (في) أو (عن)؛ للتناقُض.

وممَّا قد يعدُّ سهواً أيضاً نسبتُه أبياتاً لأبي الفتحِ البُستيِّ في معارضةِ شعرٍ لابنِ دقيقِ العيدِ، وهو وهمٌ ظاهرٌ، والصوابُ: الفتحُ البَقَقي، كما بيناه في مكانه.

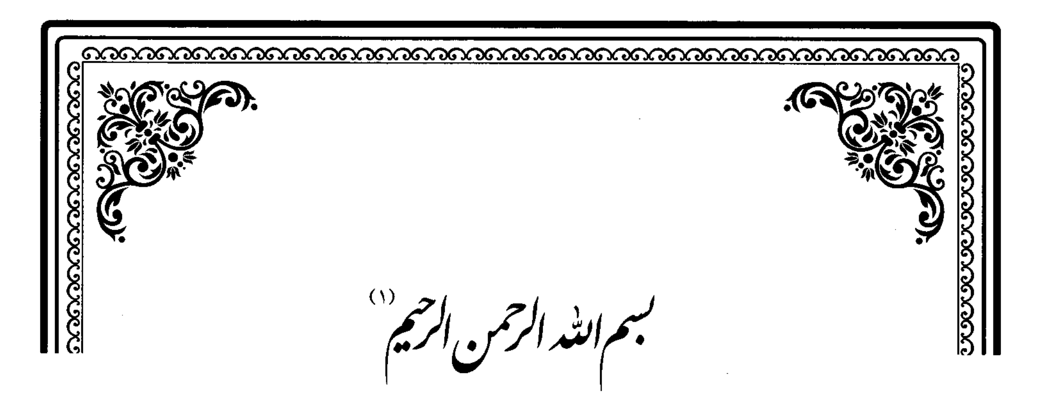
هذا، وقد تَمَّ الاعتمادُ في تحقيقِ هذا الكتابِ على نُسختَينِ خطِّيتينِ هما: نُسخةُ جامعةِ الملِكِ سعود ورَمَزْنا لها بـ(س)، ونسخةُ جامعةِ الإمامِ محمدِ بنِ سعود ورَمَزْنا لها بـ(م).

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

المحقق

* * *





بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قال العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مَرْعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبليُّ المقدِسِيُّ: الحمدُ لمَن أَبْدَعَ الكائناتِ فهو البَدِيع، رَفيعِ الدَّرَجات ذي العرشِ معلِّمِ البَدِيع، والصَّلاةُ والسَّلامُ[2] على مَن حاكَتْ ألفاظُه الدَّراري لـمَّا حاكَتْ نَسْجَ زهرِ الرَّبيع، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ هم أَفْصَحُ وأَصْفَحُ وأَرْجَحُ وأَجْرَحُ في القولِ والفعلِ والعقلِ والخَطْبِ الـمَنيع، ما خَفَق جَناحُ النَّجاحِ فَلاحَ فَلَاحُ التقسيمِ والتنويع.

وبعدُ:

فهذه فرائدُ في معرفةِ أنوعِ البَديع، وفوائدُ في غايةِ التَّهذيبِ والتَّرصِيع، مُراعِياً في ذلك الاخْتَصارَ، وإلى ذلك مَيلُ النُّفوسِ الأَخْيار، وما كانَ قَصْدي مِن هذا أنْ أدوِّنَ اسْمي في ديوانِ المصنِّفين، ولا أنْ أُدْرِجَ ذِكْري في طبقاتِ المؤلِّفين، بل القَصْدُ رياضةُ الطَّبيعة، وامتِحانُ الجِبِلَّةِ والقَرِيحة، مع رجاءِ الغُفران، ودعاءِ الإخوان. وأَسْميتُه[3]:

---

(١) جاء في أول النسخة (م): «قال شيخُنا العلاَّمَة، المحقِّقُ الفَهَّامَة، محقِّقُ ما انْدَرس مِن العُلومِ بأبدعِ إحياء، مُجلِّي ما انْحَبَس عن الأفهامِ من العلومِ مبتدِئاً».

(٢) في (س): «والصلاة والصلات»

(٣) في (م): «وسميته».

«القولَ البَدِيعَ في عِلْمِ البَدِيع»

اعلَمْ أنَّ البَدِيعَ إنَّما يُبْحثُ فيه عن[1] وجوهِ تحسينِ الكلام، بشرطِ أنْ يكونَ بعدَ رعايةِ مُطابَقتهِ لمقتضَى الحالِ ووضوحِ الدِّلالة، لأنَّه إنَّما يُعدُّ مُحسَّناً بعدَ ذلك، وإلا فقدْ قال الشَّيخُ سعدُ الدِّين[2]: الاعتناءُ بوجوهِ تحسينِ الكلامِ دونَ رعايةِ مُطابَقتِه لمقتَضَى الحالِ ووضوحِ الدِّلالةِ بمنزلةِ تعليقِ الدُّرِّ على أعناقِ الخنازير.

وأنواعُ البديعِ كثيرةٌ جدًّا تَزيدُ على المئتين، وها أنَا أَذْكُر ما تَيسَّر ذِكْرُه مع رعايَةِ الاختصارِ في التَّمثيل.

وعِلْمُ البديعِ مُنحَصِرٌ في فنَّين: لَفْظيٍّ ومَعْنويٍّ:

فاللفظيُّ: ما تَعَلَّق تحسينُه بالألفاظِ كالجِنَاسِ ونحوِه.

والمعنويُّ: بالمعاني.

والمتعلِّقُ باللَّفظِ أنواعٌ، ونَبدأُ به لأنَّ اللَّفظَ وسيلةٌ إلى المعنَى، وحَقُّ الوسيلةِ أنْ تكونَ متقدِّمةً.

ومِن العَجَبِ أنَّ الخليلَ بنَ أحمدَ ـ واضعَ علمِ العَروض ـ ذهبَ في عِلْمِ القَوافي

---

(١) في (س): «أن البديعي إنما يبحث عن».

(٢) مسعود بن عمر بن عبد الله، الشَّيخ العلاَّمة سعد الدِّين التَّفْتَازانِيُّ، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، صاحب التصانيف، منها: «شرح العَضُد»، «شرح التَّلْخيص» مطول وآخر مُخْتَصر، وشَرح القسمَ الثَّالثَ من «مِفْتَاح العلوم»، و«التَّلْوِيح على التَّنْقِيح» فِي أُصُول الْفِقْه، و«شرح تصريف العِزِّي»، و«الإرشاد في النَّحْو»، و«حاشية الكَشَّاف» لم تتمّ، وغير ذلك. توفي سنة (٧٩١). انظر: «بغية الوعاة» (٢/ ٢٨٥).

إلى منعِ إعادةِ الكلمةِ التي فيها الرَّوِيُّ في بيتٍ آخَرَ سَوَاءٌ اتَّفَقَ المعنَى كرَجُلٍ ورَجُلٍ، أم اختَلَفَ كثَغْرِ الفَم، وثَغْرِ دارِ الحربِ، وسمَّاه إيطاءً، وجَعَله من عُيوبِ القَوافي، وهذا يؤدِّي إلى سدِّ بابٍ كبيرٍ من أبوابِ البَلاغة، وهو غالِبُ الجِنَاسِ المماثِلِ أحدِ قِسْمَي التَّامِّ، ولذلك ردَّ عليه أئمَّةُ البلاغة وخالَفُوه، وغلَّطه ابنُ القَطَّاع[1] وغيرُه قائلينَ: إنَّ الإيطاءَ مخصوصٌ بإعادةِ الكلمةِ بلَفْظِها ومعناها قَبْلَ سبعةِ أبياتٍ أو عَشرةٍ، إلَّا أنَّ الأخفشَ يقولُ: إذا كان أحدُهما معرَّفاً والآخَرُ نكرةً فليس بإيطاءٍ[2].

وإنَّما كان عَيباً لِدلالتِهِ على ضعفِ طَبْعِ الشَّاعرِ وقِلَّةِ مادَّتِه، حيثُ قَصُرَ فِكْرُه وأَحْجَمَ طَبْعُه عن أنْ يأتيَ بقافيةٍ أُخرى فاستَرْوَح إلى الأوَّلِ، مع ما جُبِلتْ عليهِ النُّفوسُ مِن مُعاداةِ الـمُعادَاتِ.

وأمَّا إذا أُعيدتْ بلَفْظِها دون مَعْناها فليسَ بإيطاءٍ كقَوْلي من مَطْلعِ قصيدةٍ:

يـا سـاحِرَ الطَّرْفِ يا مَن مُهْجَتي سَحَرَا … كَـمْ ذا تَـنـامُ وكَمْ أَسْـهَرْتَني سَـحَرا

قالوا: لوقوعِه كثيراً في أشعارِ الفُصَحاء، ودلالتِهِ على غزارةِ مادَّةِ الشَّاعرِ وقوَّةِ مَلَكتِه، واقتدارِه على اقتِناصِ المعاني المختلِفةِ بالألفاظِ المتَّفِقةِ، حتَّى جعَلوه مِن محاسِنِ الكلامِ، وسمَّوه: تَجْنيساً.

* * *

(١) في (س) و(م): «القطان»، والصواب المثبت. انظر: «الشافي في علم القوافي» لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع (ص٨٩)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» لشمس الدين محمد بن حسن النَّوَاجي (ص٤٠)، والكلام منه.

(٢) انظر: «القوافي» لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ص٥٨ ـ ٥٩).

[بابُ الجِنَاس]

إذا تَقَرَّرَ هذا فالجِنَاسُ ـ ويقالُ: التَّجنيسُ ـ قال الرُّمَّانيُّ: هو بيانُ المعاني بأنواعٍ مِن الكلامِ يَجمَعُها أصلٌ واحدٌ[1].

واشتراكُ المعاني في ألفاظٍ متجانِسةٍ، أو الجِنَاسُ بين اللَّفْظينِ: هو تشابُهُهما في اللَّفظِ، وهو سبعةُ أنواعٍ: تامٌّ، وناقصٌ، ومحرَّفٌ ـ أو مصَحَّفٌ[2] ـ، ومقلوبٌ، ومضارِعٌ، ولاحِقٌ، ومُلْحَقٌ بالجناس.

وهذه السَّبعةُ تَنْقسِمُ نحوَ ستِّينَ نوعاً:

النَّوعُ الأوَّلُ: الجِنَاسُ التَّامُّ:

وهو أنْ يتَّفِقَ اللَّفْظانِ حُروفاً، وعَدَداً، وهيئةً، وترتيباً، ونوعاً: اسماً أو فِعْلاً أو حَرْفاً.

وهو قسمانِ: مُفْرَدٌ ومُركَّبٌ، وكلٌّ منهُما أنواعٌ:

فالمُفْرَدُ: إنِ اتَّفقتْ فيه الكَلِمتانِ فيما مَرَّ مع اختلافِ المعنَى ـ بخلافِ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] ـ فتامٌّ مماثِلٌ؛ نحوَ: خالٍ وخالٍ، لخالِ الخدِّ وأخي الأمِّ، و: اسْتَوَى طعامُ زيدٍ لـمَّا استوَى راكباً.

ونحوَ: أَظَبْيَ النَّقَا أَبارِقٌ بثَغْرِكَ[3]؟..............................

---

(١) انظر «النكت في إعجاز القرآن» لأبي الحسن علي بن عيسى الرمَّاني (ص٩٩)، و«تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر» لابن أبي الإصبع (ص١٠٢).

(٢) في (س): «ومصحف».

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٤):

أَظَبْيَ النَّقَا والرَّقْمَتَينِ أَبارِقٌ ... بثَغْرِكَ أم وادي العقيقِ بَدَا لِيَا

=

وقعَ الجناسُ بينَ همزةِ النِّداءِ في (ظَبْيَ) وهمزةِ الاستفهامِ في (بارِقٌ).

ونحوَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، ولا اعتبارَ بزيادةِ (ال) في مِثْلِ ذلك.

ونحوَ: ممَّا جَرَى دَمْعي جَرَى، عن وَجْهِه أَسْفَرَ والصُّبحُ قد أَسْفَرَ.

والظاهرُ: أنَّه لو اتَّفَق النَّوعُ وكان مع أحدِهما ضميرٌ أنَّه تامٌّ مماثِلٌ لا مستوفًى؛ نحوَ:

يا خَلِيلَيَّ سَلَا إنْ كانَ قَلْبي قد سَلَا

وإنِ اتَّفَقتْ فيه الكلمتانِ دونَ النَّوعِ كاسمٍ وفِعْلٍ فتامٌّ مُستوفًى، ويقالُ له: جِناسُ التَّغايُرِ، والتَّجنيسُ المطلَقُ، نحوَ:

يَحْيَا لَدَى يَحْيَى[1]

ونحوَ: وضَعْتُه فيْ فيَّ، وجِئْتُ إِلَى إِلَى زيدٍ؛ أي: نِعَمِه، ونحوَ: عَلَّ زيداً عَلَّ؛ أي: اعْتَلَّ، ونحوَ: يُعْجِبُني أنَّ زيداً أنَّ، من الأنين.

والمركَّبُ نوعانِ: ملفوفٌ، ومَرْفُوٌّ:

فالملفوف: ما تركَّبَ مِن كلِمتينِ تامَّتَينِ.

= الرقمتان: روضتان بناحية الصمَّان، ويُقال: هما رَوْضتان، إحداهما قريبٌ من البَصرة والأُخرى بنَجْد، وقيل: هما قَرْيتان على شَفِير وادي فَلْج بين البَصْرة ومكَّة، وقيل: رَوْضتان في بلاد العَنْبر، وأيضًا: بنَجْد بين جريم ومَطْل الشَّمس في ديار أَسَد. انظر: «التاج» (مادة: رقم).

(١) قطعة من بيت لأبي تمام كما في «الوساطة بين المتنبي وخصومه» لأبي الحسن الجرجاني (ص٤٢)، و«تحرير التحبير» (ص١٠٤)، وتمامه:

ما مات من كرم الزمان فإنَّه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

والمرفُوُّ: ما تركَّبَ مِن كلمةٍ وبعضِ أُخرى.

وكلٌّ قسمان: ملفوفٌ مفروقٌ، وملفوفٌ مُشْتبِهٌ. ومرفوٌّ مفروقٌ، ومرفوٌّ مشتبِهٌ:

فالملفوفُ المفروقُ: نحوُ: الخيلُ تجري بي مِن تجريبي(١)، ونحوُ:

إنْ كُنْتَ تريدُ بالجَفَا تَهْذِيبي   فاقْطَعْ بِرِضاكَ أَلْسُناً تَهْذي بي(٢)

فهو ملفوفٌ لتَركُّبِه من كلمتينِ تامَّتينِ، فإنَّ (تَهْذِي) من الهذَيان كلمةٌ، و(بي) جارٌّ ومجرورٌ كلمةٌ، ومفروقٌ لاختلافِهما في صورةِ الكتابة.

ونحوُ:

كلُّكم قد أَخَذَ الجا   مَ ولا جامَ لنَا

ما الَّذي ضَرَّ مُديرَ الجا   مِ لو جامَلَنا(٣)

أي: عامَلَنا بالجميل.

والملفوفُ المَشْتبِهُ: ما اشْتَبَهَ خطًّا، نحوَ: مَن لم يكُنْ ذا هِبَة فدَوْلتُه ذاهِبَة(٤)،

---

(١) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٦):

خيولُ وَجْدِي إلى الأحبابِ تجري بي   فليس يَنفعُني عَقْلي وتَجْرِيبي

هذا وسَمْعي لتَهْذِيبي به صَمَمٌ   عن كلِّ عاذلةٍ في الحبِّ تَهْذِي بي

(٢) لعل البيت يستقيم على الكامل لو قال:

إنْ كُنتَ تَبْغِي بالجَفَا تَهْذِيبي   فاقْطَعْ بعَفْوِكَ أَلْسُناً تَهْذي بي

(٣) البيتان لأبي الفتح البستي كما في «الإيضاح في علوم البلاغة» (ص٣٥٥)، ودون نسبة في «تحرير التحبير» (ص١١٠)، ووقع في (س): «مدير الكأس» وتحتها كتب: «الجام».

(٤) أخذه من قول الشاعر:

إذا ملكٌ لم يكُنْ ذا هِبَهْ   فدَعْهُ فدَولتُه ذاهِبَهْ

انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١١٠).

ونحوَ:

لســـتَ تـــاجَ العارِفيـــنا أنت تـــاجُ العـــارِ فِينـــا

من العارِ.

ونحوَ: لِسِرْبي سِرْ بي، وحَلَالي حَلَا لي.

ونحوَ: أَوْحَشَنا شَخْصُكَ مُذْ فارَقَنا، والدَّمعُ في العُيونِ مُذ فارَ قَنَا[1].

ونحو:

بالوَصْـــلِ قـــد جـــادَ لَنـــا مـــن بعـــدِ مـــا جادَلَنـــا

فإنْ كانَ مركَّبَ الجزأَينِ **فجناسُ التَّلفيق**، نحوَ: مِن عَدَمي مَنْع دَمِي[2]، ونحوَ: قال لي: ما لَكَ؟ قلتُ: خُذْ ما لَكَ.

وممَّا اشتَمَلَ على الجِناسَينِ نحوَ:

يـــا حـــادِي عِيسِـــهِم لسِرْبي سِـــرْ بـــي إنْ كُنْـــتَ شَـــفِيقْ

قـــد زادَ مِـــن الغـــرامِ عَجَبي عُـــجْ بـــي فالدَّمْـــعُ طَلِيـــقْ

إنْ كانَ دَنَـــا فِـــراقُ صَحْبي صِـــحْ بـــي لا صَبْـــرَ أُطِيـــقْ

بـــاللهِ وإنْ قَضَيـــتُ نَحْبي نُـــحْ بـــي فـــي كلِّ فريـــقْ

والمرفوُّ المفروق: نحوُ: عندَما صِرْتُ قُلَامَه رَمَتِ الأحداقُ لامَه[3]، فهو

---

(١) «قنا» لعله تسهيل: قنأ؛ أي: اشتدت حمرته.

(٢) وردت هذه العبارة في بيت لابن قرقماس في «زهر الربيع» (ص٧٩) سيأتي قريباً، وهو:

وشـادِنٍ خَصْـرُه قـد صِيْـغَ مِـن عَـدَمِ ممنَّـعٍ لا يَـرى فـي الحـبِّ مَنْـعَ دَمِـي

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٧):

وبـــي قمـــرٌ بـــه أَمْسَـــى لَـــعَمْري هلالُ الأُفْـــقِ مِـــن خَجَـــلٍ قُلَامَـــه =

مرفوٌّ لأن (لامَهُ) رُفِيَتْ بالقافِ مِن (الأَحْداق)، حتى جانَسَتْ (قُلَامه)، ومفروقٌ لاختلافِهما في صورةِ الكتابة.

ونحو:

يـا مَن بألحاظـهِ الـمَرْضَى أَرَاقَ دَمِي   ومَـن إليـهِ بـإتـلافي سَعَى قَدَمِي

والمَرْفُوُّ المُشْتبِهُ: نحوُ: ما صَفَا أو راق مُذ صُفَّ أوراق، مرفوٌّ لأن (راق) رُفِيَ بـ(أو) حتى جانسَ (أوراق)، ومشتبِهٌ لاتحادِ صورةِ الكتابة.

ونحوَ:

نُحُولـي وأَشْـجاني لحالـي فَوَاضِحُ   وأمَّـا افتضاحِـي فـي الغـرامِ فواضـحُ

النوع الثاني: الجناسُ المحرَّفُ والمصحَّفُ: ويَدْخلانِ في سائرِ أنواعِ الجِناسِ:

فالمُحرَّفُ: ما اتَّفقتْ فيه الكلِمتانِ دونَ الشَّكْلِ.

والمُصحَّفُ: ما اتَّفقتْ فيه الكلِمتانِ دونَ النَّقْطِ.

فالمحرَّف نحوُ: البِدْعةُ شَرَكُ الشِّرْك.

ونحـوُ: الجاهلُ إمَّا مُفْـرِطٌ وإمَّا مُفَرِّطٌ، والحرفُ المشـدَّدُ فـي حُكْم المخفَّف، وقـولُـه تـعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢ـ٧٣].

والمصحَّفُ نحوُ:

[قـد][1] زُرْتُ حِبِّي فـي سَحَرْ   فـي رَوْضِ زَهْـرٍ وشَجَـرْ

= أَدارَ عِـذَارَهُ بـالـخَدِّ لـمَّـا   رَمَتْه بنَبْلِهـا الأَحْـداقُ لامَـهْ

(١) زيادة لضرورة الوزن.

وقد اجتمَعَا في قولهم: جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ، وقولِه تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقولِه عليه السلام: «يَتكلَّمُ بما لا يَعْنيهِ، ويَبْخَلُ بما لا يُغْنِيهِ»[١].

وأقسامُ المحرَّفِ خمسةٌ:

١ ـ مفرَدٌ، كما مَرَّ.

٢ ـ ومحرَّفٌ مركَّبٌ مَرْفوٌّ مَفروقٌ نحوَ:

وشادِنٍ خَصْرُه قد صِيْغَ مِن عَدَمِ ممنَّعٍ لا يَرى في الحبِّ مَنْعَ دَمِي[٢]

٣ ـ ومحرَّفٌ مركَّبٌ مَرْفوٌّ مشتبِهٌ نحوَ:

فانظُرْ إلى الوَرْدِ ما أَحْلَاهُ حينَ حَكَى ما في خدودِ دُمَى الغاداتِ مِن خَجَلِ[٣]

لأنَّ (ما) التعجُّبيةَ رُفِيَتْ بالدالِ من (وَرْد) حتى جانَسَتْ (دُمَى)، ومثلُه: في الوردِ ما يَحْكِي دَمَا.

٤ ـ ومحرَّفٌ مركَّبٌ ملفوفٌ مفروقٌ نحو: جاء منصورٌ مِن صُورٍ[٤]، ونحو:

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٨٣٦)، والضياء في «المختارة» (٢٢٣٢)، من طريق سعد بن الصلت، عن الأعمش، عن أبي سفيان (واسمه: طلحة بن نافع)، عن أنس به. وسعد بن الصلت ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٣٧٨) وقال: ربما أغرب. والأعمش لم يسمع من أبي سفيان شيئا، وقد روى عنه نحو مئة حديث، وإنما هي صحيفة عرفت. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢/ ١١٠).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٧)، وتقدمت الإشارة إليه قريباً.

(٣) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٩).

(٤) لعله من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٠):

يا قلبُ صَبْراً في هَوَى أَغْيَدٍ أغنَّ أَحْوَى الطَّرْفِ يَعْفُورِ

مُظفَّرٍ سلطانِ حُسْنِ البَهَا منصورِ حُسْنٍ لاحَ مِن صُوْرِ

غــزالٌ نَــفُــورٌ عـنـدمـا مـالَ جِـيدُهُ رَوَى عن دُمَى الجَرْعاءِ حُسْنَ التَّلَفُّتِ[1]

ودُمًى: جمعُ دُميةٍ، وهي الغزالةُ الصَّغيرةُ.

٥ـ ومحرَّفٌ مركَّبٌ ملفوفٌ مشتبهٌ نحو: لا صَبْرَ في بَوَاطِنِ قومٍ تَحُلُّ بِوَاطِنِ[2]، ملفوفٌ لأن (واطن) الثانيَ لفظٌ مستقلٌّ اسمُ موضعٍ، وباءُ الجرِّ حرفٌ مستقلٌّ دَخَل عليه، ومشتبهٌ صورةً، ومحرَّفٌ لاختلافِ حركةِ الباء.

النوعُ الثالثُ: الجِناسُ النَّاقِصُ:

ويقـالُ: التَّجنيسُ الزَّائـدُ باعتبـار الكلمة الأخـرى، فناقصُ حرفٍ مـن الآخِرِ مُطـرَّفٌ، وحرفيـن مذيَّلٌ، ومن الأولِ أو الوسـطِ غيرُ مطرَّفٍ وغيرُ مذيَّلٍ، ويسـمى: الجنـاسُ المكتنَفُ في اسـمينِ أو فِعْليـنِ أو مختلِفَينِ.

فناقـصُ الآخِرِ نحوُ: شـاكرٌ شـاكٍ[3]، وجـادَلَ وجـادَ، وراحِـلٌ راحَ[4]، وأَكَلْتُ مِن سَـمْنٍ[5].

---

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٠).

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨١):

تَرَحَّلَـتِ الغـاداتُ مِـن حـيٍّ عـامـرٍ فحرَّكْنَ مـا فـي القلـبِ مِـن كلِّ سـاكِنِ
ولـمْ تَلْـقَ صَبْـراً بعـدَ إبْعادِهِـنَّ في بَـوَاطِـنِ أهـلِ العشـقِ يومـاً بِوَاطِـنِ

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٥):

أَشْـكُو هَـواهُ وأَشْـكُرُ الزَّمَـنَ الذي أَدْنـاهُ لـي فاعْجَـبْ لشـاكٍ شـاكِرِ

(٤) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٦):

رَشَـأٌ سـارِحٌ في القلبِ سـارَ بمُهْجَتـي وراحَ بـصَـبْرِي وهُـو في الرَّكْـبِ راحِلُ

(٥) قولـه: «أكلـت من سـمن» كـذا فـي (س) و(م)، ولا يظهر فيه الشـاهد الـذي هو نقـص الآخر كما في الأمثلة السـابقة.

وناقصُ الأولِ نحوُ: مَسَاقٌ وسَاقٌ[١]، و: صَفَا حُسْنُه لمَن وَصَفَا[٢]، و: صالَ علَى طالبِ وِصالٍ[٣]، و: لعلَّ زيداً عَلَّ؛ أي: اعْتَلَّ، ونحو:

صَبْرِي لوَصْلِكَ لا سبيلَ إليهِ لي ... إلَّا إذا الْتَقتِ الثُّريَّا بالثَّرَى

وفي المفروقِ نحو:

إنْ قلتَ: ها نَدَمِي ... يوماً أهانَ دَمِي[٤]

والوسط: جدي جهدي، و: صَلَّيتُ خَلْفَ مَن خالَفَ، وسالَ وسَلَّ[٥]، وهامَ [وهَمَّ][٦]، مِن هَمَّ به، ونحو:

غَدَا قَلْبي. وحَقِّ اللهِ. ذائبْ ... إذا أُسْدِلَتْ هاتِيكَ الذَّوائبْ

وناقصُ حرفينِ فأكثرَ نحو:

عواذلُ من فَرْطِ البَهَا كالبَهَائِمِ[٧]

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩ ـ ٣٠].

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٦):

وغادةٍ قد صَفَا منها الجَمالُ إلى ... أنْ أَعْجَزتْ كلَّ ذي لُبٍّ لها وَصَفا

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٧):

تَرَاهُ بسيفِ اللَّحْظِ قد صالَ فاتِكاً ... بمهجةِ صَبٍّ رامَ منهُ وِصَالا

(٤) شبيه بقول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٩):

إنْ قلتُ ها نَدَمي أُبْدِيهِ معتذِراً ... ماذا يفيدُ وفي القَتْلَى أهانَ دَمِي

(٥) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٨):

وقد سالَ دَمْعِي مِن دِمَايَ صبابةً ... على وَجْنَتِي مُذْ سَلَّ سَيفَ جُفونِهِ

(٦) زيادة يقتضيها السياق، مستفادة من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٨):

تَرفَّقْ بصَبٍّ هامَ فيكَ صَبَابةً ... وما زالَ يَلْقَى فيكَ الهمَّ فؤادُه

(٧) شبيه بقول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٨): =

ونحو: رَقْرقَ دَمْعِي حينَ رَقَّ جِسْمِي[١]، ونحو: حَمَى وحَمائِل[٢].

ونحو هذا: مَسَا مَسَاكين، ونحو: سَلَّ وسَلْسَلَ.

ومن الأَوَّلِ نحو: بالٌ وبَلْبال[٣]، ونحو: وافَى لمَّا فاءَ[٤]؛ أي: رَجَع، ونحو: مُذْ صالَ قَطَّعَ أَوْصال[٥].

ومن الوَسَطِ نحو: دَلَالٌ ودَلٌّ[٦]، وحاوَلَ وحَلَّ، ونَمَّامٌ ونَمّ[٧].

النوعُ الرابعُ: الجناسُ المقلوبُ:

= غزالٌ عليه العاذِلُونَ بأسرِهِمْ بما فيهِ مِن فَرْطِ البَهَا كالبَهَائمِ

(١) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٦٩):

لقد جَرَحَ الأحشاءَ مِنِّي أغيدٌ لواحِظُه كالجارِحاتِ الخَوَاطِفِ
به رقَّ جسمي حينَ رَقْرَقَ أَدْمُعي عيونٌ عليهِ كالعيونِ النَّوَازِفِ

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٩):

حمَى كهفَ جَفْنَيهِ بصارِمِ مُقْلةٍ لـه مِن رقيمِ العارِضَينِ حمائلُ

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٩):

هيَّجْتَ بَلْبالَ المحبِّ فإنْ تَغِبْ عنهُ فشخصُكَ حاضرٌ في بالهِ

(٤) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٠):

ما عليهِ لو فاءَ عن هجرِ مِثْلِي وحَبَاني بوَصْلِه ثم وَافَى

(٥) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٠):

قطَّع أوصالي بسيفِ الجَفَا وهزَّ من عِطْفَيهِ رُمحاً وصالْ

(٦) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧٠):

يا أيُّها الرَّشَأُ الذي فَتَنَ الوَرَى بلِحَاظِهِ وبدَلِّه ودَلَالِهِ

(٧) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٧١):

قد نَمَّ نمَّامُ عارضَيْه على شَقِيقٍ بوَجْنَتَيهِ

ويقالُ: تجنيسُ العكسِ، وهو أنْ تختلِفَ الكلمتانِ في ترتيبِ الحروفِ تقديماً وتأخيراً، وهو:

إمَّا قَلْبُ الكلمةِ بأسرِها نحوَ: قَلَمٌ ومَلَقٌ[١]، وحَتْفٌ وفَتْحٌ، وحَلَب وبَلَحٌ، ولحمٌ ومَحْلٌ.

أو الوَسَطِ نحوَ: أَفْصَحُ وأَصْفَحُ[٢].

أو الآخِرِ نحوَ: قَلَبَ وقَبِلَ، وأرحامٌ وأَرْماحٌ[٣].

أو غيرِ الوسطِ نحوَ: بَرْقٌ وقُرْبٌ[٤]، ورِبْحٌ وحِبْرٌ[٥].

أو غيرِ الآخِرِ نحو: جِنْسٌ نَجسٌ، وهِنْدٌ ونَهْدٌ[٦].

وإذا وقعَ أحَدُ مُتجانِسَي القَلْبِ أوَّل البيتِ والآخَرُ آخِرَه، سُمِّي حينئذ: مَقْلوبا مجنَّحاً؛ لأنَّ اللَّفْظينِ بمنزلةِ جَناحَينِ للبيتِ نحوَ:

لاحَ أنــوارُ الـهُــدَى   مِن كَفِّــه فــي كلِّ حــال

---

(١) المَلَق: الود واللطف، ورجل مَلِقٌ: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

(٢) مأخوذ من قصيدة لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٢) يمدح النبي ﷺ:

أَزْكَى الـوَرَى نَفْسـاً وأَصْفَـحُ مَـن عَفَا   كَرَمـاً وأَفْصَـحُ فـي المقـالِ إذا نَطَـقْ

(٣) في (س) و(م): «أرماح» دون واو، والمثبت أنسب بالسياق.

(٤) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٢):

هـل أَرَى بعـدَ مَحْـلِ صَـدِّكَ يـومـاً   بَرْقَ قُـرْبٍ يُشـامُ مِـن سُـحْبِ وَصْلِـي

(٥) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٢):

يقـولُ أصـابَ الحِبْـرُ ثَوْبـي فقُلْـتُ لا   يَـرُعْـكَ فـإنَّ الـحِـبْرَ مَقلوبُـه رِبْـحُ

(٦) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٣):

ليـتَ شِـعْرِي تحـتَ الغَلائِـلِ منها   حُـقَّ عـاجٍ لَمَسْـتُ أَمْ نَهْـدَ هِنْـدِ

ونحوَ:

ماجَ كمَوْجِ البحرِ أَرْدافُه مُهَفْهَفٌ يَسْعَى بكأسٍ وَجَامْ(١)

النوعُ الخامسُ: الجناسُ المضارِعُ:

وهو ما اخْتَلَف بحرفٍ لكنْ بشرطِ أنْ يكونَ حرفُ الاختلافِ مشابهاً لمخالِفِه بالخطِّ، أو مقارِباً له في المَخْرَج:

في اسمَيْنِ نحوَ: طاعِنٌ ظاعِنٌ(٢)، وجائرٌ وجابرٌ.

ونحو: نافثٌ نافذٌ(٣)، الثاءُ والذالُ اتَّفَقا في المخرَج.

ونحو: ليلٌ دامِسٌ، وطريقٌ طامِسٌ، و: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، و: «الخيلُ معقودٌ بنواصِيْها الخيرُ»؛ لتقارُبِ الدَّالِ والطَّاءِ، والهاءِ والهمزةِ، واللامِ والرَّاء.

أو فِعْلينِ، أو مختلفَينِ، نحو: نَهَرَ وبَهَرَ(٤)، وشَعَلَ وشَغَلَ(٥)، وراحَ وراجَ.

---

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٦).

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٥٧):

طاعنٌ ظاعنٌ برُمحٍ قَوَامٍ قد عَلَاه من مُقْلتيهِ سِنَانُ

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٥٧):

عوَّذَني إذ عادَني بالضُّحَى مِن سِحْرِ لَحْظٍ نافِثٍ نافِذِ

(٤) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٥٨):

أَغْيَدٌ كالغُصْنِ قامَتُهُ ذو مُحيًّا يُخْجِلُ القَمَرا

نَهَرَ العُشَّاقَ حينَ رَأَوا منهُ وَجْهاً كالبَهَا بَهَرَا

(٥) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٥٨):

ويُشْغِلُ طَرْفِي وَجْهُهُ بجمالِهِ ويُشْعِلُ قَلْبي بالجَوَى ماءُ خَدِّه

النوعُ السَّادسُ: الجِنَاسُ اللَّاحِقُ:

وهو ما اخْتَلَفَ بحرفٍ غيرِ مُشابهٍ لمخالِفِه خطًّا، ولا مُقارباً له مَخْرجاً، نحو: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وتَفْرحونَ وتَمْرحون، وبَدْرٌ وبَحْرٌ، ونحو: ﴿جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ [النساء: ٨٣].

وحرفُ الاختلافِ إمَّا في أولٍ، أو وسطٍ، أو آخِرٍ، في اسمينِ أو فعلينِ أو مختلفينِ، نحوُ: دَمْعٌ وهَمْعٌ، ونِبالٌ ونَكالٌ[١]، وترتيبٌ وتركيبٌ، وصادِحٌ وصادِعٌ[٢]، ونحو: عادَ وجادَ[٣]، ونحوُ:

تُغَـرِّبُ فـي ألحانِهـا وتُغـرِّدُ[٤]

ونحو: حَمل وأَمل[٥]،..

---

(١) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦١):

غـزالٌ غـزَا قَلْبـي بحُسْـنِ قَـوَامِهِ وأسيافِ لَحْـظٍ جُـرِّدَتْ لقتالـي

وأَرْسَـلَ مِـن قوسِ الحواجِبِ للحَشَا نِبَـالَ لِحَـاظٍ فُـوِّقَـتْ بـنَكَالِ

(فوِّقَتْ) مبني للمجهول من فوَّق السهم: إذا جَعل له فُوقاً، والفُوق: موضع الوتر من السهم.

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٢):

يـا حبَّـذا طيـرٌ كقلبـي على غصـنٍ كقَـدِّ الأَغْيَـدِ النَّـازِحِ

يَصْـدَعُ قلبـي فـي الدُّجـى صَدْحُهُ فيـا لَـهُ مِـن صـادعٍ صـادِحِ

(٣) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٢):

نادَيْتُـه جُـدْ للمُـحِبِّ بعَـودةٍ يوماً فعـادَ إلـى المحِـبِّ وجـادَ

(٤) عجز بيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٣) وصدره:

علـى شـجراتِ الأَيْـكِ سـجعَ حمامةٍ

(٥) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٣):

مِـن هَجْـرِه حَمَـلَ المشـتاقُ ثِقْـلَ أسًى ولـم يُـبلِّغْـه فيـمـا رامَـهُ أَمَـلا

ونَفَرَ ونَهَرَ[١]، وأَسَلَ وأَسَرَ[٢].

النَّوعُ السَّابعُ: الملحَقُ بالجِنَاسِ:

وهو شيئانِ:

أحدُهما: أنْ يَجْمعَ اللَّفظينِ الاشْتِقاقُ، وهو تَوافُقُ الكلمتينِ في الحروفِ الأُصولِ مع الاتِّفاقِ في أصلِ المعنى، نحو: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] مشتقَّان مِن قامَ يَقومُ[٣].

وهو أربعة:

مشتقٌّ حقيقيٌّ كما مرَّ.

ونحوُ: صَدِيقٌ وصَدُوقٌ[٤]، ويسمَّى: **جِناسَ الاشتِقاق.**

---

(١) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٣):

فعِندَها نَفَر الظَّبْيُ الغَريرُ وقد ... أصارَ دَمْعِي كما شاءَ الهَوَى نَهَرا

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٦٤):

رشأٌ كالغُصْنِ قامتُه ... ذو مُحيًّا يُخْجِلُ القَمَرَا

هزَّ مِن أعطافِه أَسَلاً ... فاتِكٌ باللَّحْظِ قد أَسَرَا

(٣) كذا ذكر أحدهما ولم يذكر الآخر، ولعله: أن يجمع بينهما شبه الاشتقاق، وهو ما سيذكره المؤلف في الاشتقاق غير الحقيقي. انظر: «علوم البلاغة» للمراغي (ص٣٥٩).

(٤) لعله مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٦):

ألَا هل تَرَى العينُ في عَصْرِنا ... صَديقاً صَدُوقاً عَظيمَ الهِمَمْ

وقد وردت الكلمتان في أشعار كثيرة. انظر: «يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٩٠) و(٣/ ٣٠٩). ومن ذلك ما ينسب للشافعي من قوله:

سلامٌ على الدُّنيا إذا لم يَكن بها ... صَديقٌ صَدوقٌ صادقُ العهدِ مُنْصِفا

ومشتقٌّ غيرُ حقيقيٍّ، ويسمَّى: المطلَق، نحو: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] الأولُ من القولِ، والثاني من القِلَى، ونحو:

جَرَّعَتْنا الغَرامَ بالجَرْعاءِ[١]

ومشوَّشٌ نحوُ: سُرورٌ وسُعودٌ، وغُبونٌ وغُمومٌ[٢].

فإنْ قُلْتَ: مختلِفُ الوسَطِ فاتَ اتِّفاقُ آخِرِه، أو مختلِفُ الآخِرِ فاتَ اتِّفاقُ وَسَطِه، فيَبْقى النَّاظرُ متحيِّراً، فلهذا سمِّيَ مشوَّشا.

ونحوُ:

محرَّفُ الطَّبعِ حيثُ القَلْبُ مُحترِقُ

فإنَّ التاءَ لو فُقِدتْ منه لكانَ جناسَ تصحيفٍ، ولو كانتِ القافُ فاءً فجناسٌ ناقصٌ.

وإذا وَلِيَ أحدُ المتجانِسَينِ ـ أيَّ تجانُسٍ كان ـ سُمِّي الجنَاسُ مزدوِجاً ومكرَّراً ومردَّداً نحوَ: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] من اللَّاحِقِ: ومَن طلَبَ شيئاً وجَدَّ وَجَدَ.

* * *

(١) عجز بيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٦)، وصدره:

وجَزِعْنا بأيمنِ الجِزْعِ لمَّا

ووقع في (س) و(م): «وجرعتنا» والصواب حذف الواو ليستقيم الوزن.

(٢) مأخوذ من قول ابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٨٧):

لم يَزَلْ قَلْبيَ المعنَّى وحَبِيبي كلَّ عِيدِ
في غُبُونٍ وغُمُومٍ وسُرورٍ وسُعودِ

باب
رَدُّ العَجُزِ على الصَّدْرِ

ويسمَّى: التَّصديرَ، وهو في النَّثرِ جَعْلُ أحدِ اللَّفظينِ المكرَّرينِ أو المتجانِسَينِ أو الملحَقَينِ بهما في أوَّلِ الفقرةِ والآخَرِ في آخِرِها:

نحوَ: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ونحو: سائلُ اللئيمِ يَرْجِعُ ودمعُه سائلٌ.

ونحو: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

ونحو: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

وفي النَّظْمِ: هو إعادةُ اللَّفظِ في آخِرِ البيتِ بعدَ ذِكْرِه في أوَّلِه، ويسمَّى: تصديرَ الطَّرفينِ، أو في حشوِ النِّصفِ الأوَّلِ، ويسمَّى: تصديرَ الحَشْوِ، أو في آخِرِ النِّصفِ الأوَّلِ، ويُسمَّى: تصديرَ القافيةِ، أو أولَ النِّصفِ الثَّاني، ويُسمَّى: تصديرَ الطَّرفينِ، وكلٌّ منهُما إمَّا أنْ يتكرَّرَ لَفْظاً ومَعْنًى، أو لفظاً لا معنًى، أو معنًى لا لفظاً، أو لا لفظاً ولا معنًى.

نحوَ[1]:

قَمَرِي عَذَّبَ قلبي بالقِلَى   بالقِلَى عَذَّبَ قَلْبي قَمَري[2]

ونحوَ:

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يَشْتِمُ عِرْضَه   وليسَ إلى داعِي النَّدَى بسَريعِ[3]

---

(١) بدأ هنا بذكر أمثلة المكرر لفظا ومعنى.

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩١).

(٣) البيت دون نسبة في «البديع» لابن المعتز (ص١٤٠)، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري =

ونحوَ:

فتيَّمَني في النَّاسِ خالٌ تَخالُه غزالاً نشَا بينَ البَرِيَّةِ في النَّاسِ[(١)]

ونحوَ:

حيِّ عُرباً بالخَيْفِ مِن حيِّ لَيْلَى واقْرِ عَنِّي السَّلامَ هنداً ولَيْلَى[(٢)]

ونحو:

طالَ فَرْعُ الحبيبِ لمَّا رَأَيْنا أصلَه في الجَمالِ أَطْيبَ أَصْلِ[(٣)]

ومِن المكرَّرِ لَفْظاً لا مَعْنًى نحو:

بَدْرٌ بَدَا في قَبَاءٍ لَدَى حُنَينٍ وبَدْرِ[(٤)]

ونحو:

عَصَيْتُ في الخالِ منهُ يا صاحِ عمًّا وخالَا[(٥)]

ونحو:

كَمْ شُدَّ رَحْلٌ فوقَ أعلى غارِبٍ في حُبِّ بَدْرٍ عن عُيوني غارِبُ

أَرْخَى على الأَعْطافِ منه ذَوَائباً تَشْقَى قُلوبٌ في هواهُ ذَوَائبُ[(٦)]

= (ص٣٨٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١١٦)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ٢٧٤).

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩١)، وفيه: (ساقٍ) بدل: «خالٌ».

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩١).

(٣) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٢).

(٤) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٣).

(٥) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٣).

(٦) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٣).

ونحو:

أَمَّلْتُهم ثمَّ تأمَّلْتُهم ... فلاحَ لي أنْ ليسَ فيهم فَلَاحُ[(١)]

ومن المكرَّرِ معنًى لا لفظاً نحو:

تَعَشُّقُ المرءِ عيونَ المها ... يُشْعِرُ أنَّ الظَّبيَ مَعْشوقُهُ[(٢)]

ونحو:

إذا المرءُ لم يَشْرَبْ من الغيظِ جُرعَةً ... فليسَ سِوَى التَّوبيخِ والعَتْبِ مَشْرَبُ[(٣)]

ونحو:

به مرَّ لي زمنٌ ذاهبٌ ... فمَن لي بعَوْدِ الذي قد ذَهَبْ[(٤)]

ونحو:

وقد كانَتِ البِيضُ البَوَاتِرُ في الوَغَى ... بَوَاتِرَ وَهْيَ الآنَ مِن بَعْدِه بُتْرُ[(٥)]

وفيه تأمُّلٌ.

ومن المكرَّرِ لا لفظاً ولا معنى نحو:

ماجَ كَمَوْجِ البحرِ أردافُه ... مُهَفْهَفٌ يَسْعَى بكأسٍ وجَامْ[(٦)]

---

(١) البيت للقاضي الأرجاني كما في «الإيضاح في علوم البلاغة» (ص٣٦١). والأرجاني هو أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، شاعر في شعره رقة وحكمة، توفي سنة (٥٤٤). انظر: «الأعلام» (١/ ٢١٥).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٤).

(٣) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٥).

(٤) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٥).

(٥) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه (٤/ ٨٣).

(٦) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٦)، وقد تقدم.

وهذا النوعُ مِن ردِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ يَصِحُّ بالجِناسِ المقلوبِ والمحرَّفِ واللَّاحِقِ والمضارِعِ والناقصِ، نحو:

ولقد سارَ رَكْبُه بفُؤادي وبقَلْبي مِن ذلكَ الرَّكْبِ كَرْبُ[1]

ونحو:

تَيَّمَ قلبي رَشَأٌ[2] فاتِنُ أَغَرُّ أَحْوَى لَحْظُه فاتِرُ
للسِّحْرِ مِن مُقْلَتِه نافِثٌ لكنَّه عن مَضْجَعي نافِرُ[3]

***

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٧).

(٢) الرشأ: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه. انظر: «القاموس» (مادة: حوي).

(٣) البيتان لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص٩٨).

باب السَّجْعِ

وهو: تَوَافُقُ الفاصِلَتينِ في الحرفِ الأخيرِ، وهو أربعةٌ:

مطرَّفٌ: وهو أنْ تختلِفَ الفاصِلتانِ في الوزنِ دونَ الرَّوِيِّ، نحو: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤] فإنَّ الوَقارَ والأطوارَ مختلِفانِ وزناً متَّحِدانِ رَوِيّاً، ونحو:

مَن لي بمستَقْتِلٍ بالرُّمْحِ مُعْـتـقِلٍ ... للقتلِ لا مُمْهِلٍ يوماً ولا مَهِلِ[1]

فآخِرُ كلِّ فاصلةٍ منه موافِقةٌ للأخرى في الرَّوِيِّ دون الوزنِ.

ومتوازي: وهو أنْ لا يكونَ في القَرينةِ ولا أكثرِها مثلُ ما يقابلُه من الأُخرى في الوَزْنِ والتَّقْفيَة؛ أي: التوافُقِ في الحرفِ الآخِرِ، نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٤]؛ لاختلافِ (سُررٌ) و(أكوابٌ) في الوزنِ والتَّقْفية.

وقد يَختلِفُ الوزنُ فقط نحو: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١ ـ ٢].

وقد تَختلِفُ التَّقفيَةُ فقط نحو: حَصَلَ الناطِقُ والصَّامِتُ، وهَلَكَ الحاسِدُ والشَّامِتُ.

ومشطَّرٌ: وهو جَعْلُ كلٍّ مِن شَطْرَي البيتِ على سَجْعَتينِ نحو:

تَدْبيـر مُعتصِـمٍ بـاللهِ مُـنـتـقِمٍ ... للهِ مُرْتغِـبٍ فـي اللهِ مُرتَقِـبِ[2]

ونحو:

أَفْديـهِ مِـن قَمـرٍ مــا زالَ فــي خَـفَــرٍ ... كالغُصْنِ فـي مَيَـدٍ والظَّبْي فـي غَيَـدِ[3]

---

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٢).

(٢) البيت لأبي تمام من قصيدته المشهورة في مدح المعتصم وفتح عمورية، وهو في «ديوانه» (١/ ٥٨).

(٣) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٤).

والمرصَّع: وهو أنْ تكونَ كلُّ لفظةٍ في البيتِ مُوافِقةٌ لقَرينَتِها وزناً ورَوِيّاً، نحو:

فالخَـدُّ والثَّغْرُ ذا صُبْـحٍ وذا فَلَـقٍ والقَـدُّ والشَّعْرُ ذا رُمْـحٍ وذا غَسَـقِ(١)

فـ(الخـدُّ) فـي مقابَلةِ (القَـدّ)، والـرَّوِيُّ الـدَّالُ، و(الثَّغْر) في مقابَلة (الشَّـعر)، والـرَّوِيُّ الـراءُ، و(صُبْـح) فـي مقابَلةِ (رُمْـح)، و(فَلَـق) في مقابَلةِ (غسـق).

والتَّرصيعُ الكاملُ: أنْ يَقعَ الاتِّفاقُ فيه بينَ جميعِ قَرائنِه نحو:

كـالبَـحْرِ مُـقْتَحِماً والبَـدْرِ مُلْتَئِماً والفَجْـرِ مُبْتَسِـماً والزَّهـرِ مُخْتتِمـا(٢)

ونحو:

فنَحْـنُ فـي جَـذَلٍ، والـرُّومُ فـي وَجَلٍ والبَرُّ فـي شُغُلٍ والبَحْرُ فـي خَجَلِ(٣)

ونحو: يَطْبَعُ الأسجاعَ بجواهِرِ لَفْظِه، ويَقْرَعُ الأسماعَ بزَواجِرِ وَعْظِه.

قيل: وأحسنُ السَّجْعِ ما تَساوَتْ قرائنُه نحو: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠]، ثم ما طالت قَرينتُه الثانيةُ نحو: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٢]، أو قَرينتُه الثالثةُ نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣١]، ولا يَحْسُنُ أنْ تكونَ أَقْصَرَ منها قِصَراً كثيراً، لأنَّ السَّمْعَ قد استَوْفى أَمَدَه في الأوَّلِ بطُوله، فإذا جاءَ الثَّاني أقصرَ منه كثيراً بَقِيَ الإنسانُ عندَ سماعِهِ كمَن يريدُ الانتهاءَ إلى غايةٍ فيَعْثُر عنها، ويُغتفَرُ الفصلُ القليلُ نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾.

قيل: ولا يقالُ في القرآن: سَجْعٌ، رعايةً للأدَبِ، بل: فَواصِلُ، وإنِ احْتِيجَ لسكونِ الأعجازِ سكِّنَتْ نحو: ما أَبْعَدَ ما فات، وما أَقْرَبَ ما هو آت.

---

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٤).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٥).

(٣) البيت للمتنبي. انظر: «شرح ديوانه» للعكبري (٣/ ٨٠)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٢٤١).

باب التَّوازُنِ

ويقالُ: الموازَنةُ، وهو تَساوِي الفاصِلتَينِ في الوزنِ دون التَّقْفيَةِ نحو: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥ ـ ١٦] تساوَيا في الوزنِ لا التَّقفيَةِ؛ إذِ الأُولى على الفاءِ والثَّانيةُ على الثَّاءِ، ولا عبرةَ بتاءِ التأنيثِ في القافيَةِ، ونحو: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧ ـ ١١٨].

وهو قسمان:

مماثِلٌ: وهو ما اتَّفَقتْ فيه جميعُ ألفاظِ القَرينةِ ـ أو الغالبُ ـ مع ألفاظِ الأُخرى في الوزنِ دونَ الرَّوِيِّ، فهو أعمُّ من تسجيعِ التَّرصِيعِ؛ إذ كلُّ تَرصيعٍ تَوازُنٌ، ولا عَكْسَ؛ لاشتراطِ الرَّوِيِّ في التَّرصيعِ دونَ التوازُنِ نحو:

كالغُصْـنِ فـي مَيَـلٍ والزَّهْـرِ فـي تَرَفٍ ... والبَـدْرِ فـي غَسَـقٍ والظَّبْيِ فـي غَيَدِ[1]

فـ(غُصْن) في مقابَلةِ (زَهر)، و(بدر) في مقابَلةِ (ظَبْي)، و(مَيَل) في مقابَلةِ (تَرَف)، و(غَسَق) في مقابَلةِ (غَيَد)، فاتَّفَقتْ كلُّ قَرينةٍ مع أختِها وزناً لا رَوِيّاً.

وغيرُ مماثِلٍ: وهو ما اتَّفَقتْ فيه آخِرُ لفظةٍ مِن الأُخرى فقط، واختَلَفَ ما عدا ذلك نحو:

فقَـدُّه غُصـنٌ مِـن فوقـهِ قَـمَرٌ ... وثَغْرُه دُرَرٌ قـد زانَـهُ شَـنَبُ[2]

الشاهد (قَمَر) و(دُرَر)، واختَلفَ ما عدا ذلك.

* * *

(١) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٠).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠١).

باب التَّصريع

وهو ضَرْبانِ: عَرُوضيٌّ وبَدِيعيٌّ:

فالعَروضيُّ: عبارةٌ عن استواءِ عَرُوضِ البيتِ وضَرْبِهِ وَزناً وإعراباً وتَقْفيَةً بشرطِ أنْ تكونَ العَروضُ قد غُيِّرت عن أصلِها لتَلْحَقَ الضَّرْبَ في زِنَتِهِ.

والبَدِيعيُّ كذلك، لكنْ بلا شرطٍ، وكثيراً ما يأتي في[1] أولِ القصائدِ، وقد يأتي في أولِ القصيدةِ مضمَّناً، ويأتي التَّصريعُ في أثنائِها، ولا يَحْسُنُ غالباً إلَّا عندَ استئنافِ معنًى غيرِ الأوَّلِ، كقولِ امرئ القيس:

أَلَا عِمْ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي ... وهل يَعِمَنْ مَن كانَ في العَصرِ الخالي[2]

وكقولِهِ:

أَلَا إنَّني بالٍ على جملٍ بالِ ... يقودُ بنا بالٍ ويَتْبَعُنا بالِ[3]

***

---

(١) «في» من (م).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص١٣٥).

(٣) البيت لامرئ القيس أيضاً. انظر: «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص١٥)، و«الصناعتين» للعسكري (ص٤٢٠)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٠٦).

باب التَّشريع

بالشِّينِ المعجَمةِ مِن شَرَعْتُ الخَيمةَ: إذا رَفَعْتَ أطنابَها ليَدْخُلَها الهواءُ، ويُسمَّى: ذا القافِيَتينِ، وسمَّاه ابنُ الأثيرِ بالتَّوشيحِ[1]، والتَّوشيحُ عندَ غيرِه هو الإرصادُ وسيأتي.

وهو: بناءُ البيتِ على قافيَتينِ يَصِحُّ المعنَى بالوَقْفِ على كلٍّ منهما، نحوَ:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّةِ إنَّها شَرَكُ الرَّدَى وقَرارةُ الأَكْدارِ
دارٌ متَى ما أَضْحَكتْ في يومِها أبكَتْ غداً، بُعْداً لها مِن دارِ[2]

فإنْ وَقَفْتَ على (الرَّدَى) فالبيتُ من الضَّربِ الثَّاني من الطَّويلِ، وإنْ وقَفْتَ على الأَكْدارِ فهو مِن الكامل.

ونحوَ:

مَن لي بظَبْيٍ أَغْيَدٍ في حُبِّه قد ضاعَ عَقْلي وَهْوَ مَعْ ذا هاجِري
ماذا عليهِ في الهَوَى لو أنَّه يأتي لوَصْلي في ظلامٍ عاكِرِ[3]

فهو مِن الكاملِ، فإذا أَسقَطْتَ من الأوَّلِ: (وهو مع ذا هاجِري)، ومن الثاني: (في ظلامٍ عاكِرِ) صار من الكاملِ المجزوءِ غيرِ المرفَّلِ.

ونحوَ:

يا مَن دموعُ عُيونهِ أودَتْ بهِ مِمَّا يَنُوحُ، على ثَرَى أحبابهِ
الصَّبرُ أجملُ في الهَوَى مِن أنْ يُرَى صبًّا يَبُوحُ بسرِّه ممَّا بهِ[4]

---

(١) انظر: «المثل السائر» (٢/ ٣٤٠).

(٢) البيتان للقاسم بن علي الحريري صاحب المقامات. انظر: «مقامات الحريري» (ص٢٢٣)، و«المثل السائر» (٢/ ٣٤١)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٦٦).

(٣) البيتان لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١١٣).

(٤) البيتان لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١١٣).

باب

الْتِزَام ما لا يَلْزَمُ

وهـو أنْ يَلْتزِمَ الناثِرُ أو الشَّـاعرُ قبـلَ الرَّوِيِّ ما لا يَلزَمُه مِـن حرفٍ مخصوصٍ، أو حركـةٍ مخصوصةٍ، نحـو: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ ونحـو: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، فمجـيءُ الهـاءِ فيهِمـا لُـزومُ مـا لا يَلْـزَمُ؛ لصحَّـةِ السَّـجْعِ بدونهـا، نحوَ: فـلا تَنْهَرْ ولا تَسْـخَر، ونحـو: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، ونحو:

الحـبُّ يُغْنيـكَ عـن كأسٍ طريقتُـه ... إذا تـأمَّلْـتَ فيـها إبْنـةَ العِنَـبِ

فـأَغْـيَدٌ ثَـغْـرُه الـوضَّـاحُ رِيـقـتُـه ... كالشَّهْدِ ممزوجـةً بالرَّاحِ والشَّـنَبِ(١)

الالتزامُ فيه مصرَّعٌ.

***

---

(١) البيتان لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٠٦). والشنب: رقة وبرد وعذوبة في الأسنان. انظر: «القاموس» (مادة: شنب).

باب الازدِواجِ

وهو أنْ يأتيَ المتكلِّمُ بكلماتٍ مزدوِجةٍ، وأكثرُ ما يَقَعُ في أسماء مُثنَّاةٍ نحوَ:

وكانَا جميعاً شريكَيْ عِنَانِ ... رَضِيعَيْ لَبانٍ خَلِيلَيْ صَفَاءِ[1]

ونحوَ:

خَوداً إذا أَقْبَلتْ للوَصْلِ وابتَسمتْ ... ولَّى الظَّلامُ وأبكَتْني مِن الفَرَحِ[2]

فالمزاوَجةُ بينَ (أقبَلَتْ) و(ابتَسمتْ)، و(ولَّى) و(أَبْكَتْ).

ومن الازدواجِ نوعٌ يؤتَى فيه بكلِمتينِ اتَّحدَتا لفظاً ومعنًى نحو:

أبدانُهنَّ وما لَبِسْـ ... ـنَ مِن الحريرِ معاً حَريرُ

أَرْدانُهنَّ وما مَسِسْـ ... ـنَ مِن العَبيرِ معاً عَبيرُ[3]

وليس بجناسٍ لاتِّفاق المعنَى، خلافاً للرُّمَّانيِّ حيث عَدَّ الازْدِواجَ تَجْنيساً، وذَكَر منه قولَه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤][4].

* * *

(١) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (٤/ ١٠)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٥٢).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٤٩).

(٣) البيتان لابن الرومي. انظر: «ديوانه» (٣/ ٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٥٢)، وفي رواية الديوان بعض اختلاف.

(٤) انظر: «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ص٩٩).

باب التَّسْميط

وهو جَعْلُ بعضِ مَقاطِعِ الأجزاءِ أو كلِّها في البيتِ على سَجعٍ يخالِفُ قافيةَ البيتِ، نحو:

هـمُ القـومُ إنْ قالوا أصابُـوا وإنْ دُعُوا أجابُـوا وإنْ أَعْطَوا أطابُـوا وأَجْزَلوا[1]

ومنه نوعٌ يسمَّى: تَسمِيطَ التَّقطيعِ، وهو جَعْلُ جميعِ أجزاءِ البيتِ على رَوِيٍّ مخالِفٍ لقافيَتِهِ نحوَ:

وأسـمـرَ مـثـمِـرٍ بـمُـزْهِـرٍ نَـضِـرِ مِن مُقْمِرٍ مُسْفِرٍ عن مَنْظَرٍ حَسَنِ[2]

* * *

(١) البيت لمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة الشيباني. انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٧٥٣)، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (١/ ٤٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٩٥).

(٢) البيت لابن أبي الإصبع. انظر: «تحرير التحبير» له (ص٢٩٦).

باب التَّطْريزِ

وهو ذكرُ جُملٍ من الذَّواتِ غيرِ مفصَّلةٍ، ثم يُخبرُ عنها بصفاتٍ مكرَّرةٍ بحسَبِ العدد، نحوَ:

كأنَّ الـكأسَ فـي يَدِهـا وفــيها ... عَقيقٌ فـي عَقيـقٍ فـي عَقيـقِ[1]

ونحوَ:

فثَوْبـي والــمُدامُ ولـونُ خَـدِّي ... شَـقيقٌ في شَـقيقٍ في شَـقيقِ[2]

ونحوَ:

أمورُكــمُ بنــي خـــاقانَ عـــنـــدِي ... عُجابٌ فــي عُجــابٍ فــي عُجــابِ

قُــرونٌ فـــي رُؤوسٍ فـــــي وجـــوهٍ ... صِـلَابٍ فـي صِـلَابٍ فـي صِـلَابِ[3]

* * *

---

(١) البيت لأبي هلال العسكري. انظر: «ديوان المعاني» له (١/ ٣٠٧). وعقبه بقوله: الكأس الحمراء مثل العقيق، واليد المخضوبة كالعقيق، والشفة مثل العقيق في لونها.

(٢) انظر: «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص١١٤). و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٥)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٠٥). وعزاه ابن حجة لابن المعتز، بينما قال ابن أبي الإصبع: وأنا أشك هل هو لأبي نواس أو ابن المعتز؟

(٣) البيتان لابن الرومي. انظر: «ديوانه» (١/ ٤١١)، و«البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٦٩)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٤).

باب التَّوشيع

وهو أنْ يُؤْتَى باسمٍ مثنًّى في حشوِ العَجُز، ثم يُفصَّلَ ويُجعلَ الأخيرُ القافيةَ، ومنه في الحديث: «يَشيبُ ابنُ آدمَ ويَشِبُّ معه خَصْلتانِ: الحرصُ وطولُ الأَمَل»[1]، ونحو:

قد خدَّدَ الدَّمعُ خدِّي مِن تذَكُّرِكُم ... واعْتادَني الـمُضْنِيانِ الوَجْدُ والكَمَدُ

ونامَ عن مُقْلتِي نومِي لغَيْبَتِكم ... وخانَني المُسْعِدانِ الصَّبرُ والجَلَدُ[2]

ومنهُ ما أَنْشدهُ الإمامُ ابنُ دَقيقِ العِيدِ:

أهلُ المناصِبِ في الدُّنيا ورِفْعَتِها ... أهلُ الفضائلِ مَرْذولونَ بيْنَهمُ

قد أَنْزلونا لأنَّا غيرُ جنسِهِمُ ... مَنازِلَ الوَحْشِ في الإهمالِ عندَهُم

فما لَهُمْ في تَوَقِّي ضَرِّنا نَظَرٌ ... ولا لَهُمْ في تَرَقِّي قَدْرِنا هِمَمُ

فلَيْتَنا لو قَدَرْنا أنْ نُعرِّفهُمْ ... مِقْدارَهُمْ عندَنا أو لو دَرَوهُ هُمُ

لهُمْ مُريحانِ مِن جَهْلٍ وفَرْطِ غِنًى ... وعندَنا الـمُتْعِبانِ العِلمُ والعَدَمُ[3]

الشاهِدُ في الأخيرِ.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (٢٤١٢)، من حديث أنس رضي الله عنه. ولفظه من «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٦)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٢).

(٢) البيتان دون نسبة في «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٦٥)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٦)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٢).

(٣) انظر الأبيات في «طبقات الشافعية» للسبكي (٩/ ٢١٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٣٦٧)، و«عقد الجمان» للعيني (ص٤٠٢).

وناقَضَه أبو الفتحِ البُسْتيُّ[١] بقوله:

إنَّ المراتِبَ في الدُّنيا ورِفْعَتِها ... عندَ الذي حازَ عِلْماً ليسَ عِندَهُم

لا شكَّ أنَّ لنا قَدْراً رَأَوْهُ وما ... لقَدْرِهم عندَنا قَدْرٌ ولا لهُمُ

همُ الوحوشُ ونحنُ الأُنْسُ شِيْمَتُنا ... نَقُودُهمْ حيثُ ما شِئْنا وهمْ نَعَمُ

وليسَ شيءٌ سِوَى الإهمالِ يَقْطعُنا ... عنهمْ فإنَّهمْ وجدانُهم عَدَمُ

لنا المُريحانِ مِن علمٍ ومِن عَدَمٍ ... وفيهمُ المتعِبانِ الجهْلُ والحَشَمُ[٢]

وقد صَدَقَ واللهِ وأجادَ وأَحْسَنَ.

* * *

(١) كذا قال، وهو وهم ظاهر، والصواب: الفتح البققي كما في المصادر السابقة، وهو أحمد بن مُحَمَّد البققي المصْرِيّ فتح الدِّين، مهر فِي كل فن وَقطع الْخُصُوم فِي المناظرة وفَاق الأقران في المحاضرة، لكن بدت مِنْهُ أُمُور تنبئ بِأَنَّهُ مستهزئ بِأُمُور الدّيانَة، فحكم عليه بالقتل، وكان معاصراً لابن دقيق العيد. ترجمته من «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٣٦٦).

(٢) انظر الأبيات في «طبقات الشافعية» للسبكي (٩/ ٢١٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٣٦٧)، و«عقد الجمان» للعيني (ص٤٠٢).

باب التَّوشيح

ويسمَّى: الإرصادَ، والتَّسهِيمَ، وهو أنْ يكونَ فيما تقدَّمَ مِن البيتِ ونحوِه دليلٌ على آخِرِه، فكأنَّه أَرْصَدَ الكلامَ لمعرفةِ آخِرِه، وهو قسمانِ: ما دلالتُه لفظيَّةٌ، وما دلالتُه معنويَّةٌ.

فاللفظيَّةُ نحوُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقولُه: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤].

ونحوُ:

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تَسْتَطِيعُ(١)

ونحوُ:

لقد صادَ الأسودَ غزالُ حِقْفٍ ... ألَا فاعْجَبْ لِمَا صَنَعَ الغَزالُ(٢)

والمعنويَّةُ نحوُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ الآيةَ [آل عمران: ٣٣]، فقولُه: ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ دلَّ على أنَّ الفاصلةَ: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالمعنى لا اللَّفظِ، لأنه يُعْلَم من جهةِ المعنى أنَّ مِن لوازِمِ اصطِفاءِ شيءٍ كونَه مختاراً على جِنْسِه، وجنسُ هؤلاء: العالمين(٣).

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: «الأصمعيات» (ص١٧٥)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٦٢)، و«قواعد الشعر» لثعلب (ص٧٥)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣١٣).

(٢) البيت لابن قرقماس في «زهر الربيع في شواهد البديع» (ص١٤٠).

(٣) «العالمين» كذا في النسختين، ويحمل على الحكاية، وإلا فالصواب: (العالمون).

ونحو:

أتُنْكِرُ سُقْمي في هَوَاها وحُبُّها ... له مِن دَمِي واللَّحمِ شِرْبٌ ومَأْكَلُ

فإذا سَمِعْتَ السُّقْمَ وهو انتهاكُ الجسدِ، وسَمعْتَ ما بَعْدَه من (دمي واللحم) علِمتَ أنَّ القافيةَ (شِرْبٌ ومأكَلٌ).

وأَنشد بعضُهم عندَ ابنِ عبَّاسٍ:

تَشُطُّ غداً دارُ جِيرانِنَا

فقال ابن عباس:

ولَلدَّارُ بعدَ غدٍ أبعَدُ[1]

فقال: هكذا واللهِ قُلْتُ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: وهكذا يكونُ.

وربَّما الْتبَسَ التَّوشيحُ بالتَّصديرِ، والفرقُ بينَهُما: أنَّ دلالةَ التَّصديرِ لا تكونُ إلَّا لَفْظيَّةً.

* * *

(١) رواه بأسانيد منقطعة البلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٤٧)، وابن طيفور في «كتاب بغداد» (ص١٥٦)، والطبري في «التاريخ» (٥/ ٢٠١)، والشاعر هو عمر بن أبي ربيعة.

باب الاحتِباكِ

وهـو أنْ يُحْـذَفَ مِـن الأوَّلِ مـا أُثبِـتَ نَظيـرُه فـي الثَّانـي ومِـن الثَّاني مـا أُثْبِت نظيرُه فـي الأوَّل:

كقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] حُذفَ: (عليهِم) لإثباتِ نظيرِه وهو: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾، وحُذفَ: (لهم) لإثباتِ نظيرِه وهو: ﴿لهنَّ﴾.

وقولـهِ: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] حُـذِفَ مِـن الأولِ: (مُؤْمِنـةٌ) نظيـرَ: ﴿كَافِرَةٌ﴾ في الثَّاني، ومِـن الثَّاني: (تُقاتِلُ في سـبيلِ الشَّـيطانِ) نظيـرَ: (في سـبيل الله).

ونحو:

وإنِّـي لـتَـعْـرُونـي لـذِكْـراكِ هـزَّةٌ كما انْتَفَـضَ العُصفـورُ بلَّلَـهُ القَطْـرُ[1]

حُذِفَ مِن الأوَّلِ: (انتِفاضة) ومن الثاني: (هزَّةٌ).

* * *

(١) البيت لأبي صخر الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ٩٥)، و«الأغاني» (٥/ ٢٠٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٢٣٦).

بابُ الاكتِفاءِ

عرَّفه ابنُ رُشَيقٍ: هو أنْ يَدُلَّ موجودُ الكلامِ على مَحذوفهِ(١).

أو: هو ما دُلَّ عليه بدِلالةٍ لفظيَّة.

وهو نوعٌ من الإيجاز، لكنَّه أخصُّ منه؛ إذ الإيجازُ ما دُلَّ عليه بدِلالةٍ إمَّا لفظيَّةٍ، نحوَ: ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: ٧٩] أي: صالحةٍ، بدليلِ: ﴿أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وأنَّه قُرِئ كذلك(٢)، أو عقليَّةٍ نحوَ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلَها؛ لامْتِناعِ تَوجُّهِ السُّؤالِ لها عقلاً، فكلُّ اكتفاءٍ إيجازٌ ولا عكْسَ.

وقيل: إنَّهما متَّحِدان، وعلى تَسْليمِه فالإيجازُ من مباحِثِ عِلْمِ المعاني، والاكتِفاءُ مِن مَقولاتِ فنِّ البَديع، ولا يُعترَضُ على أهلِ فنٍّ باصطِلاحِ غيرِهم.

فمِن الاكتفاءِ:

قولُه تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: والبَرْدَ، حَذَفه اكتفاءً.

وقولُه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]؛ أي: لكان هذا القرآنَ.

وقولُـه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]؛ أي: أعرَضوا.

وقوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦]؛ أي: فأرسِلوني إلى يوسفَ لأستَعْبِرَه الرُّؤيا، فأرسَلوه فأتاهُ فقال: ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾.

---

(١) انظر: «العمدة في محاسن الشعر» لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (١/ ٢٥١)، ولفظه: يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب.

(٢) نسبت لعثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٥).

وحديث البخاري عن نافع عن ابن عمر ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال: يأتِيْها في.. [١].

قال الزَّرْكشيُّ: كذا الرِّوايةُ، وكأنَّه أسقطَ الباقيَ ـ وهو الدُّبرُ ـ لاستنكارِه[٢].

ومن الغريبِ أنَّ علماءَ البَديعِ مَثَّلوا للاكتفاءِ الذي هو مِن محاسِنِ الكلامِ بما مَنَع بعضَه جماهيرُ النُّحاةِ كحَذْفِ الفاعلِ في قولِه:

فقلتُ لهم لو كُنْتُ أَضْمَرْتُ تَوبةً وعايَنْتُ هذا في المَنامِ بَدَا لي[٣]

أي: نَقْضُها.

وحذفِ المجرورِ في قولِهِ:

إنْ غابَ عن إنسانِ عَيْنِي فَهْوَ في[٤]

أي: في قَلْبي، وقولِهِ:

أَذْكُرُ ثغراً لها فأَسْكَرُ مِن وَرْدِ خدَّيْها فأَرْتَعُ في[٥]

أي: (مِن خمر) (في روضٍ).

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٧).

(٢) انظر: «التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح» لمحمد بن بهادر الزركشي (٢/ ٩٠١).

(٣) البيت لمحمد ابن الحسين الكاتب المعروف بـ: كشاجم؛ كما في «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (١/ ٧٨)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٣٥)، والكلام منه.

(٤) عجز بيت لابن الفارض؛ كما في «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٨٤)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٣٥)، والكلام منه، وصدره:

ما للنوَى ذنبٌ ومَن أهوَى معي

(٥) البيت لجمال الدين بن نباتة المصري. انظر: «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٨٤)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٣٥).

وحذفِ الصِّلةِ في قولِه:

وانْفَـعْ صَديقَـكَ إنْ صَدَقْـتَ وِدَادَه ... وادْفَـعْ عَـدوَّكَ بالَّتـي فـإذا الَّـذي[1]

وحَذْفِ مجزومِ (لم) في قولِه:

أنَـا مـحـبُّــكَ حــقًّـــا ... إنْ كُنْـتَ فـي القـومِ أوْ لَـمْ[2]

والجوابُ: أنَّ ذلكَ لا يُخْرِجُه عن كونِهِ بديعاً وأنَّه من المحسِّنات، لكنْ لا يُوصَلُ إليه إلا بارتكابِ ذلك المحظورِ عندَ النُّحاةِ دونَ أهلِ البديعِ؛ لأنَّ البَديعيَّ إنَّما يَبْحَثُ عن وجوهِ تحسينِ الكلامِ بعدَ رعايةِ مطابَقتِه لمقتَضى الحالِ كما مَرَّ.

وقد أُوْلِعَ المتأخِّرونَ بهذا النَّوعِ، وخَلَطوهُ بالتَّوْريةِ، فحَسُنَ في الذَّوق، ولَطُفَ في السَّمْع، وبالَغوا حتَّى حذَفوا بعضَ الكلمة نحوَ:

يـا مُتْهمـي بالسُّـقْمِ كُـنْ مُنْجِـدِي ... ولا تُطِـلْ رَفْضِـي فإنِّـي عَلِـي (ل)

أنـتَ خَـلِـيلــي فـبِـحَــقِّ الــهَوَى ... كُنْ لشُـجوني راحمـاً يا خَلِـي[3] (ل)

---

(١) البيت لبرهان الدين القيراطي. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٣٦).

(٢) البيت لصلاح الدين الصفدي. انظر: «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٥٩)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٦٢).

(٣) البيتـان لصـدر الديـن علي بـن الآدمي. انظـر: «خزانـة الأدب» لابن حجـة (١/ ٢٩٠)، و«الشـفاء فـي بديـع الاكتفـاء» للنواجـي (ص٩٦). قـال ابـن حجـة مقدمـاً لهذيـن البيتيـن: (وأنشـدني مـن لفظـه لنفسـه قاضـي القضـاة صدر الديـن بن الآدمـي الحنفـي، وأنا بين يديه بدمشـق المحروسـة، ورياحيـن الشـبيبة غضـة، بيتيـن فيهما الاكتفـاء بالبعـض والتورية فـي القافيتين، مع عـدم الخروج عـن الـوزن فـي البيتيـن إذا قصد شـق التوريـة الثانـي، وهذا البـاب عزيز الوقـوع جدًّا، وسـبكه في هـذا القالـب مـن غيـر تمويـه ينطلي علـى الحاذق فـي صناعـة الـكلام، هذا مـع الاتفـاق البديعي وحسـن المطابقـة، ولـم أذكـر الاتفـاق إلا أن الذي كتب إليـه القاضي صـدر الدين البيتين مشـهورٌ =

ونحوَ:

مَـن عـاذِرِي فـي عـاذِلٍ يَـلُومُ فـي حُـبِّ رَشَـا
إذا طـلـبـت وصـلـه قالوا كفى بالدمع شا[1](غِل أو شاهِد)

ونحوَ:

أقولُ وقـد جـاءَ الـغـلامُ بـصَحْنِه عَقِيبَ طعامِ الفِطْرِ يا غايةَ المُنَى
بعَيْشِكَ حـدِّثْـني بـصَـحْنِ قَـطَـايِـفٍ وبُحْ باسْمِ مَن تَهْوَى ودَعْني مِن الكُنَا[2]

ونحو:

نـواعيـرُ نَـعَـتْ لي رَشَـأً للقَلْـبِ راعِـي
فـهامَ القلبُ مِنِّـي على حُسْـنِ النَّوَاعِيـر[3]

ونحو:

طِيْـبُ نَشْـرٍ قـد أَتَانَـا مـنـكُـمُ يـا لَقَومـي إنَّ هـذا النَّشْـرَ طَـيّ
قـرُبَـتْ نَـحْـوِي، وقالَـتْ: يـا تُرَى أنـتَ حـيٌّ فـي هَوَانـا قُلْتُ مَيْت[4]

= بالحسن والأدب وصحبةِ المشار إليه، وهو غرس الدين خليل بن بشارة).
قلت: وفيه أن اسم القائل علي، واسم المخاطب خليل، ففي القافيتين تورية بالاسمين.

(١) البيتان لأبي الفتح قابوس بن وشكمير. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٣٩ و٨٥).
وقوله بعده: (غل أو شاهد) لبيان مكان التورية، وأن المراد: (كفى بالدمع شاهداً) أو: (شاغلاً).

(٢) البيتان لجمال الدين بن نباتة المصري. انظر: «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٦٣)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٨٧). والمراد ـ بالنظر إلى ذكر القطايف ـ: ودعني من الكنافة، ودون تورية بالنظر إلى قوله: (وبح باسم..).

(٣) البيتان لأبي الفضل بن أبي الوفا. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٩٢).

(٤) البيتان لشهاب الدين الحلبي. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٩٣). وأنشد قبلهما =

ومنه(١):

عَــن دَمِــي خَــدُّكَ هــذا الـعَنْدَمِي　　سَــلْهُ واحْكُــمْ بينَنــا يــا مؤتَمَــنْ

قــال مــا هــذا دَمِــي قلــتُ فما　　قــال هــذا صــبغةُ اللهِ ومَــن(٢)

ونحوُ:

يــا ذَوَاتِ الخــالِ قَلْبــي مُفْتَتَــنْ　　آهِ مِــن خــالٍ بقَلْبــي قــد سَــكَنْ

جــاءَ كـالسائــلِ دَمْعِــي وإذا　　صَــدَقَ الســائلُ لا أَفْلَــحَ مَــنْ(٣)

ونحوُ:

لا تَـحْـمِلَــن إهــانةً　　مِن صاحِــبٍ وإنْ عَــلَا

فمَــن أَتَــى فـمَـرْحبـاً　　ومَــن تَوَلَّــى فإلــى(٤)

ونحوُ:

وأَعْجَـبُ مـا أُحَـدِّثُ عنـه أَنِّي　　فُـتِـنْـتُ بـه ولا يَـدْرِي بأنِّـي(٥)

= لصدر الدين علي بن الآدمي بيتان ثانيهما كثاني هذين، وأولهما ـ وبه تظهر التورية في الثاني ـ:

يـومَ توديعي لأحـبـابـي غــدا　　ذِكْرُ مَـيٍّ شـاغِلٌ عـن كلِّ شَـيْ

قربــت　نحــوي............　　..............................

(١) أي: ومن الاكتفاء.

(٢) انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٧٠)، وفيه: (قال ما هذا دمٌ...). والشاهد في آخر البيت الثاني، والمراد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

(٣) انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٧٠). والتورية بالحديث المنسوب للنبي ﷺ: «لو صدق السائل ما أفلح من رده». وهو حديث لا أصل له. انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص٧٥)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٥/ ٢٩٧). وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله.

(٤) البيتان لابن الوردي. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٧٣).

(٥) البيت لجمال الدين بن مطروح. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٧١)، وذكر قبله: =

ونحوُ:

وجـهٌ يفـوقُ الهـلالَ حُسْناً ... ويُـخْجِلُ البَـدْرَ إنْ تَجَلَّـى

يقـولُ فـي الحـالِ مَـن يَراهُ ... أشـهـدُ أنْ لا إلـهَ إلَّا[1]

ونحو:

يا جاهـلاً عـابَ شِعْرِي ... فـكَـدَّ قلـبِـي وآلَمْ

علـيَّ نَحْـتُ القَـوافي ... ومـا علـيَّ إذا لَـمْ[2]

ونحو:

أمَا الغُصْنُ من ماءِ الشَّبيبةِ مُرْتَوٍ ... فيا خَصْرَهُ الممشوقَ لِـمْ تَشْتَكِي الظَّمَا

حمَى ثغـرَه عنِّي بـصارِمِ لَـحْظِـه ... فلو رُمْـتُ تَقبيـلاً لـذاكَ اللَّمَى لَـمَا[3]

وأشعارُهم في ذلكَ كثيرةٌ، وفيما ذَكَرْنا كفايةٌ وتَمْرينٌ.

* * *

= فلـو أضحى علـى تَلَفـي مصرًّا ... لـقـلـتُ معـذِّبـي بـالله زِدْني

ولا تَسمحْ بوصلِـك لي فـإنـي ... أغـارُ عـليكَ منكَ فكيف منِّي

(١) البيتـان لسـراج الديـن الـوراق. انظر: «الشـفاء فـي بديـع الاكتفـاء» للنواجـي (ص٥٤). والمقدر لفـظ الجلالة.

(٢) البيتـان لأبـي الحسـن النحـوي، ولعلـه: أبـو الحسـن علـي بـن الحسـن بـن علـي بن أبـي الطيب الباخَـرْزي مصنـف كتـاب «دمية القصر وعصـرة أهل العصـر». انظر: «الشـفاء في بديـع الاكتفاء» للنواجـي (ص٥٧). والتوريـة فيـه ببيـت المتنبي:

عليّ نحْتُ القوافي من مقاطِعها ... ومـا عـلـيّ إذا لـم تفهم البقرُ

(٣) البيتان للشيخ سعد الدين محمد بن عربي. انظر: «الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٥٤).

باب التضمين

وهو عندَ النَّحْويِّين: إعطاءُ فعلٍ معنَى فعلٍ آخَرَ، نحوَ: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨]؛ أي: خسرت، ولهذا انْتَصَبَ المفعولُ به.

وعند أهلِ العَروضِ: أنْ يكونَ معنَى البيتِ متوقِّفاً على الذي بعدَه، وهو مِن عيوبِ القافيةِ، نحوَ:

وهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ على تميمٍ ... وهُمْ أصحابُ يومِ عُكاظَ إنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صادِقاتٍ ... شَهِدْنَ لَهُمْ بصِدْقِ الوُدِّ مِنِّي (١)

وعند أهلِ البديع: أنْ يضمِّنَ كلامَه شيئاً من كلامِ غيرِه، فإنْ كان التضمينُ بيتاً أو أكثرَ فاستعانةٌ؛ لأنَّه استعانَ به، كقولي من قصيدةٍ:

تأخَّرَ لا ذَنْباً جَنَاهُ ولا أَتَى ... وحُقَّ لهُ أنْ يَنْشُدَ الآنَ مَعْلَما

(كأنِّيَ مِن أخبارِ إنَّ ولمْ يُجِزْ ... لهُ أحدٌ في النَّحوِ أنْ يَتقدَّمَا) (٢)

وإنْ كان التَّضمينُ نصفَ بيتٍ فأَقَلَّ فإيداعٌ ورَفْوٌ؛ لأنَّه أَوْدَعَ شعرَه كلاماً آخَرَ ورَفَاهُ بِهِ، ولا بدَّ من التَّنبيهِ على أنَّه ليس مِن شعرِهِ، إلَّا أن يكونَ مشهوراً عندَ أهلِ هذا الشأنِ كقَوْلي من قصيدةٍ:

---

(١) البيتان للنابغة الذبياني. انظر: «سر الفصاحة» لأبي محمد الخفاجي (ص١٨٧)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٣٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣١١)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٤٨).

(٢) ضمن المؤلف شعره البيت الثاني، وهو للشيخ شرف الدين بن عنين يشكو تأخره. انظر: «شرح قطر الندى» لابن هشام (ص١٦٢)، و«شرح شذور الذهب» له (ص٢٦٣).

فمالَتْ وقد قالَتْ مع الغَيِّ والصِّبا (هَوَى كلُّ نَفْسٍ أينَ حَلَّ حَبيبُها)[١]

وقولي:

وفي مَذْهَبي أنْ ليسَ في الحُسْنِ مِثْلُه وأنِّي لهُ في مَذْهَبِ الحبِّ ذاهبُ

فتَقْليدُه حُبِّي وعِشْقِيهُ مَذْهَبي (وللنَّاسِ فيما يَعشَقون مَذاهِبُ)

وإنْ كانَ من القرآنِ أو الحديثِ أو غيرِهما فاقتِباسٌ، بشرطِ قَطْعِ النَّظرِ عن كونِهِ بلفظِ المقتبَسِ منه، فلا يَضِيرُ تغييرُ ألفاظِ القرآنِ أو نقلُها من معنًى آخَرَ في الاقتِباسِ نحو:

قد كان ما خِفْتُ أنْ يَكُونا إنَّا إلى اللهِ راجِعُونا[٢]

ونحو:

حَسَناتُ الخدِّ منهُ قد أطالَتْ حَسَراتي

كلَّما ساءَ فِعَالاً قلتُ إنَّ الحَسَناتِ[٣]

ونحو:

قال لي إنَّ رَقِيبي سيِّئُ الخُلْقِ فدَارِهْ

---

(١) ضمن المؤلف شعره الشطر الثاني، وهو مشهور نسب لأكثر من شاعر. انظر: «الأمالي» للقالي (٣/ ٩٤)، و«الأغاني» للأصفهاني (٢/ ٧٨) و(١٨/ ٥٨)، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص٩)، و«درة الغواص» للحريري (ص٤٨)، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (٦/ ١٨٧). وغيرها.

(٢) البيت دون نسبة في «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» للسبكي (٢/ ٣٣٤).

(٣) البيت لبرهان الدين القيراطي. انظر: «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٨٧ و٤٧٤)، و«الشفاء في بديع الاكتفاء» للنواجي (ص٧٩).

قلتُ دَعْني وَجْهُكَ الجنْـ ـنَةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ[(١)]

ونحو:

بِرُوحِيَ أَفْدِي كالغزالِ محدِّثاً إلى حُسْنِهِ لَحْظِي لعَمْرُكَ مُرْسَلُ
وصَبْرِي عليهِ ذابِلٌ مِثْلَ طَرْفِهِ ونَوْمِيَ مرفوعٌ ودَمْعِيْ مُسَلْسَلُ[(٢)]

وإنْ جُعِلَ معنَى الشِّعرِ نَثْراً فهو الحَلُّ؛ لأنَّه حُلَّ معناهُ نَثْراً بعد أنْ كانَ نَظْماً.

وإنْ كان فيه إشارةٌ إلى قصةٍ، أو شعرٍ مشهورٍ، أو مَثَلٍ سائرٍ فتَلْميحٌ ـ بتقديمِ اللَّامِ على الميمِ ـ، أو تمليحٌ بتقديمِ الميم.

ورُدَّ بأنَّ التَّلْميحَ: الإتيانُ بالشيءِ المليحِ كالتَّشبيهِ والاستِعارة، نحو:

فواللهِ ما أَدْرِي أأَحْلامُ نائمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كانَ في الرَّكْبِ يُوشَعُ[(٣)]

إشارةً إلى قصةِ يُوشَعَ عليه السَّلامُ ووقوفِ الشَّمسِ له.

وكقَوْلي:

يَرُومُ العاذِلونَ سُلُوَّ شَمسٍ نَأَتْ عَمْداً وقد زادَ الوِدَادُ
أَيُمكِنُ في الغَرامِ سُلُوُّ صَبٍّ يَحِلُّ لِسَمْعِهِ بانَتْ سُعادُ

ونحو:

رُحْتُ أَبْكِي بِرَبْعِ مَيَّةَ صَخْراً لَمْ يُجِبْني كأنَّني الخَنْساءُ[(٤)]

---

(١) البيتان للصاحب بن عباد. انظر: «ديوانه» (ص٢٣٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٤٥٧).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١١٨).

(٣) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (٢/ ٣٢٠)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٤١٤).

(٤) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٢٣).

إشارةً إلى الخنساءِ التي ضُرِبَ بها المثَلُ لكثرةِ مَرَاثيها في أَخيها صَخرٍ.

وإنْ كانَ فيهِ التَّنبيهُ على ما أخذْتَه منه مِن قرآنٍ أو حديثٍ أو مَثَلٍ بنحوِ (قال) أو (يقول) ـ ما لم يَشْتَهِرْ ـ فهو العَقْدُ نحوَ:

لقـد قـال ربُّـكَ فـي ذِكْـرِه ولا تَبْخَسـوا النَّـاسَ أشـياءَهُمْ[1]

ونحو:

فلَقَـدْ يَقـولُ المصْطَفَـى خيـرُ الوَرَى الـعُـسْرُ شُـؤْمٌ والسَّـماحُ رَبَـاحُ[2]

وكقوله:

يـا أيُّهـا الشَّـيخُ الأَسَنّ وطـالبـاً عِـلْمَ السُّـنَنْ

هـلَّا اشـتَغَلْتَ فـي الصِّبا الصَّيـفَ ضَيَّعْـتِ اللَّبَـنْ[3]

* * *

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٢١).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٢١).

(٣) (الصيفَ ضيعتِ اللبن) مثل مشهور التاء فيه مكسورةٌ سواء خوطب بها المذكر أو المؤنث أو الاثنان والجميع، وهي مكسورة التاء لأن أصل المثل خوطبت به امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهته لكبر سنه فطلقها، فتزوجها رجل مملق فبعثت إلى زوجها الأول تستميحه فقال لها هذا، فجرى المثل على الأصل. انظر: «إصلاح المنطق» (ص٢٨٨).

باب

حسنُ الابتداءِ والختامِ والمَخْلَص

ينبغي للمتكلِّم التأنُّقُ ـ أي: المبالغةُ في الحُسْنِ ـ في ثلاثةِ مواضعَ:

أحدُها: الابتداءُ، لأنَّه أوَّلُ ما يَقْرَعُ السَّمْعَ، فيأتي فيهِ بما يُناسِبُ المقامَ، ويسمَّى: براعةَ الاستِهْلال، كقولهِ في التَّهنِئة:

بُشْرَى فقد أَنْجزَ الإقبالُ ما وَعَدا   وكوكَبُ السَّعْدِ في أُفْقِ العُلَا صَعدَا[١]

وقولهِ في دارٍ:

قَصْرٌ عليهِ تحيَّةٌ وسلامُ   خَلَعَتْ عليهِ جمالَها الأيَّامُ[٢]

وقولهِ في المَراثي:

عِشْ ما تشاءُ فإنَّ آخِرَه الفَنَا   والموتُ ما لا بدَّ عنه ولا غِنَى[٣]

ونحو:

هل إلى أنْ تنامَ عَيْنِي سَبيلُ   إنَّ عَهْدِي بالنَّومِ عَهْدٌ طَوِيلُ[٤]

---

(١) البيت لأبي محمد الخازن كما في «المنتحل» للثعالبي (ص٤١)، وذكره ابن حجة في «خزانة الأدب» (١/ ٣٥)، وفيه: أبو بكر ابن الخازن.

(٢) البيت للأشجع السلمي. انظر: «الأوراق» للصولي (١/ ٧٦ ـ ٧٧)، و«الصناعتين» للعسكري (ص١٧١ و٤٣٣) و«المثل السائر» (٢/ ٢٢٧).

(٣) البيت للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل الحنبلي يرثي شيخ الإسلام ابن تيمية في قصيدة عدتها ثمانية وأربعون بيتا. انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص٤٧٨).

(٤) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٦٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٢).

ونحو:

لَـمَسْتُ بكفِّـيْ كَفَّـهُ أَبْتَغِـي الغِـنَـى ... ولـم أَدْرِ أنَّ الجُـودَ مِـن كَفِّـهِ يُعْـدِي

فـلا أنـا منـهُ مـا اسـتفادَ ذَوُو الغِـنَـى ... أَفَدْتُ وأَعْدانـي فأَتْلَفْـتُ مـا عِنْدِي[1]

وإذا نَظَرْتَ إلى فواتِحِ السُّورِ رأيتَها على أَحْسنِ أسلوبٍ من البلاغةِ والتَّفنُّنِ في الفصاحة.

ثانيها: الـمَخْلَصُ، وهو أنْ يتخلَّصَ النَّاظِمُ أو النَّاثرُ من معنًى إلى آخَرَ بأَلْطفِ عبارةٍ؛ كأنْ يَتخلَّصَ مِن غَزَلٍ، أو فخرٍ، أو وصفِ رَوْضٍ، أو طَلَلٍ بالٍ، أو رَبْعٍ خالٍ: إلى مَدْحٍ، أو هَجْوٍ، أو وصفِ حربٍ، أو غيرِ ذلك، وهو مِن أجلِّ المحاسِنِ، ودليلٌ على رسوخِ القَدَمِ في البَلَاغة، وقد اعْتَنَى به المتأخِّرونَ دون العَربِ، لا لعَجْزِهم، بل كانوا يُؤْثِرون عَدَمَ التكلُّف، ولا يَرْتكِبون مِن فنونِ البَديعِ إلَّا ما خَلَا عن التعسُّفِ، وإلا فهُمْ أهلُ هذا الشَّأنِ، والسَّابِقون بالمعاني الحِسَان؛ نحوَ:

أَجِـدَّكِ مـا تَدْرِيـنَ أنْ رُبَّ ليلـةٍ ... كأنَّ دُجَاهـا مِـن قُرونِـكِ يُنْشَـرُ

سَـرَيْتُ بهـا حتَّـى تجلَّـتْ بـغُرَّةٍ ... كغُرَّةِ يَحْيَـى حيـنَ يُذْكَـرُ جعفَـرُ[2]

فانْظُرْ إلى هذا الـمَخْلَص السَّهلِ الذي لا يَشعُرُ سامِعُه إلَّا وقد وَقَعَ في المعنَى الثَّاني، مع سهولةِ الألفاظِ، وكقولِه في مَدْحِ منصورٍ:

لَـمَّا رأَتْ أَدمُعـي جـادَتْ سـحائِبُه ... ودُرُّه لـنِـظَـامِ العِـقْـدِ مَـنْـثورُ

---

(١) البيت لابن الخياط المدني في الخليفة المهدي. انظر: «الصناعتين» (ص٢٠٠)، و«أمالي المرتضى» (١/ ٥٢٢)، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» لأبي الحسن الجرجاني (ص٢٢٣).

(٢) البيتان لصريع الغواني مسلم بن الوليد. انظر: «الصناعتين» (ص٣٩٩)، و«زهر الآداب» (٢/ ١٦)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٦٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٣٥).

قالـتْ فدَيْتُـكَ كَـمْ جُـودٌ فقُلْـتُ لها   مَـقـالـةً مـا بـهـا مَيْـنٌ ولا زُورُ
إنَّ البخيـلَ لمخـذولٌ وإنْ كَـثُرتْ   أنصارُه وحَلِيفُ الجُـودِ منصـورُ(١)

ثالثُها: الختامُ، وهو أنْ يأتي في كلامِه بأحسنِ خاتمةٍ، فإنَّها آخِرُ ما يَبْقَى من الأسماعِ، وربَّما حُفِظتْ دون سائرِ الكلام، وربَّما جَبرتْ ما سَبقَ من التَّقصيرِ وإلَّا كان بالعكْسِ، وربَّما أَنْسَى المحاسِنَ كقولِ بعضِهم في آخِرِ كتابِ وصيَّةٍ على أيتامٍ ماتَ والدُهم: لا زالَ مولانا عاقِلَةَ الدَّهرِ إنْ جُنيَ على أوليائِهِ ودَاهُم، ولا عَدِمُوه مُنْعِماً إنْ سألوهُ أعطاهُم، وإنْ لم يَسألوهُ بَدَاهُم.

وكقولِ أبي نواس في خصيبٍ عاملِ مصرَ:

أنـتَ الخَصِيـبُ وهـذهِ مِصْرُ   فـتَـدفَّـقَـا فــكِلَاكُما بَحـرُ
لا تَقْعُـدا بـي عـن مَـدَى أَمَلي   شيئـاً فـمـا لَكُمـا بـه عُـذْرُ
ويَحِـقُّ لـي إذْ صِـرْتُ بينكمـا   ألَّا يَـحِـلَّ بـسـاحَتي فَقْـرُ(٢)

وقولِهِ فيه أيضاً:

وإنِّـي جَديـرٌ إذ بَلَغْتُـكَ بالمُنَى   وأنـتَ بمـا أَمَّلْـتُ مِنـكَ جَدِيـرُ
فـإنْ تُوْلِني منكَ الجميلَ فأهلُه   وإلَّا فـإنِّـي عـاذرٌ وشـكـورُ

وكقولِ أبي تمامٍ في فتحِ عَمُّوريَّةَ:

إنْ كان بيـنَ ليالـي الدَّهـرِ مِـن رَحِمٍ   مـوصـولـةٍ وذمـامٍ غيـرِ مُنْقَضِـبِ
فبَيـنَ أيامِـكَ اللَّاتـي نُصِـرْتَ بهـا   وبيـنَ أيـامِ بـدرٍ أَقـربُ النَّسَـبِ(٣)

---

(١) الأبيات لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١١٠).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٦١٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٥٠٢).

(٣) انظر: «ديوان أبي تمام» (١/ ٧٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٦١٨).

وكقولِ المتنبِّي لسيفِ الدَّولةِ وقد ذَكَر الخيلَ:

فـلا هَجَمْـتَ بهـا إلَّا علـى ظَفَـرٍ ولا وَصَلْـتَ بهـا إلَّا إلـى أَمَـلِ[١]

وقولِهِ:

فـلا حَطَّـتْ لـكَ الهيجـاءُ سَـرْجاً ولا ذاقَـتْ لَـكَ الدُّنيـا فِرَاقـا(٢)

وقولِهِ:

أَخَـذْتَ علـى الأرواحِ كـلَّ ثـنيَّـةٍ مـن العيـشِ تُعطِـي مَن تَشـاءُ وتَحْرِمُ

فـلا مـوتَ إلا مِـن سِـنَانِكَ يُتَّقـى ولا رزقَ إلا مِـن يمينِـكَ يُقْسَـمُ[٣]

وجميعُ خواتِمِ السُّورِ في غايةِ الحُسْنِ ونهايةِ الكمالِ لمَن تَدَبَّر.

* * *

---

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٦٢٠).

(٢) البيت للمتنبي أيضاً. انظر: «شرح معاني شعر المتنبي» لابن الإقليلي (١/ ٢٨٢)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٦١٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٥٠٢).

(٣) البيت للمتنبي أيضاً. انظر: «شرح معاني شعر المتنبي» لابن الإقليلي (١/ ٣٢٥)، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للجرجاني (ص٣١٩)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٦٢٠).

الفنُّ الثَّاني

في البَدِيعِ المعنويِّ

وهو ما يَرجِعُ إلى تحسينِ المعنى أوَّلاً وبالذَّات، وإنْ كان فيه ما يُفيدُ تحسينَ اللَّفظِ أيضاً كما أنَّ اللفظيَّ كذلك.

بابُ المطابَقةِ

وتسمَّى: الطِّباقَ، والتَّطبيقَ، والمقاسَمةَ، والتَّكافؤَ، والتَّضادَّ: وهي الجمعُ بين الشيءِ وضدِّه ـ كالليلِ والنهار، والسواد والبياض ـ في اسمينِ نحوَ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، أو فِعْلينِ نحو: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أو مختلفَين نحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أو حرفين نحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهي المطابقة الخفية، فإنَّ (لها) يقتضِي أن يكون مِلكاً تحتَ اليدِ، و(عليها) يقتضي العلوَّ، فكسبُها تحتَ يدِها، وما جَنَتْه عليها.

والطِّباقُ المعنويُّ كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ لأن القصاص الموت، فكأنه قال: الموتُ حياةٌ، فهو طباقٌ معنويٌّ، وكذلك نحوُ: بَدْرٌ وبَحْرٌ؛ لكونِ البَدْرِ يُفهَمُ منه العلوُّ، والبحرِ يُفهَمُ منه السُّفلُ، ونحوُه:

أَغْـرَقَ الدَّمـعُ مُقلَـةً أَدْخـلَـتْـنـي ... نارَ وَجْـدٍ مِـن الجَـوَى ذاتَ وَقْـدِ[1]

فإنَّ (أَغْرَقَ) ليس ضدًّا لـ(أَدْخَلَ) إلَّا باعتبارِ متعلَّقِه وهو النارُ؛ لأنَّ مَن دخَلَها احْترَقَ، والاحتِراقُ ضدُّ الغَرَقِ.

وإيهامُ المطابَقةِ: وهو ما تقابَلَ فيه اللَّفظُ دونَ المعنى، نحو:

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٣).

ضَحِكَ الصُّبحُ فأَبْكَى مُقْلَتي حينَ ولَّى نافِراً عن مَضْجَعي[١]

فإنَّ الضَّحكَ هنا ليس بضدِّ البكاءِ؛ لأنَّه كنايةٌ عن الضوءِ وكَثْرتِه، والبكاءُ منسوبٌ للمُقلةِ، فلا تَضادَّ بين كَثُرَ وبَكَى، إلّا أنه مِن جهةِ اللَّفظِ يُوهِمُ المطابَقة، ونحو:

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِن رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسهِ فبَكَى[٢]

أي: الرَّجلُ.

والملحَقُ بالمطابقةِ نحوُ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فإنَّ الرحمةَ وإنْ لم تكنْ مقابِلةً للشِّدةِ لكنَّها مُسبَّبةٌ عن اللِّين الذي هو ضدُّ الشِّدَّةِ، ونحو:

إذا جَفَاني بَذَلْتُ الرُّوحَ مُعتذِراً له وأَصْفَحُ عنه كلَّما ظَلَما(٣)

فالصَّفحُ ليس بَيْنَه وبينَ الظُّلمِ تضادٌّ، وإنما ضدُّ الظلمِ العدلُ، لكنَّ الظُّلمَ جُرمٌ عظيمٌ يَستحِقُّ المؤاخَذةَ.

وطباقُ السَّلبِ: وهو الجمعُ بين فعلٍ مثبَتٍ ومنفيٍّ، أو أمرٍ ونهيٍ، بخلافِ ما مرَّ ـ فإنه طباقُ إيجابٍ ـ نحو: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا﴾ [الروم: ٦-٧] ونحو: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ونحوه:

جَهِلَتْ سَلْمَى وما جَهِلَتْ سوءَ حالي في محبَّتِها

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٤).

(٢) البيت لدعبل الخزاعي. انظر: «ديوان المعاني» (٢/ ١٥٩)، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للجرجاني (ص٤٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١١٣).

(٣) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٤).

عَلِمَتْ قَتْلِي وما عَلِمَتْ أَنَّه مِن نَبْلِ مُقْلَتِها[(١)]

واعْلَمْ أنَّ ما مرَّ فهو مطابَقةٌ غيرُ مقابَلةٍ.

والمقابَلةُ: أنْ تَذكُرَ لفظَينِ أو أكثرَ فإذا فرَغْتَ ذكَرْتَ الأضدادَ، كقولهِ تعالى: ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]، وقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]، والأكثرُ نحو:

ما أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيا إذا اجْتَمَعا وأقبَحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجلِ[(٢)]

ونحو:

صُبْحُ اللِّقا وبياضُ القُرْبِ غالَهما ليلُ القِلَى وسوادُ البُعْدِ فارْتَحَلا[(٣)]

فالمقابَلةُ بين صبحٍ وليلٍ، ولقاءٍ وقِلًى، وبياضٍ وسوادٍ، وقُربٍ وبُعدٍ.

ونحو:

لمَّا شَكَوْتُ إلى ليلَى ـ وقد هَجَرتْ ـ وَجْدِي إليها، وسُهْدي في دُجى الظُّلَمِ

قالَتْ أَزُورُكَ فافْرَحْ بالوِصالِ ونَمْ فلم تَزُرْني، ولم أَفْرَحْ، ولم أَنَمِ[(٤)]

فقابَلَ ثلاثةً لثلاثةٍ، وهي مطابَقةٌ في النَّفي.

***

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣١).

(٢) أنشده أبو دلامة للمنصور وقد سأله عن أشعر بيت في المقابلة. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٨١)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٣١).

(٣) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣١).

(٤) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٢).

باب

مراعاةِ النَّظير

ويسمَّى: التَّناسُبَ، والائتلافَ، والتوفيقَ، والمؤاخاةَ، وهو: ذكرُ لفظَينِ متناسِبَينِ لا على جهةِ التَّضادِّ؛ ليُخرِجَ المطابَقةَ، وهو أربعةُ أنواعٍ:

المتناسِبُ: وهو ذِكْرُ الشيءِ مع ما يناسِبُه كالشَّمسِ والقمرِ، والسَّحابِ والمطرِ، ونحوَ:

قد صادَ قلبي بأرضِ التُّرْكِ ظَبْيُ نَقَا ... سلطانُ حُسْنٍ بآفاقِ الجَمالِ سَمَا
البَدْرُ طَلْعتُه مِن شَعْرِه غَسَقٌ ... به تَنَفَّسَ صبحُ الثَّغْرِ فابْتَسَما[1]

فالمناسَبةُ بينَ تُرْكٍ وسُلْطانٍ، وأرضٍ وسماءٍ، وسماءٍ مع بدرٍ، وغَسَقٍ مع صُبحٍ.

والتفويف: وهو ذكرُ المتناسِبَينِ في جُملٍ مستويَةِ المقدارِ أو قريبةِ الاستواءِ. سُمِّي بذلك مِن قولِهم: ثوبٌ مُفوَّفٌ، وهو الذي فيه خطوطٌ مستويةٌ، نحو:

رَشْقٌ بلا أسهُمٍ، طَعْنٌ بلا أَسَلٍ ... نارٌ بلا شَعَلٍ زَهْرٌ بلا شَجَرِ[2]

ونحوه:

هلالٌ إذا ما لاحَ، غُصنٌ إذا انْثَنَى ... نسيمٌ إذا ما راحَ، بدرٌ إذا بَدَا

وتَشابُه الأطرافِ: وهو أنْ يُختَمَ الكلامُ بما يناسِبُ المعنى المبتدأَ به، نحو: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإنَّ ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ يناسِبُ كونَه غيرَ مُدرَكٍ، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ يناسِبُ كونَه مدرَكاً.

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٦).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٦).

ونحو: لم يَخَفِ الملوكَ وتخافُه الملوكُ؛ لأنه لا ذَنْبَ له، ويَصْدَعُ بالحق.

ونحو: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ [النور: ٣٥].

ومنه: إعادةُ لفظِ القافيةِ في أوَّلِ البيتِ الذي يَليها، كقولِ ليلَى تمدَحُ الحَجَّاجَ:

إذا نَـزَلَ الحَجَّـاجُ أرضاً مَريضةً ... تَـتَـبَّـعَ أقـصَى دائِها فشَـفَاها

شَفَاها من الدَّاءِ العُضَالِ الذي بها ... غـلامٌ إذا هـزَّ الـقـنـاةَ سَـقَاهـا

سَـقَاها فرَوَّاها بشُـربِ سِجالُـه ... دمــاءُ رجالٍ يَحلِبونَ صَرَاها[1]

وإيهامُ النَّظيرِ: وهو ذكرُ معنيَيْنِ غيرِ متناسِبَينِ بلفظَينِ متناسِبَينِ نحو: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ﴾ [الرحمن: ٥ ـ ٦]؛ أي: النباتُ الذي لا ساقَ له، والشجرُ: ما له ساقٌ، فالنجمُ بهذا المعنى لا تناسُبَ بينَه وبينَ الشمسِ والقمرِ، لكنه قد يكونُ بمعنَى الكوكبِ فيناسِبهُما.

ونحو:

تعشَّـقْتُه والمـيـلُ كـالـغُـصـنِ دَأْبُه ... وقـد قَـلَّ صَبْـري مـن عَظيـمِ صُدودِه

يلـومُ أبـي، والخـالُ والعـمُّ ضائعٌ ... كمِسْـكٍ حَـوَاهُ مـاءُ وردِ خُـدودِه[2]

فالخالُ يناسِبُ العمَّ، لكنَّ المرادَ خالُ الوَجْنةِ، بدليلِ نسبةِ تَضَوُّعِ المسكِ إليه.

قلتُ: وهذا البابُ والذي قَبْلَه عندِي الأَوْلَى ذكرُه في البديعِ اللَّفظيِّ؛ لأنَّه تعلُّقُه باللَّفظِ أَظهَرُ، كما فَعَلْتُ في الإرْصاد.

* * *

---

(١) انظر: «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص١٢٦)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٥٢)، و«العقد» لابن عبد ربه (١/ ٢٦٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٢١).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٣٨)، وفيه: (والعم والخال).

باب المشاكلة

وهي ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِه لوُقوعِه صحبتَه، تحقيقاً أو تقديراً.

فالأوَّلُ كقولِهِ:

قالوا اقتَرِحْ شيئاً نجدْ لكَ طَبْخَه قلتُ اطبُخُوا لي جُبَّةً وقميصاً[١]

أي: خِيطُوا، ذَكَر الخيَاطةَ بلفظِ الطَّبخِ لوُقوعِها صحبةَ الطَّبخِ.

ونحو:

واطْعَنْ بقاماتِ القُدودِ وبالأَسَلْ

فالطعنُ لا يكونُ بالقاماتِ، لكنه ذُكر مشاكَلةً، ومثله:

عَلَفْتُها تبناً وماءً بارداً[٢]

ونحو: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] إنْ لم يُرَدْ بالنَّفس الذاتُ.

---

(١) البيت لجحظة البرمكي كما في «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٧٧)، و«خاص الخاص» للثعالبي (ص١٣٨)، ولأبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق كما في «لباب الآداب» للثعالبي (ص١٩٤)، و«معاهد التنصيص» (٢/ ٢٥٢)، ودون نسبة في «مفتاح العلوم» (ص٤٢٤) وفيه تعريف المشاكلة كما عرفها المؤلف، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٥٣).

(٢) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٨)، و«الخزانة» (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّى شَتَتْ هَمّالَةً عَيْناهَا

والثاني نحو: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي تطهيرَ اللهِ النفوسَ بالإيمانِ، فعبَّر عن التطهيرِ بالصَّبْغِ؛ لوقوعهِ معه في التَّقديرِ؛ لأنَّ النَّصارى كانوا يَغْمِسون أولادَهم في ماءٍ أصفرَ يسمُّونَه: المعموديَّة، ويقولون: الغَمْسُ فيه تطهيرٌ لهم، ويقولُ مَن غَمَسَ ولدَه: الآنَ صار نصرانيًا حقًّا.

***

بابُ العكسِ

ويسمَّى: التَّبديلَ، وهو تقدُّمُ جزءٍ في الكلامِ ثم تأخُّره، فيَقعُ بين المتضايِفَين، نحو:

فاقْصِدْ رياضَ الرُّبَا بالخَيفِ واسْقِ به رُبَا الرِّياضِ بودٍّ منكَ مُنسَجِمِ[١]

ونحو: عاداتُ السَّاداتِ ساداتُ العادات.

وبين العاملِ والمضافِ إليه نحوَ:

فاحمرَّ بعدَ بياضٍ خدُّ ذي خَجَلٍ وابْيَضَّ بعدَ احمرارٍ كأسُ ساقِينَا[٢]

وهو عجيبٌ؛ لأنَّ فيه رَدَّ الفعلِ مضافاً، والمضافِ فِعْلاً.

وبين متعلَّقَيْ فعلٍ؛ نحوَ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١].

وبين طرفَيْ جملتين؛ نحوَ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وبين فعلٍ وفاعلٍ؛ نحو: قامَ زيدٌ، وزيدٌ قامَ.

***

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٣)، وفيه: (بودق منك).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٣).

باب الرجوع

وهو العَوْدُ على الكلامِ السابقِ بالنَّقْضِ، كأنْ يُثْبِتَ المنفيَّ أو يَنفيَ الـمُثبَتَ؛ لنكتةٍ تَزيدُ المعنَى حُسْناً تُلْحِقُه بالبلاغة، بخلافِ ما لو كَذَبَ فقال: قمتُ، ثم صَدَق فقال: ما قُمْتُ، وكذا لو رأى طائراً ظنَّه حماماً فقال: هذا حمامٌ، ثم رَجَع فقال: ليس بحمَامٍ؛ لخلوِّه عن النُّكتةِ.

فما فيه النكتةُ نحوُ:

قِـفْ بالدِّيـارِ التـي لـم يَعْفُهـا القِدَمُ ... بـلَـى وغيَّرَهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ[1]

أثبتَ دُروسَها بعد نَفْيِهِ؛ لنكتةِ إظهارِ التَّدَلُّهِ والتَّحيُّرِ، ونحو:

مِـن بعدِ ما رَحَلَـتْ كالنَّومِ عن نَـظَري ... هــذا وما رَحَلتْ عن قَلْبـيَ الكَلِفِ[2]

نَفَى الرحيلَ بعد إثباتِهِ؛ لاختلافِ الجهةِ؛ أي: إنْ كانَتْ رحلَتْ عن عَيْنِي فما رَحَلتْ عن قلبي، ولا يَخْفَى ما فيه من الحُسْنِ.

فمدارُ هذا البابِ على نكتةٍ حسنةٍ تبيِّنُ بلاغةَ المتكلِّم.

***

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص٨٧)، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص٨٩)، وأمالي المرتضى المسمى «غرر الفوائد ودرر القلائد» (٢/ ١٩٤)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٤٧)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٨٢).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٠).

بابُ الاستِطْرادِ

مصدرُ اسْتَطْرَدَ الفارِسُ لِقِرْنِه في الحَرْب، وذلك بأنْ يَفِرَّ من بينِ يديهِ يُوهِمُ الانهزامَ، ثم يَعْطِفَ عليه على غِرَّةٍ منه، وهو ضربٌ من الـمَكِيدةِ.

واصطلاحاً: أنْ يكونَ المتكلِّمُ في مَدْحٍ أو غيرِه؛ فيَتَوهَّمُ السامعُ أنه مستمِرٌّ فيه، ثم يَخرجُ منه إلى غيرِه لمناسَبةٍ بينَهما، مصرِّحاً باسمِ المستطرَدِ به آخِرَ كلامِه، وبه يُفارِقُ الـمَخْلَصَ.

وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

استطرادٌ غيرُ مقصودٍ لا تقويَةَ لِمَا قَبْلَه؛ نحوَ:

بالـرُّوحِ أفـدِي غـادَةً ذي عـادةٍ ... بالهَجْرِ ليسَ تَرَى لدَيْها مَرْحَمهْ

يُلْهِيكَ خُلْفُ حديثِها ووعودِها ... عن خُلْفِ عُرقوبٍ وكِذْبِ مُسَيْلِمَهْ[1]

انْتَقَل من التغزُّلِ إلى هجاءِ عرقوبٍ بخُلْفِ المواعيدِ، وإلى هجاءِ مُسيلِمةَ بالكَذِب حيثُ ادَّعَى النُّبوَّة.

واستطرادٌ غيرُ مقصودٍ، وفيه تقويةٌ لِمَا قَبْلَه، كقولِ بعضِهم يمدحُ ابنَ حَجر العَسْقلانيَّ:

أيَـا حبَّـذا النِّيـلُ المبـارَكُ جارِيـاً ... بمصرَ كَجَـرْي النِّيـلِ مِـن عُلمائِهـا

وإلَّا كجُـودِ العَسْـقلانيِّ مَـن غَـدَا ... شهاباً لـذِي العَلْيـا بأُفْـقِ سـمائِها[2]

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٤٥)، وفيه: (خلف وعودها وحديثها).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٤٧)، وفيه: (كجري الفضل من علمائها).

الاستطرادُ: ذِكْرُ ابنِ حجرٍ ومَدْحِ نَوَالِه، وفيه تَقْوِيَةٌ لمدحِ علماءِ مصرَ لأنَّه منهم، وغيرُ مقصودٍ لأنَّ ابتداءَ الكلامِ لم يكنْ لمديحِه.

واستطرادٌ مقصودٌ وهو قليلٌ، ويَليقُ أنْ يسمَّى: إيهامَ الاستطرادِ، كقولِه في ابنِ حجرٍ أيضاً:

إنْ يَبْتَسِمْ ثَغْرُ الشَّريعةِ والنَّدَى ... يوماً فذلكَ مِن أبي العبَّاسِ

هو جامعٌ عِلْمَ الحديثِ وحافِظٌ ... ومُفرِّقٌ أموالَهُ في النَّاسِ[1]

فهو مقصودٌ؛ لأنَّ أوَّلَ جملةٍ تركَّبَتْ مقصودةً لمديحِه، إذْ عندَ التَّصريحِ بذِكْرِه يُفهَمُ أنَّه المرادُ من أوَّلِ اللَّفظِ.

***

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٤٧).

باب الاطِّراد

مصدرُ اطَّرَدَ الماءُ وغيرُه: إذا جَرى مِن غيرِ توقُّفٍ ولا انقطاعٍ.

واصطلاحاً: ذكرُ الممدوحِ وآبائِهِ على الترتيبِ بلا تكلُّفٍ بألفاظٍ سهلةٍ بلا فاصلٍ غيرِ يسيرٍ بنحوِ صفةٍ مشهورةٍ، وتركُه أَوْلَى، كقولِ بعضِهم:

مَـن يَكُـنْ رامَ حاجـةً بَعُـدَتْ عنـ ـهُ وأَعْيَـتْ علـيـه كلَّ العَيَـاءِ

فلهـا أحمـدُ المرجَّـى ابـنُ يحيَـى بـ ـنِ معـاذِ بـنِ مسلمِ بـنِ رجـاءِ[1]

قال ابنُ أبي الإصْبَعِ: إنَّ هذا البيتَ أحسنُ ما يُوجَدُ لولا الفَصْلُ بـ(الـمُرجَّى)[2].

يعني: أنَّه ليس بصفةٍ، وإنما أَتَى بها للحَشْوِ فعِيبَ عليه.

ونحو:

بينَمَـا نحـنُ فـي الطَّـوافِ سُـعاةٌ إذ رُمِيْنـا بـزَينـبٍ والـرَّبـابِ

ابنتَـيْ هاشـمِ بـنِ عبـدِ مَنافٍ بـنِ زيـدٍ قُصَـيٍّ بـنِ كِلَابِ[3]

فقصيٌّ من الصِّفاتِ التي اشتَهَرَ بها زيدٌ فاغتُفِرَ الفصلُ بها.

***

---

(١) انظر: «العمدة» لابن رشيق (٢/ ٨٣)، و«البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٨٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٥٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٥٣).

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢٢٣). ووقع في (م): «زيد بن قصي»، والمثبت من (س)، ومثله في مطبوع «زهر الربيع»، وهو الصواب لأن زيداً هو قصيٌّ كما قال ابن قرقماس، قال: وله ألقاب ثلاثة: مجمع وقصي والندى. قلت: وما سيأتي لاحقاً في التعليل يشير لهذا، ويؤيد أن الصواب عدم إقحام لفظة: (بن) بين زيد وقصي.

باب الاستتباع

وهو أنْ يَذْكُرَ مَدْحاً أو ذمّاً، ثم يَستَتْبِعَ به معنًى آخَرَ من جنسِه، فلا يجوزُ استِتْباعُ المدحِ بذمٍّ، وعكسُه، نحو:

وظَبْــيٍ مــن الأَتْــراكِ نابَــتْ لحَاظُه   وحـاجِبُــه عــن قوسِــهِ وسِــهَامهِ

ويَبْسِــمُ عــن دُرٍّ نَضِيــدٍ كـأنَّـمـا   تَـنَــظَّمَ مِــن منثــورِ دُرِّ كلامِــهِ[1]

مَدَحَ ثغرَهُ بابتسامهِ عن الدُّرِّ، ثم استَتْبَعَ مدحَهُ بالفصاحةِ والبلاغةِ الحاكيَةِ للدُّرَرِ؛ لعُذوبةِ مَنْطِقِه.

ونحو:

نَهَبْـتَ مِــن الأعمــارِ مــا لــو حَوَيْته   لـهُـنِّـئَــتِ الــدُّنيا بأنَّــكَ خالِــدُ[2]

مدَحَه بالشجاعةِ على وجهٍ استَتْبَعَ مَدْحَه بكونهِ سبباً لصلاحِ الدُّنيا ونظامِها.

* * *

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢٠٨).

(٢) البيت للمتنبي. انظر: «الصناعتين» للعسكري (ص٤٢٤)، و«أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه» للثعالبي (ص١٠٤)، و«الإعجاز والإيجاز» للثعالبي أيضاً (ص١٨٦)، و«الإبانة عن سرقات المتنبي» للعميدي (ص٨٩)، و«مفتاح العلوم» (ص٤٢٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٩٤).

باب التفريع

من فرَّعْتُ الشيءَ تَفْريعاً، وضُبِطَ بالغَينِ المعجَمة، كأنَّ المتكلِّمَ فَرَغ بالُه من الحُكْم الأوَّل للثَّاني، وهو أنْ تُرتِّبَ حُكماً على صفةٍ، ثم ترتِّبَ ذلك الحُكْمَ بعينِهِ على صفةٍ أخرى، كقوله:

أحلامُكُم لسقَامِ الجهلِ شافيَةٌ ... كما دماؤكُمْ تُبْرِي مِن الكَلَبِ[1]

وقولِ ابنِ المعتزِّ:

كلامُه أخدعُ من لَحْظِهِ ... ووعدُه أكذبُ مِن طَيْفِهِ[2]

***

(١) البيت للكميت. انظر: «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١/ ٣٠٣)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٤٢)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٦٥)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٧٣).

(٢) انظر: «أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم» (ص٢٣٥)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٤٢)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٧٣).

باب الإدماج

وسمَّاهُ بعضُهم: التَّعْليقَ، وبعضٌ: التَّضْعيفَ، وبعضٌ جعلَه مع الاستِتْباعِ واحِداً، وهو مصدرُ أَدْمَجْتُ الشَّيءَ في الشَّيءِ: إذا أَدْرَجْتَه فيه، وهو أنْ يَذكُرَ المتكلِّمُ معنًى ثم يُدْمِجُ فيه معنًى آخرَ ولا يَقْصدُه، فإنْ قَصَده فلا بدَّ أنْ يُوْهِمَ أنَّه لم يُرِدْ قَصْدَه.

وقال ابنُ مالكٍ: أنْ يَقْصِدَ معنًى فيُدمجَه في كلامِه من غيرِ قَصْدٍ يَظْهرُ على قائلِه، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] سِيقَتِ الآيةُ لبيانِ أنَّ نفقةَ المُرضِعِ على الوالدِ، وأُدْمِجَ فيها أنَّ الوَلدَ لأبيهِ لا لأمِّه، وقولهِ تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] سِيقَتِ الآيةُ لبيانِ مِنَّةِ الأمِّ على الوَلَد، وأُدْمِجَ فيها أنَّ أقلَّ الحملِ ستةُ أشهُرٍ؛ لأنَّه يُسقَطُ من الثلاثين حَوْلاً الرضاعِ بدليل: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومنه:

أَبى دهرُنا إسعافَنا في نفوسِنا ... وأَسْعَفَنا في مَن نُحِبُّ ونُكْرِمُ

فقلتُ له نُعْماكَ فيهم أتمَّها ... ودَعْ أَمْرَنا إنَّ الأهمَّ المقدَّمُ(١)

أَدْمَجَ في التَّهنئةِ شَكْوَى الدَّهرِ.

---

(١) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبهما لعبد الله بن سليمان لما ولي الوزارة للمعتضد. انظر: «أدب الكتاب» للصولي (ص٢٣٤)، و«ديوان المعاني» للعسكري (١/ ١٠٨)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٤١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٤٩)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٨٨).

ونحو:

وصِفَـا لـي ثَغْـرَ الحبيـبِ فـإنِّـي ذو اشـتِيَاقٍ إلـى النَّقَـا والعَقِيـقِ[1]

أَدْمَجَ في قولِهِ: (وصِفَا لي ثغرَ الحبيبِ) صفتَه بالنَّقَا والعقيقِ.

* * *

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢١٠).

باب

اللفِّ والنَّشْرِ

وهـو ذكـرُ متعـدِّدٍ علـى التفصيـلِ أو الإجمـالِ، ثـم ذكـرُ مـا لـكلٍّ مِـن هـذا المتعـدِّدِ مـن غيـرِ تَعيُّـنٍ ثِقةً بـأنَّ السَّـامعَ يردُّه إليـه، فـإنْ ذُكِرَ مُرتَّبـاً فهـو المرتَّبُ، وإلَّا فهـو المشـوَّشُ:

نحو: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

ونحو: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦].

ونحو:

فالغُصْنُ والوَرْدُ ثم البَدْرُ في غَسَقٍ ... يا صاحِ قَدِّي خَدِّي طَلْعَتي شَعَرِي[١]

ونحو:

كيفَ أَسْلُو وأنتَ غُصنٌ وحِقْفٌ ... وغزالٌ لَحْظاً وقَدّاً ورِدْفا[٢]

والحِقفُ جمعُه: أحقافٌ، وهو النَّقا من الرَّملِ.

ونحو: هو شمسٌ وأسدٌ وبحرٌ جوداً وبهاءً وشجاعةً.

والمجمَلُ لا يُتصوَّرُ فيه ترتيبٌ ولا عَكْسٌ، نحو: لي منهُ ثلاثةٌ: بَدْرٌ وغُصْنٌ وعَضْبٌ[٣].

---

(١) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٧١)، وقبله:

ذكَّرتُ ليلى الربيعَ المشتهَى فغَدَتْ ... تقولُ حسبي فيه نزهةُ النَّظرِ

(٢) البيت لأبي هلال العسكري. انظر: «الصناعتين» له (ص٣٤٦). وورد دون نسبة في «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٧٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٧٣).

(٣) للعضب معان كثيرة منها: السيف، ولعله المراد هنا. انظر: «القاموس» (مادة: عضب).

ونحوُ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١] فضميرُ (قالوا) لأهل الكتابين؛ أي: قالتِ اليهودُ: لن يدخُلَ الجنةَ إلَّا مَن كان هُوداً، وقالتِ النَّصارَى: لن يدخُلَ الجنةَ إلا مَن كانَ نصارى، فلفٌّ لعَدَمِ اللَّبْس ثِقةً بأنَّ السامعَ يَردُّ إلى كلٍّ ما زعَمهُ؛ للعِلْمِ بتضليلِ كلٍّ فريقٍ صاحبَه.

ومن غريبِ اللَّفِّ والنَّشرِ: أن يُذكرَ متعدِّداً ثم يُذكرَ ما لكلٍّ مِن آحادِ كلٍّ، نحو: الرَّاحةُ والتَّعبُ والعَدْلُ والظُّلْمُ قد سُدَّ من أبوابِها ما كان مفتوحاً، وفُتِحَ مِن طرقِها ما كانَ مَسْدوداً.

* * *

باب الجمع

هو أنْ يُجمَعَ بينَ متعددٍ لَفْظاً أو حُكْماً في حُكْمٍ، نحوَ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

ونحوَ:

إنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَةْ ... مَفْسَدةٌ للمرءِ أيُّ مَفْسدَةْ[1]

ونحو: زيدٌ وعَمْرٌو وبكرٌ ومحمَّدٌ كِرَامٌ، وفي المتعدِّد حُكْماً: هؤلاءِ الأربعةُ كرامٌ.

ونحو:

سلامةُ المرءِ في دنياهُ أربعةٌ ... القَنْعُ والصَّمْتُ ثم الحُكْمُ والأَدَبُ[2]

* * *

(١) البيت لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص٤٤٨)، و«مفتاح العلوم» (ص٤٢٥)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٦٦).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٧٣).

باب التفريق

وهو إيقاعُ تبايُنٍ بينَ أمرَينِ من نوعٍ في المدحِ أو غيرِه، نحو:

مـا نَـوَالُ الغَمـامِ وقـتَ رَبيعٍ كـنَوَالِ الأميـرِ يـومَ سَـخَاءِ
فنَـوَالُ الأميـرِ بَـدْرةُ عَـينٍ ونَوَالُ الرَّبيـعِ قطـرةُ مـاءِ[1]

أوقَعَ التَّبايُنَ بين النَّوالَينِ.

ونحوه:

إنْ شَبَّهوا بـالـنَّبْـلِ ألحـاظَـه يـومـاً فقد جاءوا بأمرٍ عَجيبْ
فالنَّبْـلُ قـد تُخطـئُ فـي رَمْيِـها وهذهِ مـن غيـرِ رمـيٍ تُصِيبْ[2]

أوقَعَ التَّفريقَ بين الرَّمْيينِ.

* * *

---

(١) البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر. انظر: «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٥١)، و«معاهد التنصيص» للعباسي (٢/ ٣٠٠)، ودون نسبة في «مفتاح العلوم» (ص٤٢٥)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٧٨). قال العباسي: النوال: العطاء، والبدرة: كيس فيه ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار، والعين هنا: المال.

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٧٥).

بابُ التَّقسيم

وهو ذِكْرُ متعدِّدٍ ثم إضافةُ ما لكلٍّ إليهِ على التَّعيين.

قيل: وبهذا القيدِ خرج اللَّفُّ والنَّشرُ، والحقُّ أنَّ ذكرَ الإضافةِ كافٍ؛ إذ ليس في اللَّفِّ والنَّشرِ إضافةُ ما لكلٍّ إليه، بل يُذكَرُ فيه ما لكلٍّ حتى يُضيفَه السامعُ إليه ويردَّه؛ نحوَ:

ولا يُقيمُ على ضَيمٍ يُرادُ به ... إلَّا الأذلَّانِ عَيرُ الحيِّ والوَتَدُ

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ ... وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِي له أحدُ[1]

ونحو:

وأسمرَ خطِّيٍّ بكفٍّ مُهَفْهَفٍ ... له رمحُ قدٍّ تَزْدَهيهِ النَّواظرُ

فهذا لطَعْنِ الضدِّ والنَّقعُ ثائرٌ ... وهذا لطَعنِ الصَّبِّ والظَّعنُ سائرُ[2]

الشاهد: (رمحٌ) و(قَدٌّ)، فلو قيل: هذا لطعنِ قومٍ، وهذا لطعنِ قومٍ، لم يكن تقسيماً، وتقسيمُه إضافةُ ما لكلٍّ إليه على التَّعيينِ.

ومنه: أنْ تَذكُرَ الشيءَ وما يناسِبُه، ثم الشيءَ وما يناسِبُه، إلى آخِرِ ما تُريدُ، وهو نظيرُ التَّفويفِ، نحوَ:

يقولون: صِفْ قَدَّ الحبيبِ ولَحْظَه ... ووجْناتِه والثَّغرَ قلتُ لهم قرُّوا

فقدٌّ ولا رمحٌ، ولحظٌ ولا ظبيٌ ... وخدٌّ ولا وَرْدٌ، وثَغْرٌ ولا دُرُّ[3]

---

(١) البيتان للمتلمس. انظر: «الفاخر» للمفضل (ص٢٧٤)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٦٤٣)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٩٣).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٧٧).

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٧٨).

باب

الجمعِ والتفريقِ

وهو: إدخالُ شَيئينِ في معنًى ثم يفرِّقُ جِهَتَي الإدخالِ؛ نحوَ: الشَّمسُ والقَمَرُ كَوكبانِ، هذا نهاريٌّ وهذا ليليٌّ، ونحوَ:

فوجهُكَ كالنَّارِ في ضوئِها وقَلْبيَ كالنَّار في حَرِّها[1]

الجمعُ: كونُ قلبِه ووجهِ الحبيبِ كالنَّار، والتفريقُ: أنَّ للوجهِ الإشراقَ وللقلبِ الحريقَ.

***

---

(١) البيت لرشيد الدين الوطواط الشاعر. انظر: «نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٥٣)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٥٣)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٧٩).

بابُ

الجمعِ والتَّقسيم

وهو: جمعُ متعدِّدٍ تحت حُكْمٍ ثم تَقسيمُه، أو تقسيمُ متعدِّدٍ ثم جمعُه.

نحوَ:

الرَّوضُ يجمعُ معنًى في الحبيبِ فقُلْ ... إنْ رمتَ يوماً بتقسيمٍ تُعارِضُهُ

الغصنُ قامتُه، والوردُ وَجْنَتُه ... والطَّلْعُ مَبْسِمُهُ، والآسُ عارِضُهُ[1]

ونحو:

قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهمُ ... أو حاوَلُوا النَّفْعَ في أشياعِهِم نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تلكَ مْنهُمْ غيرُ مُحْدثَةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعْلَمْ شرُّها البِدَعُ[2]

قسَّم في الأولِ صفةَ الممدوحِين، وجمعَها في الثاني تحتَ كونها سجيَّةً.

* * *

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨٠).

(٢) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٦٤)، و«مفتاح العلوم» (ص٤٢٦)، و«الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليحيى بن حمزة الطالبي (٣/ ٧٩).

باب

الجمعِ والتَّفريقِ والتَّقسيمِ

وهـو أنْ تَجْمَـعَ ثـم تفـرِّقَ ثـم تقسِّـمَ؛ نحـوَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ الآيـة [هـود: ١٠٥ـ١٠٦]: جمَـعَ الأنفُـسَ فـي ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ ثـم فرَّقَ بأنَّ بعضَها شـقيٌّ وبعضَها سـعيدٌ، ثم قسَّـم بـأنْ أضافَ إلى الأشـقياءِ مـا لهم وللسُّـعداءِ مـا لهم.

ونحوَ:

لِذَاتـي جامِـعٌ تَفريـقَ شَمْـلـي ... بتقسيمِ الهـوَى مِـن بحـرِ حُبِّي

سُـهاداً أو عذابـاً أو هُـمومـاً ... لعَيْني أو لِرُوحـي أو لقَلْبـي[1]

جمَعَ ما يَحصلُ من الشَّقاءِ في الهَجْر، ثم فرَّق بأنَّ الحاصِلَ سهادٌ وعذابٌ وهمومٌ، ثم قسَّم السُّهادَ للْعَينِ، والعذابَ للرُّوحِ، والهمومَ للقَلْبِ.

***

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨١).

باب

صحَّةِ الأقْسامِ

وهو عبارةٌ عن استيفاءِ المتكلِّمِ أقسامَ المعنى:

نحوَ: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]؛ إذ ليس في رؤيةِ البرقِ إلا الخوفُ من الصَّواعقِ والطَّمعُ في الأمطارِ.

ونحوَ: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢].

ونحوَ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩]؛ لأنَّه تعالى إمَّا أن يُفرِدَ العبدَ بهبةِ الإناثِ أو الذكورِ أو بهما، أو لا يَهَبَه شيئاً، وفيها التَّرقِّي من الأَدْنَى إلى الأَعْلى، وأخَّر العَقيمَ لأنَّ إفضالَهُ تعالى على عبادِهِ أهمُّ من حِرمانه، وتقديمُ الأهمِّ أَوْلى.

ونحوَ: «ليس لكَ من مالِكَ إلَّا ما أكَلْتَ فأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فأَبْقَيْتَ»[1].

وقولُ عليٍّ: (أَنْعِمْ على مَن شِئْتَ تكُنْ أميرَه، واستَغْنِ عمَّن شئتَ تكُنْ نَظيرَه، واحْتَجْ إلى مَن شئتَ تكُنْ أَسيرَه)، استَوْعَبَ أقسامَ الدَّرجاتِ العُلْيَا والسُّفْلَى والوُسْطَى.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٨) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

وَقَفَ أعرابيٌّ على حَلْقةِ الحسنِ البَصريِّ فقال: رَحِمَ اللهُ مَن تَصَدَّقَ مِن فَضلٍ، أو واسَى مِن كَفَافٍ، أو آثَرَ من قُوتٍ، فقال الحسنُ: ما تَرَكَ الأعرابيُّ منكم أحداً إلَّا عَمَّه بالمسألة.

ونحوَ:

وهَبْها كشيءٍ لم يَكُنْ أو كنازِحٍ بهِ الدَّارُ أو مَن غَيَّبَتْهُ المقابِرُ[١]

ونحوَ:

وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِي[٢]

ونحوَ:

وليسَ بذي رُمْحٍ فيَطْعَنَني بهِ وليسَ بذي سيفٍ وليس بنبَّالِ[٣]

ونحو:

شَغَلَ الدَّهرُ عن لقاءِ حَبيبٍ ليتَ شِعْري مَتَى وكيفَ وأَيْنَا[٤]

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في «الدر الفريد» للمستعصمي (١٠/ ٤٣٣)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (٣/ ١٧٩)، و«معاهد التنصيص» للعباسي (٢/ ٣٠٩)، ولجميل بثينة كما في «الموشح» للمرزباني (ص٢٠٣)، ولحسان بن يسار التغلبي كما في «المقاصد النحوية» للعيني (٤/ ٢٠٩٠).

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته. انظر: «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص٢٨٩)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص١٢٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٧٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٤٢٢).

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص١٣٧)، و«الكتاب لسيبويه» (٣/ ٣٨٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٧٨).

(٤) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٧٨)، وعزاه لبعض المغاربة.

استَوْعَبَ أقسامَ الظُّروفِ الزمَانيَّةِ والمكَانيَّة، و(كيفَ) التي يُسأَلُ بها عن الأحوال، وفيما قَبْله آلاتِ القتالِ، وفيما قَبْلَه أقسامَ الزَّمان، وفيما قَبْلَه أقسامَ الشَّيء؛ لأنه إمَّا أنْ يكونَ، أو كان ثم عُدِمَ إمَّا بالبُعْدِ أو الفَنَاءِ.

***

باب التفسير

وهو أنْ يأتيَ المتكلِّمُ في أوَّلِ كلامِهِ بمعنًى لا يَستَقِلُّ الفَهْمُ بمعناهُ دون أنْ يفسِّرَ؛ نحوَ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦] فصحَّةُ التَّقسيمِ انْدَرَجتْ في صحَّةِ التفسير.

ونحوَ:

لِمُخْتَلِفي الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ فهذا له فَنٌّ، وهذا له فَنُّ

فلِلْخامِلِ العَلْيَا، وللمُعْدَمِ الغِنَى وللمُذْنبِ العُتْبى، وللخائفِ الأمنُ(١)

ونحوَ:

وجَلَا الوَداعُ من الحبيبِ مَحاسِناً حُسْنَ العَزاءِ وقد جَلَينَ قبيحُ

فيدٌ مسلِّمةٌ وطَرْفٌ شاخصٌ وحَشًى يَذُوبُ، ومَدْمَعٌ مَسفوحُ(٢)

ففي الأوَّلِ بيانُ أنَّ الوداعَ جَلَا محاسِنَ الحبيبِ، وفي الثَّاني شرحُ حالِ المحبِّ حينئذٍ.

ونحوَ:

شيئانِ حَدِّثْ بالقَساوةِ عنهُما قلبُ الذي يَهْواهُ قلبي والحَجَرْ

---

(١) البيتان لابن شرف القيرواني. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٧٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٧١).

(٢) البيتان للمتنبي. انظر: «اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء المعري (ص٢٧٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٩٠).

وثلاثـةٌ بالــجُودِ حــدِّث عـنـهُــمُ البحرُ، والــمَلِكُ المعظَّـمُ، والمطَـرْ

لكـنَّ واسـطةَ الـثَّـلاثــةِ خَــيْــرُهــا وكذاكَ خيـرُ العِقْـدِ واسِـطةُ الـدُّرَرْ[1]

***

(١) الأبيات لمجد الملك ابن شمس الخلافة. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٩١)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٧١)، و«معاهد التنصيص» للعباسي (١/ ٢١٦).

باب الإيضاح

وهـو أنْ يَذكُـرَ المتكلِّـمُ كلامـاً في ظاهـرِه لَبْسٌ ثم يوضِّحَـه في بقيَّـةِ كلامه؛ كقولِهِ:

يُذَكِّرُنِيكَ الـخيـرُ والـشـرُّ كـلُّـه ... وقيلُ الخَنَـا والعِلْـمُ والحِلْـمُ والجَهْلُ

فلو اقْتَصرَ على هذا التَّرتيبِ لأَشْكَلَ المرادُ على السَّامعِ؛ لجَمْعهِ بينَ ألفاظِ المدحِ والهجاء، فلمَّا قال بعدَه:

فـألـقـاكَ عــن مـكـروهِـهــا متنزِّهاً ... وألقاكَ فـي محبوبِها ولـكَ الفضلُ[1]

أَوْضَحَ المعنَى المرادَ ورَفَعَ اللَّبْس.

وكقولهِ:

ومُقَرْطِـقٍ يُغْنـي النَّديـمَ بـوجْـهِهِ ... عن كأسِـه المـلأَى وعـن إبريقِـهِ

فِعْـلُ المُـدَامِ، ولونُهـا، ومَـذاقُـهـا ... فـي مُقْلتَيـهِ، ووَجْنتَيـهِ، ورِيقِـهِ[2]

فلـو اقتَصَـر علـى البيـتِ الأوَّلِ لأَشْـكَلَ الأمـرُ علـى السَّـامعِ مـن جهـةِ أنَّ الوجـهَ وإنْ كان حَسَـناً لا يُغْنـي النديـمَ عـن الخمـرِ، فأَوْضَـحَ اللَّبْـسَ فـي البيـتِ الثَّانـي.

---

(١) البيتان لصريع الغواني مسلم بن الوليد. انظر: «أمالي القالي» (١/ ١٦٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٥٩)، و«الحماسة البصرية» (١/ ٢٥٤).

(٢) البيتان لابن حيوس الدمشقي. انظر: «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٧٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٦٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٨٣).

والفرقُ بين الإيضاحِ والتفسير: أنَّ التفسيرَ تفصيلُ الإجمال، والإيضاحَ رَفْعُ الإشكال.

* * *

بابُ الإشارةِ

وهو أنْ يشيرَ المتكلِّم إلى مَعانٍ كثيرةٍ بألفاظٍ قليلة، فإنَّ المشيرَ بيدِه يُشير دُفعةً واحدةً إلى أشياءَ لو عَبَّر عنها بلفظٍ لاحتاجَ إلى ألفاظٍ كثيرةٍ؛ نحوَ: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

ونحوَ:

ولأَشْكُرنَّ غريبَ نعمتِه حتى أموتَ وفَضْلُه الفضلُ

أنت الشُّجاعُ إذا هُمُ نَزَلوا عندَ المَضِيقِ وفِعْلُكَ الفِعْلُ[1]

وقولِهِ في صفةِ فرسٍ:

علـى هَيكلٍ يُعطيكَ قبلَ سؤالِهِ أفانِينَ جَرْيٍ غيرِ كَزٍّ ولا وانِ[2]

أشارَ بقولِهِ: (أفانين) إلى جميعِ صُنوفِ عَدْوِ الخيلِ المحمودِ، بدليلِ: (غيرِ كَزٍّ ولا وانِ).

* * *

(١) البيتان للمسيب كما في «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص١٥٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (٢٠٣ ـ ٥٦٠)، ولامرئ القيس كما في «الحماسة البصرية» (١/ ١٦٥)، ودون نسبة في «خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٨٣).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص١٦٠)، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص٥٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٠٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٥٩). والهيكل: الفرس الضخم. وقوله: (غير كز ولا وان)، ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبَلِ الجماح والمنازعة، والونى من قبل الاسترخاء والفترة.

باب

الإردافِ والتَّتْبيعِ

وهو: أنْ يريدَ المتكلِّمُ معنًى فلا يُعبِّر عنه بلفظِ الموضوعِ له، بل بلفظٍ هو رِدْفُه وتابِعُه؛ أي: قريبٍ من لفظِهِ قُرْبَ الرديفِ من المردَفِ؛ نحوَ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] فإنَّ حقيقتَه: جلَسَتْ على هذا المكانِ، فعَدَلَ عن لفظِ الحقيقةِ لِمَا في الاستواءِ من الإشعارِ بجلوسٍ متمكِّنٍ لا زيغَ فيه ولا مَيلَ.

ونحوَ حديثِ: «زَوْجِي رَفِيعُ العِمادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قريبُ البيتِ من النَّاد»[١].

أرادَتْ بذلكَ مَدْحَ زوجِها بتمامِ الخَلْقِ والتقدُّمِ على قومِهِ ونهايةِ الكَرَم؛ لأنَّ قولَها: (رفيعُ العِمَادِ) يَدلُّ على تمامِ الخَلْقِ؛ إذ بناءُ البيوتِ على مقادِيرِ أجسامِ الدَّاخِلينَ لها غالباً، ويَدلُّ على عِظَمِ قَدْرِ صاحبِهِ حيثُ له قدرةٌ على رَفْعِه، وعلى كَرَمِه؛ لأنَّ الضيوفَ تَعْمَدُ [إلى قصدِ][٢] البيوتِ المرتفعة.

وكذلك: (عظيمُ الرَّماد) يَدلُّ على عِظَمِ القَدْرِ، وكَثرةِ الكَرَمِ والثَّروةِ.

وكذلك قُرْبُ البيتِ من النادي، وهو مَجمَعُ رجالِ الحيِّ للحديثِ؛ لأنَّ صاحبَه إلى الضَّيفِ أسبقُ.

ولو عبَّرت عن هذه المعاني بألفاظِها لاحتاجَتْ لألفاظٍ كثيرةٍ ولا تَفِي بهذا المُراد.

* * *

---

(١) قطعة من حديث أم زرع رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) من «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٠٧).

بابُ التَّكميلِ

وهو: أنْ يأتيَ المتكلِّمُ بمعنًى ثم يَرَى الاقتِصارَ على ذلك المعنَى غيرَ كاملٍ فيُكمِّلَه بمعنًى آخَرَ، كمَن مَدَح شخصاً بالشَّجاعةِ، ورَأَى الاقتصارَ عليها غيرَ كاملٍ، فيُكمِّلُ مَدْحَه بالكَرَم، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فإنه لو اقتَصَر على وصفِ الذِّلَّةِ لإخوانهم المؤمِنينَ والانقِيَادِ لأمورِهم كانَ غيرَ كاملٍ؛ لاحتمالِ تَوهمِ أنَّ ذلَّهم عن عجزٍ، فكمَّل مدحَهم بوصفِ العزَّة والغَلَبة على الكافرين.

وقولُه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ونحوُ:

حليمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أهلَهُ ... مع الحِلْمِ في عينِ العدوِّ مَهيبُ[1]

فهو تكميلٌ؛ لأنَّ مَن لم يُعرفْ منه إلا الحِلْمُ ربَّما طَمِعَ فيه عدوُّه.

ونحوُ:

لو أنَّ عزَّةَ خاصَمَتْ شمسَ الضُّحَى ... في الحُسْنِ عندَ موفَّقٍ لقَضَى لها[2]

---

(١) البيت لمحمد بن كعب الغنوي كما في «جمهرة أشعار العرب» (ص٥٦٠)، وغريقة بن مسافع العبسي كما في «الأصمعيات» (ص١٠٠)، ولكعب بن سعد الغنوي يرثي فيها أخاه أبا المغوار، كما في «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص٣٥)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٤٨)، و«ديوان المعاني» للعسكري (٢/ ١٧٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٥٧)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٤).

(٢) البيت لكثير عزة. انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٥٠٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٥٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٥).

فلو قال: عندَ محكَّمٍ، لتَمَّ المعنَى، لكنَّ (الموفَّق) أكملُ وأحسنُ، إذ ليسَ كلُّ محكَّم موفَّقاً، فإنه قد يَجُورُ.

ونحوُ:

لـو قيـلَ للمَجْـدِ حِـدْ عنهُـمْ وخَلِّــهمْ ... بما احْتكَمْتَ مِن الدُّنيا لـــمَا حـادَا[1]

فقولُه: (بما احتكَمْتَ من الدُّنيا) تكميلٌ.

والفـرقُ بيـن التكميـلِ والتتميـمِ: أنَّ التَّتْميمَ يَرِدُ علـى المعنَى الناقـصِ فيُتِمهُ، والتَّكميـلَ يَرِدُ علـى المعنَى التـامِّ فيكمِّله.

***

(١) البيت لعمر بن لجأ التيمي كما في «الحماسة البصرية» (١/ ١٤٢)، ودون نسبة في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٦٢)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٥).

بابُ الاحتراسِ

وهو: أنْ يأتيَ المتكلِّمُ بمعنًى يَتوجَّهُ عليه اعتراضٌ، فيَفْطَنَ له فيأتيَ بما يخلِّصُه، وهذا هو الفرقُ بينَه وبينَ التَّكميل.

نحوَ: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] فإنَّه لـمَّا أَخْبرَ بهلاكِ مَن هَلَك أَعْقبَه بالدُّعاءِ عليهم ووصْفِهم بالظُّلم؛ ليُعلم أنَّ جميعَهم كان مستحِقّاً للعذابِ احتِراساً من ضعيفٍ يَتوهَّم أن الهلاكَ لعمومِه ربَّما شَملَ مَن لا يستحقُّ.

ونحـوَ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] لـم يقـل: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريـم: ٥٢] كمـا قـالَ لموسـى؛ لأنَّه هو الـذي نُودِيَ فيـه أدَباً مع محمـدٍ أنْ ينفـيَ عنه كونَـه بالجانـبِ الأيمنِ.

ونحوَ:

حَليـمٌ إذا مـا الحِلْـمُ زَيَّـنَ أهلَـهُ[1]

فلولا زيادةُ ما بعدَ (حَليمٌ) لكان المدحُ معترَضاً، إذ بعضُ الحِلْمِ قد يكونُ عن عجزٍ وليس بحِلْمٍ حقيقةً، والحِلْمُ إنما هو الصَّفحُ عن قدرةٍ كما قيل:

وحِلْـمُ ذي العَجْـزِ ذلٌّ أنـتَ عـارِفُـه ... والحِلْمُ عن قدرةٍ ضَرْبٌ مِـن الكَرَمِ[2]

* * *

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) البيت لسالم بن وابصة التابعي الجليل. انظر: «الصداقة والصديق» للتوحيدي (ص٢٣٥)، و«ديوان الحماسة» بشرح التبريزي (٢/ ٢٥)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (١/ ٢٩٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٥٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٥).

بابُ النُّكتةِ

وهي: تخصيصُ شيءٍ بالذِّكرِ دونَ أشياءَ كلُّها تَسُدُّ مَسَدَّه، ولولا النُّكتةُ في التَّخصيصِ لكان تخصيصُه مَعيباً؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] خصَّها بالذِّكرِ دونَ غيرِها من النُّجوم ـ وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ـ لأنَّ رجلاً دعَا خَلْقاً إلى عبادتها فنزل: ﴿هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ التي ادَّعَيْتَ فيها الرُّبوبيَّةَ دونَ سائرِ النُّجوم.

وقولِه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤] خصَّ ﴿تَفۡقَهُونَ﴾ دون: تعلمون، لِمَا في الفِقْهِ من الزِّيادةِ على العِلمِ.

وكقولِ الخنساءِ:

يذكِّرُني طلوعُ الشَّمْسِ صخراً ... وأَذْكُرُه لكلِّ غُروبِ شمسِ[1]

خصَّتْ هذينِ الوقتينِ مع أنَّها تذكُره دائماً؛ لِمَا فيهما من التَّنبيهِ على الشَّجاعةِ والكَرَم؛ لأنَّ طلوعَ الشَّمسِ وقتُ الغارةِ على العدوِّ، والغروبَ وقتُ إطعامِ الطعامِ للضِّيفانِ.

* * *

(١) انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ١٦)، و«البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٥٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧٥).

بابُ المُوَارَبَةِ

وهـي: أنْ يأتـيَ المتكلِّـمُ بـكلامٍ يتضمَّـنُ الإنـكارَ، فيستَحْضِرَ بحِذْقـهِ وجهاً يتخلَّـصُ بـه مِـن تصحيـفٍ أو تحريـفٍ أو زيـادةٍ أو نقـصٍ، مـن وَرِبَ العِـرْقُ: إذا فَسَـدَ، فـكأنَّ المتكلِّـمَ أفسـدَ بتأويلـهِ ظاهـرَ كلامـه، نحوَ:

وإنْ أُصَـرِّحْ أُجامِـلْ فـــي مُـوَارَبَــةٍ ... لأنَّهم مِـن ذَوِي الأقـدارِ والحَشَـمِ[١]

فالأقدارُ بالمهمِلةِ للمقامِ الرَّفيعِ، وبالمعجَمة للنَّجَس.

وكقولِ بعضِ الخوارجِ:

فــإنْ يَـكُ مْنكُـمُ كانَ مـروانُ وابنُه ... وعَمْــرٌو ومنكُــمْ هاشــمٌ وحَبيــبُ

فمنَّــا حُصَيــنٌ والبطيــنُ وقَـعْـنَـبٌ ... ومــنَّا أميــرُ المؤمنيــنَ شَـبِيبُ[٢]

فلمَّا بلَغَ هشامَ بنَ عبدِ الملِكِ وظَفِرَ به قال له: أنتَ القائلُ: ومنَّا أميرُ المؤمنينَ شَبيبُ؟ فقال: لم أقل كذا، وإنما قلتُ: (أميرَ) وفتحَ الراء[٣]، فتخلَّصَ بفتحِ الراءِ بعد ضمِّها، وهو ظاهرٌ.

***

---

(١) البيت للسيوطي. انظر: «نظم البديع في مدح خير شفيع» له (ص٣٩).

(٢) البيت لعتبان بن وُصَيْلة ـ وقيل: أُصيلة ـ الحروري، كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٤٩)، و«تصحيح التصحيف» للصفدي (ص٥٧)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٤٩)، ولمصلفة بن هبيرة الشيباني كما في «غرر الخصائص الواضحة» لبرهان الدين أبي إسحاق الوطواط (ص١٥١)، ودون نسبة في «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص١٢٦)، و«عيون الأخبار» لابن قدامة (٢/ ١٧١).

(٣) أي: يـا أميـر المؤمنيـن، جعلـه نـداء، وكأنـه لما قـال ذلـك كان يخاطب أميـر المؤمنين هشـام بن عبـد الملـك ويقـول لـه: يـا أميـر المؤمنين منا شـبيب.

باب التعليق

وهو: أنْ يأتيَ المتكلِّم بمعنًى، ثم يعلِّقَ به معنًى آخَرَ يقتضِي زيادةَ مَدْحٍ، كمادحِ إنسانٍ بالكَرَمِ، فيُعلِّقُ[1] بالكَرمِ شيئاً يَدلُّ على الشَّجاعة، كقولِ بعضِهم في بعضِ القضاةِ حيثُ يَرُدُّ شهادةَ مَن شَهِدَ برؤيةِ هلالِ الفِطْرِ:

أَتُـرَى القاضـيَ أَعْمَـى ... أم تُـراهُ يَـتَـعـامَى

سَـرَق العيـدَ كـأنَّ الْـ ... ـعيدَ أموالُ اليَتامَى[2]

فعلَّقَ خيانةَ القاضي في أموالِ اليَتامَى بما قدَّمه من خيانتِهِ في أمرِ العيد.

ونحوَ:

تخيَّـلَ أنَّ القِـرْنَ وافـاهُ سائلاً ... فقـابَلَه طَلْـقَ الأَسِـرَّةِ ذا بِشْـرِ

ونـادَى فِرِنْـدَ السَّيفِ دُونَكَ نحـره ... فأَحْسَنُ ما تُهْدَى اللآلي إلـى النَّحْرِ[3]

علَّـقَ ذكـرَ الكَـرَمِ بذِكْرِ الشَّـجاعةِ، حيـثُ وَصَـفَ الممـدوحَ بطَلاقَتِـه وتهلُّلِهِ استبشـاراً بالقِـرْن لـمَّا تخيَّلـه سـائلاً، وإهدائـهِ فِرِنْـدَ السـيفِ ـ وهو جوهَـرُه ـ إلى نحرِه لـمَّا تَخيَّـلَ الفِرِنْـدَ لآلِئَ.

***

---

(١) في (س): «فيتعلق».

(٢) البيتان لبعض العراقيين كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٤٤)، وذكر نحوهما الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٣/ ٣١٦)، وعزاهما للصاحب بن عباد، والرواية عنده:

إن قاضينـا لأعمـى ... أم على عمـد تعامـى

سـرق العَـبْد كَـأَن ... العَبْد مـن مَـال الْيَتَامَـى

(٣) البيت لابن أبي الإصبع. انظر: «تحرير التحبير» له (ص٤٤٦).

بابُ التوليدِ

وهو ضَرْبانِ: توليدُ ألفاظٍ، وتوليدُ معانٍ.

فاللَّفْظيُّ: ضمُّ كلمةٍ إلى أُخرى، فيتولَّدُ بينهُما كلامٌ آخَرُ، مثالُه: ما حُكِيَ أنَّ مُصعَبَ بنَ الزُّبيرِ وَسَم خيلَهُ بلفظِ: (عدة)، فلمَّا قُتلَ وصارَتْ إلى الحَجَّاجِ وَسَمَ بعدَ لفظِ (عدة) لفظَ: (الفِرَار) فتولَّدَ بينَ اللَّفْظينِ معنًى آخَرُ لم يُرِدْه مصعبٌ[(١)].

ومن لطيفِ التوليدِ قولُ بعضِهم:

كأنَّ عِذَارَه في الخدِّ لامٌ ... ومَبْسِمُه الشَّهيُّ العَذْبُ صاد

وطُرَّةَ شَعْرِه ليلٌ بَهيمٌ ... فلا عَجَبٌ إذا سَرَقَ الرقادْ[(٢)]

ولَّد مِن تَشبيهِ العِذَارِ باللَّامِ والفَمِ بالصَّادِ لفظَ: (لصّ)، ومِن تشبيهِ الطُّرَّةِ باللَّيلِ ذَكَر سرقةَ الرُّقادِ، فهو توليدٌ وإغرابٌ وإدماجٌ، وهو عجيبٌ.

والتوليدُ المعنويُّ: وهو أنْ يزوِّجَ المتكلِّمُ معنًى من معاني البَدِيعِ بمعنًى آخَرَ، فيتولَّد بينهُما فَنٌّ مُدْمَجٌ في فنٍّ، كقوله:

شَفِيعِي عندَ الغِيدِ مُسْودُّ لِمَّتي ... إذا ما غَدَا غيري وشافِعُه الوَفْرُ[(٣)]

---

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٩٤).

(٢) البيتان لبعض العجم كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٩٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٦١)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٣٤٩).

(٣) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٩٧)، والشعر له، وفيه: (مسود وفرتي)، وهو المناسب لمحل الشاهد، وهو تزويج التجنيس بالمبالغة، والتجنيس يحصل بمقابلة الوفرة بالوفر. وانظر التعليق الآتي.

تولَّدَ مِن كونِ شفيعِه مُسودَّ لـمَّتهِ أنَّ شفيعَ غيرِه شيءٌ آخرُ وهو المال، واندَمَجَ فيهما تفضيلُ الشبابِ على المال، ولأنَّه قال في الشَّباب: (شفيع) وفي المال: (شافع) وصيغةُ فعيلٍ أبلغُ[1].

ولا يقعُ في القرآنِ من التَّوليدِ إلا توليدُ المعاني، ومنهُ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

***

(١) عبارة ابن أبي الإصبع هكذا: (لما زوجت التجنيس بالمبالغة تولَّد بينهما تفضيل الشباب على المال، فالتجنيس قولي: وفرتي والوفر، والمبالغة تسميتي الشبابَ شفيعاً والوفرَ شافعاً، وفعيل من أبنية المبالغة بخلاف فاعل، وتفضيل الشباب جاء مدمجا في الغزل، لأن البيت بمعناه الذي قصد التغزل، وهذا توليد كما ترى).

بابُ الانسجام

وهو أنْ يأتيَ الكلامُ منحدراً كتَحدُّرِ الماءِ المنسجِمِ لسهولةِ سَبْكِهِ وعذوبةِ ألفاظِهِ نحوَ:

إنْ شئتَ أنْ لا تَرَى صبراً لمصْطَبِرٍ ... فانْظُرْ على أيِّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ[1]

ونحوَ:

نقِّلْ فؤادكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ... ما الحبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ[2]

ونحوَ:

فيا لائِمي في عَبْرةٍ قد سفَحْتُها ... لبَيْنٍ وأُخرى قبلَها لتَجَنُّبِ

تُحاوِلُ منِّي شِيمةً غيرَ شِيْمَتي ... وتَطْلُبُ مِنِّي مَذْهباً غيرَ مَذْهَبي[3]

ومنهُ قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [يوسف: ٨٦].

وقولُه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٩].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ الآية [هود: ١٢٣].

وأكثرُ القرآنِ من شواهِدِ هذا البابِ.

***

(١) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (٣/ ٦)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٩٥)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٩ و٤٣٠).

(٢) البيت لأبي تمام أيضاً. انظر: «ديوانه» (٤/ ٢٥٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٩).

(٣) البيت للبحتري. انظر: «ديوانه» (١/ ١٩١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٩).

بابُ

حُسْنِ البيَان

وهو عبارةٌ عن الإبانةِ عمَّا في النَّفسِ بعبارةٍ سهلةٍ بليغةٍ بعيدةٍ عن اللَّبْسِ، ودلالةُ التأليفِ غيرُ متناهيةٍ كالأعداد، ولذلك لو قالَ قائلٌ: لا يمكنُ أنْ يُؤْتَى بقصيدةٍ إلا وقد قِيلَتْ مِن قَبْلُ، كان قولُه مُحالاً، غيرَ أنَّ البيانَ فيه الأقبحُ والأحسنُ والوسائطُ، وحُسْنُ البيانِ تارةً تكونُ العبارةُ عنه مِن طريقِ الإيجازِ، وتارةً مِن طريقِ الإطنابِ، بحَسَبِ ما يَقتضِيهِ الحالُ، والإطنابُ بلاغةٌ، والإسهابُ عِيٌّ؛ لأنَّ الإطنابَ هو كثرةُ العبارةِ بسببِ كثرةِ المعاني، والإسهابَ كثرةُ العبارةِ عن المعنَى الواحدِ أو المعاني القليلةِ، وهي الإطالةُ المذمومةُ التي هي إطالةُ العبارةِ عن المعنَى الواحدِ بالألفاظِ الكثيرة.

والإسهابُ مأخوذٌ من السَّهْبِ، وهو المتَّسِعُ من الفَلَاةِ التي لا يَنْتَهي النَّظرُ فيه إلى عَلَمٍ يُهتدَى به، فكأنَّ المسهِبَ اتَّسَعَ في الكلامِ اتِّساعاً لا فائدةَ فيه.

والأولُ هو حدُّ البلاغةِ وحقيقتُها، وبها جاء كلُّ بيانِ القرآن:

كقولِه تعالى في التحذيرِ من الاغترارِ بالنِّعَمِ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ الآية [الدخان: ٢٥ ـ ٢٦].

وفي الوَعْدِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الآية [الدخان: ٥١].

وفي الوعيد: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

وفي الاحتجاجِ القاطعِ للخَصْم: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

ونحوُ ذلك في القرآنِ كثيرٌ.

وكقولِ أبي العَتَاهِيَةِ في موسَى الهادي:

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرَّجاءُ إذا حَرَّكَ موسَى القَضِيبَ أو فَكَّرْ[1]

مدَحَهُ بالخلافةِ، ووصفَه بالقدرةِ المطلَقة، وعِظَمِ المهابةِ، بحيثُ إذا حرَّكَ القضيبَ مرَّةً، أو أطرقَ مفكِّراً لحظةً، اضْطَرَب الخوفُ والرجاءُ في قلوبِ الناسِ، فأبانَ عن هذه المعاني أَحْسنَ إبانةٍ.

وكقولِ بعضِهم في عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الملكِ الخليفةِ:

في كفِّه خَيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ مِن كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى مِن مَهابَتِه فلا يُكلَّمُ إلا حينَ يَبْتسِمُ[2]

***

(١) انظر: «نقد الشعر» لأسامة بن جعفر (ص٣٥)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي (٣/ ١٥)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٩١)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٤٨٣).

(٢) البيتان للحزين الكناني كما في «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص٢٧)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي (٢/ ٣٦٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٩)، وللفرزدق أو لداود بن سلم أو للحزين الكناني كما في «زهر الآداب» للقيرواني (ص١٠٣ ـ ١٠٥)، ولهم جميعاً أو للّعين المنقري كما في «العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٣٨).

باب الاختراع

وهو أنْ يخترِعَ المتقدِّمُ معنًى لم يُسْبَقْ إليه، كقولِ ابنِ الحجَّاجِ[1] في رئيسٍ كان قريباً مِن قلبِه بعيداً مِن رِفْدِه:

وإنِّـيَ والمولَـى الـذي أنـا عبدُه طريفـانِ فـي أمـرٍ لـه طرَفـانِ
بَعيـداً تَرانـي منـه أقـربَ مـا تَـرَى كـأنِّي يـومُ العيـدِ مِـن رمضـانِ[2]

ومنـه قولُـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ الآيـة [الحج: ٧٣]، فانظُـرْ إلـى غرابـةِ هذا التَّمثيـلِ الذي تَضمَّن هـذا الإفراطَ فـي المبالغةِ مـع كونـهِ جارياً علـى الحقِّ خارجـاً مَخرجَ الصِّـدق، ولـم يُسـمعْ مثلُ هـذا التمثيلِ لأحدٍ قبـلَ نـزولِ القرآن.

* * *

---

(١) الحسين بن أحمد بن الحجّاج، أبو عبد الله البغدادي المتوفى سنة (٣٩١هـ)، الشاعر المشهور صاحب الدّيوان الكبير فِي الفُحْش والسُّخْف، وقد أفرد بعضُ الأدباء من شعره شيئًا حسنًا، وكان قد وُلِّي حِسْبَةَ بغداد، وكان إذا مدح أحدا فكأنما قد هجاه لما فِي شعره في الزَّطاطة. وكان غاليا في التشيُّع. انظر: «تاريخ الإسلام» (٨/ ٧٠١).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٢٩).

باب
حُسْنِ الاتِّباع

وهو أنْ يأتيَ المتكلِّمُ إلى معنًى اخترعَه غيرُه فيُحْسِنَ اتِّباعَهُ فيه بزيادةٍ توجِبُ للمتأخِّر استحقاقَ معنَى المتقدِّم: إمَّا باختصارِ لفظِه، أو عذوبةِ قافيَتِه، أو تتميمِ نَقْصِه، أو تحلِيَتِه بحِلْيَةٍ من البَدِيعِ، كقول جرير:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ رأيتَ النَّاسَ كلَّهُم غِضَابا[١]

فتبعه أبو نواس، ونقل المعنى من الفخر إلى المدح فقال:

وليسَ على اللهِ بمستنكَرٍ أنْ يَجمعَ العالَمَ في واحدِ[٢]

وتَبِعَ أبا نواسٍ في هذا المعنَى الوزيرُ المغربيُّ فقال:

حتَّى إذا ما أراد اللهُ يُسْعِدُني رأيتُه فرأيتُ الناسَ في رَجُلِ[٣]

فأتَى بمعنَى بيتِ أبي نواسٍ في نصفِ بيتٍ، وإنْ كان قاصِراً باقتصارِه على ذكرِ الناس، بخلافِ أبي نواسٍ فإنه أعمُّ؛ لذكرِه العالَم، ولو قال: رأيتُ الخَلْقَ في رجلٍ، لكان نهايةً في الحُسْنِ.

ويمكنُ الجوابُ: بأنَّ النَّاسَ أشرفُ العالَم، فيَدخُلُ غيرُهم تبعِيَّةً.

---

(١) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص١٠٥)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٢/ ٥٩٥)، و«الفاضل» للمبرد (ص١٠٩)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٧٨).

(٢) انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٨١٥)، و«الصناعتين» (ص٢١٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٧٨).

(٣) انظر: «البديع في نقد الشعر» لأبي المظفر الكناني (ص٢٢١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٧٨).

وكقول البحتري:

إنْ أَطْـرقَ استَوْحَشَـتْ للخـوفِ أفئدةٌ ويمـلأُ الأرضَ مِن أُنسٍ إذا ابْتَسَـما[١]

فإنَّه أحسنَ في اتِّباعِ مَن قال:

يُغْضِـي حيـاءً ويُغْضَـى مِـن مَهابَتِه فـلا يُكـلَّـمُ إلَّا حيـنَ يَبْتسِـمُ[٢]

* * *

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٨٣).

(٢) تقدم قريباً.

باب الافتنانِ

وهو: أنْ يأتيَ المتكلِّم بفَنَّينِ متضادَّينِ مِن فنونِ الكلامِ في بيتٍ واحدٍ أو جملةٍ واحدةٍ، كقول عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ:

أحبُّكَ يا ظَلومُ فأنتَ عِندي مكانَ الرُّوحِ مِن جَسَدِ الجَبانِ

ولو أنِّي أقولُ مكانَ رُوحي خَشِيْتُ عليكَ بادِرةَ الطِّعانِ[١]

وكقولِ بعضِهم ليزيدَ بنِ معاويةَ حين دَفَنَ أباهُ رضي الله عنه:

اصْبِرْ يَزيدُ فقد فارَقْتَ ذا ثقةٍ واشْكُرْ حَبَاءَ الذي بالمُلكِ أَصْفاكا

لا رزْءَ أصبحَ في الأقوامِ نَعْلَمُه كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْباكا[٢]

وكقولِ أبي نواسٍ يعزِّي بالرَّشيدِ ويُهنِّئُ بالأمينِ:

حوادثُ أيامٍ تدورُ صُروفُها لهنَّ مَساوٍ مرَّةً ومَحاسِنُ

وفي الحيِّ بالميْتِ الذي غُيِّبَ الثَّرى فلا أنتَ مغبونٌ ولا الموتُ غابِنُ[٣]

---

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٨)، ونسبا لأبي دلف العجلي برواية: (أحبك يا جنان...) في «ديوان المعاني» للعسكري (١/ ٢٧١)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٤/ ١١٣٩)، و«نهاية الأرب» للنويري (٤/ ٢٣١).

(٢) البيت لابن همام السلولي كما في «الكامل» للمبرد (٤/ ٩٣)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٥٥). ودون نسبة في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٨).

(٣) انظر: «الأوراق» للصولي (١/ ٢٢٣)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٥٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٩).

ومنه قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] فجَمَعَ الوَعْدَ والوَعيدَ.

وقولُـه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الآيـة [الرحمـن: ٢٦ـ٢٧]، فجَمَعَ بينَ التَّعزِيَـةِ والفَخْر.

* * *

بابُ الاتِّفاقِ

وهو أنْ يتَّفقَ للشَّاعرِ واقعةٌ تعلِّمُه العملَ في نفسِها، كما اتَّفقَ لبعضِ الشُّعراءِ في حسامِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ حاجبِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدِّين لمَّا ظَفِرَ بالفِرَنْجِ الذين قَصَدوا الحجازَ من بحرِ القُلزم[١]، فقال مخاطباً للفِرَنجِ ثم لصلاحِ الدِّين:

عدوُّكم لؤلؤٌ والبحرُ مسكنُه ... والدُّرُّ في البحرِ لا يَخْشَى من الغِيَرِ
فأْمُرْ حسامَكَ أنْ يَحْظَى بنَحْرِهمُ ... فالدُّرُّ مُذْ كانَ مَنسوبٌ إلى النَّحرِ[٢]

وقولِ الآخَرِ لمَّا قَصَدَ صلاحُ الدِّين يوسُفُ حصنَ بيتِ يعقوبَ بالشَّامِ:

دَعُوا بيتَ يعقوبَ فقد جاءَ يوسُفُ[٣]

وقولِ الآخَرِ لمَّا الْتَقَى الملكُ الأشرفُ موسى بابنِ عمِّه الخَضِر بملْتَقَى الخابورِ والفُراتِ:

غَدَا مَجمَعُ البَحْرَينِ شاطِيْ فُراتِنا ... أَلَمْ تَرَ مُوسى فيه قد لَقِيَ الخَضِرا[٤]

---

(١) وهو المعروف اليوم بخليج السويس من البحر الأحمر. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: قلزم).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٣)، وعزاه السيوطي في «المحاضرات والمحاورات» (ص١٧٦) لرضي الدين أبي الحسين بن سالم بن المفرج بن أبي الفتح بن أبي حصينة. ووقع في مطبوع «التحرير»: (البحر) بدل: (النحر).

(٣) نسبه ابن أبي الإصبع لابن الساعاتي. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٨٩).

(٤) البيت لابن أبي الإصبع. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٨٩).

وقولِ الآخَرِ: عند اجتماعِ الملكِ الأشرفِ موسى بأخيهِ الملكِ الكاملِ محمدٍ صاحِبِ مصرَ:

نقولُ ومُوسى قد أتَى لمحمدٍ ... أَهَلْ ليلةُ الإسراءِ عادَ بها الدَّهرُ[1]

وقولِ الآخَرِ في عثمانَ وقد وُلِدَ له ولدانِ في ليلةٍ:

ليَهْنِ عَلْياكَ بَدْرا ... نِ زيَّنا الخافِقَينِ

الآنَ صِرْتَ يقيناً ... عثمانَ ذا النُّورَينِ[2]

***

(١) البيت لابن أبي الإصبع. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٤).

(٢) البيتان لابن أبي الإصبع يهنئ فخر الدين عثمان بن قزل. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٤).

بابُ النَّوادرِ

وسمَّاه بعضٌ: التَّطريفَ، وبعضٌ: الإغرابَ والطُّرفةَ، وهو أنْ يأتيَ الشاعرُ بمعنًى غريبٍ لقلَّتهِ في كلامِ الناس، كقولهِ في الشَّيبِ:

ولقد سمعتُ وما سمعتُ بمثْلِه ... بيناً غرابُ البَيْنِ فيهِ أبيضُ[1]

وقولهِ:

غيرِي جَنَى وأنا المعاقَبُ فيكُمُ ... فكأنَّني سبَّابةُ المتَنَدِّمِ[2]

وقولِ ابنِ الرُّوميِّ في نسوةٍ:

يَستغفِرُ الناسُ بأيديهِمُ ... وهنَّ يَسْتغفِرْنَ بالأَرْجُلِ

فيا لهُ مِن عملٍ صالحٍ ... يرفعُه اللهُ إلى أسفلِ[3]

أغرَبَ بمخالفة العادةِ؛ حيث يَفْعَلْنَ بالأَرْجُلِ ما يفعلُه النَّاسُ بالأيدي، والارتفاعُ إلى الأسفلِ من أغربِ الغريبِ.

وكقولِ ابنِ سَنَاءٍ في صَبيٍّ حَسَنٍ ضُرِبَ وسُجِنَ:

---

(١) البيتان لمحمد بن المؤيد خطيب خوارزم كما في «المقتطف من أزاهر الطرف» لأبي الحسن المغربي (ص١٣١)، ودون نسبة في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٤).

(٢) البيت لمحمد بن شرف القيرواني. انظر: «المختار من شعر شعراء الأندلس» لابن الصيرفي (ص٦٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٠٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٤٦٣).

(٣) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥١٢).

بنَفْسيَ الذي لم يَضْرِبوه لرِيبةٍ ... ولكنْ ليَبْدوَ الوَرْدُ في سائرِ الغُصْنِ
وقالوا لهُ شارَكْتَ في الحُسْنِ يوسُفاً ... فشارِكْهُ أيضاً في الدُّخولِ إلى السِّجنِ[1]

وقولِهِ:

عليكِ زكاةٌ فاجعَليها وصالَنا ... لأنكِ في العِشْرينَ وهي نِصَابُ[2]

* * *

(١) انظر: «ديوان بن سناء الملك» (ص٧٨٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥١٤).

(٢) انظر: «ديوان بن سناء الملك» (ص٤٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥١٤).

باب التخيير

وهو أنْ يكونَ البيتُ صالحاً لقَوَافٍ شتَّى فيتَخَيَّرُ الشاعرُ أحسنَها بمعرفتِه، كقولِهِ:

إنَّ الغريبَ طويلُ الذَّيلِ ممتهَنٌ ... فكيفَ حالُ غَريبٍ ما له قُوتُ[1]

فيجوزُ أنْ يقالَ: ما لهُ سببُ، ما لهُ حالُ، ما لهُ مالُ، ما لهُ أحدُ، لكنَّ: (ما لهُ قُوتُ) أبلغُ وأدلُّ على الفاقةِ، وأبينُ للضَّرورةِ، وأَدْعَى للاستعطافِ.

وقولِهِ تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فيجوز: غفورٌ رحيمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ، لكنَّ (عزيز حكيم) أبلَغُ وأنسَبُ، لأنَّ مَن يَغْفِرُ لمن يَستحِقُّ العذابَ إنما يكونُ مَن لا فوقَهُ أحدٌ يَردُّ حُكْمَه، ومَن كان كذلكَ كان عزيزاً ممتنِعاً من الرَّدِّ عليه، ومَن كان حكيماً وَضَعَ الشيءَ في محلِّه وإنْ خَفِيَ وجهُ الحكمةِ عن المخلوقِينَ القاصِرينَ عن إدراكِ أسرارِ الرُّبوبيَّة.

* * *

---

(١) البيت للحريري. انظر: «مقامات الحريري» (ص٥١٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٢٧)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٤/ ٤٣٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٧٥).
وجاء في جميع المصادر: (الطويل الذيل) بـ(أل) التعريف.

بابُ الاتِّساع

وهو: أنْ يأتيَ الشاعرُ ببيتٍ يَتَّسِعُ فيه التأويلُ على قَدْرِ قوَّةِ الناظِرِ فيه، وبحسَبِ ما تحمِلُه ألفاظُه كقولهِ:

إذا قامَتَا تَضَوَّعَ المسكُ منهُما نسيمَ الصَّبَا جاءَتْ بريَّا القَرَنْفُلِ[1]

فمِن قائلٍ: تَضَوَّعَ مِثْلُ المِسْكِ منهما بنسيمِ الصَّبا، أو: تَضَوَّعَ نسيمُ الصَّبا منهما، أو: تَضَوَّعَ المسْكُ منهما تَضَوُّعَ نسيمِ الصَّبا، أو: تَضَوَّعَ المَسْكُ ـ بفتح الميم ـ يعني: الجِلْد.

وقولهِ في صفةِ الفَرَسِ:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ[2]

وصَفَ الفَرَسَ بلِينِ الرأسِ، وسرعةِ الانحرافِ، وشدَّةِ العَدْوِ.

وقولهِ تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، فظاهرُه يقتضِي إباحةَ الجمعِ بين تسعٍ أو ثمانيةَ عَشَر[3]، باعتبارِ أنَّه مكرَّرٌ اثنينِ اثنينِ، وثلاثةً ثلاثةً، والأصحُّ إنَّما هو الجمعُ بينَ أربعة[4] فقط.

وجميعُ فواتحِ السُّورِ المعجَمةِ من هذا البابِ.

---

(١) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص٢٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص١١٧)، و«شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص٢٧)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص٣٩)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٥٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٤٠٣).

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص٥٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص١٣٥)، و«شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص٨٣)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص٦٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٤٥٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٢٨).

(٣) «ثمانية عشر» كذا في (س) و(م)، والجادة: ثماني عشرة.

(٤) «أربعة» كذا في (س) و(م)، والجادة: أربع.

بابُ التوجيهِ

ويقالُ: الإبهامُ، وهو: أنْ يأتيَ الكلامُ محتمِلاً لوجهَيْنِ مختلِفَينِ، كقولِهِ:

ويرغـبُ أنْ يبنـي المعالـيَ خـالـداً ويرغبُ أنْ يُرضِـي صنيـعَ الألَائِـمِ[١]

فإنْ جَعَلْتَ الرَّغبةَ الأولى مقدَّرةً بـ(في) كان مدحاً، وبـ(عن) كان ذمّاً، وإنْ جَعَلْتَ الثانيةَ مقدَّرةً بـ(عن) كان ذمّاً، وبـ(في) كان مدحاً[٢].

وكقولِ بعضِهم للمأمونِ في تهنئةٍ بعروسٍ:

يـا إمـامَ الهـدَى ظَـفِـرْ تَ ولكِـنْ بِبِنْـتِ مَـن[٣]

وقولِ آخَرَ في خيَّاطٍ أعوَرَ اسمُه زيدٌ:

خـاطَ لـي زيـدٌ قَبَـاءْ لـيـتَ عَيْنَيْـهِ سَـواءْ[٤]

---

(١) البيت دون نسبة في «الإنصاف» للبطليوسي (ص٥٦)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص٦٨٢). وفيهما: (خالد) بالرفع.

(٢) كذا قال المؤلف، وفيه نظر من جهتين:

الأولى: أن الصواب في الشطر الثاني هو عكس ما ذكره، يعني: تقدير (في) ذم، وتقدير (عن) مدح.

والثانية: فصله في التقدير بين الشطرين، والصواب هو اجتماع التقدير فيهما.

ويوضح ما قلناه كلام البطليوسي وابن هشام، حيث قال الأول: إن جعلت الرغبة الأولى مقدرة بـ(في) والثانيةَ مقدرةً بـ(عن) كان مدحاً، وإن جعلت الرغبة الأولى مقدرة بـ(عن) والثانية مقدرة بـ(في) كان ذمًّا.

وتابعه ابن هشام مختصراً كلامه مع زيادة فائدة تزيد في توضيح ما قلنا، فقال: إنْ قدِّر (في) أولاً و(عن) ثانياً فمدح، وإن عكس فذم، ولا يجوز أن يقدر فيهما معا (في) أو (عن) للتناقض.

(٣) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٩٧)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٧٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٧٨).

(٤) انظر: المصادر الثلاثة السابقة، وصدره عند ابن أبي الإصبع:

=

فلا يُدْرَى (ببنتِ مَن) في الضَّعَةِ أو الرِّفعة، أو: الصحيحةُ تساوِي العوراءَ أو العكسُ؟

وقولِ ابنِ حجَّامٍ:

أنا ابنُ مَن دانتِ الرِّقابُ له ... مِن بينِ مَخزُومِها وهاشِمِها
تأتيهِ طَوْعاً إليه خاضعةً ... يأخذُ مِن مالها ومِن دَمِها[1]

فهذهِ أوصافٌ تَصْلُحُ للملوكِ وللحُجَّامِ.

وقولِ ابنِ طبَّاخٍ:

أنا ابنُ الذي لا تَنْزِلُ الأرضَ قِدْرُه ... وإنْ نَزَلتْ يوماً فسوفَ تعودُ
تَرَى الناسَ أفواجاً إلى ضوءِ نارِه ... فمنهم قيامٌ حولَها وقُعودُ[2]

= جاء من زيد قباء

وهذا البيت والذي قبله وردا في قصة واحدة طريفة انظرها في «تحرير التحبير» و«خزانة الأدب».

وزاد ابن حجة: (وغالب الناس يسمون الخياط عَمْرًا ويقولون:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكي الدين بن أبي الأصبع في كتابه المسمى بـ«تحرير التحبير» أن الخياط كان اسمه زيدًا، وأوردَ البيت مصرَّعًا، مرفوعَ العروضِ والضرب، ووجه الرفع ظاهر فيهما، ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبلُ في هذا الإبهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد، والبيت المتعلق بالحسن بن سهل).

ويعني بالبيت المتعلق بالحسن بن سهل قصة بيت المأمون وهو واضح في القصة التي أشرنا إليها.

(١) انظر: «غرر الخصائص الواضحة» لأبي إسحاق الوطواط (ص٢٥٨)، و«نهاية الأرب» للنويري (٣/ ١٥٩)، و«شرح لامية العجم» للدميري (ص١٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر المصادر السابقة، وعندهم جميعا: (لا يُنزِلُ الدهرُ قِدْرَه). وهذان البيتان واللذين قبلهما وردت جميعها في قصة واحدة طريفة انظرها في المصادر المذكورة.

فهذه تَصْلُحُ للحاتِمِ وللطبَّاخ.

ومنه حديثُ: «مَن جُعِلَ قاضياً فقَدْ ذُبِحَ بغيرِ سِكِّينٍ»[1]؛ أي: لِمَا يتحمَّلُه من المشاقِّ لوفاءِ الحقوق، وهذا مَدْحٌ، أو لِمَا يقعُ فيه من الظُّلْم وهذا ذمٌّ.

قال السكَّاكيُّ: ومنه متشابِهاتُ القرآن[2].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٠)، والترمذي (١٣٢٥)، وأبو داود (٣٥٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب.

(٢) انظر: «مفتاح العلوم» (ص٤٢٧).

بابُ
الهجاءِ في معرِضِ المَدْح

وهو: أنْ يأتيَ بألفاظٍ ظاهرُها المدحُ وباطنُها القَدْحُ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، فهذا من أمثلةِ ورودِ الذمِّ في صورةِ المدحِ.

وكقولِ الشاعرِ في بعضِ الأشرافِ:

لـهُ حَـقٌّ وليـسَ عـليـه حَقّ ... ومَهْمَـا قـال فالحَسَـنُ الجَميـلُ
وقـد كانَ الرَّسـولُ يَـرَى حُقـوقاً ... عـلـيهِ لغيـرهِ وهـو الرَّسـولُ[1]

وقولِ بعضِهم في أبي تمَّامٍ ـ وقد كان في لسانِهِ لُكْنَةٌ ـ:

يـا نـبـيَّ اللهِ فـي الـشِّعْـ ... ـرِ ويـا عيسَـى ابـنَ مَرْيـمْ
أنـتَ مِـن أشـعرِ خلـقِ اللّـ ... ـهِ مـا لـمْ تـتـكـلَّـمْ[2]

وقولِهِ:

لـو شـاءَ مِـن رِقَّـةِ ألـفـاظِهِ ... ألَّفَ مـا بيـنَ الهُـدَى والضَّلالْ

---

(١) البيت لعائد الكلب الزبيري كما في «الكامل» للمبرد (٢/ ١٠٣)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ٢٢٣).
وعائد الكلب اسمه عبد الله بن مصعب الزبيري، كان والياً على المدينة للرشيد، لقب بذلك لقوله:
مالي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم، ويمرض كلبكم فأعود
فسمّي: «عائد الكلب» وولده الآن يسمّون: «بني عائد الكلب». انظر: «عيون الأخبار» (٣/ ٦٠).
وعزاه القيرواني في «زهر الآداب» (١/ ١٢٧) لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسلمي.
ودون نسبة في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٥٠).

(٢) البيت لمخلد بن بكار الموصلي كما في «العمدة» لابن رشيق (١/ ١١٠ ـ ١١١)، ولعبد الصمد بن المعذل أو أبي العميثل كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٥٠).

يَـكْـفـيـكَ مـنـه أنَّـه ربَّـمـا قادإلى المهجورِ طيفَ الخيالْ[١]

وأمَّـا ورودُ المـدحِ في صـورةِ الـذمِّ، فكقولِهم: أخـزاهُ اللهُ ما أَشْـعَرَه! و: لعنه مـا أفصحه!

وذكرَ ابنُ جِنِّي أنَّ أعرابيّاً رأى ثوباً فقال: ما له مَحقَهُ الله!! قال: فقلتُ له: لِمَ تقولُ هذا؟! فقال: إنَّا إذا استَحْسَنَّا شيئاً دَعَوْنا عليه[٢].

وأصلُ هذا: أنَّهم يَكرهونَ أنْ يَمدحوا الشَّيءَ فيُصِيبوهُ بالعَين، فيَعْدِلوا مِن مَدْحِهِ إلى ذَمِّه.

والحاصلُ: أنَّ المدحَ قد يَخرجُ مخرجَ الذمِّ، والذمَّ قد يخرجُ مخرجَ المدْحِ.

***

---

(١) البيتـان لابـن سـناء الملـك. انظـر: «ديوانـه» (ص٥٧٦)، و«تحريـر التحبيـر» لابـن أبـي الإصبـع (ص٥٥١)، و«خزانـة الأدب» لابـن حجـة (١/ ٢٦١).

(٢) انظر: «الإنصاف» للبطليوسي (ص١٠٥).

بابُ التَّهكُّم

وهو: الإتيانُ بلفظِ البِشارةِ في موضعِ الإنذارِ، والوعدِ مكانَ الوعيدِ، والمدحِ في معرِضِ الاستِهْزاء، كقولهِ تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨].

وقولِه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

وقولِه: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣]، فـ﴿إِيمَٰنُكُمْ ﴾ تهكُّمٌ.

وقولِ ابنِ الرُّوميِّ:

فيا لهُ مِن عملٍ صالحٍ يرفعُه اللهُ إلى أسفلِ[1]

والفرقُ بين التهكُّمِ والهجاءِ في مَعرِضِ المدحِ: أنَّ التَّهكُّمَ لا تخلُو ألفاظُه مِن لفظةٍ تدلُّ على الذمِّ، أو لفظةٍ يُفْهَمُ مِن فَحْواها الهجوُ، بخلافِ الهجاء، فإنَّ ألفاظَ المدحِ لا يقعُ فيها شيءٌ من ذلك، كذا قيل.

والشَّماتةُ: هي إظهارُ المسرَّةِ بـمَن أُصيبَ؛ كقوله تعالى: ﴿ ذُقْ ﴾ [الدخان: ٤٩]، فلفظةُ ﴿ ذُقْ ﴾ شماتةٌ والباقي تهكُّمٌ.

والشَّماتةُ المحضَةُ: قولُه لفرعونَ: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

والهَزْلُ الذي يرادُ به الجِدُّ: هو أنْ يَقْصِدَ المتكلِّمُ مَدْحَ إنسانٍ أو ذَمَّه

---

(١) تقدم في باب النوادر.

بتخريجِ ذلك مَخرجَ الهزلِ المعْجِبِ والمُجُونِ المُطْرِبِ، كما حُكيَ عن أَشْعبَ أنه حضَرَ بمكةَ وليمةً لبخيلٍ ثلاثةَ أيامٍ، وفي المائدةِ جَدْيٌ مَشْويٌّ لا يمسُّه أحدٌ لعِلْمهم ببُخْلِه، فقال أشعبُ في اليومِ الثالث: زوجتُه طالقٌ إنْ لم يَكنْ عمرُ هذا الجَدْي بعدَ أنْ ذُبح وشُوِي أطولَ منه قَبْلَ ذلك، فهو كلامٌ ظاهرُه الهزْلُ ومُرادُه به الجِدُّ.

وكقولِهِ:

إذا ما تميميٌّ أتاكَ مفاخِراً   فقُلْ عَدِّ عن ذا كيفَ أكلُكَ للضَّبِّ[1]

وقولِهِ:

أَرْقيكَ أَرْقِيكَ بسمِ اللهِ أَرْقيكَا   مِن بُخلِ نَفْسِكَ عَلَّ اللهَ يَشْفِيكَا

ما سِلْمُ كفِّكَ إلا مَن يُتارِكُها   ولا عَدوُّكَ إلا مَن يُرجِّيكَا[2]

وقولِهِ:

وقد عَلِمَتْ سَلْمَى وإنْ كانَ بعلَها   بأنَّ الفتَى يَهْذي وليسَ بفعَّالِ[3]

---

(١) البيت لأبي نواس. انظر: «الحيوان» للجاحظ (٦/ ٣٦٨)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (ص٧٢٣)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٢٦).

(٢) البيتان لأبي العتاهية. انظر: «البديع» لابن المعتز (ص١٥٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٩).

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص١٣٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٢٧).

والفـرقُ بينهُ وبيـنَ التهكُّـم: أنَّ التهكُّمَ ظاهرُه جِـدٌّ وباطنُه هَـزْلٌ، وهذا ظاهرُه هَـزْلٌ وباطنُه جِدٌّ.

* * *

بابُ النَّزاهةِ

وتختصُّ غالباً بالهجاءِ، وهي عبارةٌ عن نزاهةِ الألفاظِ عن الفُحْشِ، قال أبو عمرِو بنِ العَلَاءِ وقد سُئل عن أحسنِ الهِجَاء: هو الذي إذا أَنْشدَتْه العذراءُ في خِدْرِها لا يُقبِّحُ عليها[١].

مِثْلَ قولِ جَريرٍ:

لو أنَّ تَغْلِبَ جمَّعَتْ أحسابَها يومَ التَّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقالا[٢]

ونحوُه:

مودَّةٌ ذَهَبتْ أثمارُها شَبَهٌ وهمَّةٌ جوهرٌ معروفُها عَرَضُ[٣]

ونحوُه:

أَلَمْ أَقُلْ لكَ إنَّ القومَ بُغيتُهم في رَبَّةِ العُودِ لا في رَنَّةِ العُودِ[٤]

وكقولهِ تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية [النور: ٥٠]، فانظُرْ إلى مَضَاضةِ هذه الألفاظِ ونزاهَتِها عن الفُحْش.

***

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٤).

(٢) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص٧١٨)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ١٧٠)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٤)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٧٣).

(٣) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (٤/ ٤٦٦)، و«سر الفصاحة» للخفاجي (ص١٦٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٥)، و«الطراز» للطالبي (٢/ ١٧٢).

(٤) البيت لمعد بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوماً إلى سماع قينة له، ثم انكشف له بعد ذلك أنهم ينالون منها القبيح. انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٥)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٧٣).

بابُ الكنايةِ

وهـي: أنْ يُعبَّـر عن المعنَـى القبيـحِ باللَّفظِ الحَسَـنِ، وعن الفاحِـشِ بالطَّاهر؛ كقولـه تعالـى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائـدة: ٧٥] كنايـةً عـن الحَدَث، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النسـاء: ٤٣] كنايـةً عـن قضـاءِ الحاجـةِ، وقولـهِ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقـرة: ٢٣٥] كنايـةً عـن الجمـاع، وقولـهِ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النـور: ٢٦] والمـرادُ: الزُّنَاةُ.

ولا تجدُ معنًى من هذهِ المعاني في القرآنِ إلا بلَفْظِ الكنايةِ؛ لأنَّ المعنَى الفاحشَ متى عُبِّرَ عنه بلفظِه الموضوعِ له كانَ الكلامُ مَعيباً من جهةِ فُحشِ المعنى.

وكقولِ مَن هَجَا شخصاً به داءُ الأسِد، فكنَى عنه ورمَى أمَّه بالفُجورِ بطريقِ الكِنايَة:

أرادَ أبــوكَ أمَّــك حيــنَ زُفَّــتْ ... فلَمْ تُوجَـدْ لأمِّــكَ بنــتُ ســعدِ
أخــو لخــمٍ أعــارَكَ منــه ثــوباً ... هـنيــئاً بالقميــصِ المســتجدِّ[1]

بنتُ سعدٍ: العُذْرةُ، وأخو لَخْمٍ هو الجُذَام.

وقولِهِ في حجَّامٍ:

إذا عَــوَّجَ الكتَّــابُ يومــاً سُطورَهُـمْ ... فــليس بمعْــوَجٍّ لــه أبــداً سَــطْرُ[2]

ومِن مَلِيحِ الكنايَةِ قولُ بعضِ العَربِ:

ألَا يـــا نخلـــةً مِـــن ذاتِ عِرْقٍ ... علـيـــكِ ورحمـــةُ اللهِ الســـلامُ

---

(١) البيتان لمخلد بن علي السلامي الحوراني كما في «ربيع الأبرار» للزمخشري (٢/ ٣٣٤). وانظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٥)، وعنه نقل المؤلف.

(٢) انظر: «البديع» لابن المعتز (ص١٦١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٤٥).

سـأَلْتُ النَّـاسَ عنـكِ فخبَّروني هـنـاً مِـن ذاك يَكرهُـه الكِـرَامُ
ولـيـسَ بـمـا أَحـلَّ اللهُ بـأسٌ إذا هـو لـم يخالِطْـه الحـرامُ[1]

كنَى بالنَّخلةِ عن المرأةِ، وبالـهَنِ عن الرَّفثِ، لكنْ مِن عادةِ العربِ الكنايةُ بهنٍ عن مِثْلِ ذلك، وأمَّا الكنايةُ بالنَّخلةِ عن المرأةِ فمِن ظَريفِ الكنايَةِ وغَريبِها.

***

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٤٥ ـ ١٤٦)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٦٥).
وأورد البطليوسي في «الحلل» (ص١٠٣) البيت الأول وقال: هذا البيت: لا أعلم لمن هو، وينسبه قوم إلى الأحوص، وذات عرق: موضع، وقوله: (من ذات عرق) في موضع الصفة لـ(نخلة)، كأنه قال: ألا يا نخلة كائنة من ذات عرق.

باب التَّورية

ويقالُ لها: الإيهامُ، والتَّوجيهُ، والتَّخييلُ، والتَّوريةُ أَوْلى.

مصدرُ وَرَّيْتُ الخبرَ تَوْريةً: إذا سَتَرْتَه وأظهَرْتَ غيرَه.

وفي الاصْطِلاح: أنْ يَذكُرَ المتكلِّمُ لفظاً مفرَداً له معنيَانِ حقيقيَّان، أو حقيقةٌ ومجازٌ، أحدُهما قريبٌ والآخَرُ بعيدٌ، فيريدُ المتكلِّمُ المعنَى البعيدَ، ويُورِّي عنه بالمعنَى القريبِ، فيَتوَهَّمُ السَّامعُ أنه يريدُ القريبَ وليس كذلك.

قال الزَّمخشريُّ: ولا نَرَى باباً في البيانِ أَدقَّ ولا أَلْطفَ من هذا البابِ، ولا أنْفعَ منه، ولا أَعْوَنَ على تَعَاطي تأويلِ المشتبِهات من كلامِ اللهِ تعالى، وكلامِ رسولِهِ، وكلامِ أصحابه[1].

وذلك كقولِهِ عليه السلام في مجيئِهِ إلى بدرٍ وقيلَ له: ممَّن أنتُم؟ فلَمْ يُرِدْ أنْ يُعْلِمَ السائلَ، فقال: «مِن ماءٍ»[2]، فورَّى بقبيلةٍ من العربِ يقالُ لها: ماءٌ، وأراد: أنا مخلوقٌ مِن ماءٍ.

وكقولِ الصِّدِّيقِ في الهجرةِ وقد سُئِلَ عن النبيِّ ﷺ: مَن هذا؟ فقال: هادٍ يَهْدِيني[3].

فورَّى عنه بهادِي الطريق وأراد: هادياً يَهْدِيني للإسلام.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٤٣)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٦٥)، واللفظ له.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦١٦) عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلاً.

(٣) رواه البخاري (٣٩١١)، والإمام أحمد في «المسند» (١٢٢٣٤) واللفظ له، من حديث أنس رضي الله عنه.

وكقولِ عليٍّ في الأشعثِ بنِ قيس: وهذا كانَ أبوهُ يَنْسِجُ الشِّمالَ باليمينِ[١].

لأنَّ قيساً كان يَحُوكُ الشِّمالَ التي واحدُها شملةٌ.

وأقسام التورية أربعة، وفي «التلخيص»[٢] ضربان:

مجرَّدةٌ: وهي التي لا تجامِعُ شيئاً مما يُلائِمُ المعنَى القريبَ، نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أراد بـ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ معناه البعيدَ، وهو: استَوْلَى[٣]، ولم يُقْرَنْ به شيءٌ مما يلائِمُ المعنى القريبَ الذي هو الاستقرارُ كالجلوسِ والاضطجاعِ.

مرشَّحةٌ: وهي التي تجامِعُ شيئاً مما يلائِمُ المعنى القريبَ، نحو: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أراد بالأيدي معناها البعيدَ وهو القدرةُ، وقَرَن بها ما يُلائِمُ المعنى القريبَ الذي هو الجارحةُ المخصوصةُ، وهو قولُه: ﴿بَنَيۡنَٰهَا﴾؛ لأنَّ البناءَ يلائمُ اليدَ.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٣/ ٢١٠)، و«الغريبين» (مادة: شمل)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٦٨)، والكلام منه.

(٢) يريد: «تلخيص المفتاح» للقزويني. انظر: «تلخيص المفتاح» مع شرح السبكي المسمى «عروس الأفراح» (٢/ ٢٤٣) ط: المكتبة العصرية، و«شروح التلخيص» (٤/ ٣٢٣) ط: دار الكتب العلمية.

(٣) هذا على قول المؤولين من بعض الخلف، أما السلف فيردون التأويل في أمثال هذه النصوص، وقصة الإمام مالك مشهورة في هذا، حيث سُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: كيف استوى؟ فأطرق حتّى علاهُ الرُّحضاءُ ثُمّ قال: الاستواءُ معلُومٌ، والكيفُ غيرُ معقُولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنهُ بدعةٌ. رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤)، وذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» ثم قال: ففرَّق بين المعنى المعلُوم من هذه اللّفظة وبين الكيف الّذي لا يعقلُهُ البشرُ، وهذا الجوابُ من مالكٍ رحمه الله شافٍ عامٌّ في جميع مسائل الصّفات.

والتحقيقُ أنَّ الأقسامَ أربعةٌ:

المجرَّدة: وهي التي لم يُذكر لها لازِمٌ من لوازِمِ المورَّى به، ولا لازمٌ من لوازِمِ المورَّى عنه؛ كقولِ القاضي عيَاضٍ في صيفيَّةٍ باردةٍ:

كأنَّ كانونَ أهدَى مِن ملابسِهِ ... لشهرِ تمُّوزَ أنواعاً من الحُلَلِ

أو الغزالةُ مِن طولِ المدَى خَرِفَتْ ... فما تُفرِّقُ بينَ الجَدْيِ والحَمَلِ[1]

فالغزالةُ تُطْلَقُ على الحيوانِ المعروفِ، وهو المعنَى القريبُ المورَّى به، وعلى الشَّمسِ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه وهو المرادُ، ولم يُذكَرْ في البيتِ شيءٌ من لوازِمِ المورَّى به، كطولِ العنُقِ وحُسنِ الالْتفاتِ، ولا مِن لوازِمِ المورَّى عنه كالإشراقِ والطلوعِ والغروبِ.

والجَدْيُ والحَمَلُ يُطلَقان على الحيوانِ المعروفِ وهو المعنَى القريبُ المورَّى به، وعلى بُرجَينِ في السماءِ معروفَينِ، وهو المعنى المورَّى عنه، ولم يُذكر شيءٌ من لوازِمِ المورَّى به كالرَّعْيِ ولا مِن لوازِمِ المورَّى عنه كالسَّيرِ في السماء، فوقعَتِ التوريةُ مجرَّدةً.

ومنها ما ذُكِرَ معها لازِمُ المورَّى به ولازِمُ المورَّى عنه، كقوله:

يا حبَّذا زَمَنُ الرَّبيعِ ورَوْضُه ... ونَسيمُه الخفَّاقُ بالأَغصانِ

زَمَنٌ يُريكَ النَّجمَ فيه يانعاً ... والشمسَ كالدِّينارِ في الميزانِ[2]

فالميزانُ يَحْتمِلُ السابعَ من بُروجِ السَّماءِ، وقد ذُكِرَ من لوازِمِه الشَّمسُ، وهو

---

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٧٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٢٤٤).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٧).

المعنَى القريبُ، ويحتمِلُ ميزانَ الذَّهبِ، وقد ذُكرَ من لوازِمِه الدِّينارُ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه، فلمَّا ذُكِرَ لهذا لازمٌ ولهذا لازمٌ كانا كالبيِّنتَينِ المتكافِئتَينِ، فتعارَضا وتَساقَطَا، فصارتِ التَّوريَةُ مجرَّدةً.

الثاني: التوريةُ المرشَّحةُ: وهي المقرونةُ بلازِمِ المورَّى به لا المورَّى عنه، واللازِمُ تارةً يتقدَّمُ وتارةً يتأخَّرُ، كقوله:

تَوَلَّتْ وجاءَتْ بشِعْرِيَّةٍ حَلَا لي بها الوزْنُ والقافيَهْ

وراحَتْ كشمسِ الضُّحى تَجْتَلي بميزانِها والسَّما صافيَهْ[1]

فالشعريَّةُ يرادُ بها الميزانُ، وهو المعنَى القريبُ المورَّى به، وذُكِر من لوازِمِه على جهةِ التَّرشيحِ الوزنُ، ويرادُ بها غشاءُ الوجهِ للمرأةِ، وهو المعنَى البعيدُ المورَّى عنه، وهو المرادُ، ولم يُذْكَرْ من لوازِمِه شيءٌ.

ومنها:

تَوَلَّى باخِلاً بالوَصْلِ تِيْهاً على عشَّاقه ورَنَا كَرِيمِ[2]

وقال وقد رأى دَمْعي حَميماً لقد أصبحتَ صبًّا ذا حَميمِ[3]

فالحميمُ يُرادُ به الماءُ الحارُّ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، وقد ذُكِرَ من لوازِمه على جهةِ الترشيحِ الدمعُ، ويرادُ به الصَّديقُ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه ولم يُذْكَرْ من لوازمِهِ شيءٌ.

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٨).

(٢) «كريمِ» جار ومجرور.

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٧).

الثالث: التوريةُ المبيَّنةُ: وهي المقرونةُ بلازمِ المورَّى عنه لا المورَّى به؛ ولذلك سُمِّيت: المبيَّنة؛ كقوله:

لقد حَفِظَتْ بَنُو الأَيَّامِ عَهْدِي ... كحِفْظِ الرِّيحِ أجزاءَ الرَّمَادِ

وكم عَينٍ صَرَفْناها فكانَتْ ... مساعِدةً على نَيلِ المُرادِ[1]

فـ(عينٍ) يَحتمِلُ الذَّهبَ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه، وهو المراد، وقد ذُكر مِن لوازِمه على جهةِ التَّبيينِ الصَّرفُ، ويَحتمِلُ عينَ الجارحةِ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، ولم يُذكَرْ شيء من لوازِمه.

ومنها:

ولمَّا هاجَ لي تذْكارُ ليلَى ... وأكنافُ الحجازِ سَنَا البُروقِ

تَبَسَّمَ بُغْيَتي ليلاً فلاحَتْ ... ثنيَّاتُ العُذَيبِ مع العَقِيقِ[2]

فالثنيَّاتُ والعذَيبُ والعقيقُ تَحتمِلُ الأماكنَ الثَّلاثَ من أوديةِ الحجازِ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، ولم يُذكَرْ شيءٌ من لوازِمه، وتَحتمِلُ: ثَنِياتِ الثَّغْر، والعُذَيبُ: الرِّيق، والعَقيقُ: حُمرة الشَّفتينِ، واللازِم: تبسَّم.

ومنها:

أيُّها المنكِحُ الثُّرَيَّا سُهيلاً ... عَمْرَكَ اللهُ كيفَ يجتمِعَانِ

هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ ... وسهيلٌ إذا استَقَلَّ يَمَاني[3]

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٩).

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٥٩)، وفيه: (تبسم بغتة ليلا...).

(٣) البيتان لعمر بن أبي ربيعة. كما في «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١٦٣)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٤٤)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٧٤)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص٢٣٥)، و«العمدة» لابن رشيق (١/ ٢٧٩)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٦٨).

قالهُ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ في صاحبتِه الثُّريَّا من ولدِ تَيْمِ بنِ عبدِ مَنافٍ؛ لمَّا تزوَّجها سهيلُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ أحدِ العَشَرة، وأمُّه مِن قبيلةٍ باليمنِ فنَسَبهُ إليها، فالثُّريَّا وسهيلٌ يرادُ بهما النَّجمُ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، ويرادُ بهما الشخصُ، وهو المعنى البعيدُ المطلوبُ المورَّى عنه، واللازمُ قولُه: المنكِحُ.

الرابع: التوريةُ المهيَّأة: وهي ما وقعَتْ فيها التَّهيئةُ للمورَّى به لا المورَّى عنه؛ كقولِهِ:

لله عصرُ الربيعِ المشتهَى فلكَمْ ... جاءَتْ من السُّحْبِ في آياتِهِ زُمَرُ

عصرٌ به تغتدِي الأطيارُ صادِحةً ... والنَّجمُ يُزْهِرُ لمَّا يُورِقُ الشَّجرُ[1]

فالنجمُ يَحتمِلُ النباتَ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، وقد ذُكِر له الشجرُ، ولولا ذكرُه بعدُ ما تَنبَّه السامعُ للنباتِ، ولكنْ بذكرِه تهيَّأتِ التوريةُ، ويَحتمِلُ الكوكبَ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه، وهو المرادُ، ولم يُذكَرْ له شيءٌ.

ومنها:

راحَتْ ظُعونُهمُ تَحْدو بكاعِبةٍ ... تَغارُ منها لدَى الظَّلماءِ أقمارُ

ما أَنْجَدوا بل تَولَّوا مُتْهمِين بها ... يا ليتَهُم أَنْعَموا مِن بعدِ ما غاروا[2]

يقالُ لمَن خَيَّم بنجدٍ: أَنْجدَ، ولمَن حَلَّ بتِهَامةَ: أَتْهَمَ، ولمَن ارْتَبَعَ بنَعْمانَ: أَنْعَم، ولمَن ضرَب بالغَور: غار، فقولُه: (مُتْهِمين) يَحتمِلُ دخولَهم تِهامةَ وهو المعنى

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٦٠)، وفيه: (جادت من السحب في إبَّانه زمر)، وفي نسخة منه: (آياته) كلفظ المؤلف.

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٦١)، وفيه: (تحدي بكاعبة).

القريبُ المورَّى به ويَحتمِلُ التُّهمةَ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه، وهو المرادُ، ولو لم يتقدَّم (مُتهِمين): (ما أَنْجدوا) ما تهيَّأتِ التورية في (مُتهِمين)، ولم يُفْهَم منها إلا مَعنى التُّهمةِ، فلمَّا ذُكِرَ ما يُفْهَمُ منه دخولُ نجدٍ تهيَّأتِ التَّوريَةُ في (مُتهِمين).

وقوله: (غارُوا) يَحتمِلُ دخولَهم غورةَ تِهامةَ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، ويَحتمِلُ الغَيرةَ أو الإغارةَ، ولو لم يُذكرْ ما يُفْهَم منه دخولُ (نَعْمان) ما تهيَّأَتْ في (غارُوا).

ومنها ما تهيَّأَتْ فيه التوريةُ بين لفظينِ لولا كلُّ واحدٍ منهما لما تهيَّأتِ التوريةُ في الآخَر؛ كقولِهِ:

مُذْ غَدَا الكلبُ صائداً ظَبْيَةَ الحِقْـ ... ـفِ ولاقَتْ بعدَ النَّعيمِ نَكالَهْ

قلتُ أيُّ الزمانِ مِثْلُ زمانٍ ... فيه تَلْقَى العَوَّاءَ فوقَ الغَزالَهْ[1]

فـ(العَوَّاء) يَحتمِلُ الكوكبَ، وهو المعنى القريبُ المورَّى به، ويحتمِلُ الكلبَ، وهو المعنى البعيدُ المورَّى عنه وهو المرادُ، ولولا ذكرُ (العوَّاء) المشترَكِ بين اسمِ الكوكبِ والكلبِ ما فُهِمَ معنى اسمِ الغزالةِ المشترَكِ بين الشَّمسِ والحيوانِ، وكذلك لولا ذكرُ (الغزاله) ما فُهِم اسمُ العوَّاء، فلم تتهيَّأ التوريةُ في كلِّ واحدٍ منهما إلا بذِكْرِ الآخَرِ.

تنبيهاتٌ:

الأولُ: أنه ليس كلُّ لفظٍ مشترَكٍ بين معنيَيْنِ يُتصوَّرُ فيه التَّوريةُ، وإنما تُتصوَّرُ حيث يكونُ المعنيانِ ظاهرَينِ، إلَّا أنَّ أحدَهما أسبقُ إلى الفَهْمِ من الآخَرِ، وهذا يَختلِفُ باختلافِ الأماكنِ والعُرْفِ، وبحسَبِ اللَّوازِمِ المبيِّنة والمرشِّحة.

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٦٢).

الثاني: التوريةُ المهيَّئةُ أعمُّ من المجرَّدة؛ لأنه كلَّما وُجدتِ المهيَّئةُ وُجدتِ المجرَّدة، ولا عكسَ؛ لأنَّ المجرَّدةَ قد تكونُ في لفظٍ واحدٍ لا يتعلَّقُ بغيرِه.

الثالثُ: الفرقُ بين اللَّفظ الذي يُهيِّئُ واللَّفظِ الذي يرشِّحُ أو يبيِّنُ هو: أنَّ اللفظَ الذي وقعَتْ فيه التَّهيِئةُ لو لم يُذكَرْ لم يكُنْ ثَمَّ توريةٌ، والمرشِّحُ والمبيِّنُ إنما هما مقوِّمان للتَّوريةِ، فلو فُقِدَا لكانت التَّوريةُ موجودةً.

الرابعُ: اللَّغْزُ[1] والفرقُ بينهُ وبينَ التَّوريةِ: أنَّ لفظَ التوريةِ يكونُ المعنَى المرادُ منه مدلولاً عليه باللَّفظِ حقيقةً كان أو مجازاً، والمعنى المرادُ من اللُّغَزِ لا يدلُّ عليه اللَّفظُ بحقيقةٍ ولا مجازٍ، ولا يكونُ من عوارِضِ ذلك اللفظِ، وإنما هو أمرٌ يدرَكُ بالحَدْس، وتتفاوَتُ فيه الأفهامُ بحسَبِ التَّمرينِ والاعتِيَاد، فكمْ مَن يكونُ أقوَى الناسِ ذهناً وهو بطيءٌ في استخراجِهِ؛ لقلَّةِ اعتيادِه، وكم مَن هو بالعَكْس. مأخوذٌ من اللُّغْزِ[2]: وهو الطريقُ الذي يَلْتَوي ويُشْكِلُ على سالكِهِ، كقولهِ في كتابٍ:

وما روضةٌ يَجني اللَّبيبُ ثمارَها ... وذو الجهلِ منها لا يَنالُ سوَى الوَرَقْ

زكَا غَرْسُها في غيرِ أرضٍ وزهرُها ... إذا ما سُقِيْ ماءً تمزَّقَ وانْخَرقْ[3]

وقولهِ في إبرةٍ:

سَعَتْ ذاتُ سَمٍّ في قَميصي فغادَرَتْ ... بهِ أثراً واللهُ شافٍ من السَّمِّ

---

(١) اللَّغْزُ بفتح اللام، وبالضمِّ، وبضمتين، وبالتحريك، وكصُرد، ومعناه: ميلك بالشيء عن وجهه، وألغز كلامه وفيه: عمى مراده. انظر: «القاموس» (مادة: لغز).

(٢) بالضم، ويفتح، وكصُرد. انظر: «القاموس» (مادة: لغز).

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٦٤)، وفيه: (تخرق وانمزق).

كَسَتْ قَيْصراً ثوبَ الجمالِ وتُبَّعاً ... وكِسْرى وعادتْ وهي عاريةُ الجِسْمِ[١]

وقولِهِ في الأيامِ واللَّيالي:

ومـا مُقْبِلاتٌ مُدْبِراتٌ تَشابَهَتْ ... مفـرَّقةُ الأسـماءِ واللَّـونُ واحـدُ

يُصادَفُ في أطوارِهِنَّ حلاوةٌ ... ومنهنَّ مُرَّاتٌ وسخنٌ وباردُ[٢]

وقولِهِ في الشَّمعة:

ورائقُ اللَّونِ مُستَحَبٌّ ... يَجمعُ أوصافَ كلِّ صَبِّ

سُهَادُ عَينٍ وسَكْبُ دَمعٍ ... وذوبُ جِسمٍ، وحَرُّ قَلبِ[٣]

* * *

---

(١) البيتان لأبي العلاء. كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٥٨٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٤٢).

(٢) البيتان دون نسبة في «سفر السعادة وسفير الإفادة» لعلم الدين السخاوي (٢/ ٦٦١)، و«سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» للتيفاشي (ص١٧).

(٣) البيتان دون نسبة في «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» للتيفاشي (ص١٧).

بابُ التمثيلِ

وهو: أنْ يريدَ المتكلِّمُ معنًى مّا فلا يَدلُّ عليه بلفظِهِ الموضوعِ له ولا بلفظٍ قريبٍ من لفظِه، بل بلفظٍ يَصْلُحُ أنْ يكونَ مثالاً للَفْظِ المعنَى المرادِ؛ كقولِه تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: هَلَكَ مَن قُضِيَ هلاكُه، ونجا مَن قُدِّرتْ نجاتُه، وإنما عَدَلَ عن اللَّفظِ الخاصِّ إلى التَّمثيلِ لأمرينِ: اختصارِ اللَّفظِ، وكونِ الهلاكِ والنجاةِ كانا بأمرِ آمرٍ مُطاعٍ.

وكحديثِ أمِّ زرعٍ: «زَوْجي ليلُ تِهامَة، فلا حرٌّ ولا قُرٌّ ولا وَخامَةَ ولا سآمَة»[1]، فإنها أرادتْ وصفَه بحُسْنِ العِشْرةِ مع نسائِه، فعدَلَتْ عن لفظِ التمثيل لِمَا فيه من الزِّيادةِ؛ لتَمثيلِها الممدوحَ بليلِ تِهامةَ الذي صِفَتُه بأنه معتدلٌ، فتضمَّنَ ذلك وصفَ الممدوحِ باعتدالِ المزاجِ المستلزِمِ حُسْنَ الخُلُق، وكمالَ الخَلْق، وكمالَ العقلِ المنتجَ لينَ الجانبِ وطيبَ المعاشَرة، وحذَفت أداةَ التَّشبيه ليَقرُبَ المشبَّهُ من المشبَّهِ به، وهذا مما يبيِّن لكَ لفظَ التمثيلِ في كونِهِ لا يَجيءُ إلا مقدَّراً بمثلٍ غالباً.

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها، بلفظ: «زَوْجي كَلَيْلِ تِهَامةَ لا حَرٌّ ولا قُرٌّ، ولا مَخافةَ ولا سآمةَ». ولفظ المؤلف من «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢١٤).

فأما قولها: «زوجي ليل تهامة» بحذف الكاف فليست في رواية الصحيحين، ورواها أبو الحسن السعدي في «تسمية من روي عنه من أولاد العشرة» (ص١٧٤)، والخطيب في «الفصل للوصل المدرج» (١/ ٢٣٩).

وكذا قولها: «ولا وخامة» ورد في غير الصحيحين. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: وخم)، و«التدوين في أخبار قزوين» للرافعي (١/ ٣٥٨)، وفيه: والوخامة: الثقل، يقال: طعام وخيم؛ أي: ثقيل.

وكقولِ الرمَّاحِ بنِ ميَّادة:

أَلَـمْ أَكُ فـي يُمنَـى يَدَيْـك جَعَلْـتَني فلا تَجعَلَنِّـي بعدَهـا فـي شِـمَالِكا[1]

أرادَ أنْ يقولَ: أَلَمْ أَكُنْ قريباً منكَ؟ فلا تجعلني بعيداً عنك، فعَدَلَ عنه إلى لفظِ التمثيلِ لِمَا فيه من الزِّيادةِ في المعنى؛ لِمَا يُعطيهِ لفظتَا اليمينِ والشمالِ من الأوصاف؛ لأنَّ اليمينَ أشدُّ قوَّةً، معدَّةٌ للطعامِ والشرابِ والأخذِ والعطاءِ وكلِّ ما شَرُفَ، والشمالَ بالعكسِ، واليمينُ مشتقٌّ من اليُمْنِ وهو البركةُ، والشِّمالُ من الشُّؤْم، فكأنه قال: أَلَمْ أَكُنْ مكرَّماً عندك؟ فلا تَجعلني مُهَاناً، وكنتُ منكَ في المكانِ الشريفِ، فلا تَجعلني في الوَضيع.

ويُلحَقُ بالتَّمثيلِ ما خَرج مَخرجَ المثَلِ السَّائرِ، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

وكقولِ النابغةِ:

ولسـتَ بمستَبْـقٍ أخـاً لا تَـلُـمُّـهُ على شَـعَثٍ أيُّ الرِّجـالِ المهـذَّبُ[2]

وقولِ بشَّارٍ:

فعِـشْ واحِـداً أو صِـلْ أخـاكَ فإنَّه مُـقـارِفُ ذنـبٍ مـرَّةً ومُـجانِبُهْ

إذا أنـتَ لم تَشـربْ مِراراً علـى القَذَى ظَـمِـئْتَ وأيُّ الماءِ تَصْفُو مَشَـارِبُهْ[3]

---

(١) انظر: «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص٥٩)، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص٣٥٥)، و«سر الفصاحة» للخفاجي (ص٢٣٢)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢١٥).

(٢) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص٧٢ و٧٥)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص٥١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٠)، و«الفاخر» للمفضل (ص٢٨٦)، و«الصناعتين» للعسكري (ص٥٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢١٥).

(٣) انظر: «الوحشيات» لأبي تمام (ص١٧٧)، و«الصناعتين» للعسكري (ص٥٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢١٨).

بابُ

الإفراطِ في الصِّفةِ

ويسمَّى: المبالَغةَ، وهو: أنْ يُدَّعَى لوصفٍ بلوغُه في الشدَّةِ أو الضَّعفِ حدّاً مستحيلاً أو مستبعَداً، خوفَ توهُّمِ السَّامعِ أنَّ الموصوفَ قاصرٌ في تلك الصِّفةِ.

وهي ثلاثةُ أقسامٍ: تبليغٌ وإغراقٌ وغُلُوٌّ؛ لأنَّ الصِّفةَ المبالَغَ فيها إمَّا أنْ تُمْكِنَ عقلاً وعادةً وهو التَّبليغُ، أو عقلاً لا عادةَ وهو الإغراقُ، أو لا عقلاً ولا عادةً وهو الغُلُوُّ.

وأصلُ الإغراقِ في الزَّرْعِ، والغلوُّ: بُعْدُ الرَّميةِ بالسَّهمِ بقَدْرِ الإمكانِ، ولـمَّا كان الخروجُ من الحقِّ إلى الباطِلِ يُشبِهُ خروجَ هذه الرَّمْيةِ عن الحدِّ سُمِّي غُلُوًّا.

وقد اختُلِفَ في المبالَغةِ:

فقومٌ يرونَها من مَحاسِنِ هذا الفنِّ؛ بقولِهم: أحسنُ الشِّعرِ أكذبُه، وخيرُ الكلامِ ما بُولِغَ فيه.

وقومٌ يرونَها من عيوبِ الكلامِ، ولا يَرَوْنَ من محاسنِهِ إلَّا ما خَرَجَ مَخرجَ الصِّدْقِ، واحتجُّوا بقولِ حسانَ رضي الله عنه:

وإنَّما الشِّعرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُه ... على المجالِسِ إنْ كَيْساً وإنْ حُمُقا

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنت قائلُه ... بيتٌ يقالُ إذا أنشدتَهُ صَدَقا[1]

---

(١) انظر: «العمدة» لابن رشيق (١/ ١١٤)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٥٠)، و«الطراز» للطالبي (٣/ ٦٥). ونسبهما البصري في «الحماسة البصرية» (٢/ ٦٠) لأبي المنهال بقيلة الأكبر. والثاني عزاه ابن عبد ربه في «العقد» (٦/ ١٢٠ و١٧٤) لزهير بن أبي سلمى، وورد أيضاً في «ديوان طرفة» (ص٥٧) ط: دار الكتب العلمية.

وذلك كقول طرفة:

لعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أَخطأَ الفتَى ... لكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ في اليدِ

ستُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ[1]

والصوابُ: أنَّ المبالغةَ من المحاسِنِ[2]؛ لوقوعِها في مواضعَ من القرآنِ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠] مع قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وكقولهِ سبحانهُ: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ إلَّا الصومَ فإنَّه لي وأنا أَجْزِي به»[3]، فهذا لقَصْدِ المبالغةِ في تعظيمِه وتشريفِه، وإلا فالأعمالُ كلُّها للهِ باعتبارِ قَصْدِ وَجْهِه بها، وللعبدِ باعتبارِ ثوابِهِ عليها.

فالتَّبليغُ والإغراقُ مقبولانِ.

فالتبليغُ كقولهِ:

ورامٍ كبَدْرٍ حَلَّ بالقوسِ لم يَزَلْ ... لأسهُمِه في القَلبِ منِّي مَوقِعُ

وألحاظُه من مرسَلاتِ نبالِهِ ... إلى مُهَجِ العشَّاقِ أمضَى وأسرعُ[4]

---

(١) انظر: «ديوان طرفة» (ص٢٦و٢٩)، و«شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص٢٠١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٤٩).

(٢) أي: المبالغةُ مع اعتبار الصدق؛ حيث استدل بآيات القرآن وبالحديث الشريف، وإن كان ظاهره يوهم اختيار ما ذهب إليه القوم الأول، وليس كذلك؛ لأنهم جعلوا ذلك باعتبار أن أحسنَ الشِّعرِ أكذبَه، ولا شك أنه غير مراد عند المؤلف لما ذكرنا.

(٣) رواه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨٧).

وصفَ المعشوقَ الرَّاميَ بالقوسِ أنَّ نبالَ ألحاظِهِ أمضَى وأسرعُ إلى مُهَجِ عشَّاقه من نِبالِ قوسِه، وهذا غيرُ مستحيلٍ عقلاً وعادةً في كونِ اللَّحْظِ أمضَى وأسرعَ مِن مَرِّ السَّهْم.

والإغراقُ كقولِهِ:

ومِـــن سَـــقَمِي أنِّـــي كسِـــلْكٍ نِظامُهُ لآلـــئُ درٍّ مِـــن مَـوَاقـــعِها الحـــدُّ

فلـو عَطَفـتْ ليلـى عَلَـيَّ وأَنْـعَـمـتْ بـــضمٍّ لظَـنَّ الجِيـدُ أنِّـي لـهُ عِقْـدُ[1]

فالجسمُ النَّحيلُ [الذي حَصَل له السَّقَمُ] من فَرْطِ المحبَّة حتى صارَ كالسِّلكِ الذي يُنْظَمُ فيه الدرُّ يستحيلُ عادةً لا عقلاً.

والغلوُّ أقسامٌ: مقرونٌ بـ(كاد) ونحوِها، ومبنيٌّ على تخييلٍ حَسَنٍ، وخارجٌ مخرجَ الهزْلِ والخلاعةِ، وكلُّ ذلك مقبولٌ وسواهُ لا، كقوله:

وغــادةٍ راحَ ظبــيُ القــاعِ مـخــتلِساً ألحاظَها وسَــنَاها الشــمسُ والقمــرُ

فلـو أَمَـرَّتْ علـى صَـخْرٍ أنـامِلَـهـا لكادَ مِـن وَجْدِه يَسْعَى لهـا الحَجَرُ[2]

سعيُه ليسَ بممكِنٍ عادةً وعقلاً، ولكنْ لمَّا قُرِنَ بـ(كاد) قَبِلَه العقلُ.

وكقوله:

لمَّــا سَــرَوا لـيــلاً بليلَــى بَـغْــتـةً وأصــابَني سَــهمُ النَّــوى فتَمَكَّنـا

جَمَّــدْتُ مــن نــارِ الغــرامِ مَــدامعاً لو رُمْـتُ منهـا نَظْـمَ عِقْـدٍ أَمْكَنَـا[3]

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨٧)، وما سيأتي بين معكوفتين منه، وفيه: (من مواقعها الخد) بالخاء.

(٢) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨٧ ـ ١٨٨).

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٨٨).

فالتخييلُ هو تجميدُ الدَّمعِ بواسطةِ نارِ الغرامِ، وتشبيهُ الدَّمعِ بالدُّر.

وكقولهِ:

أَسْكَرُ بالأَمْسِ إنْ عَزَمْتُ على الشُّر ... بِ غداً إنَّ ذا من العَجَبِ[1]

وكقولهِ:

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتَّى إنَّه ... لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ[2]

وهذا ممتنعٌ عقلاً وعادةً.

* * *

---

(١) البيت لأبي نواس كما في «الدر الفريد» للمستعصمي (٣/ ٣٦١)، ودون نسبة في «تلخيص المفتاح» مع شرحه «عروس الأرواح» للسبكي (٢/ ٢٦٢).

(٢) البيت لأبي نواس. انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٧٩٠)، و«عيار الشعر» لابن طباطبا (ص٨١)، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (ص١٨)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٦٢)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ١٨).

بابُ

حُسْنِ التَّعليلِ

وهو: أنْ يُدَّعَى لوصفٍ علَّةٌ مناسبةٌ له باعتبارٍ لطيفٍ غيرِ حقيقيٍّ، كقوله:

ولو لم تُصافِحْ رِجْلَها صفحةَ الثَّرى ... لَمَا كنتُ أَدْرِي علَّةً للتَّيمُّمِ[1]

وقولِهِ:

سألتُ الأرضَ لمَ جُعِلَتْ مصلًّى ... ولمْ كانتْ لنا طُهراً وطِيبا

فقالتْ. غيرَ ناطقةٍ. لأنِّي ... حوَيْتُ لكلِّ إنسانٍ حَبيبا[2]

والوصفُ المعلَّلُ في هذا البابِ أربعةٌ: ثابتٌ خَفِيُّ العلَّةِ، وثابتٌ ظاهرُ العلَّةِ، وغيرُ ثابتٍ ممكِنٌ، وغيرُ ثابتٍ غيرُ ممكِنٍ، كقولِهِ:

لم يَحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ وإنَّما ... حُمَّتْ به فصَبِيبُها الرُّحَضاءُ[3]

وقولِهِ:

ما به قَتْلُ أعادِيهِ ولكِنْ ... يتَّقِي إخلافَ ما تَرْجُو الذِّئابُ[4]

---

(١) البيت لابن هانئ الأندلسي. انظر: «سر الفصاحة» للخفاجي (ص٢٧٧)، و«تحرير التحبير» (ص٣١٠)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٢١).

(٢) البيتان لابن رشيق القيرواني. انظر: «تحرير التحبير» (ص٣١٠)، و«نهاية الأرب» (٧/ ١١٦)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (٢/ ٣٩٢).

(٣) البيت للمتنبي. انظر: «الوساطة بين المتنبي وخصومه» لأبي الحسن الجرجاني (ص١٨٠)، و«أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه» (ص٨٢)، و«أسرار البلاغة» للجرجاني (ص١٧٨)

(٤) البيت للمتنبي أيضاً. انظر: «أسرار البلاغة» (ص١٧٨)، و«المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي» (٢/ ١٥٣)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٦٧).

فإنَّ قتلَ الأعداءِ في العادةِ لدَفْعِ مَضرَّتِهم، لا لِمَا ذَكَره.

وكقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ:

يا واشياً حَسُنَتْ فينا إساءَتُه ... نجَّى حِذَارَكَ إنساني مِن الغَرَقِ[(١)]

وقولِهِ:

لو لم تكُنْ نيَّةُ الجَوْزاءِ خِدْمتَه ... لَمَا رأيتَ عليها عِقْدَ مُنْتطِقِ[(٢)]

وأُلْحِقَ به ما بُنِيَ على الشكِّ كقولِ أبي تمَّامٍ:

رُبَى شَفَعتْ ريحَ الصَّبا بنسيمِها ... إلى الغيثِ حتى جادَها وهو هامِعُ

كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غيَّبْنَ تحتَها ... حبيباً فما تَرْقَا لهنَّ مَدامِعُ[(٣)]

جعلَ علَّةَ دوامِ مطرِ السَّحابِ على هذه الرُّبَى كونَ الحبيبِ دُفِنَ تحتَها.

ومثلُ بيتِ مسلمِ بنِ الوليدِ بيتُ ابنِ سَناءِ المُلْكِ:

علَّمَتْني بهجرِها الصَّبرَ عنها ... فهي مشكورةٌ على التَّقبيحِ[(٤)]

وقولُ القائلِ:

أعتقَني سوءُ ما صَنَعْتَ من الرْ ... رِقِّ فيا بَرْدَها على كَبِدي

فصِرْتُ عبداً للسُّوءِ فيكَ وما ... أَحْسنَ سوءٌ قَبْلي إلى أحدِ[(٥)]

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٨٢٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١١).

(٢) مترجم عن بيت فارسي كما في «أساس البلاغة» للجرجاني (ص٢٧٨)، و«عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٢٦٨).

(٣) انظر: «ديوان أبي تمام» (٤/ ٥٨٠ ـ ٥٨١)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١١).

(٤) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٢). وعزاه ياقوت في «معجم الشعراء» (٤/ ٣٤٤) لأبي نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ماكولا.

(٥) انظر: «أساس البلاغة» للجرجاني (ص١٥٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣١٣).

بابُ

تأكيدِ المدحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ

وبهذا سمَّاه عبد الله بن المعتز[١]؛ لأنَّه لمَّا كان مبنيًّا على مبالغةِ المدحِ قيل: تأكيدُ المدحِ، ولمَّا كان ما بعدَ الاستثناءِ يُوْهِمُ الذَّمَّ قيل: بما يُشْبِهُ الذَّمَّ، وهو ضَرْبانِ:

أفضلُهما: أنْ تَستَثْنِيَ مِن صفةِ ذمٍّ منفيَّةٍ عن الشيءِ صفةَ مدحٍ، وكأداةِ الاستثناءِ حرفُ الاستِدْراكِ، كقولِ النَّابغةِ الذُّبْيانيِّ:

ولا عيبَ فيهِم غيرَ أنَّ سيوفَهُم ... بهنَّ فلولٌ مِن قِرَاعِ الكتائِبِ[٢]

وكقولي:

ومـا لـي ذنـبٌ غيـرَ أنِّي أحبُّـه ... وما فيـهِ مِـن عيبٍ سِـوَى وَرْدِ خَـدِّهِ

ولا فيـهِ مِـن شـيءٍ يَشِـينُ صفاتَهُ ... سِـوَى سِـحرِ عينَيْـهِ وقامـةِ قَـدِّهِ

ولا شـاقَني إلَّا تجنِّيـهِ عامـداً ... ولا ضَرَّنـي إلا بتطويـلِ صَـدِّه

والثاني: أنْ تُثبِتَ لشيءٍ صفةً، ويُعْقَبَ بأداةِ استثناءٍ تَلِيها صفةُ مَدْحٍ أخرى؛ كقولِ النَّابغةِ الجَعْديِّ:

فتًـى كَمَـلَتْ أخلاقُـه غيـرَ أنَّه ... جـوادٌ فـلا يُبْقِـي مـن المـالِ باقِيَـا

---

(١) انظر: «البديع» لابن المعتز (ص١٥٧)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٣)، و«زهر الربيع» لابن قرقماس (ص٢٠٢) وعنه نقل المؤلف.

(٢) انظر: «أنساب العرب» للمفضل الضبي (ص١٧٠)، و«الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٢٦)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص١١٥)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٤٦)، و«البديع» لابن المعتز (ص١٥٧)، و«الصناعتين» للعسكري (ص٤٠٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٣).

فتًى تمَّ فيهِ ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّه فيهِ ما يَسوءُ الأعادِيَا[١]

وقولِهِ:

هو البدرُ إلَّا أنَّه البحرُ زاخرٌ ... سِوَى أنَّه الضِّرْغامُ لكنَّهُ الوَبْلُ[٢]

ومنه: تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشبِهُ المدحَ، وهو قسمانِ كما مَرَّ؛ نحوَ: زيدٌ ظالمٌ إلا أنَّه يُكْثِرُ الكَذِبَ، و: لا خيرَ في زيدٍ إلَّا أنَّه يُخْلِفُ الوعدَ، وكقولِهِ:

إذا شِئْتَ أنْ تَهْوَى تهيَّأْ مُصابِراً ... لِعَذْلِ عَذُولٍ في المحبَّةِ مارِقِ

وواشٍ ككَلْبٍ نابِحٍ غيرَ أنهُ ... كَذوبٌ له فِعْلٌ كفِعْلِ المنافِقِ[٣]

***

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٢٨٤)، و«الصناعتين» للعسكري (ص٤٠٨)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٤٨)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٣).

(٢) البيت لبديع الزمان الهمذاني كما في «عروس الأفراح» للسبكي (٢/ ٨١٠)، ودون نسبة في «مفتاح العلوم» (ص٤٢٧).

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢٠٧).

باب

القولِ بالمُوْجِـب

ويسمَّى: الاستدراكَ، وهو تخصيصُ الصِّفةِ بعدَ أنْ كانَ ظاهرُها العمومَ، وبكسرِ الجيم؛ لأن المراد به الصفةُ الموجِبةُ للحُكْمِ، فهو اسمُ فاعلٍ، ويَحتمِلُ فتحَ الجيمِ إنْ أُريدَ به الحُكْمُ الذي أوجَبَتْه الصِّفةُ، وهو مِن محسِّناتِ الكلامِ؛ كقوله:

وإخــوانٍ تَــخِذْتُهمُ دُروعــاً ... فــكانوها ولكــنْ للأعــادِي

وخِلْتُهُــمُ سِــهاماً صــائِباتٍ ... فكانوها ولكــنْ فــي فُــؤادِي

وقالوا: قد صَفَتْ مــنَّا قــلــوبٌ ... وقد صَدَقوا ولكنْ مِن وِدَادِي[1]

وكقولهِ في مَن أَوْدَعْتَ عنده وديعةً فادَّعَى ضَياعَها:

إن قــال قــد ضاعَــتْ فيَصْــدُقُ أنَّــهــا ... ضاعَتْ ولكــنْ منــكَ يَعْنــي لــو تَعِـي

أو قــال قــد وَقَعــتْ فيَصْــدُقُ أنَّــهــا ... وقَعَتْ ولكــنْ منــه أحســنَ مَوقِــعِ[2]

---

(١) الأبيات لابن الرومي كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٣١)، ولأبي الحسن علي بن فضال كما في «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ٣٧١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (١٠/ ١٤)، ودون نسبة في «البديع» لأبي المظفر الكناني (ص٧٠).

(٢) البيتان لابن الدويدة الشاعر المعري كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٣١)، و«غرر الخصائص الواضحة» لأبي إسحاق الوطواط (ص٨٠)، و«نهاية الأرب» للنويري (٣/ ٣٦٩)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ١٤٦). ووقع عند ابن أبي الإصبع بدل المعري: (المغربي)، وتابعه فيه ابن حجة، ولعله تحريف، فقد قال النويري في تقديمه للبيتين: حكي أنّ بعض التّجار أودع عند قاض بمعرّة النعمان وديعة، وغاب مدّة، فلما رجع، طالب بها، فأنكرها القاضى، فتشفع إليه برؤساء بلده في ردّها، فما زالوا به حتى أقرّبها، وادّعى أنها سرقت من حرزه، فاستحلفه المودع فحلف، فقال ابن الدّويدة في ذلك..، وذكرهما، فتصريحه بمعرة النعمان يؤيد أنه معري لا مغربي.

والقَسَمُ والدُّعاءُ من المحسِّناتِ للكلامِ؛ كقولِ ابنِ المعتزِّ:

لا والَّذي سـلَّ من جَفْنيهِ سيفَ ردًى ... قُـدَّتْ لـه مِـن غـدائـرِه حـمـائِلُه

مـا صارَمَـتْ مُقْلَتي دمعاً ولا وَصَلتْ ... غَـمْـضـاً ولا سـالَمَتْ قلبـي بَلابِلُه[1]

وكقوله:

جَنَـى وتجنَّـى والـفـؤادُ يُـطـيـعُـه ... فلا ذاقَ مَـن يَجْنـي عَلـيَّ كمـا يَجْنِـي

وإنْ لم يكُنْ عندي كَعَيني ومَـسْمَـعـي ... فـلا نَـظَـرتْ عَيني ولا سَمِعَتْ أُذْني[2]

***

---

(١) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٢٨)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٥١)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٢٣).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٢٨)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٥١)، و«الطراز» للطالبي (٣/ ٨٧)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٢٣).

بابُ

تجاهُلِ العارِفِ

ويسمَّى: الإعناتَ، وهو أنْ يَسأَلَ المتكلِّم عن شيءٍ يَعرِفُه سؤالَ مَن لا يَعرِفُه تجاهُلاً منه؛ للمبالغةِ في مدحٍ أو ذمٍّ أو تعظيمٍ أو تحقيرٍ أو تَدَلُّهٍ.

كقولِهِ:

غَزَانـي بلَحْظَيـهِ ولِيـنِ قَوَامِـهِ ... وأَسْكَرَني مِـن مَرْشَـفيهِ رَحيقُـه

فحـرت فـلا أَدْرِي أَرُمْـحٌ قَـوامُـهُ ... أم السَّـيفُ عينـاهُ أم الخمـرُ ريقُـه[1]

وقولِهِ:

وإنِّـي لسـتُ أَدْرِي مـن غَرَامي ... أإنسـانٌ عَذُولـي أم حِمـارُ[2]

وقوله:

بَدَا فـراعَ فـؤادِي حُسْـنُ صُـورَتـهِ ... فقُلْتُ هل مَلِكٌ ذا الشَّخصُ أم مَلَكُ[3]

وقولِهِ:

ومـا أَدْرِي ولَسْـتُ إخَالُ أَدْرِي ... أقـومٌ آلُ حِصْـنٍ أم نسـاءُ[4]

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢١٨).

(٢) البيت لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص٢١٨).

(٣) للبحتري كما في «نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٢٣)، ولبعض المحدَثين كما في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٦)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٥١)، ودون نسبة في «خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٧٨).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه» (ص١٣٦)، و«البديع» لابن المعتز (ص١٥٧)، =

وقولهِ:

بـالله يـا ظَبَيـاتِ القـاعِ قُلْـنَ لنـا   لَيْلايَ مِنْكـنَّ أم لَيْلَـى مِـن البَشَـرِ[1]

***

= و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٦)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٢٣)، و«الطراز» للطالبي (٣/ ٤٥)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٢٧٨).

(١) نسب لبدوي اسمه كامل الثقفي، وللعرجي واسمه عبد الله بن عمرو، وللمجنون، ولذي الرمة، وللحسين بن عبد الله الغزي. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ١١٠). وانظر البيت أيضاً في «العمدة» لابن رشيق (٢/ ٦٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٣٢٨)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٢٣)، وعزوه للعرجي، و«دمية القصر» للباخرزي (١/ ٨٥) وعزاه لكامل الثقفي وقال: ولكامل هذا شعر بدوي وصيت له بين الشّعراء دويّ، و«البديع» لابن المعتز (ص٩٣) وعزاه لذي الرمة.

بابُ
المَذْهبِ الكَلَاميِّ

وهو: أنْ يأتيَ البَليغُ على صحَّةِ دعواهُ وإبطالِ دَعْوَى خصمِه بحجَّةٍ قاطعةٍ على طريقةِ أهلِ الكلامِ؛ كقولِهِ:

بُروحِيَ خَودٌ يُخجِلُ الغُصْنَ قَدُّها ... كظَبْيِ المصلَّى لفتةً ونِفَارا
ولو لم تَكُنْ أَبْهَى من الشَّمسِ بَهجةً ... لَمَا صَيَّرتْ جُنحَ الظلامِ نَهَارا[1]

أي: لكنَّها صَيَّرتِ الظَّلامَ نهاراً، فيَنْتُجُ أنَّها أبهَى مِن الشَّمس.

وقولِ ابنِ المعتزِّ:

كيفَ لا يَخْضَرُّ عارِضُه ... ومياهُ الحُسْنِ تَسقِيهِ[2]

أي: لكنْ مياهُ الحُسْنِ تَسْقيهِ، فكيفَ لا يخضرُّ؟

وفي التنزيل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ أي: لكنَّهما لم تَفْسُدَا فليسَ فيهما آلهةٌ إلَّا اللهُ.

وقال الفرزدق:

لكلِّ امرئٍ نَفْسانِ: نَفْسٌ كريمةٌ ... ونَفْسٌ يُعاصِيها الفتَى ويُطيعُها
ونَفْسُكَ مِن نَفْسَيكَ تَشْفعُ للنَّدَى ... إذا قلَّ مِن أحرارِهنَّ شَفيعُها[3]

أي: إذا أَمَرتْكَ الأمَّارةُ بتركِ النَّدَى شَفعَتْ إليها المطمئنَّةُ في النَّدَى فقَبِلْتَ فأنتَ أكرمُ الناس.

---

(١) البيتان لابن قرقماس. انظر: «زهر الربيع» (ص١٩٤).

(٢) انظر: «ثمار القلوب» للثعالبي (ص٥٦٦)، و«تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٢٢)، و«نهاية الأرب» للنويري (٢/ ٨٢).

(٣) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٢١)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١١٤).

بابُ التَّجريدِ

وهـو: أنْ يُنْتـزَعَ مِـن أمرٍ ذي صفـةٍ آخَرُ مثلُه فيهـا؛ مبالغةً في كمالهـا فيه، نحوَ: لـي مِـن فـلانٍ صديقٌ حميـمٌ؛ أي: بَلَـغ مـن الصَّداقةِ حـدًّا صحَّ معـه أنْ يُسْـتَخلَصَ منـه آخَرُ مثلُـه فيها.

وكقولهم: لئنْ سألتَ فلاناً لتسألَنَّ به البحرَ، بالَغَ في اتِّصافِهِ بالسَّماحةِ حتى انْتَزعَ منه بحراً في السَّماحةِ.

وقولِهِ تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]؛ أي: في جهنَّمَ، وهي دارُ الخُلْدِ.

ومنه: مخاطَبَةُ الإنسانِ نفسَه؛ كقولِهِ:

لا خيـــلَ عنـــدكَ تُهْدِيْهـــا ولا مـــالُ[١]

وقولِهِ:

أمِـنْ تَـذَكُّـرِ جيـرانٍ بـذِي سَلَـمِ   مَزَجْتَ دَمْعـاً جـرَى مِـن مُقْلةٍ بـدَمِ[٢]

* * *

---

(١) صدر بيت للمتنبي. انظر: «الإبانة عن سرقات المتنبي» للعميدي (ص١٦٥)، و«اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص١٠٧٥)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٣/ ٢٧٧)، و«نهاية الأرب» للنويري (٧/ ١٥٧)، وعجزه:

فليُسـعِد النطـقُ إن لـم يسـعد الحـالُ

(٢) البيت مطلع قصيدة البردة للبوصيري. انظر: «الزبدة في شرح البردة» للملا علي القاري (ص٢)، و«خزانة الأدب» لابن حجة (١/ ٣٧).

بابُ الاستخدامِ

هو: أنْ يرادَ بلفظٍ له معنيانِ أحدُهما، ثم بضميرِه المعنَى الآخَرُ، أو يرادَ بأحدِ ضميرَيْهِ أحدُهما ثم بالآخَرِ الآخَرُ كقولهِ:

إذا نــزَلَ السَّــماءُ بــأرضِ قومٍ رَعَيْنــاهُ وإنْ كانــوا غِضَابــا[١]

وقولِ البحتريِّ:

فسَــقَى الغَضَــا والسَّاكِنِــيهِ وإنْ هُــمُ شَــبُّوه بيــنَ جَوَانِحــي وضُلوعِــي[٢]

فـ(الغَضَا) يحتمِلُ الموضعَ والشَّجَر، والسُّقْيا صالحةٌ لهما، وضميرُ (السَّاكنيه) للموضع، وضميرُ (شَبُّوه) للشجر.

والفرقُ بينهُ وبينَ التوريةِ: أنَّ التوريةَ استعمالُ أحدِ المعنيينِ من اللَّفظةِ وإهمالُ الآخَرِ، والاستخدامَ استعمالُهما معاً.

ومنه: أنْ يُؤْتَى بلفظٍ له معنَيانِ متوسِّطاً بينَ لفظينِ يُستخدَمُ لكلٍّ منهما معناهُ، كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩]، فـ﴿كِتَابٌ﴾ يراد به الوقتُ، ويرادُ به المكتوبُ، وقد توسَّط بين ﴿أَجَلٍ﴾ و﴿يَمْحُواْ﴾، فباعتبارِ الأجلِ يرادُ به الوقتُ، وباعتبارِ ﴿يَمْحُواْ﴾ يرادُ به المكتوبُ.

***

---

(١) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٤٠)، و«الحماسة البصرية» (١/ ٧٩)، ولجرير في «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص١٣٦)، ودون نسبة في «خزانة الأدب وغاية الأرب» لابن حجة (١/ ١٢٠).

(٢) انظر: «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص٢٧٥)، و«خزانة الأدب وغاية الأرب» لابن حجة (١/ ١٢٠). و(شبوه): أشعلوه وأضرموه.

ومن أنواع البديع

نفيُ الشيءِ بإيجابِهِ: وهو أنْ يُنفَى ما هو من سببِ الشيءِ ـ كوصفِه ـ والمقصودُ في الحقيقةِ نفيُ ذلك الشيءِ، نحوَ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]: نَفَى الإلحافَ والمقصودُ نفيُ المسألةِ ألبتَّة.

قيل: وعليه إجماعُ المفسِّرين.

ونحو: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]: نَفَى طاعةَ الشَّفيعِ، والمقصودُ نفيُ الشَّفيعِ أصلاً.

وكقولكَ لِمَن تُريد أنْ تَسلبَه الخيرَ: ما أقلَّ خَيْرَك، فظاهرُه يَدلُّ على إثباتِ خيرٍ قليلٍ، والمراد نفيُ الخيرِ كثيرِه وقليلِه.

والسَّلْبُ والإيجابُ: وهو أنْ يُثْبَتَ الشيءُ من جهةٍ ويُنْفَى من جهةٍ أخرى؛ نحوَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونحوَ:

والعاذِلونَ بإيجابِ المَلَامِ غَلَوا ... وما غَلَوا قيمةً مِن سَلْبِ ذَوقِهم[1]

أثبتَ غلوَّهم إلى تجاوُزِهم الحدَّ من جهةِ اللَّوم، ونَفَاه مِن جهةِ قيمتِهم وقَدْرِهم.

والترشيح: وهو لفظٌ يُذكَرُ لتهيئةِ نوعٍ من البَديعِ: استعارةً، أو توريةً، أو طباقاً، أو غيرَ ذلك؛ كقولهِ:

وكلَّما نَسَجُوا حَوكاً بوَشْيِهِمُ ... عَنَى لَهُم رشَّحُوه باخْتِراعِهِم[2]

---

(١) البيت للسيوطي. انظر: «نظم البديع» (ص٣٩).

(٢) البيت للسيوطي. انظر: «نظم البديع» (ص٣٩).

فالترشيحُ هنا في التَّوريةِ والاستعارةِ، فالوشيُ توريةٌ؛ لأنَّ له معنيَينِ:

أحدُهما: الثوبُ المنمَّقُ المخطَّطُ.

والثاني: الكلامُ الذي يَنقلُه الواشِي.

وذِكْرُ النَّسجِ والحَوكِ الذي هو من لوازِم الأوَّلِ ترشيحٌ له، والنَّسجُ والحَوْكُ استعارةٌ من حقيقتِه إلى الكلامِ المنمَّقِ.

هذا، وفي هذا القَدْرِ كفايةٌ لـمَن تدبَّرَ مع التَّوفيق.

***

خاتمةٌ

قد أحببتُ أنْ أذكرَ هنا نصيحةً نافعةً، وزُبْدةً لامعةً، وإنْ كنتُ في ذلك كمَن يصفُ[1] الدَّواءَ ولا يستعملُه، ويأمرُ بالمعروفِ ولا يستمثلُه، غيرَ أنِّي أنهجُ الطَّريق، وأحضُّ على التَّوفيق:

ينبغي لكَ أيُّها النَّاظمُ والنَّاثرُ أنْ لا تُكرِهَ الخاطرَ على وزنٍ مخصوصٍ، ورَوِيٍّ مقصودٍ، وتوخَّ الكلامَ الجزْلَ دون الرَّذْلِ، والسَّهْلَ دون الصَّعبِ، والعَذْبَ دون المستكرَهِ، والمستحسَنَ دون المستهجَنِ، واجعلِ الألفاظَ جَزْلةً فصيحة، وعربيَّةً سَمْحةً فسيحة، تَحكي سلاستُها رِقَّةَ الماء، وصَفْوةَ الهواء، ولا تعملْ نظماً ولا نثراً عند المللِ والضَّجَر؛ فإنَّ الخواطرَ ينابيعُ إذا رُفِقَ بها جَمعتْ، وإذا عُنِّفَ عليها نَزَحتْ، واكتبْ كلَّ معنىً يسنَحُ، وقيِّدْ كلَّ فائدةٍ تَعرِضُ؛ فإنَّ نتائجَ الأفكار تَعرِضُ كلَمْعةِ[2] البرقِ ولمحةِ الطَّرْف، والتَّرنُّمُ بالشِّعرِ ربَّما يعين عليه.

وعن الفرزدق أنَّه قال: لقد يمرُّ عليَّ الزَّمنُ وإنَّ قلعَ ضرسٍ مِن أضراسي لأهونُ عليَّ من أن أقولَ بيتاً واحداً من الشِّعر[3].

وإيَّاكَ وتعقيدَ المعاني وتَقْعيرَ[4] الألفاظ، واعملْ في أحبِّ الأغراضِ إليك، وفيما وافقَ طبعَك[5]؛ فالنُّفوسُ تُعطي على الرَّغبة ما لا تُعطي على الرَّهبة،

---

(١) في (م): «يصب».

(٢) في (س): «كلمح».

(٣) انظر: «الأغاني» (١٠/ ٣٦٧_٣٦٨).

(٤) في (م): «وتعقيد».

(٥) في (م): «طبعاً».

وأشعِرِ القصيدةَ أوَّلاً، ونقِّحْها ثانياً، وكرِّرِ التَّنقيحَ، وعاودِ التَّهذيبَ، فقد كان الحُطيئةُ يعملُ القصيدةَ في شهرينِ وينقِّحُها[1] في شهرين اقتداءً بزهيرٍ، فإنَّه كان راويتَه، وقد كان زهيرٌ يعملُ القصيدةِ في شهرٍ واحدٍ، وينقِّحُها في حَوْلٍ كاملٍ، حتَّى قيل لشِعرِه المنقَّحِ: الحَوْليُّ.

وعن البُحْتُريِّ أنَّه قال: كنتُ في حداثتي أرومُ الشِّعرَ، وكنتُ أرجعُ فيه إلى طَبعٍ سليمٍ، ولم أكنْ وقفْتُ على تسهيلِ مأخذِه، فقصدتُ أبا تمَّامٍ فقال لي: يا أبا عبادةَ! تخيَّرِ الأوقاتَ وأنت قليلُ الهمومِ، صِفْرٌ من الغُمومِ، واخترْ وقتَ السَّحَرِ، فإنَّ النَّفس قد تكونُ أخذت حظَّها من الرَّاحةِ، وقِسْطَها من النَّومِ، وخفَّ عنها ثقلُ الغِذاء، وصفا من أكثرِ الأبْخِرةِ والأدْخِنةِ جسمُ الهواء، ورقَّتِ النَّسائمُ، وتغنَّتِ الحمائمُ[2].

وتغنَّ بالشِّعرِ واجتهدْ في إيضاحِ معانيه، فإن أردتَ النَّسيبَ، فاجعلِ اللَّفظَ رقيقاً، والمعنى رشيقاً، وأكثرْ فيه من بيان الصَّبابة، وتوجُّعِ الكآبة، وقلقِ الأشواقِ ولَوْعةِ الفِراق، والتعلُّلِ باستنشاق النَّسائمِ وغناءِ الحَمائمِ، والبُروقِ اللَّامعةِ والنُّجومِ الطَّالعةِ، والتَّبرُّمِ بالعذَّالِ والعَواذلِ، والوقوفِ على الطَّلَلِ الماحلِ.

وإذا أخذتَ في مدحِ سيِّدٍ ذي أيادٍ، فأشهرْ مناقبَه، وأظهرْ مناسبَه، وأبِنْ معالمَه، وشرِّفْ مَقاومَه، وأرهِفْ من عزائمِه، ورغِّبْ في مكارمِه، وتقاصَّ المعاني، واحذرِ المجهولَ منها، وإيَّاك أن تَشينَ شعرَك بالعبارة الزَّرِيَّة، والألفاظِ الوَحْشيَّةِ، وناسبْ بين الألفاظِ والمعاني في تأليفِ الكلام، وكنْ كأنَّك خيَّاطٌ

---

(١) في (م): «وينقها».

(٢) انظر: «صبح الأعشى» (٢/ ٣٤٧).

تقـدِّرُ الثِّيـابَ على مقاديرِ الأجسـامِ، وإذا عارضَـك الضَّجَرُ فأرحْ نفسَـك، ولا تعملْ إلَّا وأنـتَ فـارغُ القلب، واجعل شـهوتَك لقـول(١) الشِّـعرِ الذَّريعةَ إلى حسـنِ نظمِه؛ فإنَّ الشَّـهوةَ نعـمَ المعيـنُ. انتهى.

واعلمْ أنَّ من النَّاسِ مَن شعرُه في البديهة أبدعُ منه في الرَّوِيَّةِ، ومنهم بالعكس، ومنهم مَن(٢) إذا خاطبَ أبدعَ، وإذا كاتبَ قصَّرَ، ومنهم بضدِّ ذلك.

وقد يبرزُ الشَّاعرُ في معنىً من معاني مقاصدِ الشِّعر دونَ غيره، ولهذا قيل: أشعرُ النَّاسِ امرؤُ القيس إذا ركِب، وزهيرٌ إذا رغِب، والنَّابغةُ إذا رهِب، وعنترةُ إذا كَلِب، والأعشى إذا طَرِب.

واحذرْ إذا كاتبتَ من الإسرافِ في الشُّكرِ؛ فإنَّه يوجب للكلام ثقلاً، ولا تُطلِ الدُّعاءَ فإنَّه يورثُ مللاً، ولا تجعلْ كلامَك مبنيّاً على السَّجْعِ كلِّه، فتظهرَ عليه الكُلْفةُ، وربَّما استدعى إلى ارتكابِ المعنى السَّاقطِ واللَّفظِ(٣) النَّازلِ، بل اصرفْ كلَّ النَّظرِ إلى تجويدِ الألفاظِ وصحَّةِ المعاني.

واجتهـدْ فـي تقويـمِ المباني، فـإنْ جاء الـكلامُ مَسْـجوعاً عفواً من غيـرِ قصدٍ، وتشـابهتْ مقاطعُـه مـن غير كسـبٍ، فهـو غايـةُ المـرادِ، وإنْ عـزَّ ذلـك فاتركْه فقد كان المتقدِّمـون لا يحتفِلـون بالسَّـجع جملـةً، ولا يقصدونـه بتـةً، إلَّا مـا أتـتْ بـه الفصاحـةُ فـي أثناء الـكلامِ، واتَّفـقَ من غير قصـد، وإنَّما كانـت كلماتُهـم متوازنة، وألفاظُهـم متناسِـبة، ومعانيهـم ناصعـة، وعبارتُهـم رائقـة، وفصولُهـم متقابلَـة،

---

(١) «لقول» سقط من (م).

(٢) «من» سقط من (م).

(٣) في (م): «والتلفظ».

وجملُ كلامِهم متماثلة، وتلك طريقةُ أميرِ المؤمنين عليٍّ ومَن اقتفى أثرَه؛ كابن المقفَّعِ، وسهلِ بنِ هارون، وإبراهيمَ بنِ العبَّاسِ، والحسنِ بنِ سهلٍ، وعمرو بنِ مَسعدةٍ، وأبي عثمان الجاحظِ.

ولا تجعلْ كلَّ الكلامِ شريفاً عالياً ولا وضيعاً نازلاً، بل فصِّلْه تفصيلَ العُقودِ؛ فإنَّ العِقدَ إذا كان كلُّه نفيساً لا يظهرُ حسنُ فرائدِه.

واعلمْ أنَّ الألفاظَ أشباح، والمعانيَ أرواحٌ، لا تقومُ إلَّا بقيامِها، ولا تنتظمُ إلَّا بنظامِها، والمعنى الأصيلُ في اللَّفظِ[1] الثَّقيلِ بمنزلة الرُّوحِ الكريمةِ في النَّفْسِ اللَّئيمةِ؛ تملُّها الأبصارُ، وتنقبضُ[2] عنها الأفكارُ، فإذا قَوَّيْتَ الألفاظَ فقوِّ المعانيَ، فإذا أضعفْتَها فأضعِفْها[3].

واقصدِ القوافيَ السَّهْلَةَ المستحسَنةَ دون المستصعبةِ المستهجَنة، والأوزانَ الحلوةَ المستعملَةَ دون المهجورةِ الكَزَّة.

واجعلْ كلامَك كلَّه[4] كالتَّوقيعاتِ، وعليكَ بالمقطَّعاتِ؛ فإنَّها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أشرقُ وأَجْول، ولم تزلِ الأجِلَّاءُ[5] المتقدِّمون يحمدون ذلك ويذمُّون ما سواه.

قال أحمدُ بنُ يوسفَ الكاتبُ: دخلتُ يوماً على المأمونِ وفي يدِه كتابٌ،

---

(١) في (م): «القول».

(٢) في (م): «وتقبض».

(٣) في (م): «وإذا ضعفتها» بدل: «فإذا أضعفتها فأضعفها».

(٤) «كله» سقط من (م).

(٥) في (م): «الأجل».

وهـو يعـاودُ قراءتَـه تارةً بعـد أخرى، فتفكَّـرْتُ في ذلك، فالتفـتَ إليَّ وقـال: يا أحمدُ أراكَ مفكِّـراً، إنَّـه لا مكـروه فـي الكتـابِ، ولكنِّـي قـرأتُ فيـه كلامـاً وجدتُـه نظيرَ ما سـمعتُ الرَّشـيدَ ـ رحمـه الله ـ يقولُه في البلاغةِ، فإنِّي سـمعتُه يقول: البلاغـةُ: التَّباعدُ مـن الإطالـة، والتَّقـرُّبُ مـن البُغيـةِ، والدِّلالـةُ بالقليـلِ مـن اللَّفـظِ علـى الكثيـرِ مـن المعنـى، ومـا كنتُ أتوهَّـمُ أنَّ أحداً يَقـدرُ على ذلك حتَّـى قرأتُ هذا الكتـابَ، ورمى بـه إلـيَّ وقـال: هذا كتـابُ عمرو بـنِ مَسْـعدةِ إلينا.

قـال: فقرأتُـه، فـإذا فيـه: كتابـي إلـى أميـرِ المؤمنيـن، ومَـن قِبَلـي مـن قـوَّادِه وسـائرِ أجنـادِه فـي الانقيـادِ والطَّاعـةِ علـى أحسـنِ مـا يكـونُ عليـه طاعـةُ جُنـدٍ تأخَّـرتْ أرزاقُهـم، وانقيـادُ كافَّـةٍ تراخـت أُعطياتُهـم، فاختلَّـتْ لذلـك أحوالُهـم، والتاثـتْ معـه أمورُهـم.

فلمـا قرأتُـه قال لـي[1]: يا أحمـدُ، إنَّ استحسـاني لهذا الـكلامِ بعثَنـي على أن أمـرتُ للجنـد قِبَلَه بعطيَّاتِهم لسـبعة أشـهر، وأنا على مجـازاة الكاتب بما يَسـتحقُّه محلُّه مـن صناعتِه.

وفي هذا القدرِ كفايةٌ لمن تدبَّرَه، واللهُ أعلمُ[2].

قال مؤلِّفُه رحمه الله: وكان الفراغُ من تأليفِه بالجامعِ الأزهرِ في أواسط ربيعٍ الأول عام ثلاثين وألفٍ، والحمدُ لله على كلِّ حالٍ.

***

(١) «لي» ليست في (م).

(٢) وجاء بعده في النسخة (م): «ووافق الفراغُ من كتابتها في يوم الجمعة المبارك، السَّادس والعشرون [كذا، والصواب: والعشرين] من شهر ذي القعدة الذي هو في سنين ألف ومئتين وثمانية وستين، على يدِ أفقرِ العباد، بكرِ بنِ أحمدَ حمَّادٍ الأسلميِّ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين».